مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

المآسي

تعريب

أ. و. مشاطي

إشراف وتقديم

نظير عبود

توزيع

دار الجيل

مسرحيات

وليم شكسبير

الكاملة

المآسي

٦

تعريب

أ. ر. مشاطي

إشراف وتقديم

نظير عبود

دار نظير عبود

حقوق هذه الترجمة محفوظة
لدار نظير عبود
بيروت

ص.ب : ٨٠٨٦ / ١١ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ ـ ٩٣٤٧١٤

يحتوي هذا المجلد على

الملك لير ٥

ترويلوس وكريسيدا ١٣٣

تيمون الآثيني ٢٦٧

تيطس اندرونيكوس ٣٦٥

الملك لير

أشخاص المسرحية

لير : ملك بريطانيا العظمى.
ملك فرنسا.
دوق بركوني.
دوق كَرْنواي.
دوق الباني.
كونت كنْت.
كونت كلوسسْتر.
ادكار : ابن كلوسستر الشرعي.
ادْموند : ابن كلوسستر غير شرعي.
نديم الملك لير.
أسوالد : وكيل أملاك كنْريل.
كوران : أحد رجال الحاشية.
عجوز من أتباع كلوسستر.
طبيب.
ضابط في خدمة ادموند.
وجيه من أتباع كرْديليا.

حاجب.

كنريل ريكان كرديليا	} بنات الملك لير

فرسان، وضباط، ورسل، وجنود، ورجال حاشية.

تجري الأحداث في بريطانيا العظمى.

الفصل الأول

المشهد الأول

القاعة الكبرى في قصر ملوك بريطانيا العظمى.

(يدخل كنْت وكلوسستر وادموند)

كنت : ظننت أن الملك يميل إلى دوق ألباني أكثر من دوق كرنواي.

كلوسستر : هذا ما بدا لنا دائماً في اقتسام مهامّ المملكة. ولم يظهر أي دليل على تقديره أحد الدوقين أكثر من سواه، لأن حصصهما متساوية الى درجة لا تترك مجالاً لتفضيل أحدهما على الآخر.

كنت (يشير إلى ادموند) : أوليس هذا ابنك، يا مولاي؟

كلوسستر : تثقيفه، يا سيدي، كان على عاتقي. وكثيراً ما أحمرّ وجهي خجلاً من الاعتراف بذلك، لا سيما الآن وقد اسمرَّت بشرتي.

كنت : ليس باستطاعتي أن أتصوّر...

كلوسستر : هذا ما تمكنتْ من الوصول اليه والدة هذا الشاب، يا سيدي. ولم تنتبه إلى ذلك إلا عندما رأت بطنها منتفخاً، فرزقتْ طفلاً أضجعته في مهده قبل أن تستقبل زوجاً في سريرها... فهل تستشفُّ في الأمر ذنباً؟

كنت : لا حيلة لي لآسف على غلطة، ثمرتها هكذا جميلة.

كلوسستر : لديّ، يا سيدي، اقرار قانوني، وابن أكبر سنًّا من هذا، وهو ليس عزيزاً عليّ أكثر منه. مع أن هذا الرذيل قد أتى الى العالم بطريقة أقل حياءً، وقبل أن يحين أوانه، لأن والدته لم تكن أقل جمالاً منه. فقد ولّد هذا الحدث في قلبي سروراً لا مزيد عليه، واقتضى الأمر الإعتراف بابن الزانية هذا، ألاَ وهو ادموند. ألمْ تتعرّف بعد على هذا الوجيه.

ادموند : كلا، يا مولاي.

كلوسستر : هذا مولاي دوق كنت. يمكنك أن تسلّم عليه باعتباره من أشرف أصدقائي.

ادموند (يحيي) : أنا في خدمة سيادتك.

كنت : يتحتّم عليّ أن أحفظ لك الودّ، وأرجو أن أتعرّف اليك بنوع أخصّ.

ادموند : سأجتهد، يا سيدي، كي أستحق هذا الامتياز.

كلوسستر : ظل مرة تسع سنوات خارج البلاد، وهو عازم على مغادرتها مجدّداً. ها هوذا الملك قادم.

(تصدح الموسيقى).

(يدخل لير وكرنواي وألباني وكنريل وريكان وكرديليا ورجال الملك).

لير : يا كلوسستر، تفضّل بمرافقة سادة فرنسا وبركوني.

كلوسستر : حبًّا وكرامة، يا مولاي.

(يخرج كلوسستر وادموند).

لير : على كل حال، سأبدي أخفَى نَوَاياي... إليّ بالخريطة (تنشر خريطة أمام الملك). اعلموا بأني قسمت مملكتي إلى ثلاث مقاطعات. وأنا أنوي بصورة حاسمة أن أنسحب من الحكم بداعي شيخوختي، وأن أسند أعمالي الى همة الشباب بينما أنا أجرّ ذيول عجزي نحو المنية. فأنت يا ولدي كرنواي، وأنت

يا ابني ألباني الوفي نظير أخيك، ستشاطراني الآن البتّ في قضية بائنات بناتي لتجنّب كل خلاف قد ينشأ في المستقبل. أمّا أمراء فرنسا وبركوني، هؤلاء الأخصام الذين، للحصول على حب ابنتي الصبية، قد مدّدوا اقامتهم الممتعة في بلاطي، وسأعلمهم بردّي ها هنا. تكلّمْنَ، يا بناتي. فالآن، وأنا أودّ التنازل عن سلطتي وعن عائدات ممتلكاتي وعن رعاية شؤون الدولة، أعلمنني من الذي يحبّكنّ أكثر من سواه حتى أترك لكنّ حرية الاختيار بشكل فعّال حسب استحقاق صاحب الخطوة. أنتِ يا كنريل بكر أولادي، تكلّمي أوّلاً.

كنريل : أنا، يا مولاي، أحبك أضعاف ما يتيح الكلام التعبير عنه، لأني أعتبرك أغلى من نور عينيّ، وأعزّ عليّ من الحرية، وأفضل من أثمن ما في العالم كلّه. أنت أغلى من حياتي ومن سعادتي ومن صحتي ومن جمالي ومن شرفي. وأثمن من أكبر حبّ يمكن أن يكنّه ابن لأبيه أو أب لولده، ومن أي حبّ يجعل اللسان عاجزاً عن وصفه. لأني أحبك إلى أقصى حدود المشاعر النبيلة.

كرديليا (على حدة) : ماذا يمكنني، أنا كرديليا، أن أفعل غير أن أحبّ وأن أظل صامتة؟

لير (يضع اصبعه على الخريطة) : أترين هذا الخط الواصل الى هناك؟ جميع هذه الأملاك التي تكسوها الغابات الظليلة والحقول الخصبة والأنهار المتدفقة والبراري الواسعة، أمنحك إيّاها فتكونين سيّدتها، وسيملكها أولادك وأولاد ألباني إلى الأبد. والآن ماذا تقول ابنتي الثانية العزيزة ريكان زوجة كرنواي. تكلمي.

ريكان : أنا من طينة أختي، وأعتبر نفسي اني اساويها في القدر. وبكل صراحة أعتقد بأنها عبّرت عن نفس مشاعر الحب الذي أكنّه لك أنا أيضاً. لكنها لم تصل إلى أبعد مدى، لأني أحسب ذاتي عدوّة كل أفراح هذا الكون الحافل بالأحاسيس اللذيذة،

ولا أجد البهجة إلاّ في حبك الغالي، يا صاحب السمو الملكي.

كرديليا (على حدة) : هذا ما كان لا بدّ من اعلانه. مسكينة كرديليا. لكن، لا، أنا على يقين بأني في عاطفة الحب أفصح من بلاغة الكلام.

لير (لريكان) : لك ولذويك يعود بالوراثة، هذا الثلث الفسيح من المملكة الرائعة، وهو يساوي في المساحة وبالقيمة حصة كنريل بالتراضي.

(لكرديليا) : وأنت بدورك، وهذا مدعاة سروري، ستكونين الأخيرة بالقسمة لا الأصغر حصةً. فخمور فرنسا وألبان بركوني من نصيب أسعد البنات حظاً. هيّا تكلمي. ما لديك أن تقوليه للحصول على مورد أغنى مما ينوب أختَيْك؟

كرديليا : لا شيء، لا مولاي.

لير : كيف لا شيء؟

كرديليا : أجل، لا شيء.

لير : من لا شيء، لا سبيل الى الحصول على أي شيء. تكلمي بصراحة.

كرديليا : يا لتعاستي. أنا لا حيلة لي، كي أرفع عواطفي الى مستوى لساني. اني أحب جلالتك كما يجب عليّ أن أفعل، لا أكثر ولا أقلّ.

لير : هيَّا، هيَّا، يا كرديليا. ادخلي على جوابك التعديل اللازم لئلاّ تضرّي هكذا بمصلحتك وتقلّلي من نصيبك في مُتَع الحياة.

كرديليا : يا مولاي الكريم، يكفيني أن تكون أنت علّة وجودي، وأن تكون قد ربّيتني وأحببتني. فبدوري يجب عليّ أن أردّ لك فضلك بما يتحتّم عليّ أن أكنّه لك من الحب والطاعة والاحترام. لماذا تزوجتْ أختاي اذا كانتا كما تصرحان، تحبانك وحدك فقط بهذا المقدار؟ ربّما في أيام عرسي، سيحظى شريك حياتي بنصف محبتي واهتمامي واخلاصي. حتماً لن أقترن كشقيقتيّ، اذا كنت لا أحب إلا والدي.

لير : هل تتكلمين حقاً من أعماق قلبك؟

كرديليا : أجل، يا مولاي الكريم.

لير : أنت صبية، وقليلة الحنان اذاً.

كرديليا : أجل أنا صبية، وصادقة أيضاً يا مولاي.

لير : كما تشائين. لتكن أمانتك بائنتك. لأن إشعاع الشمس وأسرار الليل وتأثيرات النجوم التي تحيي وتميت، أفقدتك كل رعايتي الأبوية، وأنا أعلن أنكِ غريبة منذ الآن عن روابطك بي وعن حقك بالوراثة. أجل، أعلن انك غريبة عن قلبي وعن شخصي منذ هذه اللحظة إلى الأبد. فالرجل البربري المتوحش الذي يبطش بأولاده ليشبع نهمه سيجد في صدري عاطفة، تفوق الحبّ والحنوّ والاستلطاف، كنت أحفظها لك، يا من كنت سابقاً ابنتي.

كنت : مولاي الكريم.

لير : اصمت، يا كنت، لا تضع نفسك بين المطرقة والسندان. لقد أحببتها أكثر من سائر أولادي، وأعتقدت بأني سأجد الراحة والطمأنينة أيام شيخوختي في وفرة عطفها علي ورعايتها هيّا اغربي عن نظري أيتها الجاحدة. فلن يذوق قلبي الأبوي طعم الراحة في ظلمة قبري بعد أن كشفت عن وجهك قناع الخداع. نادوا لي ذاك الفرنسي. هل من يطيعني؟ نادِ هذا البركوني، يا كرنواي. يا ألباني، زد هذا الثلث على بائنة ابنتيّ الأخريين. دعوا العجرفة، التي تسمّيها هذه الوقحة صراحةً، تكفي لتزويجها. اني أمنحكما بالشراكة كل سلطتي واعتباري وجميع الواجبات التي تحق لي. فأنا والفرسان المئة الذين سيبقون في خدمتي سنظل على عاتقكما وستمكث بالمناوبة شهراً لدى كل واحدة منكما. ولن أحتفظ بعد اليوم من الملْك إلا باللقب فقط. بما اني أتنازل لكما عن سلطتي في الحكم، وأترك كل شيء سواها لابنتيّ الحبيبتين. وبرهاناً على ذلك، ها هو تاجي، اقتسما حمله بالتناوب منذ الآن.

(ينتزع التاج عن رأسه).

كنت : أيها الملك لير، أنت الذي تشرّفتُ باعتبارك مولاي على الدوام كوالدي، وتبعتك كسيدي وذكرتك في دعائي كشفيعي المبارك...

لير : كل شيء قد تمّ الآن، ولا حاجة لهذا الكلام.

كنت : لا طاقة لي على السكوت. ولا سبيل لي أن أتخاذل عن الاعتراض حين أرى الملك لير بعيداً عن التفكير الرشيد. ماذا تفعل أيها العجوز؟ أتظن ان الواجب يخشى من الكلام عندما تتخاذل السلطة أمام التمليق؟ الشرف يقتضي الصراحة عندما يتعثّر صاحب الجلالة أمام الحماقة والجنون. تراجع عن قرارك، وفكّر بتروٍّ والجُمْ عواطفك الجامحة. دع إخلاصي يحافظ على حكمك، وأعلم أن أصغر بناتك لا تحبك أقل من سواها، ولا تظن أن قلبها خالٍ من العواطف، وان صوتها العالي يرن بنبرة جوفاء.

لير : بحياتك، يا كنت، كفَّ عن الكلام.

كنت : لم أجعل حياتي يوماً رهن أعدائك، ولم أخف أن أفقدها في سبيل سلامتك.

لير : أخرج من حياتي.

كنت : تبصّر في عواقب الأمور، يا لير، ودعني أظلّ دوماً عند حسن ظنك بي.

لير : آه! بحق أبولون...

كنت : بحق أبولون، أيها الملك، أراك تلتجئ الى آلهتك عبثاً.

لير (يضع يده على سيفه) : يا لك من منافق غبي.

ألباني وكرنواي : مولانا العزيز، قف عند هذا الحد.

كنت : هيا اقتل طبيبك، وبغيابه يمكنك أن تغذي الشر الذي ينخر قلبك كالسوس. أنا أرفض منحتك، وما دام فيّ عرق ينبض، سأصرخ أنك أسأت التصرف.

لير : اصغِ اليّ أيها الأحمق، وبحق ولائك لي اسمعني جيداً. بما أنك حاولت أن تجبرني على نقض عهدي؛ وأنا لا أجسر على ذلك. وبما أنك بكبريائك المتطرف أردت أن تضع ذاتك بين قراري وسلطتي، وهذا ما لا يتغاضى عنه طبعي ومستواي، أسألك أن تجعل تنازلي عن السلطة بمثابة مكافأة لك على اخلاصك. سأمنحك خمسة أيام لتجمع أموالك كي تدفع بها غائلة الفاقة عنك. وفي اليوم السادس ستدير ظهرك المشؤوم وترحل عن مملكتي. واذا حلّ اليوم العاشر ولم تغادر هذه الديار سيكون حتماً نصيبك الموت الزؤام. اغرب عن وجهي اذاً، لأني لن أتراجع عن قراري النهائي هذا.

كنت : وداعاً أيها الملك المخدوع. بما أن هذه هي مشيئتك، أرى في بقائي هنا منفاي، وفي بعدي عن هذا المكان حرّيتي. (لكرديليا). لتشملك الآلهة بعين رعايتها، أيتها العذراء البريئة، لأنك بالصواب تفكرين وتنطقين. (لريكان وكنريل). أتمنى أن تبرهن أعمالكما عن روعة أقوالكما، وأن تثبت النتائج صدق أقوالكما الحكيمة. (لدوقي ألباني وكرنواي). وهكذا أيها الأميران ستودّعان الأهل والأصحاب، وستتأقلم عاداتكما القديمة في منطقة جديدة بالنسبة اليكما.

(يدخل كلوسستر بصحبة ملك فرنسا ودوق بركوني وحاشيتهما).

كلوسستر : ها هم أمراء فرنسا وبركوني، يا مولاي النبيل.

لير : سيدي البركوني، أوجّه كلامي أوّلاً إليك لأنك في مخاصمتك هذا الملك تقصد خطب ودّ ابنتي. فما هي البائنة التي تأتيك بها لكي تتبع هوى قلبك وتتزوجها؟

دوق بركوني : يا صاحب الجلالة، أنا لا أطلب أكثر مما تلطفت ومنحتني اياه، وأنا واثق بأنك لن تمنعه عني.

لير : أيها البركوني النبيل، لقد قدّرت أنها فعلاً عزيزة على قلبك.

فها هي أمامك، يا سيدي، واذا كانت بقدها النحيل وصدرها الرحب قد استهوتك، فما لك إلا أن تستأثر بها.

دوق بركوني : لا أعلم بماذا أردّ عليك.

لير : هي هنا بكل ما تنطوي عليه من قبائح، كيتيمة أنصبّ عليها جام غضبي حديثاً وزوّدتها بلعنتي وأنكرتها بأغلظ الايمان، ولك حق الخيار في أن تأخذها أو أن تتركها.

دوق بركوني : اعذرني، يا صاحب الجلالة، لا خيار لي في هذه الأحوال.

لير : دعها اذاً يا سيدي. لأني بالسلطة التي مارستها عليها، قد أعلمتك بكل أمورها (لملك فرنسا). أما أنت أيها الملك المبجّل، فلا أودّ أن أبني الصداقة بيني وبينك على تزويجك ممن أثارت كرهي واحتقاري اياها. استحلفك اذاً بأن تنقل استلطافك الى من هي أحق بتقديرك شخصها أكثر من هذه الشقيّة التي تأبى عاطفتي الأبوية أن تعترف بها.

ملك فرنسا : أمر غريب حقاً. فالتي كانت منذ هنيهة موضوع رعايتك ومحبتك وثنائك وبلسم شيخوختك، المفضّلة لديك التي لا مثيل لها، أضحت الآن بلمح البصر بالنسبة اليك بالذات، كائناً بغيضاً مكروهاً وقد حجبت عنها كل ما كنت تكنّه لها من مودّة وتقدير. لا بد من أن يكون ذنبها فظيعاً لا يغتفر أو أن تعلّقك بها كان في الأصل غير محدود المعالم. ولكي أصدّق ذلك لا بد لي من إيمان راسخ بأن السبب لا يمسّني أنا بطريقة خفية.

كرديليا (للير) : أنا ألتمس عطف جلالتك. فاذا كانت غلطتي هي أني لا أملك البراعة لأقول غير ما أفكر به، ولا ارادة التصرف بطريقة تخالف كلامي، أرجوك أن تعلن لي الحقيقة، يا مولاي، فهذا ليس جرماً مشيناً ولا جنوناً مطبقاً ولا عملاً شنيعاً ولا عاراً حقيراً يحرمني محبتك. لقد سخطت عليّ لأني أفتقر، وهذا ما يفرحني، إلى نظرة التماس ولسان لا يطاوعني على قول ما يفقدني مودتك.

لير : خير لك أن لا تكوني ولدتِ من أن تكوني قد أزعجتني هكذا.

ملك فرنسا : أليس الأمر كذلك؟ هذا جمود في الطبع يقصّر في التعبير عما يريد الانسان أن يفصح عنه. يا مولاي البركوني، ما رأيك في سيدتي؟ فالحب لا يكون حبًّا اذا امتزج باعتبارات غريبة عن غايته المنشودة. هل تريدها زوجة؟ إن شخصيّتها بائنة بحدّ ذاتها.

دوق بركوني : أيها الملك لير، أعطني البائنة التي عيّنتها أنت ذاتك، وفي الحال أقترن بكرديليا واجعلها دوقة بركوني.

لير : لا شيء لديّ. لقد أقسمت على ذلك وأنا لست مستعداً للحنث بيميني.

دوق بركوني (لكرديليا) : أنا مستاء من فقدك أباً كهذا. ثمّ، هكذا أنت تفقدين زوجاً أيضاً.

كرديليا : دعني وشأني، يا سيدي البركوني. بما أن حبك مرتبط باعتبارات مالية، فأنا لن أقبل بأن أكون زوجتك.

ملك فرنسا : أيتها الحسناء كرديليا، ها قد جعلك البؤس أغنى، والتخلّي عنك أجلّ، والاهانة أحلى، وقد جعلتك فضائلك أحبّ اليّ؛ فاسمحي لي بأن أتلقّى ما قد حُرّم عليك بحق الآلهة، أوليس غريباً أن يكون ازدراؤهم قد أضرم نار الهيام بك في صدري؟ (للير). أيها الملك، ابنتك أضحت بدون بائنة. وكان نصيبي ان اختارها كي تملك على قلبي وعلى عرش بلادي فرنسا. وجميع أمراء بركوني لن يتمكنوا من أن ينتزعوا مني هذه الصبية الغالية المظلومة. قولي لهم الوداع، يا كرديليا، مهما جاروا عليك. وهكذا ترَيْنَ أنك لست الخاسرة.

لير : هي لك، خذها، فمثل هذه الابنة لا تعني لي شيئاً، ولا أريد أبداً أن أبصر وجهها ثانية. (لكرديليا) اذهبي معه، غير مزوّدة ببركتي ولا بحبي ولا بنعمي. تعال أيها النبيل البركوني.

(تصدح الموسيقى، ويخرج لير ودوق بركوني وكرنواي وألباني وكلوسستر وحاشياتهم)

ملك فرنسا (لكرديليا) : ودّعي أختيك.

كرديليا : يا جوهرتا أبينا، أنا كرديليا، أودّعكما بدموع سخية لأغادركما. أنا أدري بما أنتما عليه، ويشقّ علي بصفتي شقيقتكما، أن أعدّد نقائصكما. أحبَّا والدنا كثيراً. فاني أستودعه قلبيكما الممتلئين بمودّته. ولكن يؤسفني أن لا أكون مغمورة بنعمه، وأن لا أقيم له عرشاً في مكان أفضل، وعلى هذا الأساس أودّعكما.

كنريل : لا تُملي علينا واجباتنا.

ريكان : هل لك أن تقنعي بزوجك الذي رمى اليك بثروته كصَدَقة، وهو يستغلّك؟ أنت ساومته على الطاعة، فتحتّم عليك أن تضحّي بما ربحته.

كرديليا : الزمان كفيل بأن يكشف ما تحاولين أن تخفيه بدهاء، والعار سيؤدي بك إلى افتضاح كل ما تسترينه من قبائحك. مع ذلك، أرجو لك كل السعادة والازدهار.

ملك فرنسا : تعالي يا حسنائي كرديليا.

(يخرج بصحبة كرديليا).

كنريل : لديّ أمور عديدة أودّ أن أفاتحك بها يا أختي، في موضوع يهمك ويهم شقيقتك جداً جداً. أعتقد ان والدنا سيغادر هذا المكان اليوم مساءً.

ريكان : طبعاً، ليذهب برفقتك. وفي الشهر القادم سيحل ضيفاً عليّ.

كنريل : أترين كيف أضحت شيخوخته رهينة أهوائه. فالتجربة التي مررنا بها ليست بدون مغزى، إذ فضّل دوماً أختنا علينا. وها هي قلة تروّيه في طردها، تكشف عن قساوته العاتية.

ريكان : هذا دليل واضح على طريقة تفكيره السقيم في شيخوخته. على كل حال، لم يتمكن أبداً في الماضي من تمالك نفسه.

كنريل : في أيام عنفوانه وصولة رجولته، لم يتجنّب الانسياق وراء عصبيّته الجامحة. فلا عجب اذا تصرّف هكذا في شيخوخته، لأن جذور

نقائصه متغلغلة في أعماق طبيعته، وبوادر قلة صبره تدفعه بسرعة الى النزق والغضب.

ريكان : علينا أن نتحمل تصرفاته الغريبة الشبيهة بما أبداه في إبعاد كنْتْ عنه.

كنريل : مراسم الوداع ستطول بينه وبين الفرنسي. وبهذه التصرفات لن يبقى لوالدنا أية سلطة، وستكون آخر تنازلاته مضحكة للغاية.

ريكان : يجب علينا أن نتدارك هذه الأمور.

كنريل : أجل، لا بد من أن نفعل شيئاً ونطرق الحديد وهو لا يزال حامياً.

المشهد الثاني

في قصر دوق كلوستر.

(يدخل ادموند، وفي يده رسالة).

ادموند : أيتها الطبيعة، أنت إلهتي، وأنا أدين بشرعتك. لماذا أخضع لسياق العادة وأسمح لسوء الظن أن يحرمني من حقوقي بحجة اني تأخرت في قدومي الى هذا العالم بعد أخي بمدة استغرقت ظهور القمر اثنتي عشرة أو أربعة عشرة مرة؟ لماذا أنا لقيط حقير؟ أوليست قامتي فارعة، ونفسي كريمة، وملامحي وسيمة، نظير أي ابن سيدة شريفة؟ فلماذا أرضى بأن أكون ذليلاً وأن أدعى لقيطاً؟ أين الحقارة، أين الحقارة، نحن أثناء تلاعب الطبيعة بغرائزنا، ألا نكون أوفر نشاطاً ونزقاً في سرير خشن منهك لا لذة فيه في أغلب الأحيان لخلق قبيلة من أشخاص تكوّنوا بين النوم واليقظة، اذاً يا ادكارالشرعي، لا بد من مشاطرتك ميراثك، لأن حب أبينا يخص ابن الزنى ادمون كما يخص الابن الشرعي. ما أحلى كلمة « شرعي ». كما تشاء أيها الشرعي.

اذا كان لهذه الرسالة من مفعول، ولفكرتي من نجاح، فإدموند الحقير سيتغلّب على ادكار الشرعي. سأكبر، وسأنال ما أتمنى. هيا، أيتها الآلهة، ساعدي أولاد الزنى.

(يدخل كلوسستر).

كلوسستر : هكذا أبعد كنْتْ. والفرنسي يرحل غاضباً، والملك يمضي هذا المساء، وقد تنازل عن سلطته، وقد أحال نفسه الى التقاعد. كل ذلك تمّ بضربة واحدة. ما وراءك من أخبار يا ادموند؟

ادموند (يحاول أن يخفي الرسالة) : لا أخبار لدي، يا مولاي.

كلوسستر : لماذا تستعجل اخفاء هذه الرسالة؟

ادموند : ليس من عجلة، يا مولاي.

كلوسستر : ما هذه الورقة التي كنت تقرأها؟

ادموند : لا شيء، يا مولاي.

كلوسستر : أحقًا لا شيء؟ لماذا اذاً أنت تستعجل دسّها في جيبك؟ ان كان لا أهمية لها، فلا داعي الى اخفائها هكذا. ارني اياها، اذا كان فعلاً لا أهمية لها. أنا لا أحتاج الى نظارات لمعرفة ما تتضمّنه.

ادموند : أرجو منك، يا سيدي، أن تعذرني. هذه رسالة من أخي، لم أقرأها بكاملها. لكنها، على ما يبدو، لم تكتب لكي تقع تحت أنظارك.

كلوسستر : أعطني هذه الرسالة، يا سيد.

ادموند : اني أسيء التصرف، سواءً إن إحتفظت بها أو أعطيتك اياها. فمضمونها على ما فهمت، من القليل الذي اطلعت عليه، يستوجب الملامة.

كلوسستر : هيا، هيا، اعطني اياها.

ادموند : أرجو، لكي أبرّر ما كتبه لي أخي، أن يكون قد فعل ذلك ليمتحن أو يرسّخ فضيلتي.

(يناول الكونت الرسالة).

كلوسستر (يقرأ) : « احترام الشيخوخة، حسب العرف السائد، يجعل حياتنا مُرَّةً، ونحنُ في أحلى سني عمرنا، ويحرمنا من نصيبنا حتى نبلغ العمر الذي يحول دون تمتعنا بالحياة. لقد بدأت أعاني من العبودية المخزية الكريهة الكامنة في الخضوع لاستبداد العجوز الحاكم، لا لأنها قاسية بل لأنها مسموحة. تعال أنظر كي اطلعك على المزيد. لو كان والدنا قادراً على النوم حتى أوقظه، لامتلكت حتماً نصف مدخوله ولعشت متمتعاً بحب أخيك ».

« ادكار »

تباً لهذه المؤامرة الدنيئة. لو كان قادراً على النوم حتى أوقظه لتمتّعت بنصف مدخوله. عجباً، هل يستطيع ولدي ادكار أن يكتب هذا؟ هل كتبتْه يده، وهل ولّده فكره حقاً؟ متى وصلتك هذه الرسالة، ومن أتاك بها؟.

ادموند : لم يأتني بها أحد، يا سيدي. هكذا حصلت عليها : وجدتها ملقاةً على حافة النافذة في مكتبتي.

كلوسستر : هل تعترف بأنها مكتوبة بخط أخيك؟

ادموند : لو كان نصّها صحيحاً، يا سيدي، لتجرأت على الحلفان بأنها منه. وبما أنها كذلك، أتمنى أن لا تكون من قبله.

كلوسستر : بلى، هي منه.

ادموند : أجل، يده كتبتْها، يا سيدي. وآمل أن لا يكون قلبه موافقاً على ما جاء فيها.

كلوسستر : أولم يأخذ رأيك أبداً في هذا الموضوع؟

ادموند : أبداً يا سيدي. لكنني سمعته مراراً يقول، عندما يكون الأولاد في عزّ شبابهم والآباء قد مالت شمسهم إلى المغيب، لا بد للوالد من أن يكون قد أصبح كالطفل الصغير، فيتولّى الابن إدارة شؤون أبيه وأرزاقه.

كلوسستر : يا لك من شقي مجرم. ان مجرد فكرة الرسالة... أيها الحقير البغيض، أيها البائس الخسيس... هيا اذهب وائتني به، يا عزيزي لأوقفه. يا له من منافق محتال. أين هو الآن؟

ادموند : لا أدري بالضبط، يا سيدي. اذا أردت أن تمتنع عن إهانة أخي، الى أن تتمكن من استدراجه إلى شرح نواياه، تشكل طريقاً أضمن. لكن، بالعكس، اذا أسأت الظن بقصده، تكون قد لجأت الى مهاجمته بعنف وأسأت هكذا الى مقامك الرفيع ودفعته إلى عصيانك. أتجرّأ على المراهنة برأسي أنه كتب هذا لامتحان المودة التي أحفظها لسيادتك، بدون أية نيّة تهديد.

كلوسستر : هل تظن ذلك ؟

ادموند : اذا كنت سيادتك ترى مناسباً؟ سأدعك تسمعنا بأذنيك، ونحن نحاور أخي في الموضوع قبل هذا المساء بالذات..

كلوسستر : لا يمكن أن يكون الوحش الذي تتحدث عنه.

ادموند : أؤكد لك صحة قولي.

كلوسستر : تجاه أبيه الذي يحبه بحنوّ لا مزيد عليه. بحق السماء والأرض، أبحث عنه، يا ادموند، وحاول منعه. أرجو منك أن تدبر الأمر بحجتك المعهودة. اذ يتحتّم عليّ أن أعتبر نفسي أباً، حتى يتسنّى لي بعد الآن أن أعالج الأمر بهدوء.

ادموند : أنا ذاهب لأبحث عنه بسرعة، يا سيدي. وسأعالج القضية بأوفر ما يمكنني من المهارة وسأعلمك بما يجدّ معي.

كلوسستر : ان كسوف الشمس وخسوف القمر لا يوحيان بالنسبة إلي بأي معنى مفيد. فالحكمة الطبيعية مهما فسّرتها بطريقة أو بأخرى، لا يمكن أن تكون معكوسة تحت تأثيرها المحتّم. فالحب يبرد والصداقة تهمُد، والأخوة ينقسمون، والاضطرابات تجتاح المدن، والشقاق يعمّ القرى، وفي القصور تنتشر الدسائس والخيانات، وتتفكك جميع الروابط حتى بين الابن وأبيه. هذا الشقي الذي أنجبته يبرّر كل التوقّعات. فها هوذا الابن يعادي والده، والملك

يتخلّى عن مشاعره الطبيعيّة. أجل، الأب يعادي ولده، حتى في أفضل أيامنا، كانت الدسائس والدناءات والشراك والفوضى والكوارث تهاجمنا من كل حدب وصوب، وتلاحقنا حتى القبر. أوجد لي هذا الشقي، يا ادموند، ولن تكون خاسراً. لكن، كن حذراً. فالنبيل الأمين كنْتُ قد أبعد، وجرمه أنه شريف. أمر غريب، غريب جداً.

(يخرج).

ادموند : هذا نموذج من غرور الرجال، ما بعده غرور. وعندما يكون حظنا مشؤوماً بسبب سوء سلوكنا في أغلب الأحيان، نلقي مسؤولية ويلاتنا على الشمس والقمر والنجوم، كما لو كنّا مجرمين بالضرورة، وبلهاء بحكم السماء، ومنافقين لؤماء ولصوص وخونة بحكم الظروف المستبدة، أو سكارى أو كَذَبَة أو زناة مستسلمين الى غرائزنا صاغرين بدافع عوامل الطبيعة ومتسبدّين عتاة بدافع عنف الآلهة. هذه كلها حجج واهية يتذرع بها الرجل الوضيع، ليهرب من مسؤولية غرائزه ويلقيها على عاتق حظه العاثر. فأبي قد جامع أمي تحت شعار كوكب التنّين، ونجم الدب الأكبر سهّل ولادتي. ومن هنا جئت أنا الى هذا العالم كالذئب الكاسر الجشع. أنا هكذا لأن نجمي في أعالي الفلك قد رذّلني كابن زنى... ها هو ادكار. لقد جاء في حينه، كأنه كارثة في مهزلة مسرحية. دوري أنا فيها أن أكون حزيناً تخنقني الحسرة كمن فقد صوابه (بصوت عالٍ وهو مشغل الفكر). آه! من هذه الكسوفات التي تنبئ بالانقسامات. فا، صول، لا، سي.

ادكار : ما وراءك من أخبار، يا أخي ادموند؟ ماذا يشغل فكرك من تأملات؟

ادموند : أنا أفكر، يا أخي، بنبوءةٍ قرأتها ذاك اليوم، تتكلم عما يمكن أن تسفر عنه هذه الكسوفات.

ادكار : هل هذا يستحق كل ما ينتابك من القلق؟

ادموند : العواقب التي تعدّدها النبوءة غير ظاهرة. أؤكد لك أنها في غاية الغموض والكآبة. فهناك خلاف غير معقول بين الابن وأبيه يشفّ عن موت ومجاعة وانحلال صداقة قديمة وانقسام في الدولة وتهديد ولعنة تحلّ على الملك والنبلاء، وافتراءات لا مبرر لها واتهام أصدقاء وهدر مصالح وخيانة زوجية، ولا أدري ماذا أيضاً.

ادكار : منذ متى أصبحتَ من عشاق التنجيم.

ادموند : هيا، هيا، ما هذه التفاهات والثرثرات؟ متى غادرت أباك؟

ادكار : مساء البارحة.

ادموند : هل تحدثت اليه؟

ادكار : نعم، طوال ساعتين.

ادموند : وهل افترقتما متفقين؟ ألم يسبب لك أي انزعاج إن بكلامه أو بسكوته؟.

ادكار : لا، أبداً.

ادموند : اسأل اذاً نفسك، بماذا ربما أسأت إليه أو أهنته؟ أتوسل اليك أن تتجنب الاجتماع به حتى تهدأ موجة الأسى التي اجتاحتك بسبب حدّة طبعه. فهو الآن متضايق الى حدّ انه لن يهدأ قبل أن يدمّرك تدميراً.

ادكار : لا بد من أن يكون أحد الأغبياء قد وشى بي لديه.

ادموند : هذا ما أخشاه. أرجو منك أن تلزم جانب الحيطة والتحفظ الى أن تمرّ سحابة غيظه. اسمع نصيحتي واذهب الى داري واقبع هناك برهة. وأنا لن أتأخر عن ابلاغك بما يجدّ في هذه القضية الشائكة. هيا أرجو منك أن تطاوعني. هذا مفتاح بيتي. وان اضطررت الى مغادرة مكانك، لا تخرج بدون سلاح.

ادكار : ولماذا السلاح، يا أخي؟

ادموند : هذه نصيحتي، يا عزيزي، ولن تضرّ بك. أنا لست رجلاً شريفاً، ولا أريد أن أظهر بمظهر الصديق المخلص الذي يريد لك الخير.

فأنا لم أنقل إليك إلا القليل مما سمعت ورأيت. ولا يسعني أن أصف لك الحقيقة المريعة كما هي في الواقع. أرجو منك أن تمضي.

ادكار : هل لي أن أحظى قريباً بأخبارك؟

ادموند : أنا في خدمتك، لا سيما في هذه المسألة. (يخرج ادكار). أبي سريع التصديق، وأخي كريم الأخلاق بعيد جداً عن أن يضمر الشر لأحد، ولا حتى أن يفكر فيه. وكم أفسدت بسهولة نواياه الشريفة بما حرّكته فيه من عوامل الاثارة. أنا أرى بوضوح ما سيحدث. ولا بد لي من الاستئثار بالميراث بما أستنبطه من الحيل بداعي نسبي ومولدي، وأرى كل الوسائل جائزة لبلوغ مرامي.

(يخرج).

المشهد الثالث

في قصر الدوق الباني

(تدخل كنريل ووكيلها أسوالد).

كنريل : هل صحيح ان أبي ضرب أحد الوجهاء عندما وبّخ نديمه؟

اسوالد : نعم، يا سيدتي.

كنريل : هو يغيظني ليلاً ونهاراً، لأنه لا ينقطع عن الانفجار أمامي في ثورة غضب تبعث فينا الاضطراب. لم يعد لي من طاقة على الاحتمال. لأن فرسانه أضحوا يضجّون كثيراً، وهو نفسه يثور علينا لأتفه الأسباب. عندما يعود من الصيد لن أكلّمه على الاطلاق. قل له اني مريضة. واذا تهاملت في خدمته لا تخشى لومه، فأنا أجيب عن تصرفك.

(يسمع صوت نفير).

اسوالد : ها هوذا مقبل، يا سيدتي. وأنا أسمع وقع أقدامه.

كنريل : تظاهر بالتعب والملل، وعلى قدر الامكان، أنت ورفاقك. لأني أريد أن أخلق له المتاعب وأثير حفيظته. وسأحمله على الذهاب إلى أختي التي تفاهمتُ واياها على مضايقته. يا له من عجوز مغفّل يصرّ على ممارسة سلطته رغم تخليه عنها. أقسم بحياتي ان هؤلاء الشيوخ المجانين قد استعادوا عقلية الأولاد. علينا أن نواجههم بحزم عندما يبالغون في الغنج والدلال. لا تنسَ ما أقول.

اسوالد : لا، أبداً، يا سيدتي.

كنريل : عامل هؤلاء الفرسان ببرود. ولا تهتم بالعواقب. نبّه رفاقك الى هذا الأمر. أنا أريد ذلك وسأتوصل إلى بغيتي، وهي أن أخلق ظرفاً للتفاهم معه على هذا الموضوع. سأكتب عاجلاً إلى أختي لكي تحذو حذوي. أعِدَّ العشاء.

(يخرجان).

المشهد الرابع

في قسم آخر من القصر

(يدخل كنت متنكراً)

كنت (ينظر الى ملابسه) : اذا كنت هكذا في هيئة ملائمة، وأنا أصطنع لهجة غريبة وحديثاً مستعاراً، سأفوز بما لأجله قد غيّرت هندامي وملامحي. والآن اذا تمكنت، أنا المبعد، من النجاح، فزت بمرامي، وإلا كان نصيبي الهلاك، مع اني أتمنى كل النجاح.

فالسيد الذي أحبّه سيجد في تصرفاتي منتهى الغيرة والوفاء.

(يسمع صوت نفير).

(يدخل لير ومعه فرسانه ورجال حاشيته).

لير : لا أريد انتظار موعد العشاء ولو لحظة. هيا، أعدّوا لنا المائدة (يخرج أحد رجال الحاشية). أنت، من أنت؟

كنت : أنا رجل، يا سيدي...

لير : ما هي مهنتك؟ وماذا تريد مني؟

كنت : مهنتي أن لا أكون أقل ممّا يبدو عليّ، وأن أخدم بأمانةٍ، من يريد منحي ثقته الغالية، وأن أحب كل شريف، وأن أشق طريقي مع من يلازم حيالي جانب التعقل وقلة الكلام، وان أخشى التسرّع في الحكم وأن أكافح عندما لا يسعني أن أفعل خلاف ذلك، وأن لا آكل السمك.

لير : من أنت؟

كنت : رفيق شريف جداً وفقير جداً، نظير الملك تماماً.

لير : اذا كنت فقيراً بقدر ما هو عليه الملك، فأنت فعلاً في غاية الفقر. ماذا تريد؟

كنت : أن أخدم

لير : أن تخدم من؟

كنت : أن أخدمك؟

لير : هل تعرفني، يا صاح؟

كنت : كلا، يا سيدي. لكن، في ملامحك ما يحملني على تسميتك سيدي.

لير : ماذا تقول؟

كنت : أتبيّن فيك مظهر السلطة.

لير : أي نوع من الخدمة تستطيع أن تؤدّي؟

كنت : أستطيع أن أحفظ السر بشرف وأمانة، وأن أمتطي جواداً وأن

أركض وأن أفسد قصة غريبة وأنا أرويها، وأن أسلم حالاً رسالة بسيطة. أنا نافع في كل شيء يريده رجل عادي، وأفضل ما أتحلّى به هو الفطنة والذكاء.

لير : ما هو عمرك؟

كنت : لست شاباً فتياً، يا سيدي، لكي أعشق امرأة لمجرد سماع صوتها وهي تغني، ولست عجوزاً طاعناً في السن لأتدلّه بحبها لدى أتفه حركة تصدر عنها. أنا في الثامنة والأربعين من العمر، يا مولاي.

لير : اتبعني لتكون في خدمتي اذا لم يقلّ اعجابي بك بعد العشاء. لن أراك عاجلاً مرّة ثانية. هيّا الى العشاء. أين نديمي؟ ليذهب ويستدْعِهِ (يخرج أحد الفرسان، ويدخل اسوالد). أهذا أنت يا صاح؟ قل لي أين ابنتي؟

اسوالد : اسمح لي... (يخرج).

لير : ماذا قال هذا المغرور؟ نادوا هذا المغفل (يخرج أحد الفرسان). أين نديمي. هيا ابحثوا عنه. يخيّل إليّ ان الجميع يغطّون في النوم. (يدخل الفارس). أين هذا اللعين؟

الفارس : يقول، يا سيدي، ان ابنتك ليست هنا.

لير : لماذا لم يردّ هذا الغبي عندما ناديته؟

الفارس : يا مولاي، لقد أجابني فوراً بأنه لا يريد المجيء.

لير : لا يريد؟

الفارس : أنا لا أدري ماذا يحدث، يا مولاي. ولكن حسب رأيي، يا صاحب الجلالة، لا أحد يعاملك بنفس المودّة كالسابق. وعلى ما يظهر، هناك تراخ وقلة اهتمام بين الناس في خدمة الدوق ذاته وفي محيط ابنتك أيضاً.

لير : هل هذا حقاً صحيح؟

الفارس : أرجو منك أن تعذرني، يا مولاي، اذا كنت مخطئاً. لكن أمانتي لا تسمح لي بالبقاء صامتاً عندما أرى جلالتك مغبوناً.

لير : انت تذكرني بملاحظاتي الماضية. فقد شعرت بصورة غامضة بالاهمال المقصود. غير اني فضلت أن أنسبه الى الصدفة لا الى التعمّد. على كل حال سأراقب الأمور عن كثب. لكن أين نديمي؟ لم أشاهده منذ يومين.

الفارس : منذ أن سافرت سيدتنا الشابة الى فرنسا، تغيّر نديمك كثيراً، يا مولاي.

لير : كفى. لقد لاحظت ذلك جيداً. (لأحد الفرسان). اذهب وقل لابنتي اني أودّ مخاطبتها. (لفارس آخر). وأنت اذهب وابحث عن نديمي

(يخرج الفارسان معاً).

لير : تعال، يا سيد، إلى هنا. هل تعرف من أنا؟

اسوالد : أنت والد مولاتي.

لير : والد مولاتك؟ يا لك من خادم لئيم في خدمة سيدك، أنت كلب حقير. وهي، تباً لها من عاهرة.

اسوالد : أنا لست هذا، ولا هي تلك، يا مولاي. أرجو منك المعذرة.

لير : أتتجاسر على رفع نظرك اليّ أيها الشقي.

(يضربه).

اسوالد : أنا لا أستحق الضرب، يا مولاي.

كنت (يعترض سبيله برجله ويرميه أرضاً) : ولا أن تطرح أرضاً. يا لك من لاعب كرة غبي.

لير : أشكرك، يا صديقي. أنت تخدمني، وأنا أحبّك.

كنت (للوكيل) : هيا، يا مولاي، انهض وارحل. وأنا أدلّك على المسافات. هيا ارحل. أمّا اذا شئت أن تقيس طول غباوتك، فابقَ هنا، لا بل ارحل عنّا. هل هذا معقول؟ هيا عجّل.

(يدفع اسوالد الى الخارج).

لير : يا لك من شخص محبوب، يا خادمي الأمين. أنا أشكرك، وهذا عربون تقديري خدماتك.

(يناوله كيس نقود).
(يدخل نديم الملك).

النديم : أنا أيضاً أريد أن أكافئه (يناول كنْتْ قبعته). خذ قبعتي التي تليق برأس حمار.

لير : أين كنت، يا صديقي المهرج، وكيف حالك؟

النديم (لكنْتْ) : يا صاح، هيا خذ قبعتي.

كنت : لماذا، أيها النديم؟

النديم : لماذا؟ لأنك تدافع عن شخص فقد ثقة معلمه. ان كنت لا تعرف كيف تتّقي الريح التي تهبّ عليك، ستلتقط الزكام سريعاً. على كل حال، اليك بقبعتي كي تحميك (يشير الى لير). أنظر، هذا الرجل قد أبعد عنه ابنتيه وبارك الثالثة مرغماً. فاذا تعلّقت به وجب عليك أن تلبس قبعتي التي تليق بالحمار. كيف حال عمي؟ أتمنى الحصول على قبّعتي حمار، لو كان لي ابنتان.

لير : لماذا، يا صاح؟

النديم : حتى، في حال منحي اياهما جميع ما أملك، أستحق أن أحتفظ وحدي بقبعتَيْ الحمار المذكورتين. (يمد قبعته إلى لير). ها أنا أعطيك قبعتي وستتصدّق ابنتاك عليك بالثانية.

لير : إحفظ لسانك، أيها الوقح، واحذر السوط.

النديم : الحقيقة مؤلمة، ولا تتورّع عن جرح صاحبها. وإن أخفيتها، لا تلبث أن تظهر وتكوي بنار متأججة وتفوح الرائحة.

لير : هذا تلميح محرج مؤلم موجّه اليّ.

النديم (لكنت) : يا صديقي، لا بد لي من أن ألقّنك درساً.

لير : هيا.

النديم : انتبه، يا عمّاه.

احتفظ بأكثر مما تظهره،
وتكلم أقل مما تعرفه.
أقرض أقل مما تملكه.
تنقّل راكباً، أكثر ممّا تقطعه مشياً.
واعلم أكثر مما تظن أنك تعرفه،
وغامر بأقلّ مما تربحه.
ثم تخلَّ عن مشروبك وعن محظيتك،
وابقَ في بيتك،
فيكون حتماً نصيبك
أكثر من عشرة على عشرين، حظك.

كنت : هذا كلام فارغ لا يساوي شيئاً.

النديم : اذاً هذا يضاهي كلام محامٍ لا يتقاضى أجراً. أنت لم تدفع لي قرشاً واحداً. هل يسعك، يا عمي، أن تربح شيئاً من لا شيء.

النديم (لكنت) : هذا ما يعادل عائدات أراضيه. أرجوك أن تقول له ذلك، لأنه لا يريد أن يصدّق مخبولاً مثلي.

لير : يا لك من نديم حقير.

النديم : هل ترى الفرق، يا ولدي، بين نديم أحمق ذميم ونديم صديق حميم.

لير : كلاّ، يا ولد. بيّنه لي.

النديم : حمل المولى صواب نصحك،
على التنازل عن سعة أرضك،
وقد انضم إلى جانبك
بدون أن تستقيم حجتك.
فتساوى الحرام والحلال،
بدون تأخير أو امهال.

(وهو يشير إلى نفسه)

هذا أحدهما بالذات

(ويشير الى لير)

وهذا هو الآخر بشحمه ولحمه.

لير : هل تنعتني بالجنون، أيها الوقح؟

النديم : جميع ألقابك قد تخلّيت عنها بارادتك، ولم يبق لك إلا الذي تحلّيت به منذ ولادتك.

كنت : هذا ليس بجنون كامل، يا مولاي.

النديم : كلا، بحق السماء. السادة والكبار لا يريدون احتكار جميع فنون الجنون. فعندما احتكره أنا برمّته يرغبون مشاطرتي اياه. كذلك السيدات لا يقبلن إلا أن يكون لهن نصيب منه، اذ يلذّ لهنّ أن ينلن آخر العنقود. اعطني بيضة، يا عمّاه، وأنا اعطيك بالمقابل تاجَيْن.

لير : تاجَيْن؟ من أي نوع؟

النديم : تاجين من قشرة البيضة بعد أن آكل محتواها. فيوم شطرت تاجك إلى نصفين، حملت حمارك على ظهرك كي تقطع المستنقع الموحل. وبيّنت هكذا أنك قليل التفكير، رغم شيب شعرك الأبيض، لأنك تخلّيت عن تاجك الذهبي. هل هذا كلام مجنون يستحق الازدراء؟ لعمري أنه كلام أعقل العقلاء.

(يغنّي) :

لم يَنعُم المجانين بأويقات سعيدة،
إلا حين أضحى العقلاء مجانين العقيدة،
ولم يعد لهم إلمام بأمور عديدة،
بعدما تبدّلت أخلاقهم الحميدة.

أرجو منك، يا عماه، أن تبحث عن استاذ يعلّم نديمك الكذب والتمويه، ما دام ذلك يقيه وينجّيه.

لير : اذا كذبت عليّ، يا مغفل، كان نصيبك الضرب بالسياط.

النديم : يا لغرابة هذه القرابة بينك وبيني وبين بناتك. هنّ يرغبن في ضربي بالسياط، اذا أعلنت الحقيقة، وأنت تريد أن تضربني كذلك

لأخفيها عنك. وكم أوجعتني السياط، لأني حافظت على صمتي. لذا أريد أن أكون أي شخص، ما عدا نديمك، وبنوع أخص، أن أكون في موقفك، يا عمّاه. لأنك أزلت عن حقيقة أمرك كل القشور، وهذه واحدة منها.

(تدخل كنريل).

لير : ما لك يا ابنتي؟ لماذا تحملين على رأسك هذا التاج القاتم؟ يخيّل اليّ أنك منذ برهة كنت تحردين.

النديم : كنت، يا مولاي، شاباً وسيماً عندما لم تهتمّ بحردها. أما الآن فصرت صفراً بدون قيمة. انه أنحس منك حالاً. فأنا أصبحت كالمجنون، بينما أنت لم يبقَ لك شيء. (لكنريل) أعذريني. عليّ أن أصون لساني. فنظرتك اليّ تأمرني بذلك، وإن لم تنبسي ببنت شفة. الصمت دائماً أولى من الكلام.

فمن ليس لديه لا لبّ ولا قشرة
لا ينوبه بالطبع إلا سوء العِشرة
(يشير إلى لير) : هذه قشرة فارغة.

كنريل (للير) : نديمك المستهتر لا يحتكر وحده المجون، فكثيرون غيره ينوبهم اللوم في كل حين على تصرفاتهم المبتذلة وسلوكهم المشين. لقد ظننت، يا سيدي، وأنا أبلغك هذه التجاوزات أني أسعى الى اصلاحها. لكنني الآن أخشى كثيراً اذ أراك محتفظاً في القول والعمل، أن تكون غير راضٍ عن شمل تصرفي بسماحتك فاذا كان هذا ذنبي، لن أنجو من العقاب، ولن تلاقي العلّة دواء شافياً. لأن حالة سليمة كهذه يمكن أن تجرحك، وإلاّ كانت في ظروفٍ أخرى تحقيراً مبرراً تقتضيه الضرورة كأنه تدبير حكيم.

النديم : لأنك كما تعلم، يا عمّاه (يدمدم) :
كالدوري يغذّي الوقواق في عشه،

وإن نتف فراخه من رأسه كل ريشه.
وعلى هذا المنوال، انطفأت الشمعة وبقينا في العتمة نتلمّس الأشياء.

لير (لكنريل) : هل أنت ابنتي؟

كنريل : كم أودّ أن تستعمل فطنتك التي عهدتها فيك دوماً. فاطرد عنك هذا المزاج الذي بدّل كل ما عرفناه فيك من حسن التصرف.

النديم : الحمار يجهل متى تجرّ العربة الحصان بدل أن يجرها هو. هيّا اسكت أيها الحمار العزيز، فأنا أحبك.

لير : هل يعرفني أحد هنا؟ أراني قد تغيّرت. هل هكذا أمشي أنا لير، وهل هكذا أتكلم؟ أين عيوني؟ لا بد من أن يكون نظري قد ضعف أو أن تمييزي قد تبدّد. ألا أزال واعياً؟ أشك بذلك. من يستطيع أن يقول لي من أنا؟

النديم : أنت خيال الملك لير.

لير : أريد أن أكون على يقين بأن شهادة الملك مبنيّة على العقل. وأنا أميل إلى التصوّر بأن لي ثلاث بنات.

النديم : وهن يرغبن أن يجعلن منك أبا مطيعاً.

لير (لكنريل) : ما اسمك أيتها السيدة الحسناء؟

كنريل : هيا يا سيد. دهشتك دليل على انحرافاتك الأخرى. استحلفك أن تفهم فكري، فأنت متقدم في السنّ وعليك أن تكون وقوراً حكيماً. هنا أنت لا تزال تحتفظ بمئة خيّال وسائس. جميعهم تسيطر عليهم الفوضى والخلاعة وقلة الحياء، نظير بلاطي المدنّس بسلوكهم المشين وبرائحة النزل الذي يطغى عليه المجون. فالتزمّت والدعارة تجعل منه ماخور فسق أكثر من قصر حاكم، ما دام الحياء ذاته يتطلب علاجاً سريع المفعول. تفضّل اذاً ولبِّ طلب من باستطاعتها أن تفرض عليك أهواءها. خفّض

عدد رجال حاشيتك واجعل من تبقيهم في خدمتك أن يكونوا رجالاً لائقين بعمرك، ولا تنسَ من أنت ومن هم.

لير : تبًّا لظلمات الجحيم. أسرجوا خيولي واجمعوا رجال حاشيتي. تبًّا لكِ يا ابنة الزنى. لن أنسى عقوقكِ أبداً. لم يبقَ لي من ابنة.

كنريل : أنت تضرب جماعتي، وجميع الوقحين في زمرتك هم خدام رؤسائهم.

(يدخل ألباني).

لير : ويل لمن يندم بعد فوات الأوان. (لألباني) أهذا أنت، يا سيدي؟ وهل هذه هي رغبتك؟ تكلم يا مولاي. أعدّوا خيولي. ما أوقح الجحود. يا لك من شيطان، قلبه من رخام، وهو أفظع من عفاريت البحر عندما تتراءى كالأطفال.

ألباني : تلطّف واصبر، يا مولاي.

لير (لكنريل) : تبًّا لكِ، أنتِ كالثعلب المحتال، أنتِ كاذبة. ان رجالي من النخبة الممتازة، وهم يعرفون ما يفرضه الواجب عليهم، ويتحملون بكرامة كل ما يقتضيه شرف اسمهم. أيتها الهفوة اللطيفة، كيف تجسدتِ بهذه البشاعة البغيضة في شخص كرديليا. لقد تمكنت من تفسيخ كل أجزاء كياني، ومن إفساد حلاوة حبي في قلبي المعذب وتحويلها إلى علقم مرّ. (يضرب جبينه) يا لير، يا لير، إقرع هذا الباب، ودع الجنون يدخل، فيهرب عقلك الرزين (لحاشيته) هيّا بنا هيا، يا جماعة.

ألباني : يا مولاي، أنا بريء ممّا أصابك، بقدر ما أنا أجهل مسبباته.

لير : هذا ممكن، يا سيدي. (يشير الى كنريل). اسمعي، أيتها الطبيعة. اسمعي، أيتها الإلهة العزيزة، اسمعي. وأوقفي مشروعك اذا كنت تنوين أن تهبي الخصب هذه المخلوقة العجيبة. أنزلي العقم برحمها؟ وأيبسي أجهزتها المولّدة، ولا تدعي طفلاً مشرّفاً ينبثق من جسمها النجس. واذا كان لا بد من أن تحبل، كوّني جنينها

من العلقم المرّ كي يحيا لتعذيبها وتلويث سمعتها. دعيه يرسم على جبينها الفتي تجاعيد العجز والانحلال، ودعي دموعها تحفر أخاديد عميقة على وجنتيها، فتدفع ثمن كل ما سببته لي من آلام وحوّل مآثر أمها الى سخرية وسخط حتى تدرك مبلغ ما تفعله لدغات الأفاعي التي أظنها أقل ضرراً من عقوق الولد المدلل. تعال نذهب.

(يخرج).

ألباني : أيها الاله الذي نعبده، من أين يأتي كل هذا؟

كنريل : لا تقلق ولا تحاول أن تعرف المصدر، واطلق لمزاجه العنان على أجنحة الخرف والهذيان الذي استولى عليه.

(يعود لير).

لير : ماذا جرى؟ أيزول خمسون من خيالتي دفعة واحدة ببرهة اسبوعين؟

الباني : ما الأمر، يا سيدي؟

لير : سأرويه لك مفصلاً. (يبكي ثم يقول لكريل) : أحياة هذه أم موت؟ ما هذا العار الذي انتابني اذ تقوّضت هكذا رجولتي؟ ما هذه الدموع الأليمة التي تهرب من عيوني وتجعلك تستحقينها؟ ستدمي جراح لعناتي أنا أبوك، جميعَ كيانك. (يمسح دموعه). اذرفي يا عيوني دموعك السخينة على حالتي، فأرسلك كي تملّحي أجفاني التي تتقرّح سدىً. هل وصلت الأمور الى هذا الحد؟ لكن، بقي لي ابنة واحدة، وأنا واثق من أنها صالحة ومحبّة. وعندما ستعلم بما فعلته ستمزّق بأظفارها وجهك الشبيه بوجه الذئب. ستتأكد من ذلك، وأنا سأسترد هذه الهيبة التي تظن اني انتزعتها منك. سترى، وأنا واثق من ذلك.

(يخرج لير وكنت وحاشيته).

كنريل : هل تسمع، يا مولاي؟

ألباني : يا كنريل، لا يسعني أن أتحيّز هكذا للمودّة الصادقة التي أحفظها لك بين ضلوعي.

كنريل : لطفاً، أرجو منك أن تهدّئ روعك. يا اسوالد (للنديم) وأنت يا صديقي الذي تفوق المجنون نفاقاً، إتبع سيدك.

النديم : يا عمي لير، انتظر قليلاً، وخذ نديمك معك.

(يدمدم) :

أمسك بالثعلب المحتال،
وبرفقته ابنه الدجّال،
فهما دوماً في قيل وقال
ينتظران شدّ الحبال،
كي يشنقا معاً في الحال.

(يخرج).

كنريل : هذا الرجل سديد الفكر. هناك مئة فارس. هل من الحكمة أن ندعه يحتفظ بمئة خيّال مدججين بكامل السلاح؟ أولا يوسوس له مزاجه المتقلّب أن يشنّ غارة لمجرد مشاكسته على أتفه الأمور، فلا شيء يردّه عن التشبّث بأوهامه واللجوء إلى العنف لتنفيذ أهوائه وجعل الناس تحت رحمته. هيا يا اسوالد.

الباني : أظنك تبالغين في مخاوفك.

كنريل : التحفظ والحذر أسلم في مثل هذه الأحوال. دعني في اعتقادي أن درهم وقاية خير من قنطار علاج. فهذا أصحّ من الاتكال على الغيب. أنا أعرف نواياه. ولقد كتبت الى شقيقتي وأبلغتها جميع تصريحاته. فان شاءت أن تتحمّل تصرفاته الغريبة مع فرسانه المئة بعدما بيّنت لها المحاذير، فهذا شأنها. أليس كذلك، يا اسوالد؟ (يدخل الوكيل اسوالد). هل كتبت الرسالة الى أختي؟

اسوالد : نعم، يا سيدتي.

كنريل : خذ معك بعض الحرس واسرع الى حصانك لتخبرها أيضاً شفاهياً وبالتفصيل كل ما يثير مخاوفي، وزد على ذلك من عندك كل الحجج التي تساعدك على اقناعها بوجهة نظري. اذهب حالاً وعد على جناح السرعة (يخرج الوكيل. تقول لألباني) لا، لا، يا مولاي. هذا تساهل معسول من قبلك، أنا لا أرفضه. لكن اعذرني على صراحتي إن قلت لك انك تستحق بعض اللوم على قلة تحفظك في كيل المديح بمثل هذا اللطف في غير محله.

الباني : انا لا أعلم الى أي مدى تصل نظرتك هكذا الى الأمور. إنما ما أراه بوضوح اننا كثيراً ما نسيء إلى مصالحنا بميوعتنا.

كنريل : ما العمل اذاً؟

الباني : ما علينا إلا أن ننتظر تطوّر الأوضاع.

(يخرجان).

المشهد الخامس

في باحة أمام قصر دوق ألباني.

(يدخل لير وكنت والنديم).

لير (يسلّم كنت مغلفاً) : إرحل الى مدينة كلوسستر لتسليم هذه الرسالة، وأخبر ابنتي بما تعلم. ولكن لا تتعدَّ في الجواب حدود المسائل التي تتحدث عنها رسالتي هذه. واذا لم تسْعَ الى اداء مهمتك على أكمل وجه، سأكون أنا هنا قبل عودتك لأناقشك الحساب.

كنت : لن يغمض لي جفن، يا مولاي، إلا بعد أن أسلّم رسالتك حسب رغبتك.

(يخرج).

النديم : لو كان عقله بخفة رجله لما فاته الأرنب، كما يقال.

لير : أجل، يا ولدي.

النديم : افرح اذاً، لن يسبقه أحد في هذا الميدان.

لير : لا، لا.

النديم : سترى ان ابنتك الأخرى ستقابلك بعاطفة بنوية تضاهي هذا الحنوّ. لأنها، وان كانت تشبه شقيقتها كما تتشابه تفاحتان، لا يخفى عليّ ما بينهما من فوارق.

لير : ماذا تعرف، يا هذا؟

النديم : وان كانت هذه تختلف عنها في الذوق كما تختلف في المذاق تفاحة عن الأخرى. هل لك أن تقول لي لماذا يوجد الأنف في منتصف الوجه؟

لير : كلاً.

النديم : اعلم إذاً ان السبب هو وجود عين في كل ناحية من الأنف كي يتسنى للمرء أن يرى ويشمّ جيداً.

لير (منشغل البال) : أنا أسأت التصرف حيالها.

النديم : هل لك أن تخبرني كيف يصنع الحمار قوقعته ؟

لير : كلاً.

النديم : ولا أنا أعرف. انما أستطيع أن أقول لك، لماذا يحمل الحلزون بيته على ظهره. .

لير : لماذا؟

النديم : لكي يخبّئ رأسه ولا يسلّمه لبناته تاركاً قرنيه بدون حماية.

لير (وهو لا يزال منشغل البال) : أريد أن أنسى طبعي، وأني أب عطوف. هل جيادي جاهزة؟

النديم : ذهب حميرك للتأكد من الأمر. هل تدري لماذا لا يزيد عدد الكواكب السبعة عن سبعة؟

لير : لأنها ليست ثمانية.

النديم : هذا هو السبب تماماً. أنا واثق بأنك تستطيع أن تكون مهرجاً بارعاً.

لير (وهو لا يزال حالماً) : هل بالامكان إنجاز القضايا بالقوة؟ ان في ذلك جحوداً سخيفاً.

النديم : لو كنت مهرّجي، يا عم، لكنت أمرت بضربك على بلوغك عجز الشيخوخة قبل الأوان.

لير : كيف يتمّ ذلك؟

النديم : عليك أن لا تشيخ قبل أن يكتمل عقلك.

لير : لا أريد أن أصبح نديماً. أيتها السماء أعينيني وثبّتي عليّ ادراكي وفهمي. فأنا لا أريد أن أصبح نديماً. (يدخل أحد الوجهاء). هل الجياد جاهزة؟

الوجيه : نعم، يا مولاي.

لير (لنديمه) : تعال، يا ولد.

النديم : من هي العذراء التي تضحك في هذه اللحظة وهي تراني أشد الرحال للسفر؟ صدّقني، إنها لن تظل عذراء، إلا اذا بُتّ في أمرها نهائياً للحال.

(يخرجان).

الفصل الثاني

المشهد الأول

في باحة من قصر كلوسستر يطل عليها جناح ادموند

(أقبل الليل، وتلاقى ادموند وكوران).

ادموند : السلام عليك، يا كوران.

كوران : وعليك السلام، يا مولاي. شاهدت والدك، وأعلمته بأن دوق كرنواي وريكان زوجته سيوافيانه هذا المساء.

ادموند : وكيف يجري ذلك؟

كوران : في الحقيقة لست ادري. لا بد من أن تكون قد وقفت على الأنباء السارية الآن، أقصد الأنباء التي تنتقل همساً، وهي لا تزال شائعات تتسرّب الى الأذن.

ادموند : لا علم لي بأي خبر. ما هي هذه الأنباء؟ أرجو منك أن تطلعيني عليها.

كوران : أولم تسمع بحرب من المحتمل أن تدور بين دوق كرنواي ودوق ألباني؟

ادموند : كلا، كلاّ.

كوران : ستعلم بها قريباً. الوداع، يا مولاي.

(يخرج)

ادموند : سيأتي الدوق هذا المساء الى هنا. وهذا أفضل، بل هو عين الصواب، لأنه ينطبق تماماً على خطتي. لقد نصب أبي شركاً للايقاع بأخي، وأنا لي في هذه اللعبة دور هام سأقوم به بإحكام. فآمل أن تسعفني الظروف باتكالي على الحظ، وعلى همة الأصحاب. (ينادي) : تعال، يا أخي، أودّ أن أقول لك كلمة. هيّا أنزل، يا عزيزي، هيا أنزل.

(يدخل ادكار).

ادموند : أبي يراقبك، يا سيدي. فاهرب من هذا المكان، لأنه عرف أين تختبئ. من حسن حظك، سيساعدك ظلام الليل على الاختفاء. ألم تهاجم دوق كرنواي بالكلام؟ سيأتي الى هنا هذا المساء على عجل هو وريكان. ألم تتحدث عن نواياه العدائية بحق دوق ألباني؟ فكر جيداً بالأمر.

ادكار : لم أنبس ببنت شفة. أنا موقن بما أقول.

ادموند (باردراء) : أنا أسمع خطوات أبي تقترب. أعذرني، ولو شكلاً، عليّ أن أجرّد سيفي في وجهك. فتصنّع الامتعاض. تظاهر بأنك تدافع عن نفسك. ولا تتأخر عن التهّرب مني. (يرفع صوته) سلّم نفسك. وامثل أمام والدي. أضيئوا الأنوار، يا جماعة. اقتربوا من هنا. (بصوت خافت) : هيا اهرب. (يفرّ ادكار). ان بضع نقاط دمٍ تسيل من جسمي تجعل مَن حولي يعتقدون بأني أجاهد للمحافظة على كياني. (يخدش يده). لقد رأيت سكارى يفعلون ما هو أسوأ من هذا على سبيل الهزار. أبي، يا أبي، قف لا مجال للاغاثة.

(يدخل كلوسستر، يتبعه خدام حاملين مشاعل).

كلوسستر : ما وراءك من الأخبار، يا ادموند؟ أين هذا الشقي؟

ادموند : كان هنا في العتمة، وهو يحرّك ذؤابة سيفة ويغمغم كلمات غير مفهومة ويناشد القمر أن يشفع به.

كلوسستر : لكن، أين هو؟

ادموند : أنظر يا سيدي، كيف أنزف دماً.

كلوسستر : أين الشقي، يا ادموند؟

ادموند : لقد هرب من هذه الناحية، عندما رأى أن لا سبيل بأية وسيلة كانت...

كلوسستر (لرجاله) : هيا، طاردوه وهاجموه. (يخرج الخدم) لا تدعوه بأية طريقة يفلت منكم.

ادموند : لم يستطع أن يقنعني بمشاركته في اغتيال سيادتك. وقد كلمته عن آلهة الانتقام الذين سيوجّهون صواعقهم إلى نحر كل قاتل أبيه، وعن الروابط العديدة المتينة التي تربط الابن بأبيه. وأخيراً، منذ أن لمس نفوري الشديد من هذا المشروع الجاني، بحركة وحشية وثب عليّ بعد أن جرّد سيفه وجرح يدي. لكنه لدى تصميمي بشجاعة على عدم الحياد عن جادة الصواب، انتفض وزمجر، غير أنه خشي ربما سوء عاقبة الضجة التي افتعلها فهرب فجأة.

كلوسستر : دعه يهرب على هواه. فلن ينجو من ملاحقتي في هذا البلد. وعندما سأقبض عليه سأقضي على حياته. أنا أعلم أن الدوق النبيل سيصل هذا المساء، وبسلطته سأعلن اني لدى تعرّفي على أي شخص يكتشف أمر هذا الاغتيال الدنيء سيُرسل الى حبل المشنقة، وانّ من يخبئه موتاً سيموت.

ادموند : عندما وجدته مصمماً على نيل مأربه، هدّدته بحزم وصرامة بأن أفضح مؤامراته. فأجابني : ايها اللقيط اللعين، ألا تعتقد، إن أنا كذّبت الخبر، لا أمانتك ولا ولاءك ولا فضائلك تكفي لتجعل الجميع يصدّقون أقوالك؟ بل بِنَفْيٍ بسيط أصرح به ينقضي الأمر، ولن أنفي الخبر عندما ستبرز ما كتبته أنا بيدي. سأنسب

كل ذلك الى تحريضك اياي والى خطط مؤامرتك والى حيلك الخسيسة. لا بد للعالم في عرفك من الوقوع ضحية خداعك كي لا يلاحظ ما ترجو أن تغتنمه لقمة سائغة بموتي الذي يشجعك عليه ما ينوبك بعد ذلك من سلطة وجاه.

كلوسستر : تبًّا لك من شقي بغيض. هل يسعك أن تنكر رسالتك؟ أنت حتماً لست ابني. (تصدح الموسيقى) اسمع، ها هي أبواق الدوق تنبئ بقدومه، ولست ادري لماذا هو آتٍ. سأغلق كل المرافئ، ولن ينجو اللعين مني. على الدوق أن يساعدني على تحقيق هذه الأمنية. على كل حال، سأعمّم أوصافه في كل مكان حتى تطلع المملكة بأسرها على نواياه الخبيثة. أما مسألة خلافتي، يا ولدي الحقيقي الوفي، فسأعمل جاهداً لأؤمّنها لك بكل الوسائل.

(يدخل دوق كرنواي برفقة ريكان وحاشيتهما).

كرنواي : منذ وصولك إلى هنا أيها الصديق النبيل، أي منذ لحظة، بلغتني أنباء مذهلة.

ريكان : ان صح ذلك، تكون جميع العقوبات التي تنزل بالمجرم قليلة. كيف حال مولاي؟

كلوسستر : قلبي كسير محطّم، يا سيدتي.

ريكان : ماذا سمعت؟ هل حقاً ابن عمي، ادكار الذي عَناه والدي، يتآمر على حياتك، وأنت تعتبره مخلصاً لك؟

كلوسستر : يا سيدتي، هذا ما شاء حيائي أن يخفيه عنك.

ريكان : أوليس رفيق هؤلاء الفرسان المتهتكين الذين كانوا يواكبون أبي؟.

كلوسستر : لست أدري، يا سيدتي. فهذا جرم يتعدّى جميع الحدود.

ادموند : أجل يا سيدتي، كان أحد افراد هذه العصابة.

ريكان : لم يعد العجب يأخذني من هذه النوايا الخبيثة. لا شك في أنهم هم الذين دفعوه إلى قتل هذا العجوز ليتمكنوا من سلب

كل ممتلكاته. في هذا المساء بالذات استلمت إشعاراً من أختي، فيه تطلعني على سلوكه. وهكذا تنبّهت. وإن أتى ليمكث عندي بعض الوقت، سأتغيّب عن هذا المكان.

كرنواي : وأنا أيضاً، اؤكد لك ذلك، يا ريكان. يا ادموند علمت بأنك أبديت لأبيك اخلاصاً بنويًّا مشكوراً.

ادموند : هذا واجبي، يا مولاي.

كلوسستر : رغم أنه هو الذي أوصى بهذا الدسّاس، وأصيب بالجرح الذي شاهدته وهو يحاول منع ما حدث.

كرنواي : هل يلاحقه أحد؟

كلوسستر : أجل، يا سيدي الكريم.

كرنواي : اذا ألقي القبض عليه، سيموت حتماً، ولن يخشاه أحد بعد الآن. تصرّف كما يحلو لك بما أوليك اياه من سلطتي. أنت منذ هذه الساعة تخصّني بما تتحلّى به من فضيلة الطاعة والخضوع. لأني بحاجة ماسة الى ما تمتاز به من إخلاص أكيد يحملني على التمسك بك.

ادموند : سأكون دوماً أميناً في خدمتك، يا مولاي.

كلوسستر : أشكرك على هذه الغيرة المحمودة.

كرنواي : هل تدري ماذا يقودني إليك؟

ريكان : في هذه الساعة غير المألوفة وتحت جنح ظلام الليل. طبعاً هناك أمور هامة، أيها النبيل كلوسستر، يسرني أن أعرف رأيك فيها. ان والدي النبيل وأختي أظهرا لي كثيراً من قلة التفاهم. ففضّلت أن لا أرد عليهما. سينقل الرسل اليهما من هنا جوابي. فما على قلبك، يا صديقي العزيز، إلا أن يتعزّى بما تجود به عليّ من نصائحك القيّمة في قضية تحتاج إلى اتخاذ قرار لا يحتمل التأجيل.

كلوسستر : أنا تحت أمركِ، يا سيدتي. فما عليكِ إلا أن تطلبي مني ما تشائين.

(يخرجان).

المشهد الثاني

أمام قصر كلوسستر.

(القمر يسطع في كبد السماء، وفي الأفق تشاهد بغموض أول أنوار الفجر.
الوكيل اسوالد وكنت يلتقيان).

اسوالد : أرجو أن يكون هذا الصباح خيراً عليك، يا صديقي. أظن أنك من أهل البيت؟

كنت : نعم.

اسوالد : أين يمكننا أن نوقف خيولنا؟

كنت : في الوحل.

اسوالد : أرجو منك أن تدلني كصديق.

كنت : أنا لست صديقك.

اسوالد : لذا أنا أيضاً لا أكترث لك.

كنت : اذا صادفتك داخل زريبة المواشي في ليبْسبري أجبرتك على الاهتمام بي صاغراً.

اسوالد : لماذا تكلمني بهذه اللهجة المهينة؟ فأنا لا أعرفك.

كنت : أنا أعرفك جيداً، يا صاح.

اسوالد : ان كنت تعرفني، فمن أنا؟

كنت : أنت مخلوق عجيب غريب، أنت نكرة، أنت وقح حقير، أنت أحمق ذليل، أنت جبان، أنت ابن زانية، أنت لص محتال، أنت صعلوك بغيض لا تجرؤ على نكران أيٍّ من هذه الرذائل الدنيئة التي وصفتك بها.

اسوالد : تباً لك من بهلول غبي. من أنت حتى تتطاول على رجل مثلي لا تعرفه، ولا يعرفك؟

كنت : لا بد من أن تكون دجّالاً أسود الوجه كي تدّعي أنك تعرفني. هل نسيت اني خزلتك أمام الملك منذ يومين؟ جرّد حسامك

يا جبان، وان يكن الليل لا يزال مخيّماً، فضوء القمر يبدّد بعض سواده، وسأريك ماذا أستطيع أن أفعله بك. هيّا جرّد سيفك يا رعديد، جرّد.

(يضع يده على سيفه).

اسوالد : اليك عني. أنا لا صلة لي بك.

كنت : جرّد حسامك يا شقي. أرى معك رسائل تتضمّن العداء للملك. ويبدو عليك أنك من أنصار الدمية المغرورة، وتتحيّز لها في مخاصمة جلالة أبيها. جرّد سيفك يا سافل. سأقطع أوصالك بحد هذا الحسام. هيّا جرّد سيفك وتأهّب.

اسوالد : النجدة. يا للقاتل الدنيء. النجدة.

(يدخل ادموند وكرنواي وريكان وحاشيتهم، ثم يدخل كلوسستر).

ادموند : ما الأمر؟ عليكما أن تفترقا.

كنت (يلتفت نحو ادموند) : ماذا تريد أيها الرجل الصغير. تعال لكي أسلخ جلدك. تعال اذاً، يا سيدي الشاب.

كلوسستر : ما هذه السيوف، لماذا هذا السلاح؟ ماذا يجري هنا؟

كرنواي : بحياتك، يا مولاي، استحلفك أن تحترم الأمان. فمن يضرب سيموت لا محالة. ماذا جرى؟

ريكان : هذان رسولان من لدن أختي، ومن لدن الملك.

كرنواي : فلماذا هذه المشادة بينكما. تكلّما.

اسوالد : تكاد أنفاسي تتقطّع، يا مولاي.

كنت : هذا ليس بالأمر الغريب. لقد قدّرت ذاتك أكثر مما تساوي، أيها الجبان الغبي. فالطبيعة ترفض ادّعاءك، لأنك لست سوى صعلوك حقير.

كرنواي : وهل أنت رجل خطير لتتبجّح هكذا؟

كنت : أجل، يا مولاي. أنا شخص لي مكانتي واحترامي، ولا سبيل الى قياس ذاتك بي.

كرنواي (لأسوالد) : تكلم اذاً، كيف تشب هذا الخلاف؟

اسوالد : يا سيدي، هذا المخلوق الحقير الذي ترفّعت عن سفك دمه نظراً لكبر سنّه وشيب لحيته...

كنت : هذا نكرة، هذا ابن زنى، يا مولاي. اسمح لي أن أدق عنقه في الحال. كيف يجرؤ على الإدّعاء بأنه ترفّع عن قتلي بسبب شيب لحيتي. سأسحق عظامه وأبيّض بها جدران بيوت الخلاء. أنت، يا جبان، تريد أن تغدر بي؟

كرنواي : هدّئ روعك، يا صعلوك. هل نسيت احترام الغير؟

كنت : لا، يا سيد. لكن الغضب يطغى على الادّعاءات.

كرنواي : وماذا أغضبك، يا هذا؟

كنت : ان أرى محتالاً يتقلّد سيفاً، وهو لا يحوي ذرة من الشرف. لأن فأراً مثله، مجرّد من كل صفة كريمة، يقضم كل عاطفة سامية تكمن في قلب الانسان النبيل، ولا يتورّع عن إلقاء الزيت على النار ليزيدها تأججاً، وهو يضرم في الصدور لهيب الحقد والبغضاء. وهكذا تراه مثل الكلاب لا يعرف سوى اللحاق بصاحبه. (لأسوالد) ألاَ شوّه الطاعون وجهك الكريه. أنت تضحك بسبب خطابي، كأني أتكلم كالجاهل الأبله. سأسحق رأسك كحشرة مؤذية.

كرنواي : هذا جنون مطبق، أيها العجوز الثرثار.

كلوسستر : ما هو سبب المشادّة؟ قل لي.

كنت : ليس من كرهٍ بيننا نحن المتخاصمين، أكثر مما بيني وبين أي خبيث نظيره.

كرنواي : لماذا تنعته بالخبث؟ ما هو جرمه؟

كنت : سحنته لا تعجبني.

كرنواي : وأنا أيضاً لا تعجبني سحنتك. (يشير الى ادموند) ولا سحنته. (يشير الى ريكان) ولا سحنتها هي أيضاً.

كنت : من عادتي أن أكون صريحاً، يا سيدي. ولقد شاهدت في حياتي وجوهاً أفضل من التي تحيط بي في الوقت الحاضر.

كرنواي : هذا الشخص الغريب الطبع الذي تثني على مظاهره القروية البعيدة عن كل طبعية، يصطنع البساطة بتكلّف ووقاحة. هو لا يعرف التزلّف، لأن نفسه شريفة وصريحة، ولا بد من أن يقول الحقيقة. اذا حسن استقباله كان به، وإلّا فلا تلوموه سوى على كلامه الخشن. أنا أعرف أمثال هؤلاء الغرباء الطبع الذين يخفون البراعة في التفكير بخساسةٍ أكثر من عشرين سفّاحاً ويغدقون الانحناءات ويكيلون الإطراء المفرط جزافاً وبدون حساب.

كنت (بلهجة معسولة) : يا مولاي، في الحقيقة وبكل صراحة، في سبيل عظمتك ونفوذك المشعّان كهالة متوهّجة على جبين فابوس...

كرنواي : ماذا تقصد بهذه المقدّمة الطويلة؟

كنت : أن أبدّل نهجي بما أنك غير موافق عليه بتاتاً. أنا أعترف بأني لست متملّقاً لكن الذي يغترّ بصراحته، لا يكون في الواقع إلا منافقاً دنيئاً، لا أودّ من جهتي، أن أحذو حذوه، ولو دفعني الى ذلك أملي في ارضائك.

كرنواي (لأسوالد) : ما هذه الاهانة التي توجّهها اليه؟

اسوالد : أنا لا أودّ أن أهينه. فلقد شاء سيده الملك أن يزجّني سابقاً في سوء تفاهم. وهذا الرجل ساعده على ذلك، اذ أطرى تصرّفه، فسبب له التعثر نظيره بأذيال الخيبة والفشل. ومنذ أن وجدني هناك، راح يذمّني ويشتمني ويتظاهر بالمآثر التي يدّعي الامتياز بها، فحاز على ثناء الملك بسبب هذه المؤامرة التي استهدفت اغتيال رجل أعزل. ومنذ هنيهة، في نشوة تبحجه بهذا العمل العظيم، تجرأ على إشهار سيفه في وجهي.

كنت : هو ليس من الرعاع الوقحين، لكن اذا قورن بأجاكس عدّ من الجبناء.

كرنواي : هلاّ، أتيتم بالقضبان؟ أيها العجوز العنيد، المستهتر الذليل، سأعلّمك...

كنت : يا سيدي، أنا أصبحت شيخاً وفات أوان تعليمي. لا تجلبوا القضبان لضربي. فأنا أخدم الملك، وبناء على أوامره جئت اليكم. واذا استخدمتم القضبان لضربي، سيقلّل رسله من احترامه ويظهرون عدم رعايتكم ووفائكم لشخص مولاتي.

كرنواي : هيا اجلبوا القضبان. أقسم بحياتي وبشرفي انه سيبقى هنا حتى الظهر.

ريكان : حتى الظهر، حتى المساء، يا سيدي، بل طوال الليل أيضاً.

كرنواي : ها هو ذا غريب الأطوار الذي يشبه من تتحدث عنه شقيقتنا. هيا، قرّبوا هذه القضبان.

كلوسستر : دعني ألتمس من سيادتك أن لا ترتكب هذا الخطأ الجسيم الذي يعرف جلالة الملك كيف يعاقبك عليه. لأن القصاص المهين الذي تفرضه عليه لا ينطبق حتى على أحطّ الأشقياء مرتكبي أضخم السرقات وأفظع الذنوب. لا شك في أن الملك سيرى حقارة الاهانة التي وجّهناها الى رسوله، اذ وضعناه في مثل هذا الموقف الذليل.

كرنواي : أنا مسؤول عن كل ذلك.

ريكان : ربما وجدتْ أختي قباحة أكثر في إهانتنا وسوء معاملتنا هذا الوجيه القادم من قبلها لتنفيذ أوامرها. (للخدم) قيّدوا رجليه (يهدّدون كنْتْ بالقضبان، ثم تقول لكنْتْ) هيا، نذهب، يا سيدي العزيز.

(يخرج الجميع ما عدا كلوسستر وكنت).

كلوسستر (لكنت) : يا صديقي، أنا مستاء عنك. لقد حدث هذا لارضاء الدوق

ومزاجه، كما يعرف الجميع ذلك. إذ لا سبيل الى معارضته واغضابه. سأتدخل في الأمر اكراماً لك.

كنت : أرجو منك، يا سيدي، أن لا تفعل. لقد سهرت واجتزت طريقاً طويلاً. سأنام بعض الوقت وسأدمدم في المدة الباقية (بلهجة مريرة) حظ الرجل الشريف يمكن أن يوفّر لظروفه مثل هذه المساعدة. نهارك سعيد.

كلوسستر : الدوق يستحق الملامة على ذلك، لأن تصرّفه غير سليم.

(يخرج ويبزغ الفجر).

كنت : أيها الملك الفاضل، هل طلب أحد منك أن تبرّر المثل الشعبي؟ وان تعمل في جوّ مقبول تحت شمس محرقة؟ (يسحب ورقة وينشرها) اقترب، أنت يا منارة العالم الأسفل، حتى نستعين بأشعّتك لقراءة هذه الرسالة. لا سبيل الى اجتراح المعجزات إلا في أحلك الشدائد. أنا واثق بأن هذه الرسالة هي من قبل كرديليا. فلحسن الحظ، علمت بأني تنكرت بهذا الزي. وستقف في هذه المناسبة على الفظاعات التي تحدث، لمداواة كل علّة بما يلزمها من علاج. (يضمّ الورقة الى صدره) أنتِ يا عيوني التي ينهك السهر نظركِ، استفيدي من تعبكِ وغضّي الطرف عن هذا المسكين الحقير. ليلتكَ سعيدة، يا حظي العاثر، ابتسم مرة ثانية، ودع دولابك يبرم

(ينام).

المشهد الثالث

تحت شجرة

(يدخل ادكار)

ادكار : لقد سمعت الملامة الموجّهة اليّ، وبفضل فجوة شجرة اختبأتُ داخلها تخلصتُ من المطاردة. ولم يكن هناك أي مرفأ مغلقاً، ولا أي مكان ليس فيه مركب حيث أشدّ المراقبين يقظة يحاول أن يفاجئني. وبما اني تهربت، أراني قد نجوت. وقررت أن أظهر، ولو بأحط الهيئات وأشنعها بؤساً مما يغيّر الانسان ويجعله كأشرس الوحوش. اود أن أمرغ وجهي بالوحل وأن أغطي وسطي بمئزر وأن أعقد شعري كما لو كنت ساحراً. أريد، وأنا أعرض عليهم عريي، أن أتحدّى الرياح وعناصر الطبيعة. فالبلاد تقدم لي كنماذج متسوّلين بلْدْهام الذين وهم يزمجرون يغرزون أظفارهم في لحمي العاري القاسي كدبابيس رفيعة وكأشواك تشبه الإبر وكمسامير وعيدان جارحة. وبهذا المظهر البغيض يحاولون استدرار شفقة المزارع الفقيرة والقرى الصغيرة والزرائب والطواحين، تارةً لقاء لعنات المهووسين، وطوراً لقاء صلوات الأتقياء. هكذا كنت كطوم المسكين. هذا شيء... لا يا ادكار، هذا لا شيء.

(يخرج).

المشهد الرابع

كنْتْ بجانب القضبان.

(يدخل لير ومعه نديمه وأحد الوجهاء)

لير : الغريب أن الجماعة رحلوا عن ديارهم دون أن يزوّدوني بأي نبأ.

الوجيه : علمت الليلة البارحة أنهم لم يكونوا ينوون مطلقاً أن يبتعدوا.

كنت : السلام عليك أيها المعلم النبيل.

لير : ماذا فعلت؟ هل استعرت هذه القباحة على سبيل التسلية لتمضية الوقت؟

كنت : لا، يا مولاي.

النديم : ها ها. انظر اليه اذاً كيف يلبس في ساقيه حمالتي جوارب بشعتين. الجياد تُربط من رأسها، والكلاب والذئاب من أعناقها، والقرود من خصرها والرجال من ساقيهم. عندما يكون الرجل كثير الجرأة يربط من فخذيه وحينئذ يلبس قبقاباً من الخشب.

لير : من الذي تجاهل مستواك حتى رضيت بهذه الهيئة.

كنت : هو وهي، أي ابنك وابنتك.

لير : لا.

كنت : أجل.

لير : قلت لك : لا.

كنت : أنا قول لك : أجل.

لير : كلاً ثم كلاً. انهما لا يقدمان على عمل كهذا.

كنت : انهما أقدما وقد فعلا ذلك.

لير : بحق الإله المشتري، أقسم بأنهما لا يفعلان.

كنت : وأنا أقسم لك بجينون، أنهما أقدما وفعلا.

لير : لم يكونا ليجسرا على ذلك. ولم يكونا ليتمكنا من تنفيذه ولم

يشاءا أن يفعلا، لأن هذا أشنع من اغتيال انسان محترم بمثل هذه الدناءة. أجبني بكل ما تملك من تبصّر معقول. كيف تمكنت من استحقاق... كيف تمكنت من تحمل مثل هذه المعاملة الصادرة عنّا؟

كنت : يا سيدي، ما كدت أصل إلى الجماعة وأسلّمهم رسالة جلالتك، وقبل أن أجثو وأقدّم احتراماتي، حتى أتى رسول يتصبب العرق منه وهو متقطّع الأنفاس وتلعثم ببعض عبارات الثناء على سيدته كنريل، ثم سلّمهم رسالة غير حاسبٍ لرسالتي أي حساب. فتلوها للحال. وبناء على ما جاء فيها امتطوا جيادهم وأمروني بأن أتبعهم وأن أنتظر ليزوّدوني بجوابهم متى شاؤوا ذلك، وقد رشقوني بنظراتهم الباردة. هنا التقيت بالرسول الذي قلب فحوى رسالتي رأساً على عقب، وكان الرجل الغريب الأطوار الذي أهان مؤخراً جلالتك بوقاحة. فما كان مني إلا أن أنقدت إلى عاطفتي بدون تفكير، فجرّدت حسامي. لكن صراخ الجبان كان قد أثار حفيظة جميع أهل الدار. وقد لمس ابنك وابنتك ان هذا الجرم قد قوبل بما يستحقّه من الاذلال هنا.

النديم : لم يولِّ الشتاء بعد ولو طار الوزّ البرّي في هذا الاتّجاه.
قالآباء بثيابهم المهلهلة
يعمون بصائر أولادهم الكليلة.
بينما أهل الخير والنعمة
يرون أولادهم في الجنة.
لأن الحظ المشؤوم الخسيس
لا يسعد أولاد التعيس.
مع ذلك سينوبك من بناتك أحزان وآلام أكثر ممّا يمكنك أن تكسبه من الأموال.

لير : كم يضايقني، وكم تحزّ في قلبي هذه القصة الرهيبة. اليك

عني ايتها الكآبة الخانقة فان غايتك أحط مما تبدو عليه. أين ابنتي هذه؟.

كنت : هي مع الكونت هنا في القصر.

لير : لا تتبعني. أبقَ في مكانك.

(يدخل إلى القصر).

الوجيه (لكنت) : ألم توجّه أية اهانة أخرى غير التي سمعتك تتلفظ بها؟

النديم : لو ضُربت بالقضبان لأجل هذه القضية، لكنت قد نلت ما تستحقه.

كنت : لماذا، أيها النديم؟

النديم : كنا أرسلناك الى النملة لتتعلّم منها ان الشتاء زمن التعطيل عن العمل. فكل من تقودهم حاسة الشم توجّههم عيونهم، ما عدا العميان. وبين عشرين أعمى ليس من لا يشم نتانة الرجل السافل. أفلت الدولاب الكبير، وانظر اليه كيف يتدحرج حتى الشاطئ، وسيدقّ عنقك حين تتبعه. لكن هذا الدولاب سيتسلّق المنحدر، فتعلق به ليجرّك وراءه. وعندما يقدم لك أحد الحكماء نصيحة قيّمة، أعد اليّ ما أسديته اليك من نصح. لأني لا أود أن يتّبعها سوى الأنذال، بما أنها صادرة عن مجنون.

من يخدم يا سادتي لغاية
لا يؤتمن ولا يقدر كفاية.
فيغادرك حالما يكفهرّ وجه السماء
ويتركك عرضة لأسوأ الأنواء.
لكني أنا النديم المخلص سأبقى
وأسهّل الهرب لمن تبقّى.
يا أيها الخبيث اللئيم
الكل يخونون ما عدا النديم.

كنت : أين تعلمت هذا الوفاء يا محتال؟

النديم : طبعاً ليس من القضبان، يا غبي.

(يعود لير بصحبة كلوسستر).

لير : لا أحد يتكلم، جميعهم متعبون منهوكو القوى. لأنهم اجتازوا مسافة طويلة على الطرقات هذه الليلة. وليست حججهم الواهية سوى تهرّب فاضح للتنصّل والفرار. أعطني جواباً سديداً أكثر من هذا القول السخيف.

كلوسستر : مولاي العزيز، أنت تعرف حدّة طبع الدوق، وكم هو متشبّث عنيد في تنفيذ قراراته.

لير : هذا انتقام رخيص، هذه فوضى مخجلة. وكما تقول، أنا أعرف طبعه اللئيم. أفهمت يا كلوسستر؟ أنا أقصد دوق كرنواي وزوجته.

كلوسستر : لكني، يا مولاي الكريم، أخبرتهما منذ هنيهة.

لير : ماذا أخبرتهما؟ ماذا قلت لهما؟ هل فهمت ما أعنيه، يا رجل؟

كلوسستر : أجل، يا مولاي الفاضل.

لير : الملك يودّ أن يكلّم كرنواي. الأب المغبون يريد أن يخاطب ابنته ويطلب منها خدمة. هل أعلمتهما بذلك؟ الدوق كله نار وبارود، ودمه يغلي في عروقه كالمرجل. قل لهذا الدوق المتأجج غضباً أن... لا، لا. لا تقل له الآن... قد لا يكون على استعداد. فالمرض سبيل الى اهمال الواجب الذي يتطلب صحّة جيدة. نحن لم نعد كما كنا سابقاً، لا سيما عندما تثقل على الجسم وطأة الاضطرب والقلق. عليّ أن أعتصم بحبل الصمت. أنا ألوم تشبثي العنيد الأعمى الذي يأبى أن يصفح عن نزوة عابرة صدرت عن مريض مدنف لا تمتلك ارادة حازمة. تبًّا لي وسحقاً لنزقي وقلة تبصّري. (ينظر الى كنت). لماذا يجلس هذا الرجل هنا؟ تصرّفه يبرز ما ينطوي عليه تصرف الدوق وابنتي من سوء النية. (يرفع صوته) هيا، ردّوا لي خادمي. (لكلوسستر) اذهب وقل للدوق ولزوجته اني أريد أن أكلّمهما. هيا، اسرع حالاً. قل

لهما أن يحضرا على جناح السرعة ليسمعا ما أودّ أن أبلغهما اياه، أو أذهب أنا لأطرق بابهما وأدقّ النفير حتى توقظهما صيحاتي من سباتهما العميق.

كلوسستر : كم أودّ أن أصلح بينك وبينهما.

(يخرج).

لير : تبًّا لقلبي الذي ينفر منهما. هيا اذاً الى هناك.

النديم : قل له بصوت عال، يا عمّاه، ما فاهت به هذه الحية، الرقطاء، التي وضعتْهما كليهما في مأزق حرج، وهي تضربهما على قمة رأسهما بالعصا وتصرخ : ليسقط اللئيم، ليسقط الخائن. لكن شقيقهما هو الذي، حبًّا بحصانه، قدّم له التبن الطري.

(يدخل كرنواي وريكان وكلوسستر وحاشيتهم).

لير : نهاركم سعيد جميعاً.

كرنواي : السلام عليك، يا صاحب الجلالة.

ريكان : أنا سعيدة بمشاهدة جلالتك.

لير : أنا أصدّقك، يا ريكان. وهناك أسباب تحملني على تصديقك. فلو لم تكوني سعيدة لكنت هجرت ضريح أمك الزانية. (لكنْتُ). ها أنت الآن حرّ. سنتكلم عن ذلك في وقت آخر. حبيبتي ريكان، شقيقتك سيئة النية، لأنها سجنت هنا جحودها الشبيه بعقاب الجوّ. (يضع يده على صدره) أكاد لا أقوى على مخاطبتك. لا يسعك أن تتصوّري مقدار سفالتها، يا ريكان.

ريكان : أرجو منك، يا مولاي، أن تنظر الى الأمور بروِيّة وطول أناة. وأملي أن تكون أنت أكثر تفهّماً منها، فلا تحرمها ما تستحقه من عطف، لأنها تهاونت قليلاً في واجباتها نحوك.

لير : ماذا تعنين بقولك هذا؟

ريكان : لا أستطيع أن أصدّق ان أختي قد أخلّت بواجباتها البنوية. فاذا

كانت، يا مولاي، قد انتقدت عرضاً تجاوزات رجالك، فلا بدّ أن تكون قد فعلت ذلك لسبب شرعي وجيه يقيها من كل لوم.

لير : لعنتي تنصبّ عليها.

ريكان : يا مولاي، أنت شيخ وقور، والأيام بلغت بك مرحلة عتيّة من العمر أثناء حكمك الرزين. فلا بد من أن تحكّم عقلك وتلجم غضبك ولا تسيء هكذا الظن بما قد تندم عليه فيما بعد. لذا أرجو منك أن ترجع إلى أختي، وأن تعترف لها بتسرّعك، يا مولاي.

لير : أأنا أعتذر لها؟ وهل يشرّف هذا التصرف عائلتي الكريمة؟ يا ابنتي العزيزة، أنا لا أنكر اني أصبحت شيخاً طاعناً في السن، وان الأيام تجرّ وراءها العجز والإذعان، لكن ليس الى حد أن أتوسّل وأستجدي الكساء والفراش والطعام.

ريكان : كفى، يا مولاي النبيل. هذا مزاح غير مقبول. عُدْ الى جانب شقيقتي.

لير : أبداً يا ريكان، لأنها تريد أن تخفض حاشيتي الى نصفها وقد ألقت عليّ أنظاراً قاسية، وجرحتني في صميم فؤادي بلسانها الشبيه بناب الأفعى. اطلب من السماء أن تصبّ عليها جام غضبها بسهام حقدها وتشلّ أهواءها الجاحدة، لأنها ابنة ناكرة الجميل سيطر عليها الطمع والعقوق.

كرنواي : ما أقساك، يا مولاي.

لير : أيتها السماء، احرقي بلهيب إنصافك، هذه النوايا الخبيثة، وشوّهي الجمال المصطنع وبدّدي غيوم الغدر واسحقي زهور الشر السامّة.

ريكان : أيتها الآلهة العادلة، إستجيبي هذه الدعاءات لصالحي أنا المظلومة لأني لا أستحق هذا التجنّي.

لير : لا، يا ريكان. أنت لن تحلّ لعنتي أبداً عليك، لأنكِ أحطْتني دوماً بالعطف والحنان ولم يبدر منك نحوي أي جفاء. أختك لا تنظر اليّ إلاّ بعيون شرسة، بينما ألحاظك هي بلسم عزائي.

أنت لا تطمعين بحرماني من مباهج الحياة وما تُلزمك به بنوّتك، كما تُتقنين أصول الذوق وحسن المعاملة وعرفان الجميل، لأنك لم تنسي اني منحتك نصف مملكتي كبائنة لزواجك.

ريكان : دعنا نصل الى لبّ الحقيقة، يا مولاي الكريم.

(يسمع صوت أبواق).

لير : منَ أعمل القضبان برجالي؟

كرنواي : ما هذه الموسيقى؟

(يدخل اسوالد).

ريكان : أنا أعرفها، وهي تتقدّم شقيقتي، لأن رسالتها تنبئ بقرب مجيئها. (لاسوالد) هل ستأتي سيدتك الى هنا عما قريب؟

لير : ها هوذا الغبي يستعير الشموخ ويسخّر أهواءه لخدمة أغراضه الدنيئة. أغرب عن وجهي أيها الصعلوك البغيض.

كرنواي : ماذا تقصد جلالتك بهذا الكلام.

لير : تأديب خادمي بالقضبان. أملي أن لا تكوني عالمة بشيء يا ريكان. من الآتي الى هنا؟ (تدخل كنريل). أيتها السماء، إن كنت تحبّين الشيوخ، إن كان سلطانك يشجّع على الخضوع، إن كنت أنت نفسك أصبحت عجوزاً نظيري، تَبَنّي هذه القضية واطلقي صواعقك دفاعاً عني أنا المظلوم. (لكنريل) هل لك أن تتطلّعي الى هذه اللحية الشائبة بدون أن تحمرّ وجناتك حياءً؟ يا ريكان، هل ترضين بأن تساعديها؟

كنريل : لماذا لا، يا مولاي؟ ما هو ذنبي؟ أعتقد بأن التبصر بعواقب الأمور وتجنّب الاستغلال ليس بجرم.

لير : يا لك من ساذجة. أراك متمسّكة كثيراً بأفكارك لمقاومة رغبتي. كيف يضرب بالقضبان، أحد المقرّبين اليّ؟

كرنواي : أنا أمرت بذلك، يا سيدي. وأعتقد بأن هفوتي لا تستحق كل هذه الإدانة الصارمة.

لير : أنت؟ ولماذا أنت؟

ريكان : أرجو منك، يا والدي، أن لا تنسى ضعفك. واذا شئت قبل نهاية هذا الشهر، ان تعود وتسكن مع أختي، بعد أن تستغني عن نصف حاشيتك. لا يمكنك أن تأتي اليّ، لأني في الوقت الحاضر بعيدة عن مسكني ولست في المكان اللائق باستقبالك.

لير : أنا أعود اليها؟ وأصرف خمسين من رجال حاشيتي؟ كلا، ثم كلا. أنا أفضّل أن أهجر كل منزل، وأن أقاوم كل شفقة، وأن أرافق الذئاب وأصادق البوم وأن أرضى بالفاقة والحرمان... شرط أن لا أعود اليها. آه منك، يا ملك فرنسا المتساهل، لأنك قبلت ابنتي زوجة لك بدون بائنة. كم أود أن لا أجثوا أمام عرشك وأن لا ألتمس منك نفقة سائس خيل للقيام بأود شيخوختي العاجزة. أأنا أعود إليها؟ انصحيني بالأحرى أن أستسلم الى العبودية وأن أكون بغل هذا اللئيم القبيح.

(يشير الى اسوالد).

كنريل : كما تشاء، يا مولاي.

لير : أرجو منك، يا ابنتي، أن لا تدفعيني الى الجنون. أنا لا أريد من الآن وصاعداً أن أسبب لك أي إزعاج. الوداع. لن نتلاقى بعد الآن اطلاقاً. لن نتلاقى مع انك من لحمي ودمي. أجل أنت ابنتي. ولكنك كمحنة حلّت بي وأُجبرتُ على قبولها. أنت مسمار مدقوق في صدري، أنت قرحة أدمت فؤادي، أنت دمّل أفسد كياني. غير اني لا أود أن أوبّخك، ومهما أصابني من بلايا لن أقاومها. ولا أريد أن أبتهل الى الإله المشتري أن يرشقك بصواعقه المدمّرة. أصلحي أمرك حين تشائين وحسّني نيّتك كما

يحلو لك. فأنا سألوذ بالصبر، وأبقى عند ريكان بصحبة فرساني المئة.

ريكان : لن يتم الأمر هكذا، يا سيدي. فأنا لا أنتظرك الآن، ولا يتسنّى لي إستقبالك كما يليق بك. اصغِ الى شقيقتي، يا مولاي، لأن من يهيمنون على عواطفك، يحتم عليهم عقلهم أن يقتنعوا بأنك اصبحت عجوزاً وبالتالي... لكن كنريل تعرف ماذا تفعل.

لير : هل هذا حديث معقول؟

ريكان : أؤكد لك ذلك، بكل جرأة، يا سيدي. ألا يكفيك أن يكون في خدمتك خمسون فارساً؟ ماذا يعوذك أكثر من ذلك؟ حتى هذا العدد لست بحاجة اليه فهناك مصاريف وأخطار وحاشية، أنت في غنى عنها تماماً. كيف تريد أن تجتمع تحت سقف واحد سلطتان مختلفتان متناقضتان. هل يتسنّى لكل هؤلاء الناس أن يعيشوا معاً بسلام؟ هذا صعب جداً، ان لم يكن مستحيلاً.

كنريل : أوَلا يمكنك أن تكتفي بخدمة رجال مدرّبين كرجالي مثلاً؟

ريكان : لماذا لا، يا مولاي؟ وان اتفق لهم أن يهملوك، فبالامكان معالجة الأمر. واذا رضيت بأن تعيش معي، لأني الآن أرى الخطر بوضوح، أرجو منك أن لا تأتيني إلا بخمسة وعشرين من رجالك. وإلا اضطررت الى رفض استضافتك، اذا كان عددهم أكبر من ذلك.

لير : أنا منحتك كل ما تملكين.

ريكان : جاء ذلك في حينه.

لير : لقد اتخذت منكم حراسي ونوّابي. وأبقيت هذا العدد من الرجال لخدمتي فهل ترغبين أن أجيء اليك بخمسة وعشرين فارساً فقط، يا ريكان، كما تفضّلتِ واقترحتِ عليّ؟.

ريكان : أكرر عليك ما قلته لك، يا مولاي. لن أقبل أن يزيد هذا العدد المذكور فارساً واحداً.

لير (ينظر الى كنريل ثم الى ريكان) : هاتان المخلوقتان لئيمتان أكثر مما كنت

أتصوّر. لو كان الانسان أرفع مستوى مما هو في الواقع لاستحق على ذلك الثناء (لكنريل) سأرافقك. فالخمسون الذين تقبلين بهم هم ضعف عدد الخمسة والعشرين الذي تفرضه أختك، كما ان حبك يساوي ضعف حبّها لي.

كنريل : اصغِ اليّ، يا مولاي. ما حاجتك الى خمسة وعشرين من رجال حاشيتك، أو عشرة أو خمسة؟ أليتبعوك الى مقرّ يضم من الخدم ضعف العدد الذي ترغب في الاحتفاظ به.

ريكان : أنت بحاجة في الحقيقة الى واحد فقط.

لير : لا، لا تبني منطقكِ على الحاجة الى واحد. فان أحقر المتسوّلين يطلب المزيد حتى في الفاقة التي تشقيه وترهقه. على الانسان ألا يسمح لطبيعته بالاستزادة مما لا يحتاج اليه، لئلا يعيش في مستوى الحيوان. أنتِ سيدة جليلة. فان كان الترف يدل على الشعور بالحاجة الى الدفء، لماذا يرغب المرء في التمتع بالفخفخة؟ أما ما نحن بحاجة فعلية اليه... اسألك أيتها السماء أن تمنّي علي بالصبر الجميل. أجل أنا بحاجة الى الصبر. وأنا هنا لست سوى عجوز أغدق الدهر عليه البؤس والشقاء والقهر والمذلّة والألم والإهانة وفوق كل ذلك ثقل العديد من السنين. فإن كنت أيتها السماء، أنت التي تثيرين حقد هاتين الابنتين عليّ أنا والدهما؟ فأنت تغمرينني بهذا الفيض من الغضب وسوء النيّة، وأرجو منك أن تخففي عني غيظك هذا الذي يحطّم قلبي وكبريائي. وهذا ما لا طاقة لي على احتماله أبداً. لا تَدَعي هاتين المرأتين تغرقاني بطوفان دموعهما التي تجرح وجناتي الشاحبة. لا يا أيتها اللئيمة الحاقدة، لا تحوّلي اليّ انتقام كل الناس هكذا مني، فأنا لا أزال أستطيع القيام بأعمال معيّنة.

،، لست ادري في أي مجال لكني سأحاول أن أهزّ الأرض برمّتها هزًّا عنيفاً تحت أقدامكم. أنتم تظنون اني سأكتفي بالنحيب وبندب حظي. لا، لن أبكي مطلقاً، مع ان ما بي يستدعي

النواح. سيتفطّر قلبي الى ألف شظية قبل أن يسيل دمع عيني،
إن لم أفقد عقلي كمهرّج حقير.

(يخرج لير وكلوسستر وكنت والنديم).

كرنواي : هيا ننسحب، فالعاصفة على وشك الهبوب.

(يسمع ضجيج عاصفة تقترب).

ريكان : هذا القصر الضيّق، لن يتّسع للعجوز ورجال حاشيته.

كنريل : هذا خطأ جسيم. هو نفسه محروم من مكان يأوي اليه وحده، وعليه أن يتحمّل عاقبة هوسه.

ريكان : أنا مستعدة لاستقباله هو شخصياً بدون أي من رجاله.

كنريل : هذه هي رغبتي أنا أيضاً. أين مولاي كلوسستر.

كرنواي : لقد ذهب برفقة العجوز. (يرجع كلوسستر). ها هو قد عاد.

كلوسستر : الملك في هياج عنيف.

كرنواي : الى أين مضى؟

كلوسستر : لقد أمر بتجهيز الجياد. لكني أجهل الى أين ينوي الاتجاه.

كرنواي : الأفضل أن ندعه يتصرف على هواه. وليذهب الى حيث يشاء.

كلوسستر : يؤسفني أن يهبط الليل وأن تهبّ الرياح الهوجاء الباردة، وليس من ملجأ قريب في هذا الجوار.

ريكان : على الرجال الذين لا يتنازلون عن عنادهم أن يتّعظوا بما ينالهم من جرّاء تهوّرهم، من الاهانة والمذلة والتشرّد. اغلقوا أبوابكم في وجهه فان بصحبته رجالاً لا يفقهون معنى الانسانية، ولا حدود للتجاوزات التي يدفعونه اليها هو الذي قد أعماه الغرور وحب العظمة وعدم التروّي بالعواقب.

كرنواي : أغلقوا أبوابكم، يا سادة، فالليلة رهيبة للغاية. وأنت يا عزيزتي ريكان، اليك بنصيحتي الحكيمة هذه : هيا أهربي معي من العاصفة الهوجاء.

(يخرجان).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في ضواحي قصر كلوسستر

(بروق ورعود أثناء العاصفة. يلتقي كنت بأحد الفرسان).

كنت : من القادم في مثل هذا الطقس الرديء؟

الفارس : انسان مضطرب النفس أكثر من عتوّ هذا النوء الجنوني.

كنت : لقد عرفتك. أين الملك؟

الفارس : يصارع عناصر الطبيعة الهوجاء. يأمر الرياح بأن تلقي الكرة الأرضية في لجج المحيط، وأن تغمر سطح القارة بالأمواج المتلاطمة كالجبال لتغرق وتهلك كل ما عليها. هو ينتف شعره الشائب الذي تبدّده هبّات الطبيعة الثائرة وقد أعماه هياج البغض وأضاع رشده جنون العاصفة والغضب. ففي عالم البشر الصغير، قد حاول أن يتجاوز عنف الهواء والمطر المتلاطمين. وفي ظلام الليل حين لا يخرج الذئب الجائع ولا الثعلب المحتال من وجاره، ولا يغادر الأسد عرينه مهما عضه الجوع بنابه، وهي جميعها تبغي وقاية جلدها من البلل والأذى، تراه يركض عاري الرأس، يستنزل الدمار والخراب على الكون بأجمعه.

كنت : لكن من يرافقه؟

الفارس : لا أحد سوى نديمه البهلول الذي يسعى الى اللحاق به جرياً وهو يوزّع السباب والشتائم يميناً وشمالاً تتدفق من لسانه اللاذع وقلبه الكسير.

كنت : أنا أعرفك، يا سيدي، ولا اجرؤ بسبب تحسّبي وتحفّظي، على استيداعك سراً خطيراً : الانقسام ضارب أطنابه رغم محاولة اخفائه وراء قناع التمويه بين ألباني وكرنواي. وهما، نظير سائر الناس، تسوّل لهما نفسهما أن يتنازعا عرشا متمايداً، ولا يختلفان في ما يحاولان أن يكتماه من نوايا عدوانية غادرة. وبين هذين الرجلين بث ملك فرنسا جواسيسه ليكون على بيّنة من التآمر على وضعنا المضعضع. فكشفوا له عما شاهدوه من الدسائس بين الدوقين، وما ساما الملك العجوز من مكرهما. وما الشر الناجم عن هذا الصراع إلا طليعة ما ينتظرنا كلنا من ويلات. الأمر الأكيد هو أن جيشاً فرنسياً لن يتأخر عن الوصول الى هذه المملكة المنقسمة. ولقد نزل بعض الجنود الى مرافئنا سراً مستفيدين من انشغالنا في هذه المعمعة الخاسرة. ولن يلبثوا أن يباشروا نشاطهم علناً وراياتهم مرفوعة. أنا اخاطبك الآن لتحذيرك وكسب ثقتك. فإن صدّقت كلامي، عليك أن تمضي حالاً إلى دوفر، حيث تجد من يشكرك حالما تروي له بأمانة كل ما شاهدته من الآلام البشرية ومن بوادر الجنون التي يعانيها الملك العجوز. اني وجيه كريم الأصل والمنبت، اطلب منك هذا المعروف وأنا عالم تمام العلم بحقيقة ما يجري.

الفارس : سنتكلم ثانية في هذه القضية.

كنت : لا، لا. كفانا أن نتكلم. ولكي أقنعك، أنا مستعد أكثر مما يبدو عليّ. لذا اسألك أن تفتح كيس نقودي هذا، وأن تأخذ كل ما فيه. واذا شاهدت كرديليا، وأنا لا أشك بأنك ستراها،

أرِها هذا الخاتم وستكشف لك ما لا تعرفه، وهو اسم صاحبك. تبًّا لهذه العاصفة اللعينة. سأبحث عن الملك.

الفارس : هات يدك. أليس لديك ما تضيف الى ما سمعته منك؟

كنت : بقي القليل من القول. لكن الكثير من العمل لا يزال ينتظرني. تعال نبحث عن الملك. لنذهب، أنا من هنا، وأنت من هناك، ومن يشاهده أوّلاً عليه أن ينادي الآخر ويعلمه.

(يفترقان).

المشهد الثاني

تحت شجرة

(الليل فاحم السواد، والعاصفة الهوجاء متواصلة. يدخل لير ونديمه).

لير : أيتها الريح هبّي، واصفعي الخدود وزمجري. ويا أيتها الشلالات والزوابع ثوري واغرقي كل ما في هذا الكون. يا بروق ألهبي الأجواء نظير الأفكار، واحرقي بواسق الأشجار، وشيب الرؤوس التي غدرت بها الأيام. ويا رعود حطّمي الكرة الأرضية واهدمي معالم الطبيعة، وبلحظة أبيدي كل الجراثيم البشرية الجاحدة.

النديم : يا عمّاه، ألا ترى ان الماء المبارك في باحة أي منزل جاف، يساوي أكثر من هذا المطر المتدفّق من جوانب الفضاء. ادخل، يا عمّاه الكريم، واطلب الرحمة لبناتك. فهذه الليلة الجنونية لن تشفق لا على العقلاء ولا على المهووسين.

(يسمع صخب العاصفة).

لير (يرفع عينيه نحو السماء) : دوّي بكل قوتك يا رعود، وابصقي اللهب يا

بروق، وتدفقي أيتها السيول. فالأمطار والرياح والصواعق وألسنة النار ليست بناتي. أنت يا عناصر الطبيعة الهائجة، لا أظلمك ولا أتهمك بالعقوق أبداً، لأني لم أمنحك ملكي ورزقي، ولم أنادك يا ولدي. أنت لا تدينين لي بالطاعة والولاء. فدعي الويلات تنهمر على رأسي كما يحلو لك. ها أناذا مستعدّ لتحمّل بلاياك، أنا الشيخ المسكين العاجز الهزيل المنبوذ. كلا، ثم كلا. أنا ادعوك صاغراً ذليلاً لأنك تربطينني بابنتيّ الجاحدتين. ألاَ أرسلي جحافلك من العلاء وحطمي رأسي الذي طغى عليه المشيب. ما أفظع هذه الفكرة.

النديم : كل من له بيت يأويه، ينقذ رأسه من هذه الويلات.

(يغنّي)

من يؤمن لنفسه ملاذاً
قبل أن تمطر السماء رذاذاً،
وينجو من جحافل الشيب والتجاعيد
قبل أن يبلغ الأجل المديد.
ومن يجلب على رأسه
همًّا قتّالاً يذهب بيأسه،
يجني الغم والسهاد
ويغدو ضحية الفساد.

اذ لا سبيل للمرأة مهما كانت جميلة أن لا تتصنّع أمام المرآة.

(يدخل كنت).

لير : كلاّ، لا أريد أن أكون مثال الصبر وطول الأناة، ولن أنبس ببنت شفة بعد الآن.

كنت : من يختبيء هنا؟

النديم : لعمري، هنا جلالة الملك ونديمه، أي رجل عاقل وآخر مهووس.

كنت : آسف، يا صاحب الجلالة، ان أراك هنا. حتى الناس الذين يعشقون

الليل يكرهون مثل هذه الليلة الليلاء. فالسماء الغاضبة تلوّع حتى شذّاذ الآفاق تحت جنح هذا الظلام الدامس، وتسد عليهم سبل الخلاص. فمنذ ان بلغت سن الرجولة، لا أتذكر اني شاهدت مثل هذا اللهب وسمعت مثل هذا الدويّ، ولا مثل هذه الأنّات التي يرسلها الريح والمطر. فطبيعة الانسان لا تتحمل مثل هذا الهياج الرهيب.

لير : ألتمس من الآلهة العظام أن تكفَّ عما تجود به علينا من ضجيج يصمّ الآذان. إرتجف أيها البائس المسكين، وأنت تكشف لي بنفسك جرائم لم تبح به أبداً، ولم تكفّر عنها بأي قصاص عادل. اختبئي أيتها اليد الآثمة، وأنت أيها الاتهام الغامض الذي يحاول لبس ثوب الفضيلة، ارتجف حتى تتحطّم ولا تتوارَ خلف حكمة التمويه، وأنت تتآمر على حياة الرجل الضعيف. يا أيها الباطل المتستّر بالأسرار العويصة، أطلّ برأسك واطلب الصفح في هذه الظروف المريعة. فأنا ضحية ولم أكن يوماً مجرماً جانياً.

كنت : آسف، يا مكشوف الرأس. فسيّدي الفاضل القريب من هنا، هو كالخيمة التي تحميك من غضب العاصفة. إذهب واسترح في كنفه، بينما أنا أتوجّه الى هذا البيت المتين أكثر من الصخر الذي قُدّتْ منه أحجاره. فعمّا قليل، عندما تبحث عنه، في جنباته، ترى أنه أبى أن يقبلني تحت سقفه. لكني سأعود اليه وأفرض عليه استضافتي.

لير : أخذت أفكاري تضطرب وتتشتّت (للنديم) تعال، يا ولدي، كيف حالك يا بنيّ. هل عضّك البرد بنابه؟ هل أنشب الجوع فيك مخالبه. (لكنْت) أين هذا الكوخ، يا صديقي؟ فالحاجة تبرع في جعل أحقر الأشياء ثمينة عند لزومها. أرنا خيمتك، أيها النديم المسكين. ان جزءاً من قلبي يتفطر بسببك.

النديم : يا صاحب الذوق عليك أن تستريح
في أيام المطر وأثناء هبوب الريح.

ولا تصف رضوخك بالحظ القبيح
فالرذاذ يتساقط دوماً ولا يستبيح.

لير : هذا صحيح، يا ولدي. (لكنتْ) هيا، خذنا الى تلك الخيمة.

(يخرج لير وكنت).

النديم : ما أروع هذه الليلة التي يبرّد صقيعها حماسة الحسناء اللعوب.
عليّ أن اطلعك على نبوءةٍ قبل الرحيل :
عندما يصبح الكهنة سادة الكلام أكثر من العلماء،
عندما يفسد صانعو الجعة منتوجهم بتمييعه بالماء،
عندما يعلّم النبلاء خيّاطهم الذوق في اختيار الأزياء،
ولا يعود من مجال لأسف الهراطقة بل لمن يغرون الفتيات،
وعندما يصدر الحكم بادانة جميع مقدّمي الشكايات،
عندما لا يبقى من سائس خيل مدين ولا فرسان فقراء،
عندما لا يبقى من لسان ناطق باسم الافتراء،
عندما لا يبقى من سبيل للسارق أن يتغلغل بين الجماهير،
عندما يستطيع المرابي أن يعدّ ذهبه بين الأزاهير،
ومعظم المفسدين والعواهر ينبذون المعابد،
حينئذٍ تسقط الممالك في أخطر المصايد،
ويحين زمن ينطبق عليه، من يعش يرَ،
فيستقيم الناس ليمشوا قُدُماً بين الورى.
هذه هي النبوءة التي فاه بها مرلان يوماً، لأنه عاش قبل زمانه.

(يخرج).

المشهد الثالث

في قصر كلوستر

كلوسستر : وا اسفاه يا ادموند، أنا لا أحب هذا السلوك الشاذ. حينما طلبت الأذن باستدرار شفقته، حُرِّمت عليّ حرّية استخدام بيتي الخاص. ولكي لا أزعج أحداً مُنعتُ من التكلم عنه ومن التوسط في قضيته وخصّه بأية مساندة.

ادموند : تبًّا لهذا التصرف الوحشي الشاذ.

كلوسستر : أصمت، ولا تنطق بكلمة. هناك انقسام بين الدوقين، بل أشنع من ذلك. لقد استلمت رسالة هذا المساء. والكلام عنها يشكّل خطراً داهماً، فخبّأتها في مكتبي. سننتقم لجميع الاهانات التي تحمّلها الملك الى الآن. ها قد نزل الى البرّ قسم من الجيش اللجب. علينا أن نساند الملك، وأن نسعى الى نجدته سراً. هيا اذهب أنت وتحدّث الى الدوق ولا تدعه يلاحظ إشفاقي عليه. واذا سألك عني، قل له اني مريض ألازم فراشي. ولو نفّذ بي تهديده بالقتل الموجّه اليّ؟ وجب عليّ أن أساعد سيدي الملك العجوز. ان حدثاً غريباً يدبّر في الخفاء، يا ادموند. أرجو منك أن تكون شديد اليقظة والحذر.

(يخرج).

ادموند : سأحدّث الدوق حالاً عن المؤامرة المجرمة المحاكة لاهلاكه، كما سأعلمهم بأمر هذه الرسالة... هذه الخدمة الجليلة المزعومة ستكسبني ما سيخسره أبي، أجل ستعيد اليّ كل ما كان يملكه. عندما يسقط الشيوخ لا بد للشبان من الصعود.

(يخرج).

المشهد الرابع

على الشجرة أمام كوخ

(العاصفة متواصلة. يدخل لير وكنت والنديم).

كنت (يشير الى الكوخ) : ها هو المكان. تفضّل اذاً بالدخول، يا مولاي. هذا الطغيان من السماء وفي منتصف الليل قاس جداً لا يتحمله أي مخلوق.

لير (يده على صدره) : دعني.

كنت : ادخل الى هنا، يا سيدي الكريم.

لير : أتريد أن تمزّق قلبي؟

كنت : أفضّل أن يتمزّق قلبي أنا. هيا، ادخل، يا مولاي الكريم.

لير : ألا تجد ان هذه العاصفة اللعينة قد بلّلتنا حتى العظم. هذا سيؤذيك حتماً. لكن عندما يتأصل الألم الشديد، لا يشعر الانسان بالألم الخفيف. اذا فاجأك دبّ هربت منه. لكن عندما يدفعك فرارك الى البحر الهادر لن تتردّد في تفضيل أنياب الدب عليه. وحين تكون النفس مطمئنة يرتاح الجسم تلقائياً. هكذا تمنعني الرياح التي تعصف في داخلي من الشعور بما يجري حولي. أولاً ترى ان جحود ابنتي يشبه نكران الجميل الذي فاجأتني هي به، اذ عضّت اليد التي أحسنت اليها. أنا أرغب في معاقبتها بطريقة تجعلها عبرة لمن يعتبر. لا، لا أريد أن أنوح. في مثل هذه الليلة سأنسحب خارجاً (تتجه عيناه الى السماء). أمطري بغزارة أيتها السماء، وأنا مستعد لأن أتحمل عتوّك. في مثل هذه الليلة، يا ريكان ويا كنريل، جاد عليكما والدكما العجوز بكل ما يفيض به قلبه من محبة وبكل ما تملكه يداه من خيرات. حقاً هذا ضرب من الجنون صدر مني في هذا الموضوع. وعليّ أن أتراجع عنه. هذا يكفيني.

كنت (يشير الى الكوخ) : هيا ادخل الى هنا، يا مولاي.

لير : أرجو منك أن تدخل وأن ترتاح بعض الوقت. هذه العاصفة تتيح لي فرصة التأمل بالأمور التي تزيدني ألماً. مع ذلك، تعال ندخل. (للنديم) هنا، يا ولد، أدخل أمامي. يا للمصيبة الفادحة. هيا أدخل. سأصلّي ثم أنام (يدخل النديم الى الكوخ). يا لكم من فقراء مساكين عراة. حيثما كنتم لا تنقطعون عن تحمّل هذه العاصفة الهوجاء وتلقّيها برؤوسكم المكشوفة ومعدكم الخاوية وثيابكم الممزقة المبلّلة. كيف يتسنّى لكم أن تحموا أجسامكم في مثل هذا الطقس الرديء؟ قلّما اهتممت أنا بذلك. لأن الترف هو تجربة علاج. تعرّض أنت لاحتمال ما يعانيه البؤساء المعوزون لتعرف كيف بالتالي ترمي لهم فتات خيراتك وتنقلهم الى اجواء تنصفهم مما هم مُبْتلون به من شقاء.

ادكار (من داخل الكوخ) : هناك باعٌ ونصف من الماء. مسكين طوم

(يقفز النديم مذعوراً الى خارج الكوخ).

النديم : لا تدخل الى هنا. لأن في المكان شبحاً مخيفاً. النجدة، النجدة.

كنت : هات يدك. من الآتي الى هنا؟

النديم : شبح من الأشباح، يدّعي أن اسمه طوم.

كنت (عند مدخل الكوخ) : من أنت يا من يهدر تنفّسه هناك بين القش؟ أخرج، هيا أخرج.

(يدخل ادكار وهندامه مشعّث كأنه مجنون).

ادكار : ابتعد عنّي، فالشيطان الأسود يتبعني. ومن خلال الأشواك المنتصبة تهب الرياح الجليدية. أفٍّ منك. تعال وتدفأ في سريرك البارد.

لير : أعطيت بنتَيْك اذاً كل ما تملك حتى وصلت الى هذا الحدّ من الهوان.

ادكار : من يعطي الفقراء شيئاً، يا طوم؟ ها هو الشيطان قد أخذه الى

نزهة بين الجمر واللهب، بين السيل والعاصفة، بين الوحل والحفرة وقد وضع السكاكين تحت وسادته والمسامير تحت مقعده ودسّ السم في دسم طعامه. جعله متحجر القلب وحمله على ركوب المشقات ليعبر جسوراً لا يتعدّى ضيقها اصابع اليد الواحدة فتطارده الأشباح كأنه خائن مارق. باركت السماء حواسّك الخمس. طوم يرتجف من شدة البرد. النجدة النجدة. حفظتك السماء من البلايا ومن نجوم النحس واللعنات القاتلة. تصدّق على المسكين يا طوم، يا من يعذّبك الشيطان الرجيم. ها هو، يمكنني أن أمسك به هنا، هنا وهنا أيضاً.

(العاصفة تتواصل).

لير : ماذا حلّ به؟ هل أوصلته بناته الى هذه الحالة التي يرثي لها؟ ألم يتمكن من الاحتفاظ حتى بالقليل؟ هل تنازل لهن حقًا عن كل ما يملك.

النديم : كلا. لقد أبقى لنفسه غطاءً. وإلا لكان الحياء قد أزعجه.

لير : اذاً، لتنصبَّ على بناته كل مصائب الدنيا الحائمة في الجوّ المشؤوم فوق أخطاء البشر.

كنت : ليس له من بنات، يا مولاي.

لير : انه يستحق الموت. لأنّ لا شيء يمكن أن يؤدي بمخلوق الى هذه القباحة، إلا نكران الجميل، كما هو حال بناته الجاحدات. هل أصبح زيًّا رائجاً أن يشقى الآباء الذين أنكرهم أولادهم، بمثل هذا العقوق المشين، مِن قِبَل من هم من لحمهم ودمهم؟ أعتقد بأن ذلك عقاب عادل. اذ من هذا اللحم وهذا الدم بالذات انبثقت بنتا هذا البجع الكريم.

ادكار : غراب البين كان قابعاً على جبل الوحشة يندب حظه العاثر في الليل الدامس الرهيب.

النديم : هذه الليلة الباردة ستفقدنا صوابنا جميعاً وتقودنا حتماً الى الجنون المطبق.

ادكار : إحذر، أيها الشيطان اللعين، وأطع والدك. احفظ عهدك وتمّم وعودك، ولا تحلف وتشتم أبداً، ولا تشارك قريبك في نواياه المريبة، ولا تزيّن جبنك بالحليّ البرّاقة. النديم طوم يرتجف من شدة البرد.

لير : ماذا كنت تفعل سابقاً؟

ادكار : كنت فارساً مغواراً كبير القلب والروح. وكنت مجعّد الشعر، ألبس كفوفاً وقبعة، واخدم سيدتي بأمانة ولا أتورّع عن مجاملتها ومغازلتها في ظلام الليل، وكنت أقسم اليمين كما كنت أغدق حلو الكلام وكنت أنقض وعودي أمام وجه السماء وأحلم بمشاريع المجون وأحققها عند يقظتي. كنت متدلّهاً بحب الخمرة ولعب الميسر، ولا أتردد في التمتع بكنوز الحسان متعدياً جميع الحدود. فكان فؤادي مولعاً وأذني متعطشة ويدي دامية وأنا غارق في الكسل والتواني كالثعلب المتناوم والذئب المتواضع الخدّاع والكلب الهائج والأسد الوثّاب المنقضّ على فريسته. أرجو أن لا يأسر قلبك وقع الأقدام الرشيقة ولا حفيف ثوب الحرير الناعم، فتستسلم للغواني قلباً وقالباً. ليبتعد قدمك عن بيوت الهوى، وكفّك عن الصدور المغرية، وقلمك عن جشع المرابين، ثم تحدَّ الشيطان والأسد المزمجر دائماً من خلال الأشواك المنتصبة والرياح الجليدية. يا وليّ العهد، يا ولدي، قف عند هذا الحد، ودعه يولّي هارباً.

(العاصفة تتواصل).

لير : الأفضل لك أن تتمدّد في قبرك من أن يتقبّل جسمك كل بلايا السماء، التي لا يسع المرء تحمّلها. أنظر اليه. أنت لست كدودة القزّ ولا كفراء الوحش ولا كصوف الخروف ولا كعطر الزهرة.

(يشير الى كنت والى النديم). ها نحن الآن هنا ثلاثة أشخاص بهندام ممتاز. أنت نموذج الخليقة بالذات : فالرجل الطبيعي ليس سوى حيوان مسكين عارٍ متقلّب نظيره. (ينتزع ثيابه). اليك عني أيها الضبع الدخيل. هيا كن رجلاً أصيلاً.

النديم : أرجو منك، يا عماه، أن تهدّئ روعك. هذه الليلة الباردة لا تلائم السباحة في الوقت الحاضر، قليل من النار في هذا السهل الموحش يدفئ قلب الشيخ الكسير. هذه شرارة ضئيلة في جسم مصقع... أنظر الى هذه النار المتأججة.

ادكار : هذا هو الشيطان الرجيم بعينه يتحرك أثناء صعوبة التجّول ويطوف فجراً عندما يصيح الديك أول مرة، فيغشّي البصر، ويحْوِل العين ويشوّه الوجه. هو يسبب تعفّن القمح الأبيض ويسجن المساكين من أهل الأرض.

طاف القديس ثلاث مرات فوق كثبان الرمل،
فصادف الدجاجة الحاضنة وفراخها التسعة ورحل
بعدما طلب منها أن تختفي
وأوصاها : أثره الصالح أن تقتفي.

كنت : كيف ترى نفسك الآن، يا مولاي؟

(يدخل كلوسستر حاملاً مشعلاً)

لير : من هو هذا الرجل؟

كنت (لكلوسستر) : من يقترب الى هنا؟ عمّن تبحث، يا هذا؟

كلوسستر : من أنت؟ وما اسمك؟

ادكار : أنا نظير طوم المسكين الذي يتغذّى بالضفدع والحرباء، والحشرة والبعوضة، والذي عندما يثور ابليس، يضطرب قلبه ويسيطر عليه إبليس اللعين، يأكل روث البقر كسلطة، ويزدرد الجرذان المسنّة والكلاب الغريقة ويبتلع رغوة المستنقعات الخضراء النتنة، ومن مرحلة الى مرحلة يتلقّى ضربات السوط ويُسام أنواع العذاب

ويعاقب ويُسجن، ومع ذلك يقتني ثلاث بزّات وستة قمصان وحصان ينهب به الأرض نهباً وهو يتقلّد السيف ليدافع به عن نفسه.
لكن الفئران والجرذان وكل الهوامّ والحشرات المضرّة ظلّت غذاء طوم طوال سبع سنوات مستمرّة.
حذار يا مضطهدي. أنا ألتمس منك السلام، يا أيها الشيطان.

كلوسستر (للير) : ماذا تقول؟ ليس لجلالتك أصحاب أفضل من هؤلاء.

ادكار : أمير الظلمات الرهيب يدعى الشيطان الرجيم.

كلوسستر (للير) : لقد استحوذ على جسدنا ودمنا، يا مولاي، الى حدّ أنْ كرهنا كل من انحدر من صُلْبنا.

ادكار : مسكين طوم المرتجف من شدة البرد.

كلوسستر (للير) : عُدْ معي. فإخلاصي لا يسمح لي بأن أزعن وأطيع أوامر ابنتيك القاسيتين. فلقد توسّلتا اليّ كي أغلق بابي في وجهك وأن أدعك تحت رحمة هذه الليلة المريعة، فقد غامرت وجئت لأبحث عنك وأصطحبك الى حيث تجد ناراً تدفئك وطعاماً تسدّ به رمقك.

لير (يشير الى ادكار) : دعني أتحدّث أولاً الى هذا الفيلسوف. (لادكار) ما هو مصدر الرعد؟

كنت : مولاي الكريم، إقبل عرضه، واذهب معه وائتوِ تحت سقف بيته.

لير : أريد أن أطرح سؤالاً على هذا العالم الفذّ. ما هي دراستكَ؟

ادكار : أن أطرد الشيطان واسحق الدود الحقير.

لير : دعني أسألك ايضاحاً خاصاً.

كنت (لكلوسستر) : استعجله في الذهاب مرة ثانية، يا مولاي، لأن ذهنه آخذ بالاضطراب.

كلوسستر : وهل يسعك أن تلومه؟ بناته يُردْنَ موته. سقياً لكنت الفاضل الذي قال ان الأمر سيؤول الى هذه النهاية. مسكين أنت أيها المبعد. تقول ان الملك فقد صوابه. بالحقيقة، يا صاح، لا

أخفي عنك اني أنا أيضاً أكاد أفقد رشدي. كان لي ولد نبذته من حياتي، لأنه حاول قتلي مؤخراً. كنت أحبه جداً، يا صديقي. لم يكن لي من ولد أعزّ منه على قلبي. ولا أكتمك إن الألم شتّت أفكاري (العاصفة تتواصل). ما هذه الليلة المريعة (للير) ألتمس من جلالتك...

لير : أرجو منك أن تعذرني، يا سيدي (لادكار) أيها الفيلسوف النبيل ان صحبتك...

ادكار : طوم يرتجف من البرد.

كلوسستر (لادكار) : ادخل، يا صديقي، الى هنا، الى هذا الكوخ لتتدفأ.

لير : هيا بنا ندخل جميعاً.

كنت (يشير الى طريق القصر) : من هنا، يا مولاي.

لير : أنا أرافقه، لأني لا أريد أن أبتعد عن فيلسوفي.

كنت (لكلوسستر) : مولاي الكريم، سايرْه ودعْه يصطحب هذا الفتى.

كلوسستر (للير) : خذه معك.

كنت : هيا بنا، يا صديقي، تعال معي.

لير : تعال، أيها الآثيني الفاضل.

كلوسستر : لا تقل كلمة واحدة أخرى. اصمت.

ادكار : وصل الصبي الى البرج
وهو معقود اللسان من الحرج
وقد أدرك ما حوله من الهرج.

(يخرج الجميع).

المشهد الخامس

داخل قصر كلوسستر

(يدخل كرنواي وادموند وفي يده ورقة).

كرنواي : سأنتقم قبل أن أغادر هذا البيت.

ادموند : ربما أنا ملام لأني ابتعدت عن الوفاء، وأرخيت العنان لعواطفي الجامحة. ومجرد هذه الفكرة تقلق بالي.

كرنواي : أنا أرى الآن ان موقف أخي الاجرامي، ليس وحده ما دفعه الى التآمر على حياة أبيه. فان قلة كرامته بعثت فيه هذا الانحطاط المشين.

ادموند : كم أنا سيّئ الحظ لأني لا أجد سبيلاً الى الراحة من توبيخ ضميري. ها هي الرسالة التي تكلم عنها والتر، والتي تثبت أنه يعمل لصالح فرنسا. فهل ترضى السماء بأن تُدبَّر مثل هذه الخيانة وأن لا أشي به لمنع وقوع الكارثة؟

كرنواي : تعال معي الى الدوقة.

ادموند : إذا كان ما جاء في هذه الرسالة صحيحاً فقد ألصقت بك تهمة خطيرة.

كرنواي : أصحيحة كانت أو لا، فانها تجعل منك دوق كلوسستر. إبحث عن أبيك الذي يترتّب علينا القاء القبض عليه.

ادموند (على حدة) : اذا وجدته يساعد الملك، قويت الظنون به. (بصوت عالٍ). أنا متمسك بولائي، مهما كانت الصعوبات التي يقيمها التآمر بينه وبين اصالة نسبي.

كرنواي : أود أن أضع كل ثقتي فيك، وأن ألقاك أشد الناس اخلاصاً ومحبة لأبيك.

(يخرج الجميع)

المشهد السادس

في قاعة داخل بناء بجوار قصر كلوسستر

(يدخل كلوسستر ولير وكنت والنديم وادكار).

كلوسستر : نحن هنا أحسن حالاً مما كنّا عليه في العراء الموحش. فأرجو منكم أن تقبلوا ضيافتي. لأني مستعد أن أعوّض عليكم كل غبنٍ بكل الوسائل الممكنة ـ لن أغيب عنكم طويلاً.

كنت (لكلوسستر) : لقد سقطت قوة حجته أمام شدة يأسه. كافأتك السماء على طيبة قلبك.

(يخرج كلوسستر).

ادكار : هناك شخص يناديني ويبلغني ان نيرون يصطاد في بحر الظلمات. فصلِّ إذاً، أيها البريء، وانقذ نفسك من إبليس اللعين.

النديم : أرجو منك، يا عماه، أن تقول لي هل المجنون هو أحد الوجهاء أو الذوات؟

لير : هو ملك، يا بنيّ.

النديم : لا، بل هو من الذوات، وله ابن من الوجهاء. والمجنون بين الذوات هو من يزعجه أن يكون ابنه أعرق منه في الوجاهة.

لير : كم يطيب لي أن يكون لديّ ألف واحد مثله لأضمه بالسيخ وأشويه حتى يحمرّ لونه.

ادكار : الشيطان الرجيم يحطّم ظهري.

النديم : مجنون من يثق بحلاوة لسان الثعلب الماكر، وبصحة الحصان الأعرج وبحب الولد المدلّل أو بحلفان الزانية.

لير : لقد قرّ رأيي على اتهامهم جميعاً على الفور. (لادكار) هيا اجلس هنا، أيها الحاكم العادل. (للنديم) وأنت، يا سيدي الملفان، اجلس ها هنا. (يجلس النديم). والآن جاء دورك أيها الثعلب المراوغ.

ادكار : تأمل في هذا الوضع وهذه النظرة. هل تريدين أن تغري حكامك يا أيتها السيدة المتبرجة؟
وافيني الى ضفاف النهر يا حسنائي.

النديم : مركبها يتهادى على صفحة الماء
وليس لديها إلا الكلام الهراء،
فلماذا لا تعاهدني على الوفاء؟

ادكار : الشيطان الرجيم يسيطر على طوم المسكين ويسحره بصوت البلبل الشادي. والجوع يصرخ في بطن طوم يتمنّى الحصول على سمكتين لذيذتين لإشباعه. فكفّ عن النعيب كالغراب أيها الملاك الأسود. فليس لديّ ما اقتات به للاستغناء عنك.

كنت (للملك) : كيف حالك، يا مولاي؟ لا تظلّ هكذا مذعوراً. ألا تريد أن تستريح وتنام على وسادة ناعمة؟

لير : أريد أولاً أن أرى الجناة يُحاكمون. هاتوا الشهود. (لادكار) أنت، يا هذا، اجلس مكانك. (للنديم) وأنت رفيقه في الانصاف، اجلس الى جانبه. (لكنت) هل أنت من أعضاء اللجنة؟ اجلس اذاً أنت أيضاً هنا.

ادكار : فلنبدأ المحاكمة بالعدل والتروّي.
إن سهرتَ أو نمْتَ أيها الراعي المسرور
إن كانت نعاجك تائهة وقت السحور
فأول إشارة من صوتك الجهور
تجمع ماشيتك وتقيها كل الشرور.
ما هذا الهرّ الرمادي اللون؟

لير : نادوا هذه أولاً : أعتي كنريل. أقسم لكم أمام هذه الجمعية الشريفة بأنها ركلت أباها برجلها وطردته بعيداً.

النديم : تعالي الى هنا، أيتها السيدة. هل تدعين كنريل؟

لير : لا يسعها أن تنكر ذلك.

النديم : تبًّا لإشفاقك عليها. لقد ظنّتك مقعداً فارغاً فتربّعت عليك.

ليـر : وهذه أخرى موروبة النظر موتورة الفكر تدلي بطبيعة قلبها المتحجر. ألقوا القبض عليها، وائتوني بسلاح، بسيف أو بخنجر، بنار أو بحبل لاعاقبها، فهي الفساد بعينه. لماذا تركتها تهرب، أيها الحاكم الماكر.

ادكار : تباركت أرواحك الخمسة.

كنت : الرحمة. أين، يا مولاي، صبرك الحليم الذي كنت دوماً تتبجّح به؟.

ادكار (على حدة) : كادت دموعي تسيل على خدي اشفاقاً وتفسد دوري هنا.

ليـر : الكلاب الصغيرة وكل المجموعة الخبيثة من المتهادية الى المتدلعة الى المتغنجة، جميعها تنبح ورائي.

ادكار : يا طوم، اذهب والقِ اليها برأسها. ابتعدي أيتها الكلاب النابحة.

سواءً كانت أشداقك سوداء أو بيضاء،
وأنيابك الحادة المكشرة قاطعة أو سمحاء،
من نوع كلاب الصيد أو لحراسة القطعان،
فإن طوم يجعلها جميعها تئن وتهان
وإن ألقيتُ اليها برأسي يبقى مصان
لأنها عندئذٍ تهرب وتخسر الرهان.
تعالوا نذهب الى السهرات أو الى المعارض أو الى الأسواق،
لأن جعبة طوم خالية خاوية.

ليـر : الآن علينا أن نشرّح ريكان، لنرى ماذا يحوي صدرها بدل قلبها، وهل لديها حجّة مقنعة لتستبدل فؤادها بالصخر الأصم. (لأدكار) وأنت يا سيدي، سأعتمد عليك كأحد حرّاسي المئة. لكني لا أحب بزّتك. أنت تقول انها من الزيّ الفارسي. هذا لا يهمّ، عليك أن تغيّرها.

كنت : ما الأمر، يا مولاي الكريم؟ تمدّد هنا واسترح قليلاً.

(يتمدد لير على سرير مريح في زاوية من صدر القاعة).

ليـر : لا تأتوا بأية حركة أو ضجة. أسدلوا الستائر. هكذا، هكذا. سنتناول طعامنا في الصباح.

(ينام).

النديم : وأنا أنام في الظهيرة.

(يعود كلوسستر).

كلوسستر (لكنت) : اقترب، يا صديقي. أين سيدي الملك؟
كنت : ها هو هنا، يا مولاي. لكن لا تزعجه. لقد فقد رشده.
كلوسستر : أرجو منك، يا صديقي العزيز، أن تنهضه بذراعيك. لقد اكتشفت مؤامرة على حياته. هذا فراش من القش جاهز، فمدّده عليه، ثم خذه، يا صديقي، الى دوفر حيث يجد ملاذاً وضيافة. أنقذ سيدك. فاذا تأخرت نصف ساعة عرّضت حتماً للخطر حياته وحياتك وحياة كل من يحاول أن يدافع عنكما. احمله وارحل. اتبعني فأوصلك حالاً الى مكان بعيدٍ عن كل أذى.
كنت : الطبيعة المنهوكة تحتاج الى الراحة التي قد تكون بلسماً شافياً يصون ذهنه المرهق. فاذا كانت الظروف تسبب له الاضطراب أمسى شفاؤه عسيراً. (للنديم) هيا ساعدني على حمل سيدك، اذ يجب عليك أن لا تبقى في المؤخرة.
كلوسستر : هيا سرْ

(يخرج كنت وكلوسستر والنديم وهم يحملون الملك).

ادكار (وحده) : عندما نرى رؤساءنا يشاطروننا مآسينا، نكاد لا ننظر الى شقائنا كأنّه عدوّنا. فمن يتألم وحده يتألم يتوجّع بنوع خاص في أعماق كيانه، وهو يتصوّر المصير المميَّز والسعادة الدائمة التي يتركها وراءه. لكن النفس تضبط الألم بسهولة عندما ترافقه التجارب. كم يبدو لي عذابي خفيفاً ومقبولاً في الوقت الحاضر لأن التعاسة

تقسم ظهر الملك. لقد اصيب في أعزّ ما لديه كأب، تماماً كما أصبت أنا كإبن. ابتعد، يا طوم، وكن منتبهاً لسماع الضجّة المزعجة، وعد مجدداً، حالما تشعر بأن الرأي العام لطّخ أفكاره بالإهانات، وقد أعادك الى نفس ما شاهدته من واقع مرير، ردّ اليك اعتبارك. ليحدث ما يمكن أن يتمّ هذه الليلة بشرط أن تنقذ حياة الملك. فإلى المراقبة. (يخرج)

المشهد السابع

داخل قصر كلوسستر

(يدخل كرنواي وريكان وكنريل وادموند وخدّامهم).

كرنواي (لكنريل) : اذهبي بأقصى السرعة الى سيدي زوجك، وأريه هذه الرسالة. فالجيش الفرنسي قد نزل الى البرّ. (للخدم) ليذهب بعضكم ويصطحب الى هنا هذا الشقي كلوسستر.

(يخرج بعض الخدم).

ريكان : وليشنق فوراً.

كنريل : لتُفقأ عيناه.

كرنواي : أتركوه، فأنا مستعد للقائه بكل ما أضمر له من الحقد والكراهية. وأنت يا ادموند، رافق شقيقتنا. فالعقاب الذي ننوي أن نفرضه على أبيك الظالم لا يعجّل بك أن تشهده. إنصح الدوق الذي تريد أن تذهب إليه بأن يجعل في اتمام تدابيره. ونحن من جهتنا نتعهّد بعمل كل ما يلزم. وسيؤمّن رسلنا لنا الاتصال فيما بيننا بأسرع ما يمكن. فالوداع يا أختي العزيزة. (لادموند) الوداع يا مولاي كلوسستر.

(يدخل الوكيل اسوالد).

كرنواي : أين الملك؟

اسوالد : مولاي كلوسستر ارسله الى هنا. وقد انضم اليه خمسة وثلاثون أو ستة وثلاثون من الفرسان الشجعان الذين يحثون عنه نظير عدد كبير من السادة الموالين له، وجميعهم توجّهوا الى دوفر حيث يدّعون ان لهم أصدقاء مدجّجين بالسلاح.

كرنواي : جهزوا الخيل لسيدتنا.

(يخرج اسوالد).

كنريل : الوداع أيها الدوق العزيز، الوداع يا أختي الحبيبة.

كرنواي : الوداع يا ادموند (تخرج كنريل يرافقها ادموند). ليذهب البعض لجلب الخائن كلوسستر بعد أن توثقوا يديه كاللص السارق، وليأتوا به الى هنا. (يخرج خدام آخرون). مع أننا لا يحق لنا أن نتصرّف بحياته بدون محاكمة، فان سلطتنا تبرر غضبنا الذي يتيح للرجال أن يلومونا عليه، ولكن بدون أن يمنعونا من تحقيق مبتغانا. من الآتي الى هنا؟ أهو الخائن؟.

(يعود الخدام ومعهم كلوسستر).

ريكان : تباً للثعلب المحتال الغدار. هذا هو.

كرنواي : أوثقوا جيداً يديه الأثنتين.

كلوسستر : بماذا تدّعي سيادتك؟ ويا أصحابي الكرام، اعتبروا أنفسكم ضيوفي. لا تجعلوني ألعوبة ذليلة بين أيديهم، وأنتم أصدقائي.

كرنواي : قلت لكم أن توثقوه جيداً.

(يوثق الخدام كلوسستر).

ريكان : أغلق فمك، أيها الخائن الخسيس.

كلوسستر : أنا لست خائناً، أيتها المرأة الشرسة.
كرنواي : اربطوه بهذا المقعد. ستتعلّم أيها الشقي...

(تنتزع ريكان لحيته).

كلوسستر : بحق الآلهة الأفاضل، اعلموا ان انتزاع لحيتي عمل دنيء.
ريكان : وهي هكذا بيضاء، أيها الخائن السفيه.
كلوسستر : يا لك من أمرأة شريرة. ان هذا الشعر الذي تنتزعينه من ذقني سيرميك بأشنع التهم. أنا ضيفكم، والواجب يقضي بأن لا تشوّه يداكِ وجهي المسالم كأنني لص خطو. ماذا تريدين مني؟
كرنواي : هيا، يا سيد. ماذا تقول الرسالة التي استلمتها حديثاً من فرنسا؟
ريكان : أجب بصراحة، لأننا نعرف الحقيقة.
كرنواي : أية مؤامرة دبّرت مع الخونة الذين نزلوا من البحر الى المملكة حديثاً.
ريكان : الى أين أرسلت الملك المهووس؟ تكلّم.
كلوسستر : إستلم رسالة، كلها تكهّنات من قبل رجل حيادي، وليس من قبل عدو.
كرنواي : هذا كلام ملفّق.
ريكان : بل هذا تمويه وخداع.
كرنواي : الى أين أرسلت الملك؟
كلوسستر : الى دوفر.
ريكان : لماذا الى دوفر؟ ألم ينبّهك أحد الى الخطر...
كرنواي : لماذا الى دوفر؟ أجب حالاً بدون مواربة.
كلوسستر : لأني لم أكن أريد أن أشاهد أظفارك تقتلع عينيه الهزيلتين، ولا أختك الشرسة تغرز برائنها الشبيهة بأنياب الضبع في لحمه المقدس. فبمثل تلك الليلة، الجهنمية التي تحمّلها رأسه المكشوف، كان البحر الهائج قادراً على اطفاء نيران جميع مجرّات الفلك. لكنه هو صاحب القلب الكسير لم يكن إلا

ليزيد دموع السماء هطولاً. فاذا كانت الذئاب قد عوت عند بابك في تلك اللحظات المريعة، كنت قلت حالاً : افتح أيها البوّاب الشفوق، ولكان أقسى الناس قد حنّت قلوبهم... لكني سأعاين الانتقام الرهيب منقضًّا على أمثال هؤلاء الأولاد.

كرنواي : لن تراه أبداً. امسكوا بالمقعد، يا رفاق، لأفقأ عينيه بكعب حذائي.

كلوسستر : من يأمل أن يعيش طوال حياته بصورة أفضل، فليبادر الى اغاثتي. يا لكم من متحجري القلوب. اليّ أيتها الآلهة ونجّني.

ريكان : اذا رأيت الانتقام...

الخادم (لكرنواي) : قف، يا مولاي. أنا خدمتك بأمانة منذ صباي. لكني الآن أخدمك بصورة أفضل عندما أنذرك بأن تتوقف.

ريكان : ماذا تقصد أن تقول، أيها الكلب الحقير النبّاح؟

الخادم : لو كان لذقنك لحية لشددتها في معركة كهذه. ماذا تدّعين؟

كرنواي : أنت خادمي.

(يثب على الخادم والسيف في يده).

الخادم (يستلّ سيفه) : هيا اقترب اذاً، وجرّب مفعول غضبي.

(يتقاتلان، فيجرح كرنواي).

ريكان (لخادم آخر) : اعطني سيفك. هل لفلاح أن يعاندنا هكذا؟

(يتناول سيفاً ويضرب به خصم كرنواي من الخلف).

الخادم : آه! قتلتني. (يشير الى كرنواي عن كلوسستر). يا مولاي، بقي لك عين واحدة لترى فيها الويل الذي سيلحق به. آه!

(يموت).

كرنواي : لنسعَ أن نحول دون رؤيته أكثر من هذا. فلتسقطي أيتها المعتدية المفترية. أين بريق عينيك؟

كلوسستر : كل شيء أصبح بالنسبة اليّ ظلاماً وقنوطاً. أين ابني ادموند؟ يا ادموند أضرم كل بروق الفضاء لتثأر لهذا العمل الفظيع.

ريكان : تبًّا لك أيها الخائن الخسيس. انك تتوسّل الى من يكرهك ويبغضك. وهو الذي أعلمنا بخيانتك؟ لأنه أكبر من أن يشفق على دناءتك.

كلوسستر : يا لجنوني. ذهب ادكار ضحية النميمة والوشاية. أيتها الآلهة الفاضلة سامحيني، واسعديه.

ريكان : أرموه خارجاً، ودعوه يتلمّس طريقه من هنا حتى دوفر. ماذا فعلت، يا مولاي؟ هل غيّرت وجهك؟

كرنواي : لقد جرحت. اتبعيني، يا سيدتي. اطردوا هذا الخبيث الفاقد العينين. القوا بهذا العبد الذليل الى المزبلة. يا ريكان، دمي ينزف بوفرة، لأن جرحي عميق. هاتي ذراعك لأستعين به.

(يخرج كرنواي، وهو مستند الى ذراع ريكان، ويفك الخدام وثاق كلوسستر ويمضون به)

الخادم الأول : أنا موافق على ارتكاب أي جرم اذا تحسّن حال هذا الرجل.

الخادم الثاني : اذاً، عشْنَ طويلاً، ولم يلاقين الموت في آخر الشيخوخة، فالنساء يصبحن جميعهن وحوشاً ضارية.

الخادم الأول : لنتبع الدوق العجوز، ولنكلّف مهووس منطقة بذْهم يحملانه. لأن جنونه المطبق لا يردعه عن أي عمل.

الخادم الثاني : اذهب أنت، بينما أبحث أنا عن قطعة نسيج وعن بياض بيض لتضميد وجهه الدامي. ألتمس من السماء أن تسعفه.

(يخرج الجميع من جهات مختلفة).

الفصل الرابع

المشهد الأول

تحت شجرة.

(يدخل ادكار).

ادكار : ان كان المرء محتقراً وعلم بذلك، أفضل له من أن يكون محتقراً وأن يسمع الناس يتملقونه. فإن أحطّ الناس وأقلّهم حظًّا يحيون في أمل متواصل بعيداً عن كل قلق وشغل بال. اذ لا تتبدّل بصورة محزنة سوى السعادة، أمّا التعاسة فقد تنقلب الى نوع من الفرح. أهلاً بك اذاً أيتها النسمة القاسية التي أتنشقها بصعوبة. لأن البائس المسكين الذي أغرقته التعاسة رأى نفسه غير مظلوم تجاه ما عاناه من عواطفك. من القادم الى هنا؟ (يدخل كلوسستر، يقوده عجوز). هذا أبي يرافقه مسكين مثله. أيها البائس، هل من الضرورة أن تجعلك حزازات غريبة، هكذا بشعاً حتى ترضى بالحياة منهاراً ذليلاً.

العجوز : مولاي الكريم، كنت أنا حليفك وحليف والدك منذ ثمانين عاماً.

كلوسستر : اذهب عني أيها الصديق الأمين ودعني وشأني. اذهب، فان مساعدتك لا تفيدني، وليس مستبعداً أن تنقلب وبالاً عليك.

العجوز : واحسرتاه، يا مولاي. ألاحظ عليك أنك لا تبصر طريقك.
كلوسستر : لم يعد لي من طريق، حين لم يعد لي من حاجة الى عينيّ. لقد سقطت عندما كنت لا أزال أبصر. وهذا كثير الحدوث. لأن مواردنا تخدعنا غالباً، بينما ينقلب حرماننا أحياناً الى صالحنا. يا ولدي ادكار، عليك ينصبّ غضب أبيك المغدور، ولو تسنى لي أن أشاهدك باللمس لحسبت اني استرجعت نظري.
العجوز : من الذي يسير هنا؟
ادكار (على حدة) : يا الهي، من يسعه أن يقول انني في ذروة سعادتي، حين أتعذب وأنا في أعماق شقائي.
العجوز : هذا هو طوم، النديم المسكين.
ادكار (على حدة) : هل لي أن أكون أكثر تعاسة مما أنا عليه الآن. ان شقائي لا قرار له، ويمكنني القول ان هذا هو أقصى البؤس والهوان.
العجوز : أين أنت ذاهب، يا صديقي؟
كلوسستر : هل أنت أحد المتسوّلين؟
العجوز : أنا مجنون ومتسوّل في آن واحد.
كلوسستر : لا يزال يمتلك بعض العقل. وإلا لما تمكن من التسوّل. في أثناء عاصفة الليل الفائت رأيت أحد هؤلاء الرجال. فاعتقدت بأن الانسان، ليس سوى دودة ضعيفة تدب على الأرض. واذا بولدي يخطر ببالي، مع ان فكري لم يكن راضياً عنه في ذلك الحين. فاستنار ذهني اذ ذاك. وكما يتسلى الأولاد بالذباب، نحن كذلك يتسلّى بنا الآلهة متلذذين بتعذيبنا وقتلنا.
ادكار (على حدة) : كيف حصل ذلك؟ حقاً، ان تمثيل دور المجنون حيال الألم هو دور حزين كئيب، كما هو الحال في إيلام الآخرين بتعذيب ذواتنا. (بصوت عالٍ). تباركت، أيها السيد المغلوب على أمره.
كلوسستر : أهذا هو العريان المسكين؟
العجوز : أجل، يا مولاي.
كلوسستر : أرجو منك اذاً، أن تنسحب. فاذا كنت في سبيل اخلاصك

لي، قد انضممت الينا، قادماً من مسافة ميل أو ميلين من هنا، على طريق دوفر، لا بأس عليك يا خادمي الأمين. فائتِ ببعض الملابس لتستر عريك. سألتمس منه أن يتركك تقودني.

العجوز : يؤسفني، يا مولاي، أن أقول لك أنه مخبول.

كلوسستر : من سخف الدنيا أن يقود مجنون مثل هذا الأعمى. افعل ما أقول لك، أو بالحري، تصرّف كما يحلو لك. لكن عليك أوّلاً أن تنسحب من هذا المكان.

العجوز : سآتيه بأفضل ما لديّ من ثياب. وليحدث بعدئذ ما يحدث.

(يخرج).

كلوسستر : أنت، أيها العريان.

ادكار : طوم المسكين يشكو البرد. (على حدة) لم أعد أقوى على التغاضي أكثر مما فعلت.

كلوسستر : تعالى الى هنا، يا صاح.

ادكار : مع ذلك، كان لزاماً عليّ أن أتصرّف هكذا. (بصوت عال) تباركت عيناك النجلاوان. ما هذا النزيف؟

كلوسستر : هل تعرف طريق دوفر؟

ادكار : هناك حاجز وشريط، ثم بلاط ورصيف. أنا أعرف كل شيء. من شدة الخوف، فقد طوم ذوقه السليم. حماك الله من الشيطان اللعين، أيها الرجل الصالح. فان خمس شياطين دخلوا معاً وسكنوا في جسم طوم المسكين : شيطان المجون يدعو « أوبيديكوت »، وأمير الصمت « هوبيديداتس »، وشيطان السرقة « ماهو »، وشيطان القتل « مودو »، وشيطان الهرج والمرج « فليبر تيجيبات »، وجميعهم استولوا على الغرف والخادمات. لذلك أرجو، يا سيدي، أن تحلّ عليك البركات.

كلوسستر : خذ كيس النقود هذا، أنت يا من استخدمْتك ويلات السماء في كل محنة. ان بؤسي سيضاعف سعادتك. ألتمس منك، أيتها

السماء، أن تتصرفي دوماً هكذا. الرجل المرفّه والغائص في شهواته، الذي يدوس الشرائع ولا يريد أن يرى ولا أن يحسّ، لا تتأخري عن أن تشعريه بقوتك بشكل فعّال يجعل القسمة تردع طلب الاستزادة، فيحصل كل واحد على ما يحتاج اليه فقط. هل تعرف دوفر؟

ادكار : نعم، يا سيدي.

كلوسستر : هناك صخرة، رأسها مرتفع ومنحن، يطل برهبة على البحر الذي يطغى على جواره. خذني الى حافة الهاوية فقط، وأنا أعوّض لك عن البؤس الذي تعانيه من جرّاء بعض التحرّرات. ومتى صرت هناك، لن أحتاج بعد ذلك الى دليل.

ادكار : هات ذراعك، وطوم المسكين سيقودك.

(يخرجان).

المشهد الثاني

أمام قصر دوق ألباني

(تدخل كنريل ثم ادموند، ويأتي اليهما أسوالد من الجهة المقابلة).

كنريل (لإدموند) : أهلاً بك، يا مولاي. أنا متعجبة من عدم مجيء زوجي المتساهل لملاقاتك. (لاسوالد) أين اذاً سيدك؟

اسوالد : هو في القصر، يا سيدتي. لكني لم أعرف رجلاً تبدّل نظيره. لقد حدثته عن الجيش الذي نزل من البحر الى البر، فابتسم. وأخبرته بأنك قادمة، فأجاب : من سوء طالعه. وعندما أعلمته بخيانة كلوسستر وبخدمات ابنه الأمين، دعاني أحمق، وقال لي اني قلبت العالي الى أسفل. يخيل اليّ اني لم أعد أعجبه، وقد غاظه ما كان لا بد من أن يرضيه.

كنريل (لادموند) : اذاً، لا تذهب الى أبعد من هذا. فمن كان خائفاً جباناً طبّعته وجعلته يجرؤ على عمل أي أمر. هو لا يرفض تحمّل الاهانات التي تضطره الى الأخذ بالثأر. والأماني التي نحلم بها قد تتحقق أثناء الطريق. عد الى أخي، يا ادموند، واستعجله في تجنيد الرجال، وفي قيادة الفرق المقاتلة. عليّ أن أبدل لقبي هنا، وأن أسلّم الزمام لزوجي. (تشير الى اسوالد). هذا الخادم الوفي سيكون اداة وصل بيننا. وعما قليل قد تستلم أوامر معلمتك اذا عرفت كيف تعتمد الجرأة لمصلحتك. (تسلمه عقدة شريط). أحمل هذه، واقتصد في كلامك، ثم طأطئ رأسك. (تطبع خلسة على خده قبلة سريعة، وتكلمه بصوت خافت) : هذه القبلة، اذا تجاسر وتكلّم، سترفع الى الغمام حرارة حبك. فافهم وكن سعيداً.

ادموند : انا الى جانبك حتى الممات.

كنريل : يا عزيز كلوسستر (يخرج ادموند). ما أكبر الفرق بين رجل ورجل. لك أنت يعود الفضل في خدمة المرأة. حقاً، هو محظوظ من يغتصب فراشي.

اسوالد : هذا مولاي، يا سيدتي.

(يخرج اسوالد).
(يدخل الباني).

كنريل : اعتقدتُ ان استدعائي اياه سببٌ كافٍ.

ألباني : يا كنريل، أنت لا تساوين الغبار الذي يثيره الهواء في وجهك. أنا أخشى طبعك الذي يشكّل اهانةً لا يمكن تجنّبها إلا باستعمال كابح صلب. فالغصن المنسلخ من تلقاء ذاته عن الجذع الذي يغذّيه، لا بد له حكماً من أن يذبل ويجف ويُقطع ويُحرق.

كنريل : كفى سفسطة. هذا درس سخيف لا فائدة منه.

الباني : الحكمة وطيبة القلب تبدوان ذريّتين في نظر الرجل المنحط. والفساد لا طائل تحته ولا يؤدي إلا الى الهلاك. ماذا فعلتنّ

أيتها البنات؟ بل ماذا ارتكبتن من موبقات أيتها النمرات الشرسات؟ لقد دفعتن والدكن العجوز الفاضل، الذي جعلتنّ اياه كالدب الثقيل، الى حافة الجنون. كيف أمكن أخوكنّ النبيل أن يدعكنّ تتصرفن هكذا على هواكن. وهو أمير غمره بجميله وأعماله الخيرة. ان لم تسرع السماء في ارسال الأرواح المنظورة لتعاقب هذه الآثام الفظيعة، سيأتي يوم يضطر فيه الرجال الى افتراس بعضهم بعضاً كأنهم حيتان المحيطات المريعة.

كنريل : أيها الرجل المائع، ما لك تقدم خدّك للّطمات القاسية ورأسك للاهانات، وليس لك نظر لتميّز بين الشرف وطول اللسان، ولا تعرف ان المخدوعين فقط يرْثون لحال البؤساء الذين يمنعهم القصاص عن ارتكاب المنكر. أين طبلك؟ فالفارس رفع أعلامه على أرضنا الصامتة. لأن من ينوي أن يذبح يهدد بريشة خوذته، وأنت الغبي المترمّت تظل هنا هادئاً لتتنهّد وتصرخ : وا أسفاه. كيف يجري كل هذا؟

ألباني : أنظري الى نفسك، يا عفريتة. فالتشويه في الشيطان أقل شناعة مما هو في المرأة.

كنريل : يا لك من غبي أبله.

ألباني : تبًّا لك من مخلوقٍ منحطّ غير طبيعي. أنتِ لا تعرفين للحياء معنى، لا تقلّدي ملامح الغول. لو أمكنني أن أدع يديّ تطاوعان دمي الذي يغلي، لكانتا قطّعتاك ارباً ارباً، وجرّدتا لحمك عن عظامك. مهما كنتِ شيطاناً لعيناً، اعلمي ان سحنتك كامرأة تحميك من بطشي.

كنريل : ويحك، ها قد عدت وصرت رجلاً.

(يدخل رسول).

الباني : ما وراءك من الأخبار؟

الرسول : مولاي الكريم، يؤسفني ان أعلمك بأن دوق كرنواي قد مات. قتله أحد رجالك، حين همّ بأن يفقأ عينَيْ كلوسستر.

الباني : عينَيْ كلوسستر؟

الرسول : أحد الخدم الذين كان يطعمهم ويغمرهم بعطفه، أعترض على هذا العمل. واستلّ سيفُه وشهره في وجه معلمه القوي الذي طار صوابه، فهاجمه وأرداه قتيلاً، وسط رفاقه. لكن ليس قبل أن يتلقّى طعنة قاضية ذهبت بحياته هو أيضاً.

الباني : هذا دليل واضح على انك كنت هناك، أنت وأترابك المنصفين، وأنكم ثأرتم لجرائمنا في هذا العالم. مسكين كلوسستر، فقد مؤخراً احدى عينيه.

الرسول : لا بل كلتا عينيه الأثنتين، يا مولاي. وهذه الرسالة هي من قِبَل أختك التي تطلب عليها رداً سريعاً.

كنريل (على حدة) : من جهة، هذا لا يرضيني كثيراً. لكن الآن وقد أصبحتْ أرملة وكلوسستر الى جانبها، ربما انهار صرح أحلامي برمّته على حياتي المنزوية. من جهة أخرى، هذا الخبر ليس مزعجاً بالنسبة اليّ. فلأقرأ الرسالة وأقدّم جوابها.

(تخرج).

الباني : أين كان اذاً ابنه عندما فقد بصره؟

الرسول : كان آتياً الى هنا مع سيدتي.

الباني : لكنه ليس هنا الآن.

الرسول : لا، يا مولاي الكريم، لقد صادفته وهو عائد.

الباني : هل بلغه هذا الخبر المزعج.

الرسول : أجل، يا مولاي. فهو الذي شكا والده، وقد غادر القصر لكي ينفّذ العقاب في غيابه بحرية تامة.

الباني : يا كلوسستر، أنا هنا لكي أتعرّف على مدى تعلّقك الذي تظهره

للملك. ولكي أنتقم لفقدك عينيك. تعال يا صديقي، وقل لي كل ما تعرفه في هذا الموضوع.

(يخرج الجميع).

المشهد الثالث

في معسكر الفرنسيين قرب دوفر.

(يدخل كنت وأحد الفرسان).

كنت : لماذا عاد ملك فرنسا هكذا فجأة؟ هل تعلم السبب؟

الفارس : لقد أهمل قضية تتعلق بالدولة، خطرت على باله بعد أن وصل الى هذا المكان، قضية تتعلق جدّيًا بسلامة المملكة حتى ان رجوعه شخصياً كان لا بد منه بصورة عاجلة.

كنت : من هو القائد الذي كلفه بالقيام مقامه هنا؟

الفارس : مارشال فرنسا السيد لافار.

كنت : هل ظهرت على الملكة أية بادرة ألم بسبب الرسالة؟

الفارس : نعم، يا سيدي. أخذتها وقرأتها بحضوري، وكانت من حين الى آخر تتدحرج دمعة على خدها الوردي. وكان يبدو عليها كملكة أنها تضبط تأثرها الذي رغم جهدها لم يخفَ عليّ، وهي تحاول كتمانه عنّي.

كنت : لقد بان التأثّر عليها اذاً؟

الفارس : ليس الى حد فقدان السيطرة على نفسها. فالصبر والألم كانا يتصارعان في داخلها ويرسمان على ملامحها أبلغ تعبير. فكأنها كانت تشعّ كالشمس من خلال قطرات المطر المنهمر. وكان ابتسامها ودمعها يمتزجان بروعةٍ كيومٍ من شهر أيار الزاهر

الجميل. وابتسامها كان يرتسم على شفتيها كأنه يتجاهل اللآلىء المتدحرجة على وجنتيها، وقد بدت كأنها حبّات لؤلؤ نادرة الوجود. بالاختصار كان ألمها يضفي عليها بهاءً قل أن يتجلّى في طلعة أمرأة هكذا.

كنت : ألم تبدي بعض الملاحظات؟

الفارس : أجل، مرة أو مرتين تأوهّت ولفظت كلمة، والدي، وهي تلهث كأن كابوساً يجثم على صدرها. ثم صاحت، شقيقاتي، شقيقاتي، شقيقاتي هن وصمة عار على جبين النساء. شقيقاتي، يا كنت، ويا أبي، آه من شقيقاتي. ماذا أقول؟ خلال العاصفة أثناء الليل، لم يعد في صدر أحد من الناس أية شفقة. حينئذٍ مسحت الماء المقدس السائل من عينيها الصافيتين وأخفت دموعها. ثم انسحبت بغتة لتنفرد بألمها.

كنت : هذه هي النجوم المتلألئة في كبد السماء المتحكمة بطبيعتنا. وإلا لما تسنى لذات الأب وذات الأم أن ينجبا أولاداً متباينين هكذا. ألم تكلمها منذ ذلك الحين؟

الفارس : كلا.

كنت : هل تمت هذه المقابلة قبل رحيل الملك؟

الفارس : لا، منذ رحيله.

كنت : حسناً، يا سيدي. لير في المدينة وحالته يرثى لها، ويساوره الهم من كل جانب. أحياناً في أهدأ أوقاته يتذكر ما أوصلنا الى هنا، ويرفض بصورة قاطعة أن يشاهد ابنته.

الفارس : لماذا يا سيدي العزيز؟

كنت : لأن ضيقاً خانقاً يعتريه. فالقسوة التي لقيها حملته على حجب بركته عنها فهجرها واستسلم الى مغامرات غريبة وحرمها أهمّ حقوقها وحوّلها الى ابنتيه الأخريين اللتين هما أيضاً لم ترحماه، لأن قلبهما قدّ من الصخر الأصم. فأنّبه ضميره وأقضّ مضجعه وأوغر صدره غضباً وحقداً على كرديليا.

الفارس : أمر مؤسف جداً أن يكون نصيب هذا الوجيه المسكين هكذا؟

كنت : هل لديك أنباء عن جيشَيْ ألباني وكرنواي؟

الفارس : أجل، هما يسيران قُدُماً في حملتهما.

كنت : سأمضي بك الى مولانا لير، وأدعك تسهر عليه. فان أمراً هاماً ملحًّا لا يزال يضطرني بعض الوقت الى التنكّر بهذا الزي. وعندما أعرّف بنفسي لن تندم على ثقتك بي. أرجو منك أن ترافقني.

(يخرجان).

المشهد الرابع

في خيمة الملك داخل المعسكر الفرنسي.

(تدخل كرديليا يرافقها طبيب وضباط وجنود).

كرديليا : مع الأسف، ها هو بنفسه هنا. صادفه أحد رجالنا منذ هنيهة وهو مضطرب كبحر هائج ينشد بصوت عال، وعلى رأسه كالتاج بعض الزهور البرية التي نبتت بين القمح. (لأحد الضباط) أفصل فرقة من مئة جندي وفتّش عنه معهم في كل مكان من السهل والجبل وأحضروه اليّ. (يخرج الضابط). ماذا تفيد الرجل حكمته، عندما يفقد رشده؟ من يستطيع أن يشفيه أمنحه كل ثروتي الضخمة.

الطبيب : هناك وسيلة، يا سيدتي : الراحة أنجع علاجات الطبيعة. هو محتاج الى الراحة ولكي نجبره على اللجوء اليها يجب أن يحذو حذو البسطاء الذين يغمضون عينيهم حتى عن أثقل الهموم والغموم.

كرديليا : أنتِ جميعاً، أيتها الأسرار المباركة والفضائل السامية التي قلّ أن يعرفها أحد على وجه الأرض، انبعي كدموع عينيّ الغزيرة.

كوني عوناً وسلاماً لتخفيف حزن هذا العجوز الكريم. ابحثوا عنه لئلاّ يحطم غضبه الثائر حياةً تتقاذفها المحن على غير هدى.

(يدخل الرسول).

الرسول : لدي نبأ هام، يا سيدتي : الجيش البريطاني يتقدم.
كرديليا : أنا أعرف ذلك، وقد اكتملت استعداداتنا لاستقباله. يا والدي العزيز، كثرة مشاغلك تقلق بالي. هل أشفقت فرنسا الكبيرة على حدادي وعلى دموعي المتوسلة؟ هذا ليس مقصداً باطلاً لاخفاء طموحنا، بل هو الحب والعطف، وقضية والدنا الشيخ الجليل. أملي وطيد بأن أرى محياه وأسمع صوته قريباً.

(يخرج الجميع).

المشهد الخامس

في قصر كلوستر.

(تدخل ريكان وبرفقتها اسوالد).

ريكان : هل بدأت فرق أخي بزحفها؟
اسوالد : أجل، يا سيدتي.
ريكان : وهل يسير هو في طليعتها؟
اسوالد : نعم يا سيدتي، ولكن بصعوبة كبيرة. اختك تبدو جندية أفضل من سواها.
ريكان : ألم يكلم السيد ادموند مولاك في القصر؟
اسوالد : لا، يا سيدتي.
ريكان : ماذا تحوي الرسالة التي كتبتها أختي؟
اسوالد : لست أدري، يا مولاتي.

ريكان : في الواقع، ذهب هكذا على عجل لقضاء أمور خطيرة، بعد أن أفقد كلوستر بصره، وارتكب حماقة تركه حياً، لأنه أينما مرّ يؤلّب القلوب علينا. أظنّ ان ادموند مضى وهو يشفق على مصابه، ويريد أن ينقذ حياته الغارقة في بحر الظلمات، وفي الوقت ذاته يودّ معرفة قوى عدوّنا.

اسوالد : عليّ أن اوافيه، يا سيدتي، لأسلّمه هذه الرسالة.

ريكان : سيسير جنودنا غداً. فابقَ معنا، لأن الطرقات خطرة.

اسوالد : لا أستطيع يا سيدتي، فان مولاتي قد أوصتني بأن أستعجل في اداء هذه المهمة.

ريكان : لماذا كتبت الى ادموند؟ ألا يمكنك أن تنقل اليه الرسالة شفهيًّا؟ طبعاً، هناك مانع لا أدري ما هو. كم تزيد محبتي لك اذا تركتني أفضّ هذه الرسالة لأطّلع على ما فيها.

اسوالد : أنا أفضّل، يا سيدتي...

ريكان : أظن ان أختي لا تحب زوجها، بل أنا على يقين من ذلك، لأنها عندما كانت هنا في المرة الأخيرة، كانت ترشقه بنظرات مرتابة، بينما كانت تلقي على ادموند النبيل نظرات أخرى كلها فصاحة وبلاغة. وأنا أعرف أيضاً أنك مستودع أسرارها.

اسوالد : أنا، يا سيدتي؟

ريكان : اني أعرف ما أقول، فأنت أمين سرها. ولذلك اسمع رأيي في هذا الموضوع : زوجي مات، وأنا وادموند تفاهمنا واتفقنا على أن يحظى بعطفي ومساعدتي بدلاً من سيدتك. فيمكنك أن تتوقع ما أودّ أن اقوله لك. واذا صادفت ادموند أرجو منك أن تناوله هذا. (تسلمه خاتماً). و عندما تُبلغ سيدتك ما تعرفه أنت، اسألك أن تقول لها أن تثوب الى رشدها. الوداع. واذا سمعت عرضاً بمكان وجود هذا الأعمى الخائن، لا تنسَ أن الهدايا ستمطر على من يقضي عليه.

اسوالد : اذا تمكنت من مصادفته، يا سيدتي، سترين الى أية جهة أنا أميل وأنتمي.

ريكان : الوداع.

(يخرجان).

المشهد السادس

في البرية قرب دوفر.

(يدخل كلوسستر يقوده ادكار مرتدياً ملابس فلاح).

كلوسستر : هل نصل الى أعلى هذا الشاطئ المرتفع، في الوقت المناسب.

ادكار : أنت الآن تتسلقه، وترى كم نبذل من الجهد لنتقدم بسرعة.

كلوسستر : يخيّل اليّ ان الأرض منبسطة.

ادكار : هي بالعكس متعرجة بشكل هائل. هل تسمع هدير البحر القريب؟

كلوسستر : كلا، حقاً.

ادكار : لا بد من أن تكون حواسك منهوكة بسبب ألم عينيك.

كلوسستر : هذا ممكن. في الواقع، يخيل الي ان صوتك قد تغيّر، وأنك تتكلم بتعابير أفضل مما كانت عليه في الماضي.

ادكار : أنت مخطئ، لم يتبدّل فيّ سوى الملابس.

كلوسستر : تعبيرك عن أفكارك أصبح أكثر سهولة من السابق.

ادكار : تقدّم يا سيدي. ها هو المكان المقصود. قف، كم هو مخيف ومدوّخ تطلّعنا من هنا الى هذه الأعماق. ها هي الغربان التي تشقّ الهواء بأجنحتها فوق رؤوسنا، وحجمها لا يتعدّى حجم الحلزون. في منتصف الهضبة، هناك رجل يقطف زهوراً بريّة. ما أصعب عمله على المنحدر الحادّ وهو يبدو لي من هنا كأنه عصفور. ها هم صيادو السمك يسيرون على رمال الشاطئ

ويبدون كأنهم بصغر الفئران. وهناك في عرض البحر سفينة راسية تلوح كأنها زورق صغير، وهناك أيضاً مركب يظهر للعيان كأنه دولاب من المطاط. وهدير الأمواج يدوّي وهي ترتطم بالحجارة الملساء التي لا تحصى. لا أريد أن أطيل النظر هكذا خشية أن تدور بي الدنيا، ويسبب لي زوغان بصري تدهوري الى الهاوية.

كلوسستر : دعني أقف أنا في مكانك...

ادكار : هات يدك لنتراجع قليلاً الى الوراء. فأنت الآن على بعد قدم من حافتها. ولا أجرؤ على التقدم خطوة واحدة في ضوء القمر الضئيل.

كلوسستر : بربّك، اترك يدي. ها هوذا كيس نقودٍ آخر، يا صاح، في داخله جوهرة لا تقدّر بثمن بالنسبة الى رجل فقير مثلي. أسأل الآلهة أن تردّ لك هذه المنحة الغالية. ابتعد عني، وقل لي الوداع. دعني اسمع خطواتك وأنت تبرح هذا المكان.

ادكار : الوداع اذاً، يا سيدي الكريم.

(يتظاهر بالابتعاد).

كلوسستر : أشكرك من كل قلبي.

ادكار (على حدة) : إن تلاعبت هكذا بعواطفه وبيأسه، فلكي أشفيه من سقمه.

كلوسستر : أيتها الآلهة القادرة، أنا أريد مغادرة هذا العالم. وبوجودك أستسلم بدون غضب الى بلواي القاتلة. اذا تمكنت من احتمالها مدّة أطول بدون أن أخالف مشيئتكم التي لا أجد خياراً لي فيها، أتخلّى عن محنتي المرهقة في آخر لحظات عمري... اذا كان ادموند لا يزال على قيد الحياة، باركوه واسعدوه. والآن، الوداع يا صاحبي.

ادكار : ها أنا ذاهب، يا سيدي. الوداع (يقفز كلوسستر، ويسقط على الأرض من ذلك الارتفاع الشاهق). مع ذلك، لست أدري إذا كانت مخيّلتي

قادرة على صيانة كنز الحياة، عندما تكون هذه الحياة على وشك أن تُنتزع مني. لو كان واقفاً حيث هو يظن لتوقّف في رأسه كل تفكير. (يقترب من كلوسستر). أهو حيّ، يا ترى، أم ميت؟ ماذا حلّ بك يا صديقي؟ هل تسمعني؟ هيّا تكلّم. ربما مات هكذا حقيقة. لكن ها هو يتحرك. من أنت، يا سيدي؟

كلوسستر : إبتعد... دعني ألفظ أنفاسي الأخيرة.

ادكار : إلّا اذا كنت ابن عذراء، أو ريشة أو نسمة، لما أمكنك أن تسقط من علوّ كهذا بدون أن تتحطم مثل البيضة. ها أنت تتنفّس وجسمك الثقيل لا ينزف دماً. أنت تتكلم، أنت سليم. لو صُفَّتْ عشرات الصواري الواحدة تلو الأخرى لما عادلت هذا الارتفاع الشاهق الذي وقعت منه عمادياً. ان حياتك لعجيبة. هيا تكلم أيضاً.

كلوسستر : هل سقطت أم لا؟

ادكار : أجل، من قمة هذه الأكمة المرتفعة. أنظر الى فوق. فمن هذه المسافة، لا ترى طائر النورس الذي تسمع صوته عن هذا البعد. أنظر.

كلوسستر : يا للأسف، لم يعد لي من عينين. أليس من سبيل الى الهلاك بالموت سريعاً؟ هذه هي تعزية البائس الذي لا يقوى على تحاشي سخط الشخص المستبد الظالم الذي حكم علي بهذا العذاب المضني.

ادكار (يساعده على النهوض) : هات ذراعك. إنهض هكذا. كيف حالك الآن؟ هل تشعر بألم في ساقيك؟ هل تقوى على الوقوف؟

كلوسستر : بصعوبة كليّة.

ادكار : هذا أمر في منتهى الغرابة. من هو الكائن الذي ابتعد عنك وأنت على رأس هذا الجبل؟

كلوسستر : متسوّل في منتهى البؤس.

ادكار : من هنا، خلْت عينيه كأنهما بدران تامّان، وكأن له ألف أنف

وربوات القرون المتشعّبة تتجعّد كصفحة البحر المتلاطمة الأمواج. لقد كان شيطاناً لعيناً. هكذا، يا ولدي الحبيب، كن واثقاً بأن الآلهة المسؤولة عن وجودك، وهي تستمدّ أمجادها من المستحيلات البشرية، قد سلّمت عمرك.

كلوسستر : الآن، أنا أتذكر. وفي المستقبل، عليّ أن أتحملّ أوجاعي الى أن تصرخ هي في وجهي : كفى، كفى، عليك أن تسلّم الروح وتموت. لقد ظننت المخلوق الذي تتكلم عنه رجلاً كان يردّد عليّ غالباً : هذا شيطان، هذا شيطان. وهو الذي أوصلني الى هذا الدرك الأسفل.

ادكار : أرجو أن تستردّ قوّتك وجَلَدك. لكن، من الآتي الى هنا؟

(يدخل لير، وهو مزيّن بالزهور بشكل غريب).

لم يكن أي انسان سليم العقل ليهتم هكذا بسيده.

لير : كلاّ، هم لا يقوَوْن على مسّي بأذى، وهم في ضلالهم يرتعون. فأنا الملك بذاته.

ادكار : ما أصعب هذا المشهد الأليم.

لير : في هذا الموقف، نرى الطبيعة تفوق الفن براعةً. هذا هو المال الذي ربط نفسه به. وهذا الشاب قد سدّد سهمه الى مجموعة الغربان السود. اترك اذاً عنك عبء همومك، وانظر الى هذا الفأر الحقير، ثم اهدأ. فهذه القطعة من الجبن الشهي تكفيك. هذه هي قبضتي الحديدية التي أريد أن أرشق بها سهامي لأصيب جباراً. هاتوا الرماح أيضاً. هيا طِرْ يا عصفوري. سدّد نبالك الى الهدف. (لادكار) يا صاح، ما هي كلمة السرّ لأستطيع المرور؟.

ادكار : المردقوشي اللذيذ.

لير : يمكنك أن تمرّ.

كلوسستر : أنا أعرف هذا الصوت.

لير : تبًّا لكنريل من غادرة. هذه لحية بيضاء. كان الناس يتملّقوني

كأني كلب صيد ماهر. وكانوا يقولون ان في لحيتي شعراً أبيض قبل أن يسودّ. وكان الجواب نعم ولا، على ما كنت أتلفّظ به. فهذا القبول وهذا الرفض لم يكونا كلاماً مقدّساً. وبما أن المطر قد بلّلني، والهواء البارد قد جعل أسناني تسطكّ، والرعد أبى أن يصمت ليستجيب طلبي، فقد تسنّى لي أن أعرف وأدرك صدق نواياهم. هيا، ان كلامهم لا يُعتدّ به، ولو سمعت حديثهم لظننت اني كل شيء في الدنيا. لكنهم يكذبون. فأنا لست من يظنّون.

كلوسستر : اني أتذكر نبرة هذا الصوت. أوليس هو الملك؟

لير : أجل هو الملك من رأسه الى أخمص قدميه. لقد كان رعاياي يرتجفون هلعاً تحت نظراتي المسدّدة إليهم. لذا أعفو عن هذا الرجل وأصون حياته. ما هو ذنبك؟ حتى ان كنت زانياً، لن تموت. لا، فالقبّرة، أصغر العصافير تجامع الذباب الدّقيق الحجم، المذهّب الأجنحة، أمام عينيّ. فلندع المجامعة تثمر اذاً، وابن الزنى المنحدر من صلب كلوسستر كان أرحم نحو أبيه من بناتي الشرعيّات. هيا الى العمل أيها االفاسق المتهتك، ولا تتوقّف، لأني بحاجة الى جنود عديدين. هل ترى هناك تلك السيدة ذات البسمة العريضة الساحرة، والوجه الناصع كبياض الثلج المتمرّغ في أحضانها وهي تتستّر بالفضيلة وتطأطئ رأسها حالما تسمع أوصاف الملذات. هي كالأنثى الجامحة حين تشم رائحة الفحل، تستفيق في أحشائها شهوة المجون والعهر. هي فرس نصفها الأعلى امرأة، والآلهة لا تمتلكها إلا حتى الزنّار لأن أسفلها شيطان رجيم. هذا هو الجحيم بعينه، هذه هي ظلمات الهوّة السحيقة التي يتأجّج في قعرها لهيب الشهوة التي كالجراد تلتهم الأخضر واليابس في قلب الانسان. تبًّا لها من مستهترة. أعطني نفحة من الطيب، أيها الصيدلي لأعطّر أنفاسي، وهاك ثمنها.

كلوسستر : دعني أقبّل هذه اليد.

لير : بل دعني أمسحها أولاً. لأن رائحة الموت والهلاك تفوح منها.

كلوسستر : ما أغرب الطبيعة التي تهدم ما تصنعه يداها القويّتان. اذ ان هذا الكون الرحيب العجيب، لا بد له من أن يؤول الى العدم. هل عرفتني؟

لير : اني أتذكّر جيداً عينيك. أنت تنظر اليّ شذراً. لك أن تحقد عليّ يا كوبيدون الأعمى. فأنا لم أعد أرغب في الحب. إقرأ هذا النص، وتأمّل في صيغته المدهشة.

كلوسستر : حتى إن أصبحت جميع الحروف شموساً ساطعة، لن يتسنّى لي أن أراها.

ادكار : لو جاء من يخبرني بذلك لما صدّقته أبداً. لكن هذا واقع أليم يفتّت الأكباد.

لير : إقرأ

كلوسستر : ماذا أرى؟ هل محجرا عينيك فارغان؟

لير : ألا تزال تجهل ما حلّ بي؟ أوليس من عينين في وجهك؟ أوليس من مال في كيس نقودك؟ في هذه الحالة، وضع عينيك مؤسف مؤلم أكثر من فراغ جيبك الخاوي، لأنك لم تعد تبصر كيف يسير العالم.

كلوسستر : أنا أراه من خلال ما أشعر به.

لير : ماذا دهاك؟ هل جننت؟ هل من انسان يبصر بدون عينين كيف يسير العالم؟ أنظر اذاً بأذنيك لترى هذا القاضي الظالم الذي يتهجم بعنف على اللص الخسيس الضعيف. اسمع كل كلمة تصل الى اذنيك، ثم أحكم وميّز أيهما الحاكم وأيهما المحكوم. هل أبصرت في حياتك كلب مزرعة ينبح على متسوّل؟.

كلوسستر : أجل، يا مولاي.

لير : هل رأيت مخلوقاً هزيلاً يهرب أمام كلب ضخم الجثة؟ اذاً، رأيت الصورة الجسيمة التي تمثل السلطة الفعلية. فكلب الحاكم

دائماً مرهوب. أنت جندي بائس، وعليك أن تسند ذراعك الدامي. لماذا تضرب بالسوط هذه العاهرة الذميمة؟ الأجدر بك أن تلهب بالسوط كتفيك وظهرك لأنك تودّ أن ترتكب في أحضانها الجرم ذاته الذي تعاقبها عليه، كالمرابي الذي يطالب بشنق محتال لا يردّ له ماله، وكما أن أصغر القبائح لا ترى إلا من خلال الأسمال البالية، لأن المعاطف السميكة والملابس الفاخرة تسترها برمّتها. عندما تصفّح الرذيلة بالذهب تتكسّر على صلابتها أقوى أمواج العدالة عاجزةً. لكنك اذا ألبستها ثياباً حقيرة فإن قشة نحيلة تجرحها. أؤكد لك خلو المجتمع من المجرمين لأني غفرت ذنوب جميع الجّناة. أقبل مني هذه الأقوال، يا صديقي، فأنا لي وسائلي لكمّ أفواه من يتهمون سواهم لتمويه قبائحهم. اقتنِ نظارتين، وإن كنت رجل دولة تجمّعت في شخصك كل العيوب، تظاهر برؤية الأمور التي لا تبصرها. هيا، هيا. انزع عني جزمتي، واغلق أجل أغلق الباب وراءك هكذا.

ادكار : كلامك، يا صاح، مزيج غريب من الفهم والجهل معاً. أراك تخلط بين العقل والجنون.

لير : ان شئت أن تندب مصيري، خذ عينيّ وانظر. فأنا أعرفك جيداً، وأعلم ان اسمك كلوسستر. فما عليك إلا أن تلوذ بالصمت. لقد جئنا الى هذه الدنيا وسط العويل والبكاء. أنت تختبر ذلك، منذ أن دخل الهواء الى رئتيك أول مرة، وتدري جيداً اننا حالما نغادر الرحم نبدأ بالصراخ. سأباشر بالوعظ لهدْيكَ، فانتبه.

كلوسستر : وا أسفاه، وا أسفاه.

لير : منذ ولادتنا، نبكي على وجودنا في هذا المسرح الكبير الذي لا يحوي إلا المجانين. يا لقباحته العجيبة. كم هو غريب أن يلجأ المرء الى وضع لبّاد بدل نعلة الحديد على حوافر خيل جيش بكامله لاخفاء وقعها على الأرض حين تسير. أريد أنا

أيضاً أن أجرّب ذلك. ثم أباغت أنصاري وأعمل فيهم تقتيلاً مستمراً.

الضابط (يشير الى لير) : ها هوذا. اقبضوا عليه. يا مولاي، ان ابنتك العزيزة...

لير : أليس من مجير؟ ماذا أرى هل أصبحت أنا أسيراً، ولا أزال ذاك المهرج السيئ الحظ؟ عاملوني برفق، وأنا مستعد أن أدفع لكم الفدية. هاتوا لي جرّاحين ماهرين لمعالجة دماغي المكلوم.

الضابط : ستحصل على ما تريد.

لير : انا لا أريد مساعدين، دعوني وحدي. وهذا يكفي رجلاً مثلي كبير القلب يستخدم عينيه كمرشة ليغسل بدموعه غبار خريف العمر.

الضابط : كما تشاء أيها المولى الكريم.

لير : أودّ أن أموت باسلاً. أودّ أن أكون بشوش المحيا. هيا، هيا، أنا ملك. أتعلمون بذلك يا سادتي؟

الضابط : أنت صاحب الجلالة، ونحن ندين لك بالطاعة والولاء.

لير : لا يزال بعض من حياة في هذه الجلالة. حتى إن حاولتم القاء القبض عليّ، لن تفعلوا إلا في نهاية الشوط. أسرعوا اذاً أسرعوا.

(يخرج راكضاً ويلحق به الحرس مسرعين).

الضابط : مشهد يبكي الصخر الجلمود أمام أدهى المصائب التي لا يستوعبها وصف في أوضاع الملوك. يا لير، ابنتك تشتري غريزة الطبيعة البشرية من خلال اللعنة التي جرّتها عليها ابنتاك الأخريان.

ادكار (يقترب من الضابط) : مرحباً أيها الوجيه.

الضابط : حفظتك السماء، أيها الصديق. ماذا تريد؟

ادكار : هل سمعت حديثاً عن معركةٍ وشيكة الوقوع، يا سيدي؟

الضابط : ليس أصدق من هذا الخبر الصحيح. ولكي يطّلع المرء على نبأ، يكفيه أن يحسن تمييز الأصوات.

ادكار : أرجو منك أن تقول لي، على أية مسافة يرابط جيش العدو؟

الضابط : قريباً جداً من هذا المكان. هو يتقدم بخطوات جهيدة، ومعظمه يمكن أن يظهر للعيان بين لحظة وأخرى.

ادكار : أشكرك، يا سيدي. هذا كل ما أودّ أن أعرفه.

الضابط : الملكة بقيت هنا لأسباب خاصة. لكن جيشها يتحرك.

ادكار : أشكرك يا سيدي، شكراً جزيلاً.

(يخرج الضابط).

كلوسستر : أيتها الآلهة المنقذة، أنت وحدكِ تستطيعين أن تهدّئي بالي. آمل أن لا يدفعني حظي المشؤوم الى الموت قبل أن ترضَيْن بذلك.

ادكار : هذا رجاء صالح، يا والدي.

كلوسستر : والآن، يا سيدي الكريم، قل لي من أنت؟

ادكار : أنا رجل مسكين للغاية، تعودت تلقّي ضربات الحظ وقد جعلني عذاب تجاربي أكثر كآبة وحزناً مما يستدرّ شفقتك. هات يدك لأقودك الى ملجأ أمين قريب من هذه البقعة.

كلوسستر : أشكرك من كل قلبي، وأستمطر عليك بركات السماء ونعمها.

(يدخل اسوالد).

اسوالد (يشير الى كلوسستر) : إليّ بهذا الشقي. أين أنت أيتها السعادة؟ هذا رأس بدون عينين. وقد صار هكذا ليسهل لي الصعود. تبًّا لك من خائن وغد، بادرت حالاً إلى مقارعتي (يستل سيفه). ها هو حسامي قد أطلّ من غمده ليذيقك كأس الحمام.

كلوسستر : هيا، ليسعفك ساعدك ويزوّدك بالقوة اللازمة للطعن.

(يرتمي ادكار أمام كلوسستر).

اسوالد : كيف تجرؤ، أيها الفلاح الغبيّ، على مساندة خائن خرج على القانون؟ هيا انسحب لئلا تسري عدوى مصيره البائس اليك أيضاً. اترك ذراعه.

ادكار (يتكلم بلهجة الفلاح) : لن أتركها، يا سيدي، بدون سبب وجيه

اسوالد : ستموت اذاً، أيها المتطفل الوقح.

ادكار : يا سيدي النبيل، أكمل طريقك، ودع الناس المساكين يعبرون بسلام. اذا كنت بعنترياتك تريد أن تبدأ حياتك، فلن يطول عمرك أكثر من اسبوعين. لا تقترب بعد الآن من أي رجل مسنّ. ابتعد عني، أيها الوغد، وإلا أريتك نجوم الظهر بهذا القضيب. أنا أكلمك بمنتهى الصراحة.

اسوالد : ابتعد، أيها الجبان الحقير.

ادكار (يرفع قضيبه) : سأحطم أسنانك، يا سيد. تقدّم، فأنا أحبّ أن أستعرض حركاتك.

(يتضاربان. ادكار يرمي اسوالد أرضاً بضربة واحدة من قضيبه).

اسوالد : قتلتني، أيها المجرم. خذ كيس نقودي، يا محتال. واذا أردت أن تنجح وتزدهر شؤونك، ادفن جسدي، وسلّم الرسالة التي تجدها في جيبي الى ادموند بن كلوسستر. ابحث عنه في الجيش البريطاني. فالموت يداهمني قبل الأوان.

(يموت).

ادكار : أنا أعرفك جيداً، أيها المحتال المتستّر، وأنت ميّال الى قبائح سيدتك أكثر مما تتمناه دناءتها.

كلوسستر : ماذا حلّ به؟ وهل قضى نحبه؟

ادكار : اجلس، يا أبي، واسترح. (يفتش في جيوب الجثة). هيا نبحث في جيوبه عن الرسالة التي أوصاني بنقلها، والتي قد تجلب لي الخير. ها قد مات، وأنا متأسف لأنه لم يجد من يقتله غيري. (يعثر على الرسالة، ويفضّ علافها). هيا نقرأها. اعذرني أيها الشمع الأحمر الطري، وأنت، يا وخز الضمير، لا تلمني. فلكي نعرف

نوايا أعدائنا، نحن على أتمّ الاستعداد لفتح قلوبهم. فكيف بنا أمام فتح أوراقهم بصورة شرعية؟ (يقرأ) :

« تذكروا عهودنا المتبادلة. أمامكم عدة فرص للقضاء عليه. اذا لم ينقصك العزم، فلا الزمان ولا المكان يتوفّران لك، كما تتصور. أنا أسيرته اذاً، وسريره أصبح سجني. خلّصني من فتوره الرهيب. ومكافأة لك على ما تتحمله من مشقة، خذ محله ».

خادمتك المحبة المخلصة
التي تريد أن تغدو امرأتك
كنريل

يا للهاوية السحيقة التي تردّت فيها هذه المرأة المستهترة وتآمرت على حياة زوجها الفاضل لتستعيض عنه بشقيقه. هنا في الرمل سأدفنك، يا عنوان الدعارة، القاتلة. ها قد حان الأوان. أريد أن تلفت هذه الورقة الجانية أنظار الدوق الذي تستهدف المؤامرة حياته. كم سيسعده أن أبلغه في آن واحد عن موتك ومهمتك السافلة.

(يبتعد ادكار وهو يجر الجثة).

كلوسستر : الملك مهووس. كم كان عقلي محدوداً عندما كنت مصرًّا على الاحتفاظ بآلامي الشديدة. خير لي أن أفقد رشدي من أن تنشغل أفكاري المرتبكة حينئذٍ بأحزاني وويلاتي، وتتوه مخيلتي حين تغيب عنها يقظة الضمير.

(يعود ادكار).

ادكار : هات يدك. يخيّل اليّ اني سمعت من بعيد قرع طبول. تعال، يا أبي لأُودِعك عند أحد أصدقائي.

(يخرجان).

المشهد السابع

في خيمة داخل المعسكر الفرنسي

(في صدر المسرح، لير ينام على سرير، وطبيب ووجيه وخدام يلتفون حوله. تصدح الموسيقى، تدخل كرديليا ومعها كنت).

كرديليا : عزيزي كنت، كيف يتسنّى لي أن أعيش وأن أتصرّف حتى أكون في مستوى اخلاصك لي، حياتي ستكون قصيرة المدى جداً، ولن تكفي غيرتي لعرفان جميلك وردّه اليك.

كنت : تقدير خدمة على هذه الصورة، يا سيدتي، هي أجر كبير. كل ما أقصّه عليك يطابق الحقيقة المتواضعة. وليس لديّ ما أزيد عليها، ولن أحذف منها حرفاً بعد أن قلت كل شيء.

كرديليا : إلبس بزّةً تليق بك أكثر من سواها. لأن ثيابك هذه تذكّرني بأيام حزني ومحنتي. أرجو منك أن تخلعها عنك حالاً.

كنت : اعذريني، يا سيدتي العزيزة. فالاعلان عن حقيقة شخصيتي يعرقل مشروعي، ألتمس منك أن تتجاهليني حتى اللحظة التي تقتضيها الظروف وأرتضيها أنا أيضاً.

كرديليا : كما تشاء، يا مولاي الكريم. (للطبيب) كيف حال الملك؟

الطبيب : هو لا يزال نائماً.

كرديليا : أيتها الآلهة المغيثة، ساعدينا على اصلاح الانهيار الذي اعترى طبيعته المرهَقة. وارجعي الى الصواب أفكاره المشتتة وعواطفه الحائرة، لأنه أب مسكين، وأعيديها الى وضعها المألوف، بعد أن أضحى تفكيره كإدراك الأولاد.

الطبيب : أترغب جلالتك بأن نوقظ الملك بعدما نام طويلاً.

كرديليا : افعل ما تمليه عليك مهنتك، وتصرّف حسبما ترتإيه خبرتك. هل أرتدى ثيابه؟

الوجيه : أجل، يا سيدتي، وبفضل نومه العميق تمكّنا من إلباسه ثياباً جديدة.

الطبيب : كوني الى جانبه، يا سيدتي الكريمة، عندما نوقظه. فأنا لا أشك بأنه أخذ قسطه من الراحة والهدوء.

كرديليا : حسناً.

الطبيب : أرجو منك أن تقتربي منه (تقترب كرديليا من السرير). إرفعوا صوت الموسيقى.

كرديليا (تنحني على أبيها) : والدي العزيز، أملي أن يضع الشفاء بلسماً على شفاهي وأنا أقبلك، لكي أضمّد جراحك الأليمة التي أثخنتْ بها شقيقاتي جلالَتك.

كنت : سقياً لك من أميرة مخلصة طيّبة القلب.

كرديليا : بما أنك لست والدهما، فان هذا الشعر الأبيض يستدر حتماً عطفك. هل خلق هذا الرأس لكي يتعرض للرياح الهوجاء ويكافح الرعود المريعة مع البروق اللامعة كالشهب، وليسهر كالحارس المعرّض للهلاك تحت هذا الغطاء الرقيق؟ (تشير الى شعر أبيه الأبيض). ان كلب عدوّي عندما يُهان هذه الليلة سيقبع الى جانب نار موقدي. وأنت يا والدي المسكين قد أُجبرت على السكن مع الخنازير والبؤساء في ملجأ فوق مزبلة نتنة. وا أسفاه، وا حسرتاه. جميل أن لا تفقد الحياة ولا العقل دفعة واحدة. ها هو يستيقظ. (للطبيب) سأقول كلمة واحدة.

الطبيب : كلّميه أنت، يا سيدتي. هذا أفضل.

كرديليا : كيف حال سيدي الملك؟ بماذا تشعر جلالتك؟

لير (يستيقظ) : أنت مخطئة في سحبي هكذا من القبر. (لكرديليا) أنت روح خيّر، بينما أنا موثوق الى دولاب من نار. حتى ان دموعي ذاتها تحرقني كأنها رصاص ذائب.

كرديليا : مولاي، هل عرفتني؟

لير : أنت روح، على ما أرى. فمتى انتقلتِ الى العالم الآخر؟

كرديليا (للطبيب) : لا يزال فاقد الوعي.
الطبيب : لم يستيقظ تماماً بعد. دعيه لحظةً أخرى.

(يبتعدان عن السرير).

لير : أين كنت؟ أين أنا؟ ما هذا النهار الجميل! لقد تحمّلت ظلماً منقطع النظير. أكاد أموت حزناً وشفقةً، ليتني رأيت أحداً غيري في مثل وضعي. لست أدري ما أقول. لن أؤكد ان هاتين هما يداي... هيا. أنا أحسّ بأن دبّوساً يخزُني. كم أودّ أن أكون على يقين من حالتي الحاضرة.

كرديليا : أنظر اليّ، يا مولاي، وابسط يديك عليّ لتباركني. (يريد لير أن يجثو أمامها، فتمنعه). كلا، يا مولاي، أنت غير مطلوب منك أن تركع.

لير : أرجو منك أن لا تهزإي بي. أنا عجوز أهذي في الثمانين من عمري، إن لم أكن قد تخطيت هذا العدد من السنين ببعض الزمن، ولأبحْ بالحقيقة : أنا أخشى أن لا أكون مالكاً كامل قواي العقلية. يخيّل اليّ اني أعرفك، واني أعرف هذا الرجل أيضاً. مع ذلك لست واثقاً بذلك. لأني أجهل تماماً أين أنا، وكل جهود ذاكرتي لا تسعفني على تذكّر هذه البزّة. لا أتذكّر حتّى أين قضيت الليلة البارحة. لا تسخروا مني، لأني في الواقع، كما أعرف اني رجل، أعتقد بأن هذه السيدة هي ابنتي كرديليا.

كرديليا : أجل، أنا ابنتك، أنا ابنتك.

لير : ما لي أرى الدموع تسيل على خدّيك؟ أرجو منك أن تكفّي عن النحيب. إذا كنت تأتينني بالسم، فأنا مستعد لأنْ أشربه. إذْ اني واثق بأنك لا تحبينني، وان اختَيْك، على ما أذكر، قد سبّبتا لي شراً مستطيراً. أنت كان لك بعض العذر، أما هما فليس لديهما أي داعٍ.

كرديليا : لا حجة لي على الاطلاق.

لير : هل أنا على أرض فرنسا؟

كنت : أنت في مملكتك، يا مولاي.

لير : لا تخدعني.

الطبيب : كوني على يقين، يا سيدتي، بأن نوبة الهذيان، كما ترين، قد زالت عنه. لكن هناك شكًا في إمكان اعادة وعيه اليه، بعد أن فقد صوابه مؤخراً. أَلحّي عليه بالرجوع الى قصره، ولا تزْعجيه قبل أن يعود اليه هدوؤه تماما.

كرديليا : هل يريد صاحب الجلالة أن يمشي؟

لير : يجب أن تكوني حليمة معي. أرجو منك أن تنسي وتسامحيني. فأنا عجوز ساذج.

(تسند كرديليا لير، ويخرج الطبيب والخادم).

الوجيه : هل صحيح، يا سيدي، ان دوق كرنواي قُتل هكذا؟

كنت : هذا لا شك فيه، يا سيدي.

الوجيه : ومن هو الآن قائد هؤلاء الرجال؟

كنت : يقال انه الابن غير الشرعي الذي أنجبه كلوسستر.

الوجيه : ويقال ان ادكار الابن المُبْعد هو مع دوقه كنت في جرمانيا.

كنت : العلاقات مختلفة. حان الأوان لأخذ الحذر، لأن جيوش المملكة تقترب بسرعة.

الوجيه : المجابهة، على ما تبدو، دموية. فالوداع اذاً، يا سيدي.

كنت : خطتي وجهودي ستسفر عن نتيجة مرضية أو مغضبة، حسب نجاح هذه المعركة.

(يخرج).

الفصل الخامس

المشهد الأول

(يدخل ادموند وريكان بينما الطبل يقرع والأعلام تخفق، ويتبعهما ضباط وجنود).

دموند (لأحد الضبّاط) : استعلم من الدوق عما اذا كان مشروعه الأخير لا يزال قيد التنفيذ، أو إنه قرر تبديل رأيه. هو كثير التردد والتناقض. أفدنا عن قراراته النهائية.

(يخرج الضباط).

ريكان : لا بد من أن يكون قد حلّ مصاب بزوج أختنا.
ادموند : يخشى أن يكون الأمر كذلك، يا سيدتي.
ريكان : والآن، أيها السيد اللطيف، أنت تعلم كم أتمنّى لك الخير. لكن قل لي الحقيقة، ألا تحبّ أختي.
ادموند : أحبها وأحترمها.
ريكان : لكن، ألم تحلّ أبداً محلّ أخي في المكان المحرّم؟
ادموند : لماذا تذهبين بأفكارك بعيداً؟
ريكان : أظن أنكما اتّحدْتُما، وارتبطتَ بها على أضيق نطاق ممكن.
ادموند : كلا، يا سيدتي. أقسم لك بشرفي.

ريكان : لن أحتمل هذا بتاتاً. أرجو منك يا سيدي العزيز أن لا ترفع الكلفة بيننا.

ادموند : لا تساورك المخاوف من هذه الناحية. فهي وزوجها الدوق...

(يدخل الباني وكنريل وبعض الجنود).

كنريل (على حدة) : أفضّل أن أخسر هذه المعركة على أن أرى شقيقتي منفصلة عني.

الباني (لريكان) : أنا سعيد بلقائك، يا أختي الحبيبة. (لأدموند) مولاي، إسمع ما بلغني. الملك وافى ابنته مع غيرها ممن اضطرتهم ظروف الحكم الى الثورة. أنا لم أكن يوماً شجاعاً، عندما لم أستطع أن أكون باسلاً شريفاً. وفي هذه القضية، اذا تحرّكت عواطفنا، فلأن فرنسا اجتاحتْ بلادنا، وليس لأنها ساندت الملك وكثيرين غيره من الذين أخشى أن يكون لهم دافع عادل ومؤلم لمناهضتنا ومحاربتنا.

ادموند (بلهجة ساخرة) : مولاي، أنت تتكلم بنبل.

ريكان : ما الفائدة من حكم كهذا؟

كنريل : لنوحّد جميع قوانا في مهاجمة العدو. لأن هذه المناوشات الداخلية والشخصية ليست هنا الأهمّ.

الباني : لنضع بالاتفاق مع المقاتلين، خطة معركتنا معاً.

ادموند : سأوافيك فوراً الى خيمتك.

ريكان : تعالي معي، يا أختاه.

كنريل : كلاّ.

ريكان : هذا هو الأنسب. من فضلك تعالي معي.

كنريل (على حدة) : ها قد حللت الأحجية. (بصوت عال). أنا آتية.

(حين ينسحب الجميع، يدخل ادكار المتنكر، ويخاطب دوق الباني على انفراد).

ادكار : اذا تكرمت سيادتك وكلمت رجلاً مسكيناً مثلي، اطّلعت على أمر هامّ.

الباني (لمن ابتعدوا) سألحق بكم. (لادكار) تكلّم.

(يخرج ادمون وريكان وكنريل والضباط والجنود ورجال الحاشية).

ادكار (يسلم الدوق ورقة) : قبل أن تخوض المعركة، عليك أن تفتح هذه الرسالة. فاذا كنت منتصراً، يُنفخ في البوق لاعلام من سهّل لك الظفر. مهما كنت حقيراً بوسعي أن أخلق منك بطلاً يثبت ما أؤكّده هنا. واذا فشلت، فكل ما في هذا العالم يكون قد انتهى بالنسبة اليك أيضاً، وتتوقف الدسائس من تلقاء ذاتها. لذا أرجو أن يكون الحظ حليفك.

الباني : انتظر حتى أقرأ الرسالة.

ادكار : ممنوع عليّ الانتظار. عندما يحين الأوان، على الحارس أن يطلق الاشارة، فأحضر حالاً.

(يخرج).

الباني : كما تشاء. الوداع. أريد أن أتصفّح هذه الورقة.

(يدخل ادموند).

ادموند : رتّبوا الجحافل صفوفاً صفوفاً. فالعدوّ ليس ببعيد عنا. وهذه تقديرات قوّته الفعلية مستقاة من استكشافات نشيطة. فمنتهى الاستعجال مطلوب منكم في الوقت الحاضر.

الباني : سنكون عند حسن الظن بنا حسب الظروف.

(يخرج).

ادموند (وحده) : لقد أقسمت يمين الولاء للأختين، وكل واحدة تكره الأخرى، نظير الأفعى والشخص الملسوع. فمن أختار، يا ترى؟

كلتاهما؟ إحداهما؟ لا هذه ولا تلك؟ بالفعل، لا يسعني أن أمتلك لا هذه ولا تلك، اذا ظلّتا كلتاهما على قيد الحياة. إن اخترت الأرملة أكون مغبوناً، وأكون قد سبّبت القلق والهوس لأختها كنريل. ولا أستطيع أن أنفّذ خطتي، ما دام زوج هذه الأخيرة حيًّا. على كل حال، لا بد لي من أن أستعين بها في المعركة. وهكذا، اذا شاءت هي، يمكنني أن أتخلص منه، شرط أن تلاقي حجّة، لارساله اليّ على عجل. أمّا الحلم الذي يرجو تحقيقه في ما يخص لير وكرديليا أيضاً، فمتى انتهى القتال، وأضحت مثل هذه الشخصيّات تحت سلطتي، لن يبقى للحلم من لزوم، لأن وضعيتي عندئذٍ تقضي عليّ بأن أدافع عن نفسي لا أن أفاوض.

(يخرج).

المشهد الثاني

على حدود ساحة القتال

(يسمع انذار. تقرع الطبول، وتخفق الأعلام، ويمر لير وكرديليا، محاطين بفرق الجنود. وحين يبتعد الجيش، يدخل ادكار وكلوسستر).

ادكار : هيا، يا أبي، اقبل ضيافتي في ظل هذه الشجرة على سبيل الوصاية. وصلّ لكي ينتصر الحق. فاذا عدت اليك، فلكي أوفّر لك ما يعزّيك وينسيك مصائبك.

(يخرج).

كلوسستر : لتحل عليك النعمة والبركة، يا سيدي.

(يسمع نذير، ثم انسحاب بعيد. يعود ادكار).

ادكار : تعال نهرب أيها العجوز. هات يدك لنفرّ من هنا. فالملك لير قد انكسر، وهو وابنته أصبحا في عداد الأسرى. هات يدك، وهيّا نجدّ السير.

كلوسستر : لا، لا، لن أبتعد، يا سيد. فالرجل الرجل، من صمم على الموت هنا.

ادكار : ماذا تقول؟ ما هذه الأفكار المشؤومة؟ على المرء أن لا يستسلم الى مشيئة الأقدار، ويتحتم عليه أن يغادر المكان الخطر كما أوى اليه. المهم أن يكون مستعداً لكل الطوارئ. هيا نرحل.

كلوسستر : أجل هذا صحيح.

(يخرجان).

المشهد الثالث

في المعسكر البريطاني قرب دوفر

(تقرع الطبول وتخفق الأعلام. يدخل ادموند ظافراً ووراءه الملك لير وكرديليا أسيرين، ثم ضباط وجنود).

ادموند : ليأخذ الأسرى بعض الضباط، وليحتفظوا بهم تحت الحراسة المشدّدة الى أن نعرف قرار من سيحاكمونهم.

كرديليا (للير) : لسنا أوّل من يصيبه الويل، رغم حسن نيّتنا. فأنت ملك مظلوم تقطّع نياط قلبي حزناً وأسًى. لأني وحدي أجابه بسهولة كل ما ترشقني به الأيام من أحقاد. أولن يتسنى لنا أن نشاهد هؤلاء البنات والأخوات؟

لير : كلا، ثم كلا. تعالي نذهب الى السجن، فكلانا معاً سنغرّد كالعصافير في القفص. عندما تطلبين بركتي، سأجثو على ركبتيّ أنا أيضاً وأطلب منك السماح. وهكذا يتسنّى لنا أن نقضي

بقية العمر في الصلاة والابتهال، وفي سرد الحكايات القديمة، وفي الابتسام للفراشات المذهّبة، وفي سماع المغلوبين يحكون أخبار البلاط. وحين تكلّمهم نحن، نبيّن لهم من خسر ومن ربح، ومن سقط ومن ارتفع، ونفسّر لهم خفايا الأمور كما لو كنّا أمناء على أسرار الآلهة. ومن خلال جدران السجن نستعيد قصص المسلسلات والمجموعات التاريخية عن الكبار الذين يأتون ويذهبون حسب تطورات القمر في مختلف أوضاعه وأحواله.

ادموند : هيا خذوهم.

لير : من أجل هذه الضحايا، يا كرديليا، تحرق الآلهة بخور التقديس. فالآن وقد لقيتك بعد طول الغياب، من ينوي أن يفرّق بيننا، عليه أن يجلب شعلة من السماء وأن يطردنا بقوة النار، كما تطرد الثعالب من أوجرتها. إمسحي دموعك، فالبرص سيفتك بهما ويطفئ النور في عينيهما قبل أن يحملنا أخصامنا على النحيب والبكاء. أجل، سنشاهدهم نحن بالحري يموتون جوعاً وكمداً. تعالي.

(يخرج لير وكرديليا محاطين بالحراس).

ادموند (لأحد الضبّاط) : هنا، أيها القائد. اسمع، خذ الورقة النقدية هذه. (يعطيه ورقة نقدية). اذهب ووافهم في السجن. لقد رقّيتك الى رتبة أعلى واذا أتممت ما أوصيتك به ها هنا، تؤمّن لنفسك ترفيعاً مضموناً ومصيراً نبيلاً. إعلم جيداً ان الرجل يتأثر كثيراً بظروفه، وإن كان كالثعلب لكن رقيق القلب، لا يليق به أن يحمل السيف. فهذه المهمة لا تقبل النقاش. عدني بأن تذهب توًّا لتنفيذها، أو يتحتّم عليك أن تسعى الى الترقية بغير هذه الوسيلة.

الضابط : أنا مستعد لتنفيذها، يا مولاي.

ادموند : الى العمل اذاً. واعتبر نفسك سعيداً حالما تباشر التنفيذ، وأنا

مصرّ على أن يكون ذلك فوراً. فتمّم حرفياً كل ما أمرتك به.

الضابط : لن أكون حماراً، لآكل شعيراً جافاً. أما أعمال الرجال، فأنا على أتمّ الاستعداد للقيام بها.

(يخرج).

(تصدح الموسيقى. يدخل ألباني وكنريل وريكان، يتبعهم عدد من الضبّاط والحراس).

ألباني (لأدموند) : يا سيد، اليوم أثبتّ لنا همتك وبسالتك، وكان الحظ حليفك. اذ أسرت في هذا النهار من كانوا بالأمس أعداءنا، وسنطالبك بهم، لنتّخذ بحقّهم الأحكام التي يستحقّونها وتقتضيها سلامتنا بموجب عدلنا وأنصافنا.

ادموند : لقد رأيت من الأنسب أن أرسل الملك البائس تحت الحراسة المشددة، الى المعتقل، لأن عمره ولا سيما مقامه، لهما تأثير في استدرار عطف الجماعات عليه، وفي تحويل رماح مرتزقتنا عنه ليسدّدها الى نحورنا، وإن نكن نحن آمريهم. ومعه أرسلت الملكة لنفس الأسباب، وسيمثلان غداً أو في أي يوم آخر قريباً أمام المحكمة لتبتّ في أمرهم. في هذه اللحظة نحن غائصون في بحر من العرق والدم. الصديق فقد صديقه، وأعدلُ الحروب تدور حالياً رحاها وتتأجّج نيرانها، ولعنات خاسريها تتعالى من كل حدب وصوب. لذا وجب تقرير مصيرها ومصير أبيها في مكان غير هذا، أنسب منه.

الباني : اسمح لي، يا سيدي، أنا أحسبك في هذه الحرب كأحد رعاياي لا كأخي.

ريكان : هذا يتوقف على اللقب الذي ستخلعه عليّ. كان باستطاعتك على ما يخيّل اليّ، أن تسألني رأيي قبل أن تتكلم بصوت عالٍ. لقد قاد قوّاتنا وتقلّد سلطتنا وأصدر الأوامر باسمنا وبالنيابة عنا شخصياً. وهذا السلطان من شأنه أن يرفع رأسه ويخوّله أن يعتبرك أخاه.

كنريل (لريكان) : لا تضخّمي الأمور هكذا. ان عظمته مستمدة من أفعاله الباهرة أكثر من حمايتك اياه.

ريكان : بفضل ما أوليته من حقوقي، وصل الى ما هو عليه من رفعة الشأن.

كنريل : هذا ما يمكنك قوله لو تسنّى لك أن تقترني به.

ريكان : التنكيت أحياناً، يستشفّ منه مستقبل الأحداث.

كنريل : قفي عند هذا الحدّ. فالنظرة التي تريك هذا المستقبل هي حتماً خاطئة.

ريكان : أنا غير مرتاحة، يا سيدتي. وإلا كان جوابي طافحاً من قلب ضاقت به الدنيا. (لأدموند) أيها القائد، خذ جنودي واسراي وميراثي كله وتصرّف بها جميعها وبي أنا أيضاً، كما يحلو لك. فهذا المكان يخصّ الملك، والعالم يشهد بأني أقيمك هنا مولىً وسيداً عليّ.

كنريل : أتظنّين أنك تملكينه؟

الباني (لكنريل) : هذا، على كل حال، لايتعلّق بمشيئتك.

ادموند (لألباني) : ولا بمشيئتك أنت أيضاً، يا مولاي.

الباني : هذا مؤكد ومثبوت، يا شريك النصف.

ريكان (لأدموند) : مر بقرع الطبول، وأعلن أن لي ما لك من حقوق.

ألباني : اصبر قليلاً وتعقل، يا ادموند، لأني ألقي القبض عليك بتهمة الخيانة العظمى، وكشريكةٍ لك في جرمك، ألقي القبض أيضاً على هذه الأفعى المذهّبة (يشير الى كنريل ويقول لريكان) أمّا طموحاتك أنتِ، يا أختي الظريفة، فإني أرفضها حفاظاً على مصلحة زوجتي، ما دام عهدٌ سريّ يربطها بهذا المولى. وأنا زوجها أعارض مشروع زفافها هذا. فإذا شئتِ أن تتزوّجي، فغازليني أنا، لأن سيدتي هي خطيبته.

كنريل : ما هذه التفاصيل المذهلة؟

الباني : بما أنك مسلّح يا كلوسستر، سآمر بنفخ البوق. فاذا لم يتقدّم أحد ليعلن أمامك اتهاماتك الشنيعة العديدة الظاهرة للعيان، فأنا

وحدي أتحدّاك. (يرشقه بقفازه الحديدي). وأنا متأهّب لأنْ آخذ بخناقك قبل أن أذوق لقمة خبز واحدة. وسأثبت تحقيق كل كلمة مما صارحتك به الآن.

ريكان (تميد) : أنا مريضة، أنا خائرة القوى.

كنريل (على حدة) : لو لم تكوني مريضة لأنقطعت الى الأبد عن الاتكال على دسّ السمّ.

ادموند : هذا التحدّي صادر عني أنا بالمقابل. (يلقي قفازه الحديدي). اذا كان في الدنيا شخص لا يدعوني سيده فهو كاذب كعبد ذليل. لينفخ في البوق بغية جمع كل الرجال. وفي وجه من يجسر أن يتقدم لمجابهتك ومجابهة الجميع، سأثبت كل ما أتحلى به من الشرف وما أحلم به من الأماني الرائعة.

الباني : يا لك من خطيب مفوّه.

ادموند : حقاً أنت خطيب بليغ لا يشق لك غبار.

الباني : إتكل على زندك فقط، لأن جنودك المجتمعين هناك باسمك، ينفضّون عنك بسبب اسمك بالذات.

ريكان : ها قد انهمرت عليّ الويلات كالمطر.

الباني (يشير الى ريكان وحرّاسها) : هي منحرفة الصحة، خذوها الى خيمتها. (تحرج ريكان يسندها حراسها). اقترب أيها المنادي. لِيُنفخ في البوق. واقرأ هنا بصوت جهوري.

(يستلم المنادي محطوطاً).

أحد الضباط : أنفخ في البوق.

(ينفخ في البوق).

المنادي (يقرأ) : اذا كان في صفوف الجيش رجل يمتاز بصفات حميدة أو بمقام رفيع يريد أن لا يسحب الاتهام، الموجّه الى ادموند المنتحل لقب كلوسستر، بأنه خان مرّات عديدة، وليظهر لدى ثالث نفخة بوق. فإن ادموند مصمّم على الدفاع عن نفسه.

ادموند : انفخوا البوق (يسمع صوت البوق مرة أولى).

المنادي : كرّروا نفخ البوق (يسمع صوت البوق مرة ثانية). كرروا أيضاً (يسمع صوت البوق مرّة ثالثة).

(يجيب صوت بوق آخر من صدر المسرح. يدخل ادكار مدجّحاً بالسلاح، يتقدم جندي وهو ينفخ البوق).

الباني (يلفت نظر المنادي الى ادكار) : إسأله ماذا يريد، ولماذا برز هكذا، حالَ نفخ البوق؟

المنادي (لادكار) : من أنت؟ ما اسمك، وما صفتك؟ لماذا استجبت نداء البوق من أول مرّة؟

ادكار : اعلم ان اسمي « ضائع »، لأن أنياب الخونة قد قضمته وبدّدته. مع أني نبيل مثل الخصم الذي أجابهه في هذه اللحظة.

الباني : من هو هذا الخصم؟

ادكار : أهو الذي يتكلم عن إدموند كونْتْ كلوسستر؟

ادموند : هو بذاته. ماذا تقصد أن تقول له؟

ادكار : استلّ سيفك حتى اذا أهانت كلماتي قلبك النبيل، يتسنى لذراعك أن تعوّض عن ذلك. (يستل سيفه). هذا سيفي يقارعه. إعلم اني أمارس هنا حقّ مقامي وعهدي ومهنتي. وأثبت رغم قوتك وشبابك، لقبي وعظمتي، ورغم سيفك المنتصر وحظك المميّز وسموّ أصلك وقلبك، انك خائن مخاتل بحق هذا الأمير النبيل القوي الرفيع الشأن. (يشير الى الباني). انك خائن العهود من أعلى رأسك الى أخمص قدميك، خائن حقير بغيض. واذا أنكرت، فسيفي وذراعي وشجاعتي الفائقة تبرهن لك، عندما أردّ كيدك الى نحرك، انك كاذب خسيس.

ادموند : بكل حكمة وبساطة، أردت أن أسألك ما هو اسمك. ولكن، بما أنك تبدي تشامخاً وعداءً مبالغين، وبما أن لهجتك تشفّ عن نبل اصالتك فأنا أرفض اعتراضاتك التي تظنها حذراً وحيطة من قبلك، يمكنني أن أتذرّع بها لمقارعتك حسب أصول

الفروسية، لكني أزدري بها وأحتقرها. وأنا أفضح خياناتك التي تشاء أن تلصقها بي وتكذيبي يردّها الى دناءتك والى زبانية الجحيم أشباهك. فهي تنفجر بعيداً بدون أي ازعاج. لكن سيفي سيشق لك فوراً طريقاً الى الهاوية حيث لا بدّ من تحطيمك نهائياً. دوّي أيتها الأبواق.

(تصدح موسيقى الأنذار. يسقط ادموند صريعاً على الأرض).

البانى : لا تؤذه، لا تؤذِه.

كنريل (لادموند) : هذا فخ مكشوف، يا كلوسستر. فبموجب شرع السلاح، لم تكن مضطراً للردّ على عدوّ مجهول. أنت غير مقتنع بل مخدوع وضحية خيانة دنيئة.

البانى (يمدّ الرسالة التي سلمه اياها ادكار) : اغلقي فمك، يا سيدتي، وإلا سددته بهذه الورقة. خذ، يا سيدي. (يقدم الورقة لادموند، ثم يقول لكنريل التي تحاول عبثاً أن تنتزعها من يده) أنت أقبح من كل وصف مشين. إقرإي ما يظهر حقارتك البشعة. لا تنتزعيها يا سيدتي. يبدو لي انك تعرفينها.

كنريل : واذا عرفتها، فالقانون بجانبي لا جانبك. من يستطيع أن يدينني.

(تبتعد).

البانى : يا لك من ماكرة خبيثة. (لأدموند) هل تعرف هذه الورقة؟

ادموند : لا تسألني عمّا أعرفه جيداً.

البانى (يلفت نظر الضابط الى كنريل التي تخرج) : اتبعها، فقد استولى عليها اليأس، وحاول أن توقفها.

(يخرج الضابط).

ادموند : لقد بحت بما كنت أنت اتهمتني به وأكثر. فالوقت يكشف كل شيء. وهذا أصبح من الماضي، مثلي تماماً. لكن من أنت

حتى تكون متقدّما عليّ؟ لو كنت نبيلاً لسامحتك.

ادكار : بادلني إحساناً بإحسان، فأنا لست أشرف منك يا ادموند، ولو كنت أنا أدْهى منك، فان قبائحك بحقي هي أشنع. اسمي ادكار، وأنا ابن أبيك، والآلهة المنصفة تتخذ من رذائلنا المحبّبة أدوات لمعاقبتنا. فالنجاسة والقذارة التي كانت سبب إنجابك قد كلّفته فقدان بصره.

ادموند : صدقت، فالدولاب أكمل دورته، وها أنا ذا أمامك.

الباني (لادكار) : مظهرك يبدو كأنه ينبئ بنبل ملكي. دعني أعانقك. ولتسحق الهموم قلبي اذا اضمرت الحقد لك أو لأبيك.

ادكار : أنا أعرف إنك أمير كريم الأصل.

الباني : أين اختبأت؟ وكيف دريت بتعاسة أبيك؟ آه، يكاد قلبي يتفطّر كمداً. ولكي أنجو من اللعنة الخانقة التي كانت تلاحقني عن كثب، يا لسخرية الأقدار التي تجعلنا نفضل أكدار الموت في كل لحظة على الموت فوراً، كنت أتصوّر ذاتي بأسمالي البالية كبائس معدم، وكنت أخدع نفسي بمظاهر مقذعة يتقزز منها حتى أقذر الكلاب. وبهذه السحنة من التنكّر، قابلت أبي وفي أصابعي خواتم دامية قد فقدت أحجارها الكريمة. فأصبحت ذليلة، فوجّهته وتسوّلت لأجله وأنقذته من القنوط. ولم أعرّفه، يا للغلطة الفظيعة، لم أعرّفه أبداً بحقيقة شخصي. غير أنه من نصف ساعة، وهو مشهر سلاحه وغير واثق من النتيجة، مع انه يأمل بالنجاح، طلبت منه أن يباركني بعد أن رويت له زيارتي مرحلةً فمرحلة. لكن قلبي كان ضعيفاً جداً، يا للأسف، لا يتحمّل صدمة كهذه، وقد وجدت ذاتي محصوراً بين عاطفتين على طرفَيْ نقيض، بين البهجة والألم، فتحطّم قلبي رغم الابتسام المصطنع.

ادموند : كلامك هزّني هزًّا. فالأمل أن تكون عقباه خيراً. هيّا تابع حديثك اذ يبدو عليك ان لديك ما تقوله بعد.

الباني : إن كان هناك ما يزيد لوعتي، فاحتفظ به لنفسك. اذ أشعر بأني على وشك الانهيار من جرّاء ما سمعت.

ادكار : يخيّل اليّ ان الشقاء بلغ غايته في نفوس من يخشون العذاب. لكن زيادة التفجّع ضاعفت الألم الذي طفح كيله وتجاوز حدود كل أسى. بينما أنا أنفجر في البكاء، فاجأني رجل ورآني في أسوأ أحوالي، فنفر من صحبتي الكريهة. لكن، عندما عرف هذا المسكين الذي قاسى كثيراً، عانقني وضمّني الى صدره، وأطلق صيحات زعزعت أركان السماء، ثم انحنى على جسم والدي، وروى لي عن أبي وعني أنا، قصصاً تعيسة لم تسمع بها أذن. وفيما هو يتكلم، طغى عليه القنوط حتى كاد يخنق أنفاسي. واذا بالنفير يدق مرتين فتركته هناك مغمى عليه.

الباني : من كان ذاك الرجل؟

ادكار : كِنْت، يا مولاي، كِنْتْ المبعد، وقد تبع، وهو متنكر، مضطهده الملك، وقدّم له خدمات جّمة لا تصدر عن عبد أسير.

(يدخل أحد الوجهاء مستعجلاً وبيده سكين يقطر دماً).

الوجيه : النجدة، النجدة.

ادكار : ما نوع النجدة التي تحتاج اليها؟

الباني : تكلّم، يا رجل.

ادكار : ماذا يعني هذا السكين الدامي؟

الوجيه : لا يزال ساخناً يتصاعد البخار منه، وقد سُحب من قلب... آه! لقد ماتت

الباني : من التي ماتت؟ تكلّم يا رجل، تكلّم.

الوجيه : زوجتك، يا مولاي، زوجتك، بعد أن دسّت السمّ لأختها، كما اعترفت هي نفسها بذلك.

ادموند : كنت خطيب الأولى والثانية، وكنا على وشك الزواج في اللحظة ذاتها.

ادكار : ها هو ذا كنْتُ مقبل.

الباني : ان كانتا من الأحياء أو من الأموات، لا بدّ من جلب جثتيهما الى هنا. قرار السماء هذا يجعلنا نرتجف تهيّباً، لكنه لا يحرّك فينا أية شفقة. (يخرج الوجيه. يدخل كنت). هل حقاً هو؟ الظروف لا تساعد على الثناء الذي تفرضه اللياقة.

كنت : جئت أتمنى لمليكي وسيدي ليلة سعيدة. فهل هو هنا؟

الباني : ما هذا النسيان؟ تكلم يا ادموند. أين الملك؟ أين كرديليا؟ هل ترى، يا كنت، هذا المشهد الحزين؟

(يؤتى بجثتَيْ ريكان وكنريل).

كنت : وا أسفاه! لماذا حدث هذا؟

ادموند : مع ذلك كنت محبوباً، لأن الواحدة سممت الأخرى لشدّة ولهها بي، ثم انتحرت.

الباني : هذا صحيح. غطّوا وجهيهما.

ادموند : حياتي منهوكة... أريد أن أفعل قليلاً من الخير، رغم طبيعتي... أخبروا القصر سريعاً... بدون إمهال... لأن أوامري تعرّض للخطر حياة لير وكرديليا معاً. هيا، انقلوا الخبر عاجلاً.

الباني : أركض، هيا، اركض.

ادكار : الى أين يا مولاي؟ (لأدموند) من المكلف بهذه المهمة؟ أرسل أمراً مخالفاً.

ادموند : هذه فكرة صائبة. خذ سيفي، وسلّمه القائد.

الباني : عجّل، كما لو كان الأمر متعلقاً بحياتك.

(يخرج ادكار).

ادموند (لألباني) : لقد تلقّى من زوجتي ومني أنا أيضاً أمراً بشنق كرديليا في سجنها، على أن يدّعي إنتحارها بسبب يأسها.

ألباني : حَمَتك الآلهة. (يلفت أنظار الحراس الى ادموند). خذوه الى مسافة بعيدة.

(يأخذون ادموند).

(يدخل لير حاملاً كرديليا ميتة بين ذراعيه، يتبعه ادكار والضابط ورجال آخرون).

لير : نوحوا واندبوا. أنتم رجالٌ من حجر. لو كان لي صوتكم وعيونكم لكنت استخدمتها في تقويض السماوات. ها هي قد ذهبت الى الأبد. أنا أعلم متى يحيا الانسان ومتى يموت. فلقد ماتت كما ينكسر اناء الفخّار. أعرني مرآةً. فإذا غشّى نفسها صفحتها أو ذَهَب بلمعان زجاجها تكون حيّة.

كنت : هل هذه نهاية الدنيا المرتقبة؟

ادكار : بل صورة فظاعتها.

الباني : عليها أن تنهار اذاً وتغيب.

لير : أنظر، هذه الريشة تهتزّ. اذاً هي حيّة. وبما أن الأمر كذلك، ها هي فرصة سانحة للتعويض عن كل ما احتملته أنا من آلام حتى الآن

كنت (يخرّ على ركبتي الملك) : مولاي الكريم.

لير : أرجو منك أن تبتعد عني.

ادكار : هذا هو النبيل كنت صديقك الحميم.

لير : ليفتك البرص بكم جميعاً أيها القتلة الخونة. كنت قادراً على شفائها. لكنها الآن قد قضت نحبها وغابت الى الأبد. كرديليا، يا كرديليا، انتظري قليلاً. ماذا تقولين؟ صوتها لا يزال رقيقاً هادئاً منخفضاً، وهذه صفات ممتازة في المرأة الصالحة. لقد قتلت الشقي الذي خنقها.

الضابط : هذا صحيح، يا مولاي. لقد قتلها فعلاً.

لير : أليس كذلك، يا صاح؟ لقد مضى الزمان الذي كنت فيه أستطيع القضاء عليهم بسيفي. أصبحت الآن شيخاً، وكل هذه القضايا تنهك قواي. (لكنت) من أنت؟ عيناي لم تعودا تسعفاني. كنت مزمعاً أن أعلمك بذلك منذ هنيهة.

كنت : اذا كان في الدنيا رجلان، لا يمكن الحظ أن يدّعي أنه حالفهما أو خزلهما، فأحدهما يتأمل الآن الآخر.

لير : هذا مشهد كئيب. أولست أنت، يا كنت؟

كنت : أجل، كنت بالذات خادمك الأمين. أين غلامك كايوس؟

لير : أؤكد لك انه صبيّ طيب القلب، يعرف كيف يضرب وبشدة أيضاً. لكنه مات وأنْتَنَ

كنت : لا، يا مولاي الكريم. ذاك الرجل هو أنا.

لير : أريد أن أراك حالاً.

كنت : لقد تتبعت خطواتك المتعثّرة منذ ان قلب لك الدهر ظهر المجنّ.

لير : أهلاً بك في دياري.

كنت : لا ترحّب بي. فكل شيء قد انتكس وأصبح قاتماً مظلماً، وبنتاك الكبريان قد سبقتا قضاءهما، وماتتا يائستين.

لير : أعتقد بأن الأمر تمّ هكذا.

الباني : لم يعد يتبيّن ما يراه. وعبثاً نعرُض أشخاصنا لأنظاره.

ادكار : أجل بدون أية جدوى.

الضابط : مات ادموند، يا مولاي.

الباني : ما همَّ ذلك الابن. سادتي وأصدقائي الأجلاّء، هذه هي نوايانا. (يشير الى لير) لن نبخل بأية تعزية من شأنها أن تساعد على تبديد هذا الشقاء المرهق. نحن نريد، والشيخ الوقور على قيد الحياة، أن نردّ اليه سلطته المطلقة، كما كانت فيما مضى. (لادكار وكنت) وأنتما ستعود اليكما جميع حقوقكما وفوقها الكرامة التي يستحقها سلوككما المشرّف. وسيمنح كل الأصحاب جزاء فضيلتهم ويذوق كل الأعداء كأس تكفيرهم عن ذنوبهم. ألا أنظروا، أنظروا.

لير : هكذا خُنقت ابنتي المجنونة المسكينة. لا، لا، أنا لا أريد أن أحيا بعدها. لماذا يتمتع بالحياة أي كلب أو حصان أو جرذ، عندما لم تعد هي قادرة على التنفّس؟ أنتِ لن ترجعي أبداً

أبداً. أرجو منك أن تفكّ لي هذا الزرّ. شكراً، يا سيدي. هل ترى ما أمامك؟ أنظر الى هنا، أنظر... الى شفتيها، انظر، أنظر...

(يلفظ أنفاسه الأخيرة).

ادكار : لقد غاب عن الوعي. مولاي، يا مولاي.

كنت : ويح قلبي.

ادكار (ينحني على الملك) : افتح عينيك، يا مولاي.

كنت : لا تزعجوا روحه. دعوه يذهب بسلام. ان أبقاه أحد ليدور مع دولاب هذه الحياة يكون من مبغضيه.

ادكار : لقد رحل حقاً.

كنت : والعجيب أنه ظل طويلاً يتألم، وهو يختلس أنفاس الحياة اختلاساً.

الباني (يشير الى الجثث الأربع) : انقلوها من هنا. سيقتصر اهتمامنا الآن على الحداد العام. (لادكار وكنت) يا صديقاي الحميمان، كلاكما أحكما هذه المملكة وساندا الدولة المتداعية.

كنت : سيدي، عليّ أن أقوم قريباً برحلة. لأن معلمي يدعوني، ويجب علي أن لا أردّ طلبه.

الباني : علينا أن نتحمّل الآن هذا الحزن. وأن نعبّر عما نشعر به لا عمّا يتحتّم علينا أن نقول. فالأكثر تقدّماً في السن قد عانوا أكثر من سواهم. ونحن الشبان، لن نرى أبداً أموراً هكذا كثيرة، لأن علينا أن نعيش طويلاً لكي نشاهدها.

(يخرج الجميع على وقع موكب الحبارة).

(تمّت)

ترويلوس وكريسيدا

أشخاص المسرحية

بريام : ملك طروادة.

هكتور تَرْوِيْلوس باريس دايْفوبوس هيلينوس	أولاده.
إيني انتينور	رئيسان من طروادة.

كلْشاس : كاهن طروادي من جانب الاغريق.

بنْداروس : عم كريسيدا.

مكاريلون : ابن بريام غير الشرعي.

اكاممْنون : قائد الاغريق.

مينيلاس : شقيقه.

أخيل أجاكس أوليس	رؤساء من الاغريق

نسطور
ديوماد } رؤساء من الاغريق.
بترُوكل

ثرسيت : اغريقي مشوَّه وعربيد.
إسكندر : خادم كريسيدا.
مرافق ترويلوس.
مرافق باريس.
مرافق ديوماد.
هيلانة : زوجة مينيلاس.
أنْدروماك : زوجة هِكْتور.
كاسَنْدْرا : ابنة بريام، ونبيّة.
كِرِيسيدا : ابنة كلْشاس.

جنود وإغريق وطروادّيون وخدم.

تجري الأحداث تارة في طروادة وطوراً في مخيّم الاغريق.

تمهيد

(يدخل مقدِّم المسرحية مرتدياً درعه).

مقدّم المسرحية : تجري الأحداث في طروادة. أرسل الأمراء الغاضبون، وقد غلى دمهم النبيل في عروقهم، سفنهم ناقلةً الوزراء ومعدات الحرب المدمّرة، من جزر اليونان الى مرفأ آثينا، مع تسعة وستين قائداً يحملون الشعار الملكي، مقلعين من خليج آثينا الى منطقة فريجيا، بعد ان اقسموا اليمين على تدمير طروادة. في قلعة هذه المدينة الحصينة تنام هيلانة زوجة مينيلاس الى جانب باريس الماجن الذي اختطفها. ومن هنا انطلقت المشاحنات. وصل الاغريق الى تينيدوس حيث افرغت المراكب العميقة القعر شحناتها العدائية. وفي ميادين درْدانيا وسط سهول طروادة، توزعت فرق الجيش الاغريقي نشيطة وعلى أتمّ الاستعداد لخوض المعارك. اما الأبواب الستة المحيطة بمدينة بريام، وهي ابواب دردانيا وتمباليا وإلياس وشيتاس وطروادة ونتينُويا، المجهزة بمزالج ضخمة وأقفال متينة لحماية أبناء طروادة. في الوقت الحاضر، تداعب عوامل الثقة أذهان كلا الفريقين من طرواديين وإغريق، وتدفع الجميع الى اقتحام المجهول. أمّا انا مقدّم المسرحية، اذا جئت الى هنا مدجّجاً بالسلاح فليس للدفاع عن ريشة المؤلف أو

صوت الممثل، لكن لأقول لكم، أيها الحضور الكرام، وأنا بلباس يلائم هذا الموضوع، ان مسرحيتنا تقفز فوق منشأ الصراع ومراحله الأوّلية، كي أبدأ من صميم هذا الشجار، وأتوسّع بعدئذٍ في الشعاب التي قد تؤدّي الى المأساة. ولكم ان تمتدحوا أو أن تذمّوا الوقائع، إذْ يمكنكم أن تتصرفوا على هواكم. فالحرب، أكانت صالحة أو شريرة، لا بدّ من أن تأخذ مجراها، وتتوغّل في مجاهلها حسب سير المعارك والمفاجآت.

(يخرج).

الفصل الأول

المشهد الأول

أمام قصر بريام في طروادة

(يدخل ترويلوس مدججاً بالسلاح ثم بنداروس).

ترويلوس : استدعوا لي خادمي لينتزع عني اسلحتي. لماذا أمضي الى المحاربة خارج أسوار طروادة، وأنا ألاقي أشرس المعارك هنا في داخلها. ليذهب المواطن الطروادي الذي يسيطر على عواطفه، ويقاتل في ساحات الوغى، لأن قلب ترويلوس، يا للأسف، لم يعد ملك يديه.

بنداروس : أوليس من علاج لحالتك؟

ترويلوس : الاغريق أشدّاء ومهرة في استخدام قواهم، وهم فوق ذلك متشبّثون ببراعتهم، وبواسل في تشبّثهم. أما أنا فأضعف من دمعة المرأة، وأبلد من النعاس، وأحطّ من الجهل، وأقل جرأة من العذراء التي تلفّها عتمة الليل، وأقلّ خوفاً من الولد العديم الخبرة.

بنداروس : هيّا بنا. لقد قلت لك في هذا الصدد ما يكفي. وأنا لا أنوي أن أخوض في جميع التفاصيل. فمن يودّ أو يأكل الحلوى

المصنوعة من الدقيق، لا بد له من انتظار انتهاء الطحن.

ترويلوس : أوَلم أنتظره؟

بنداروس : اجل، انت انتظرت الطحين، لكن عليك أن تنتظر نخله أيضاً.

ترويلوس : قل لي، أوَلم انتظر هذا أيضاً؟

بنداروس : هذا من قبيل النخل. لكن عليك كذلك أن تنتظر إختمار العجين الضروري.

ترويلوس : لقد طال انتظاري.

بنداروس : نعم، انتظرت الاختمار. لكن الأمر لم يكتمل بعد. فهناك بعد تجهيز العجين، صنع الحلوى منه وتسخين الفرن ثم خبزها. وأخيراً عليك أن تدعها تبرد، وإلاّ تعرّضت لإحراق شفتيك ولسانك.

ترويلوس : ان إلهة الصبر، مهما سمت اخلاقها، ليست ليّنة العريكة لتزعن بسهولة. فعندما اكون جالساً الى مائدة الملك بريام، وتخطر الحسناء كريسيدا ببالي... ماذا اقول؟ يا للخيانة. متى كانت غائبة عن فكري ولو لحظة وجيزة؟

بنداروس : لقد بدت لي مساء الأمس أجمل مما كانت عليه في أي وقت مضى. أجل، احلى من كل امرأة سواها.

ترويلوس : ماذا كنت أريد أن أقول لك؟ عندما قارب فؤادي أن ينشطر تحت وطأة التنهّد الذي يوازي حدّ الفأس، خشيت أن يلاحظ عليّ هكتور أو والدي إمارات حبّي الساطع كلمعان نور الشمس حين تموّه أشعتها هبوب العاصفة، فحاولت أن أخفي تأوّهي بطرف ابتسامة تستر الحزن المختبئ خلف مباهج ظواهري التي لا يلبث مصيري أن يحوّلها بغتةً الى كآبة عميقة.

بنداروس : هوّن عليك، يا صاح. لو لم يكن شعرها أشد سواداً من شعر هيلانة، لما تسنّت لي المقارنة بين المرأتين. لكن، هل تعلم بأنها قريبتي، وأنا لا أحب، كما يقال، أن أشيد بمحاسنها. لكني كنت أودّ أن يسمعها شخص ما تتحدث البارحة كما

سمعتها أنا بأذني. إذْ إنّي لا أريد أن أقلّل من نباهة أختك كاسَنْدرا. لكن...

ترويلوس : آه منك، يا بنداروس. انا اسألك ذلك. عندما اقول لك ان آمالي غارقة في هذه اللجة، لا تحدّد لي الى أي عمق هي غائصة. وعندما اصرّح لك باني مجنون بحب كريسيدا، تؤكد لي انت انها جميلة. ولا تدري انك تضع ملحاً على جراح قلبي اذ تذكرني بعينيها وشعرها وخديها، ووقعِ اقدامها وصوتها الرخيم. وبكلماتك تصوّر لي يدها التي لا تُقارن ببياض أية يد غيرها تبدو لي قاتمة كالحبر الأسود الذي يصلح للكتابة عن تفوّقها على كل امرأة سواها بنعومة اناملها التي لا سبيل لريش الأوْز أن يضاهيها بياضاً، ولا لأي شعور غير أحاسيسها ان تظهر خشنة اذا ما قيست بها. وأنت تشاء أن تقول لي، في هذا المجال، اني بعين الصواب أنطق، عندما أصرّح لك باني أهيم بهواها. وحين تؤكد لي ذلك، فبدل الزيت والبلسم الذي تودّ أن تسكبه على جراحي، اراك تغرز فيها حدّ السكين الذي حفر على صفحات قلبي رسمها الى الأبد.

بنداروس : انا لا أقول إلّا الحقيقة المجرّدة.

ترويلوس : لكنك لا تصرّح بها كاملةً.

بنداروس : اعدك بأن لا أتدخّل في هذا الأمر. لتكن كما هي. واذا تبيّن انها جميلة، فذلك أفضل. وإن لم تكن حسناء، فلديها كل المحسّنات في متناول يدها.

ترويلوس : أخذت علماً بذلك، يا بنداروس

بنداروس : وصلني حقي من قبل الجميع. انت تسيء الحكْم عليّ، وهي مثلك غير راضية عني. وهكذا لا ينوبني سوى ذمّ تدخلي في هذا الشأن.

ترويلوس : لماذا أنت حانق علي، يا بنداروس؟ هل يسعك أن تنفر مني؟

بنداروس : لأنها قريبتي، لا سبيل لها لأن تضاهي هيلانة بالجمال. ولو

لم تكن قريبتي، لا بد من الاقرار حينذاك بأنها حسناء يوم الجمعة نظير هيلانة الجميلة يوم الأحد. ولكن، لماذا اهتمّ بهذه القضية، وكلتاهما عندي سواء.

ترويلوس : هل قلت أنا انها غير جميلة؟

بنداروس : لا أبالي إن اعتبرتها كذلك أو لا. ثم ان بقائي هنا بعيداً عن أبي لهو ضرب من الجنون. فلتذهب للقاء الاغريق. وسأحرّضها على ذلك حين اراها في المرة القادمة. انا مصمم على ابتعادي نهائيًا عن هذه المسألة.

ترويلوس : ما هذا الكلام، يا بنداروس

بنداروس : اجل، قراري لا رجوع عنه بتاتاً.

ترويلوس : لكن، يا صديقي العزيز بنداروس...

بنداروس : ارجوك أن لا تفاتحني مطلقاً بهذه القصة بعد الآن. لأني نويت أن اترك الوضع على ما هو. إنتهى الأمر.

(يبتعد بنداروس وتسمع موسيقى الانذار).

ترويلوس : اصمت أيها الانذار المقلق، واصمتي أيتها الأصوات المزعجة، فكلاكما ساذجان أحمقان. لا بد لهيلانة من أن تكون جميلة. لأنك تتصورها هكذا كل يوم في هواجسك وتخيّلاتك. بينما انا يسعني ان افعل مثلك. اذ إن هذه القضية تافهة جداً بالنسبة الى طموحات سيفي. لكن، يا بنداروس... آه، أيتها الآلة، لماذا تجورين عليّ؟ لماذا لا أتمكّن من الوصول الى كريسيدا إلاّ بواسطة بنداروس؟ ولكي يرضى بإقناعها، اراه صعب المراس نظيرها هي المتمنّعة. فرغم كل محاولاتي لاستمالتها، أجدها متشبّثة بعفتها. بحقّ حبيبتك الآلهة « دفني » قل لي، يا ابولون، ما هي ميول كريسيدا، وما هو موقف بنداروس تماماً، وما هو نصيبي في هذه المشكلة المعقّدة؟ انا أعرف ان مرتع وجودها هو الهند. وانها هناك ترتاح كاللؤلؤة في صدفتها. وبين مقرها

في قصر بريام والمكان الذي تمكث الآن فيه يموج بحر هائج. فأنا كالتاجر الرحّالة، والشراع الفعّال بنداروس هو أملي المتأرجح البعيد التحقيق، وهو في الواقع، مركبي الأمين والوسيلة السليمة التي أتنقّل بها في آن واحد.

(تسمع موسيقى الانذار).

(يدخل ايني)

ايني : اراك هنا، أيها الأمير ترويلوس. فلماذا لم تلتحق بميدان المعركة؟

ترويلوس : لسبب ما... ان جوابي هذا الذي يصدر عادة عن المرأة في مثل هذه المناسبة، هو عمليًّا سلوك النساء، لأني لست الآن هناك. فما هي، يا ايني، أنباء ساحة الحرب في هذا النهار، يا ترى؟

ايني : لقد رجع باريس جريحاً.

ترويلوس : ومن الذي اصابه، يا ايني؟

ايني : مينيلاس، يا ترويلوس.

ترويلوس : على باريس أن يأسف لنزيف دمه. فجرحه ليس إلّا مدعاة للضحك. أجل، قرن مينيلاس قد خدّش جسم باريس، عندما هاجمه بضراوة.

(تسمع موسيقى الانذار ثانية).

ايني : أصغِ جيداً. لا بد من أن تكون اليوم حفلة الصيد شيّقة خارج اسوار المدينة.

ترويلوس : وستكون اروع في داخلها، لو اقترنت الارادة بالمقدرة. هل يتحتّم عليك أن تخرج في هذا النهار؟

ايني : اجل، وبأسرع ما يمكن.

ترويلوس : هيا بنا اذاً نمضي معاً.

(يخرجان).

المشهد الثاني

عند اسوار طروادة

(تدخل كريسيدا ويتبعها اسكندر).

كريسيدا : أتعرف من صادفْنا منذ لحظة؟

اسكندر : الملكة هيكوب وهيلانة.

كريسيدا : وأين هما ذاهبتان؟

اسكندر : الى برج الشرق المُشْرف من عليائه على الوادي بأكمله. وهما ذاهبتان لتشاهدا سير المعركة. لأن هكتور الذي لا يتزعزع صبره نظير فضيلته، بدا اليوم مضطرباً. وقد وبّخ اندروماك وضرب سائس جواده. ثم بعد أن أبدى اهتمامه، كسيدة البيت قبل بزوغ الشمس، بما يتعلّق بالمعركة، وتقلّد اسلحته الخفيفة، إتّجه الى السهل حيث تبكي سلفاً جميع الزهور المكسوّة بوهج النبوءة كنتيجة غضبه المريع.

كريسيدا : وما هي دواعي غضبه هذا؟

اسكندر : الإشاعة السارية الآن تقول : إن بين الاغريق مولى يجري في عروقه دم طروادي هو ابن شقيق هكتور المدعو اجاكس.

كريسيدا : وما معنى ذلك؟

اسكندر : يقال انه رجل فذّ يعرف تماماً كيف يتصرّف.

كريسيدا : نظير سائر الرجال الذين لا ينتمون الى فئات السكارى ولا المرضى ولا المشلولين.

اسكندر : هذا الرجل، يا سيدتي، إستعار من حيوانات عديدة صفات فارقة : فهو شجاع كالأسد، وخشن كالدب، وبطيء كالسلحفاة. هو رجل وسمته الطبيعة بكثيراً من المزاجات، وجعلت مزاياه مختلطة بالجنون وجنونه ممزوجاً بالحكمة. وليس من فضيلة لم تنعكس على شخصه، ولا من رذيلة لم يصبه رذاذها. تراه يحزن بدون

سبب ويفرح لأقلّ داعٍ. وهو فوق كل ذلك كثير الحركة، وجميع مساعيه تبرزه كأخطبوط خبيث مجهّز بمئة ذراع لا يستعملها أو كسِيكْلوب خفيف النظر له مئة عين لا تبصر النور.

كريسيدا : لا أفهم كيف يسترعي الانتباه رجل فريد مثله، يرسم الابتسام على شفتيّ ويستطيع أن يثير غضب هكتور.

اسكندر : يقال انه امسك البارحة بهكتور اثناء المعركة وصرعه أرضاً. فدفع هذا الإذلال بهكتور الى الامتناع عن الأكل والنوم.

(يدخل بنداروس).

كريسيدا : من القادم، يا ترى؟

اسكندر : عمك بنداروس، يا سيدتي.

كريسيدا : هكتور رجل ظريف.

اسكندر : نظير أي كان، يا سيدتي.

بنداروس : ماذا تقول؟

كريسيدا : نهارك سعيد، يا عمي بنداروس.

بنداروس : نهارك سعيد، يا ابنة اخي. بماذا كنتما تتحدثان؟ نهارك سعيد، يا اسكندر. كيف حالك؟ متى ذهبت الى ايلْيون؟

كريسيدا : هذا الصباح، يا عماه.

بنداروس : بماذا كنتما تتحدثان عندما جئت الى هنا. هل تقلّد هكتور اسلحته ومضى، قبل ذهابك الى ايليون؟ ولم تكن هيلانة قد نهضت من النوم، أليس كذلك؟

كريسيدا : أجل ذهب هكتور، وهيلانة لم تكن قد استيقظت.

بنداروس : نعم، مضى هكتور باكراً جداً.

كريسيدا : هذا كان موضوع حديثنا، وتطرّقنا الى أسباب غضبه.

بنداروس : هل كان حقاً غاضباً؟

كريسيدا (تشير الى اسكندر) : هو يقول انه غاضب.

بنداروس : هذا صحيح. وأنا أعلم لماذا. لأنه مزمع أن يجندل بعض المقاتلين

اليوم. وسأنبّههم الى ذلك. ثم أعرف ان ترويلوس سيتبعه عن كثب. وسألفت انتباههم الى هذا أيضاً.

كريسيدا : ماذا تقول؟ هل كان هو أيضاً غاضباً؟

بنداروس : من ترويلوس؟ ان هذا الأخير اشجع الاثنين.

كريسيدا : بحق الاله المشتري... لا سبيل الى المقارنة بينهما.

بنداروس : طبعاً، لا. شتّان بين ترويلوس وهكتور. هل يتسنّى لك أن تدري من هو الرجل حين يقع عليه نظرك؟

كريسيدا : نعم، اذا كنت قد شاهدته قبلاً وعرفته.

بنداروس : اذاً، أقول ان ترويلوس هو ترويلوس.

كريسيدا : انت تؤكد ما قلته في هذه اللحظة، وأنا واثقة بأنه ليس هكتور.

بنداروس : كلا، هو ليس هكتور، ولا ترويلوس، على كل حال.

كريسيدا : نستطيع أن نستنتج ان كلاً منهما يمتاز بشخصيته الخاصة.

بنداروس : بشخصيته. وا اسفاه. مسكين ترويلوس. كم أودّ أن يكون الآن كما عرفناه.

كريسيدا : أجل، هو هو، لم يتغيّر.

بنداروس : سأذهب الى الهند حافي القدمين، اذا كان على ما عهدناه.

كريسيدا : لا، ليس هكتور بتاتاً.

بنداروس : بعينه، لا. ليس هو شخصياً... أتمنى أن يكون هو. وكما ان الآلهة تتربع على عروشها في السماء، لا بد للوقت من أن يشفي الجراح أو يزيل الأشخاص. صبراً، يا ترويلوس. كم أتمنّى أن يكون فؤادي مكان قلب كريسيدا. لا، لا. ان هكتور لا يوازي ترويلوس أبداً.

كريسيدا : لا أظن.

بنداروس : هو أكبر سناً.

كريسيدا : لا أعتقد، لا أعتقد.

بنداروس : ذاك لم يبلغ بعد سنّ هذا. وستطّلعون على أخباره عندما يبلغ

عمره الحقيقي. وليس في هذا العام يماثل هكتور بالذهن مستوى ترويلوس.

كريسيدا : لا حاجة به الى ذلك، اذا كان يمتاز بذهنيته الفريدة.

بنداروس : ولا يملك صفات منافسه.

كريسيدا : هذا ليس هامًّا.

بنداروس : ولا يعادله وسامةً.

كريسيدا : وهي لا تليق بشخصه، لأنك انت تناسبها أكثر منه.

بنداروس : أرى ان حكمك في غير محله، يا ابنة اخي. هيلانة ذاتها اقسمت، في ذلك اليوم، ان ترويلوس اسمرَ وأن اسمراره لا يعيبه...

كريسيدا : كلا. إن لإسمراره هيبةً محبّبةً.

بنداروس : في الحقيقة هو اسمر، واسمراره مقبول.

كريسيدا : وفي الواقع، هذا صحيح.

بنداروس : بالاختصار، كانت تفضل اسمراره على اسمرار باريس.

كريسيدا : مع ان لباريس لونه ورونقه المميّز.

بنداروس : بالتأكيد.

كريسيدا : اذاً، حصّة ترويلوس في هذا المجال أوفر مما يلزمه. واذا فضّلته انا على باريس، فلأن ملامحه أزهى. ان لباريس طلعة مشرقة. واذا كان اسمراره زائد، فذلك يحلّيه، ويزيده رونقاً. ومن حسن حظّه ان لسان هيلانة المعسول قد أشاد بلون انف ترويلوس النحاسي.

بنداروس : أقسم لك ان هيلانة تميل الى ترويلوس أكثر من باريس.

كريسيدا : لا بدّ لهذه الاغريقية من أن تكون مرحة للغاية.

بنداروس : أجل، وأنا على يقين بأنها تهواه. ذات يوم، جاءت اليه وقابلته من خلال النافذة. هل تعلمين ان لحيته لا تحوي سوى ثلاث أو أربع شعرات فقط؟

كريسيدا : فعلاً. وبهذه المناسبة، يتسنى لغلام الحانة أن يحسبها بكل سهولة.

بنداروس : صحيح، انه فتى. لكنه يستطيع أن يحمل اثقالاً يعادل وزنها ما يحمله أخوه هكتور أو ينقص عنه ثلاثة كيلوغرامات فقط لا غير.

كريسيدا : هل من الممكن أن يحمل شاب في عمره المبكّر مثل هذا الوزن. ثم لا ننسَ انه ماهر في استمالة الناس اليه.

بنداروس : ولكي اثبت لك ان هيلانة تعشق ترويلوس، اعلن لك انها ذهبت اليه مؤخراً ومدّت يدها البيضاء من خلال شقّ في ثوبه يقع تحت ذقنه.

كريسيدا : لتلْطُف بنا الإلهة جينون. لكن كيف أحدث هذا الشق تحت ذقنه؟

بنداروس : الأمر بسيط. أنتم تعرفون جيداً انّ له غمّازة في ذقنه. وأعتقد بأن في جميع ارجاء فريجيا لا يوجد رجل واحد يتّصف بابتسامة أحلى من بَسْمته.

كريسيدا : لا يُنكر انه يمتاز بابتسامة تأسر القلوب.

بنداروس : أليس كذلك؟

كريسيدا : أجل، نظير حمامة بيضاء أثناء فصل الخريف.

بنداروس : بالطبع. لكن أين البرهان على أن هيلانة تهوى ترويلوس؟

كريسيدا : أمّا البرهان، فأعتقد بأن على ترويلوس نفسه أن يبرزه.

بنداروس : بلى، على ترويلوس الذي لا يقدّر هذا الأمر أكثر من تقديره بيضة الزرزور.

كريسيدا : اذا كنتم تحبون بيض الزرازير كما تستحسنون بعض الأدمغة الفارغة، أمكنكم أن تأكلوا بسهولة صيصانها وهي لا تزال داخل القشرة.

بنداروس : لا يسعني أن أتمالك عن الضحك وأنا أفكّر بأنها كانت تدغدغ ذقنه. في الحقيقة، لها يد بيضاء عجيبة، وأنا مضطر للاعتراف بهذه الميزة.

كريسيدا : اراك غير فخور بهذا التصريح.

بنداروس : وفجاةً، ادّعت انها اكتشفت في ذقنه شعرة بيضاء.

كريسيدا : يا للأسف. مسكينة هي الذقون التي تشابه ذقنه، لأنها غير مزوّدة بشعرات أوفر عدداً مما ذُكر.

بنداروس : اذاً، يتّسع المجال هنا لبعض النكات. والملكة هيكوب كانت تقهقه بشكل جعل عينيها تغرقان في محجَريْها.

كريسيدا : نعم، كأنهما كوّتان شاغرتان.

بنداروس : وكذلك كانت كاسندرا تضحك.

كريسيدا : غير ان هناك ظلاًّ متواضعاً تحت محجَريْ عينيها. فهل كان ناظراها يغرقان أيضاً فيهما؟

بنداروس : وهكتور كان يضحك.

كريسيدا : ما سبب كل هذا الضحك؟

بنداروس : طبعاً، الشعرة البيضاء التي اكتشفتها هيلانة تحت ذقن ترويلوس.

كريسيدا : ولو كانت الشعرة خضراء، لضحكتُ أنا كذلك.

بنداروس : لم يضحكوا الى هذا الحد بسبب الشعرة، بقدر ما أضحكهم ردّ ترويلوس.

كريسيدا : وما كان جوابه؟

بنداروس : لقد قالت له هيلانة « ليس في لحيتك سوى احدى وخمسين شعرة بينها واحدة بيضاء ».

كريسيدا : أهذه هي القصة بتمامها؟

بنداروس : نعم. اسألك أن لا تجعلي من الحبّة قُبّة. لقد قالت : « إحدى وخمسين شعرة، بينها واحدة بيضاء ». فالشعرة البيضاء هي والدي، وباقي الشعرات هي ابناؤه ». ثم أضافت : « أيها الاله المشتري، بيّن لي، أية هذه الشعرات هي زوجي باريس؟ » فأجابها : « الشعرة ذات القرنين فاقتلعيها وناوليه اياها ». اذ ذاك تعالى رنين الضحكات، واحمرت وجنتا هيلانة، وغضب باريس الى درجة جعلت الجميع يقهقهون عالياً بشكل لا يوصف.

كريسيدا : هيّا، دعوا هذا الموضوع جانباً، ولا تتحدّثوا فيه بعد الآن مطلقاً.

بنداروس : ما هذا الكلام، يا ابنة أخي؟ بالأمس فاتحتك بأمر يهمّني، فهلاّ فكّرتِ به؟
كريسيدا : هذا ما نويت فعله.
بنداروس : اقسم لك أن ذلك صحيح. انه يبكيك كأنه مولود في شهر نيسان.
كريسيدا : ستجعلني دموعه أنمو كنبتة القرّاص قبل شهر أيار.

(تسمع موسيقى الانسحاب).

بنداروس : أصغوا... ها هم عائدون من ساحة القتال. فما رأيكم بالبقاء هنا لنشاهدهم يمرّون، ثم نعود الى ايلْيون؟ ابقَيْ هنا، يا ابنة اخي العزيزة الطيّبة القلب كريسيدا.
كريسيدا : كما تشاء، يا عمّاه.
بنداروس : ها هوذا موقع ممتاز. فمن هنا يتسنّى لنا أن نرى جيداً. وسأعدّد لك اسماءهم جميعاً كلما مرّ منهم واحد. لكن، عليك أن تلاحظي ترويلوس بنوع خاص.
كريسيدا : لا تتكلّم هكذا بصوت مرتفع.
بنداروس : ها هوذا ابني. أوليس رجلاً رائعاً؟ أؤكد لك انه زهرة نضرة من طروادة. ثم لاحظي ترويلوس الذي سنشاهده بعد لحظة.

(يمرّ أنتينور).

كريسيدا : من هو هذا؟
بنداروس : هو انتينور المَوْتور. غير انه رجل باسل وصاحب أثبت حِكَم في طروادة. وهو ذو شخصية... متى يأتي ترويلوس؟ سأدلّك عليه حالما يحضر، لأنه عندما يشاهدني سيومئ لي بلباقة.
كريسيدا : ماذا تقول؟ سيومئ لك بلباقة؟
بنداروس : سترين بعينك.
كريسيدا : أهو هذا كريم؟

(يمرّ هكتور).

بنداروس : هذا هو هكتور. ها هوذا. انه رجل قوي البنية. أكملْ طريقك، يا هكتور. ما أشجعه من بطل. انظري اليه، كم هو ممتلئٌ صحةً وعافيةً، وكم هو انيق الهندام فوق ذلك. أوَليس رجلاً رائعاً حقا؟

كريسيدا : أجل، هو رائع.

بنداروس : أليس كذلك؟ انه قريب الى القلب. انظري الى الشروخ في خوذته، أترينها؟ ها هي هنا. انظري اليها. هذا ليس مزاحاً. أنا اقول الحقيقة. ربما أمكن أيًّا كان أن تكون من نصيبه. وكما يقال : هي شروخ تستدعي الإعجاب.

كريسيدا : هل سببتْها ضربات سيف؟

بنداروس : ضربات سيف أو أي مصدر آخر، هو لا يهتم للمسألة. ولو هاجمه الشيطان يظل غير مبالٍ. بحق الآلهة، هذا يثلج الصدر ويملأه سروراً. (يمر باريس). ها هوذا باريس آتٍ. انظري الى تلك الجهة، يا ابنة اخي. أوليس رجلاً رائعاً؟ قولي لي، أليس رائعاً حقاً؟ بلى، انه في غاية الروعة. من الذي قال انه عاد اليوم وهو جريح. انه لم يُصب أبداً بأي جرح. في الواقع، هذا يفرح قلب هيلانة. آه، لو تسنى لي أن أرى الآن ترويلوس. أجل، ستشاهدينه بعد لحظة.

(يمرّ هيلينوس).

كريسيدا : من هو هذا؟

بنداروس : هو هيلينوس. لكنني اتساءل أين ترويلوس؟ نعم هذا هيلينوس. أعتقد أنه لم يخرج اليوم. بلى، بلى، هذا هو هيلينوس.

كريسيدا : هل يتقن هيلينوس فنون القتال، يا عماه؟

بنداروس : هيلينوس؟ كلا. نعم، نعم. هو يقاتل بطريقة عادية. اني اتساءل حقاً اين ترويلوس؟ اصغي جيداً، الا تسمعين الشعبِ يصرخ : « ترويلوس » أمّا هيلينوس فهو كاهن.

(يمرّ ترويلوس).

كريسيدا : أرجوك أن تصمت من قبيل الحياء.

بنداروس : لاحظيه، راقبيه. حقاً، ان ترويلوس عظيم. انظري اليه، يا ابنة اخي. شاهدي سيفه كيف يلطّخه الدّم، وانظري الى خوذته المشوّهة أكثر من خوذة هكتور. ما أبهى طلعته، وما أرشق مشيته. ما انضر شبابه وهو لم يناهز بعد ربيعه الثالث والعشرين. أكمل طريقك، يا ترويلوس، اكمل طريقك الى المجد. لو كانت شقيقتي نعمةً، او ابنتي إلهةً، لكنت سهّلتُ لك أن تختاري إحداهما. يا له من رجل رائع. بينما باريس هو حثالة بالنسبة اليه. أؤكد لك ان هيلانة ستغيّر رأيها، وستجود بالمال الوافر في هذا السبيل.

(يحتاز بعض الجنود خشبة المسرح).

كريسيدا : ها هم جنود آخرون يمرّون.

بنداروس : بُلَهاء ومجانين وصعاليك، تبْن ونخالة، نخالة وتبْن. هو لا يغيب عن نظري. لا تتطلّعي بعد الآن أبداً. فقد مرت النسور وكذلك الغربان والبُوَم، والبُوَم والغربان. أنا أفضّل ترويلوس على اكاممنون وجميع طغمات الاغريق.

كريسيدا : بين الاغريق، لا ننْسَ أخيل الذي يَفْضُل حتماً ترويلوس.

بنداروس : اخيل سائق العربة والحمّال الذي يشابه الجمل؟

كريسيدا : ما هذا الكلام؟

بنداروس : هذا كلام واقعي. أولا تمتلكين ذرّة من التمييز لتحكمي بالصواب؟ أوليست لك عينان لتبصري؟ أوتدرين ما هو الرجل والنَسَب والجمال والطلعة البهية والبلاغة والبسالة والعلم واللطف والفضيلة والشباب والحرية وغيرها من الصفات المماثلة؟ أوليست هذه كلها مزايا يتحلّى بها الرجل الرجل؟

كريسيدا : أجل، ان الرجل المنتمي الى فئة معيّنة لا يحتاج الى حافز يُبرز مؤهلاته، لأنه متفوّق في كل زمان ومكان.

بنداروس : انت امرأة غريبة الأطوار، لا أدري كيف أفنّد اعتراضاتك.

كريسيدا : انا أتلقّى الصعاب بظهري كي أحمي بطني، وأردّها بحضورِ ذهني لأدافع عن كرامتي، وأحفظها في سرّي لأصون شرفي، وأخفيها وراء قناعي لأحتفظ بجمالي. وأخيراً أتوسّل غيرتك على مصلحتي لاتقاء شرّ المشاكل. هذا هو الأسلوب الذي الجأ اليه لردّ الكيد عني، ولديّ ألْف وسيلة أخرى لوقاية نفسي.

بنداروس : اذكري لي واحدة منها.

كريسيدا : ليست مستعدة للادلاء بأي تصريح. وهذا خير ضمانة لحمايتي. فاذا كنت عاجزة عن وقاية شؤوني مما لا اريد أن يحلّ بي، فعلى الأقل استطيع أن أمتنع عن البوح بأني تلقّيت ضربة ما، إلّا اذا أحدثتْ ورماً لا سبيل الى ستْره عن العيون. حينئذٍ لا يبقى أمامي من ضرورة لاتّخاذ أية حيطة.

بنداروس : انت حقاً غريبة الأطوار.

(يدخل مرافق ترويلوس).

المرافق : يا سيدي، مولاي يريد أن يكلّمك فوراً.

بنداروس : أين هو؟

المرافق : في منزلك بالذات، حيث يخلع عنه اسلحته.

بنداروس : أيها الشاب اللطيف، قل له اني أوافيه حالاً. (يخرج المرافق). أخشى أن يكون مجروحاً... أراك بخير، يا ابنة اخي العزيزة.

كريسيدا : الوداع، الوداع، يا عماه.

بنداروس : سأعود اليك بعد برهة وجيزة، يا ابنة اخي.

كريسيدا : وبماذا ستأتِني، يا عمّاه؟

بنداروس : بعلامة حب من قبل ترويلوس.

(يخرج).

كريسيدا : وبهذه العلامة، تصبح شريكه. فالكلام والايمان والشكوى والدمع، جميعها تضحيات الحب الذي يقدمها في سبيل غيره. إلاّ أني ارى في ترويلوس أكثر الف مرّة مما أبصره في مديحك، يا بنداروس. مع ذلك أقاومه. فالنساء كلّهن ملائكة ما دام الثناء ينهال عليهن. وعندما يستميلهن عاشق يفقدن كل الفضائل، لأن تمتعهن بالملذات يقضي في أعماقهن على روح البهجة ومن يجهل ان المرأة المحبوبة لا تعرف ذلك؟ فالرجال يستسيغون أكثر كل ما لا يحصلون عليه لأن كل ممنوع مرغوب. وليس من امرأة استعذبت الحب المرتوي أكثر من الشهوة المكبوتة الملتمسة؟ وأنا في سبيل الحب أردّد القول الحكيم التالي : « الامتلاك يخلق السيد المهيمن، والامتناع يبتدع المحروم المتوسّل ». ولذلك، مهما كان فؤادي مفعماً حباً حقيقياً، لن تبوح عيناي بأي شعورٍ يختلّج في أعماقي.

(يخرج).

المشهد الثالث

في معسكر الاغريق امام خيمة اكاممنون

(تصدح الموسيقى. يدخل اكاممنون ونسطور وأوليس ومينيلاس ثم رؤساء آخرون)

اكاممنون : أيها الأمراء، ماذا رسم الشحوب على وجناتكم؟ في كل المرامي التي نهدف اليها على هذه الأرض، لا سبيل لأمل أن يحقّق جميع التوقعات التي تتضمّنها الوعود الصادقة. فالعقبات والكوارث تلتقي على دروب الأعمال الأكثر نبلاً. نظير هذه العقد التي تنجم عن الاصطدام في مجاري النسغ وهو يشوّه الصنوبرة القوية

ويُمزّق الألياف المَوْتورة الحائدة عن اتجاهها الصحيح. وليس من أمر غريب أبداً في نظرنا عن الأمراء أن تخيب افتراضاتنا، وان نرى بعد حصار دام سبعة أعوام، ان أسوار طروادة لا تزال قائمة منيعة في وجهنا. فجميع انجازاتنا السابقة التي لا تزال نتذكّرها، طرأ عليها أثناء التنفيذ، فروقات واختلافات بالنسبة الى التصاميم والأشكال المثالية التي منحها إياها الفكر ضمن إطار الامكانيات. فلماذا، أيها الأمراء، تنظرون الى سعينا بمثل هذه النظرة الحائرة؟ أتعتبرون عاراً هذه المهلات التي ليست في الحقيقة سوى اختبارات قام بها الإله المشتري العظيم ليكتشف في الناس روح الثبات الحقيقي. ان نقاوة هذا المعدن، لا سبيل الى صوْنها وسط امتيازات الثروة، حيث يصبح الشجاع جباناً، والعاقل مجنوناً، والفنّان جاهلاً، ويمسي القوي والضعيف من طينة واحدة تتّصف بالنقاء والصفاء. لكن، علينا أن لا ننسى أثناء هبوب عاصفة الحظ المشؤوم، ان آلات التكرير المجهّزة بمناخل واسعة فعّالة ستُخضع تراب المعادن لعمليّة تنقيته من الشوائب الغريبة الغثّة والخفيفة الوزن. وهذا ينطبق على كل مادة ثقيلة ثمينة تبقى وحدها، في خاتمة المطاف، بكل غنى قيمتها، خاليةً من كل عيب.

نسطور : مع ابداء كل احترامي نحو مقامك السامي، اسمح لي انا نسطور، يا اكاممنون العظيم، بأن أفنّد آخر كلماتك. فالرجل لا يشعر بمصابه إلّا عندما يجور عليه حظه العاثر. فما دام البحر هادئاً تجرؤ المراكب الهزيلة على ركوب سطحه الأمين والسفر الى جميع الجهات. لكن، ان هاجت أمواجه، لا يتغلّب على جبال لجّته العاتية إلا أمتن السفن لتشق طريقها وسط عناصره المتمرّدة نظير جواد الاله برسيه. فأين المركب الجسور النحيل البنية المخلخل الجوانب، ليتحدّى جبروت امواجه المتلاطمة. إنه إمّا يختبئ في ركن من المرفأ أو تتقاذفه سواعد الإله نبتون كالكرة

المتطايرة مثل ريشة في مهب الرياح. هكذا تُبرز عواصف التجربة كل اصالة حقيقية. وحين تسطع اشعة الشمس، يضطرب القطيع أمام الذبابة أكثر مما تروّعه شراسة النمر. لكن، اذا هبّت الزوابع وهزّت جذوع البلوط المتشابكة، وساقت أمامها رفوف الذباب، عندئذ ينسجم الكائن الشجاع وحظه العاثر في وجه عنف العاصفة، ويتجاوب معها على صعيد واحد رفيع المستوى.

اوليس : أيها الملك أكاممنون، قائدنا العظيم، أنت عصب عنفوان الاغريق وسندهم، انت قلب جحافلنا وروحها الأوحد، ليس من بطل غيرك يقوى على استقطاب تفكير الجميع ومزاجهم. اسمع ما يقوله أوليس، وأنا أصفّق إعجاباً وأهتف مؤيداً شخصيكما معاً (يلتفت الى اكاممنون). بل لك أيها العظيم الشأن، العالي المقام والفريد الجبروت. (يلتفت الى نسطور). ولك أيضاً، أيها الوقور بعمرك المديد. لا بدّ لخطابك البليغ، يا اكاممنون الظافر، من أن يُحفَر على صفحات النحاس الأصفر، ولحكمتك كذلك، يا نسطور الجليل، من أن توضع ضمن اطار من الفضة، ويرتبطان فيما بينهما بوثاق متين كالمحور الذي تدور عليه العجلات، وتجتذبان اليهما آذان الاغريق عن طريق لغتكما الخالصة الأمينة... فتنازلا، أنت أيها العظيم، وأنت أيها الحكيم، وتكرّما بالإنصات إليّ، أنا أوليس.

اكاممنون : تكلم يا أمير إيتاك، فنحن لا نكترث بعبارات سطحية لا جوهر لها، أكثر ممّا نترقّبه. حين يفتح ترسيت السمج شدقيه ويتبجّح أثناء صدْح الموسيقى أو سماع توجيهات الآلهة.

أوليس : كان على طروادة التي لا تزال أسوارها منتصبة أن تصبح خراباً بلقعاً، وسيف هكتور الكبير أن يمسي يتيماً بمقتل صاحبه منذ زمن بعيد، لولا الأخطاء التي سأبينها لكم. اذ ان قواعد النظام قد أهملت. ثم بقدر كثرة أعداد لا يستهان بها خيّم الإغريق المنتشرون في كافة انحاء هذا السهل، وتزايدت زُمرهم المختلفة

فعندما لا يكون مقرّ القيادة العامة مثل قفير النحل الذي يتحتّم على سائر مجموعات تموينه أن تتقاطر وتتكاتف في سعيها، أي عسل ينتظر جنيه؟ وعندما يكون تسلسل القيّمين على السلطة متهاوناً متوانياً، فان أحطّ الخنوعين المتستّرين خلف قناع الاخلاص يتساوون وأنبل المتفانين في الخدمة والعمل الدؤوب. ثم ان السماء ذاتها والكواكب وكُرَتنا الأرضية واسطة العقد، تكون برمّتها مستسلمة الى أحوال الدرجات المتفاوتة والأولويات الضرورية والرتب والقواعد والإدارات والنِسَب والفصول وأشكال الاختصاصات والعادات المصانة بترتيب ثابت لا يتغيّر. لذلك نرى الشمس كوكباً مجيداً خيّراً يتربّع على عرش الكون بأبهة وفخامة وسط سائر الأجرام السماوية. ولها من أشعتها المفيدة أداة إصلاح بالنسبة الى مظهر ما لا يُحصى من الكواكب المشؤومة وهي تفرض ذاتها كسيدة مطلقة السلطة على كافة النجوم الصالحة والرديئة معاً. لكن، نظراً الى قلة امكانية ضياع الكواكب في فوضى إجرامية، كم من الضربات تنزل بنا، وكم من الفظائع تتحكّم بمصيرنا، وكم من المشاغبات والفتن تنقضّ علينا. كم من غضبات تُحرّك أمواج البحر وكم من هزّات أرضية تخضّنا، وكم من رياح هوجاء تهبّ مجنونة وتسبب الكوارث والتبديلات والانقلابات المريعة، فتهدم الأسس وتبتلع جذور الوحدة وتقضي على استقرار الدول وتبدّد انسجام الهدوء في أقدس شؤونها. أجل عندما يميد تسلسل السلطة الذي يستخدم كسلّم راسخ لصعود القيم الى مراكز تَجَلّيها، وبلوغ اسمى الأهداف البناءة، تتعرض المؤسسات البشرية ومساعيها الفاضلة إلى الانحلال والاضمحلال تحت اقدام الرعاع الجهَلة. وإلّا كيف يتسنى للمجموعات ولسائر المدارس الانسانية والأخوّة في الحاضرات ومسيرات السلام باتجاه سائر الضفاف المطْمئنة وحقوق البكورة بين الأشقاء وأنسابهم وامتيازات الأعمار وشرعية

التيجان والصولجانات والعروش المجلّلة بغار الأمجاد، أجل كيف يتسنّى لكل هذه الظواهر الهامة أن تحافظ على مكاناتها الأصيلة وتبلغ أهدافها السامية، إن لم يكن تسلسل السلطة موطّد الأركان بالحق والعدل والأمانة. اذ عندما ينهار هذا التسلسل يتفشّى النشاز ولا يسود بعده إلا اللغط والصخب وزمجرة الفوضى والاستبداد. وسرعان ما يتصادم الجميع في قتال مكشوف مرير وعداء أهوج مستميت. لأن المياه المحصورة الى ذلك الحين لا بد لها من أن تتفجّر وتتدفّق وتفيض وتتعدّى الضفاف وتغمر كل ما ينمو على سطح هذه الكرة الأرضية. واذا بالعنف سحق الضعيف، والابن الشرس العقوق يُهين والده ويقضي عليه. وتصبح القوة الغاشمة عدلاً فيخسر العادل والظالم، وهما عدوّان لدودان يغفو الحق بينهما، كل ما بيديهما من سلطة شرعية. ولا يلبث الواقع أن يتوارى خلف السلطة، والسلطة خلف القوة الطاغية، والقوة خلف الارادة الواهنة، والارادة وراء الجشع، والجشع، هذا الذئب الشرير الذي يسيطر ويستبد حالما تسانده الشهوات، وبمساندة القوة لا بد له من أن ينقضّ على الكون ويمزّقه بأنيابه الحادة ويفترسه. فيا أيها الملك العظيم الشأن اكاممنون، هذا ما يحدث عندما يختنق تسلسل السلطة في مستنقع الأنانيّات فتنتشر الفوضى ويعمّ الفساد ويطغى الشر على الخير. والتراخي أمام هذا الاهمال لا بد من أن يجرّ وراءه الانحطاط الشامل المتفاقم والدمار والهلاك. اذ يحتقر القائد من يحلّ محلّه في اغتصاب السلطة، وهذا بدوره يزدري بسلفه وهلمّ جرًّا. وفي سلسلة الرتب من أعلاها الى أدناها، يحذو المرؤوس حذو رئيسه وتنتقل عدوى الاحتقار والتشفّي بين كبار المسؤولين وصغارهم، ويتحكّم بهم شيطان الحسد واللؤم والظلم. فهذه العوامل الهدّامة المتفشّية بيننا وَقَتْ حتى الآن طروادة من السقوط، لا نشاطها وقوتها الذاتية. وفي ختام هذا الخطاب الطويل، أكرّر صراحةً وباختصار،

ان عدوّتنا طروادة لا تزال قائمة في وجهنا من جراء ضعفنا وتهاملنا، وليس بفضل جبروتها وتنظيمها.

نسطور : لقد اكتشف أُوليس بحكمته هذه الحمّى التي اصابت كل جيشنا وأقعدته عن الإقدام والإنتصار.

اكاممنون : الآن وقد اهتدينا الى العلة الأساسية، يا أُوليس، ما هو العلاج؟

أوليس : ان أخيل العظيم الذي يعتبره الرأي العام عصب جيشنا وساعده الأيمن، وقد عشقت الآذان سمعته الذائعة في كل مكان، أصبح إقناعه صعباً نظراً الى ما يستحقه من احترام. فلزم خيمته وراح يهزأ بمساعينا. والى جانبه بتروكل مستلقياً على فراش توانيه، لا يكفّ طوال النهار عن التنديد بأهدافنا والتهجّم على تدابيرنا، ولا ينقطع عن تحقيرنا بإيماءات سخيفة يدعوها هذا النمّام الحقير، اقتداءات بمُثُلنا العليا. وأحياناً، يا اكاممنون الكبير، ينتحل سلطتك السامية وتنتفخ اوداجه بكبرياء وعجرفة وازدراء نظير ممثل تكمن عبقريته في أخماص قدميه، ويستغلّ المناسبات لالقاء الخطب الرنّانة ويقوم بالحركات والاشارات البذيئة لتحقير كل ما ترتكز عليه سلطة جلالتك. وعندما يتكلم تتدفق الفاظه النابية كناقوس مكسور لا بدّ من اصلاحه أو إستبداله، فتنطلق عباراته من فمه النتن كالإعصار الهدّام وتزمجر كالرعد القاصف. ولقاء هذه المهازل الوضيعة يتقلّب أُخيل على فراشه مقهقهاً ويصفّق له إعجاباً وتتوالى هتافاته المدوية : « هذا ممتاز ولائق بأكاممنون، والآن تابع كلامك، يا نسطور. حَمْحِمْ ومسّد لحيتك كما يفعل هو عندما يهمّ بإلقاء خطاب ». وحالما يقوم بالحركات المناسبة، وعندي التقليد والحقيقي يتجاوران ويتوازيان نظير الاله فولكان وزوجته، لا يلبث أخيل الطيب القلب أن يصرخ كل مرّة : هذا ممتاز، هذا تصرّف نسطور بالذات. والآن، يا بتروكل، إفعل ما يقوم به عندما يتقلّد اسلحته استعداداً لردّ هجوم العدو ليلاً ». حينئذٍ، لا بد لهزال الشيخوخة من أن يصبح فصلاً هزلياً :

فيسعل بتروكل ويصق ويهزّ كتفه مرتعشاً. لدى هذا المشهد الذي يهدر قيمة الشهامة والمروءة، يصرخ : آه، يا بتروكل، كفى. توقّف، واعطني حزامي لأن خاصرتي أخذت تؤلمني ». وهكذا ترى أن مهاراتنا وصفاتنا وأخلاقنا وأقوالنا واستحقاقاتنا جملةً وتفصيلاً وأعمالنا وأهدافنا وأوامرنا واحتياطاتنا وخطبنا الحربية وحججنا في الدفاع ومرافعاتنا في الهدنة وأسباب نجاحنا وخيبتنا صائبة كانت أو خاطئة، قد أصبحت موضوع تعليقات وتفسيرات وتندّرات في نظر هذين الرجلين لإبداء معارضتهما وانتقاداتهما.

نسطور : ثم ان الاقتداء بهذين الرجلين اللذين، كما قال أوليس، يعتبرهما الرأي العام حائزَيْن على رضى السلطة العليا، يجرّ الآخرين الى الاستخفاف والازدراء بكل القيم. فأجاكس أصبح أنانياً يرفع رأسه أكثر مما يحق له في وضع متكبّر وقد تجاوز ما يصدر عن أخيل، ونظيره يلازم هو أيضاً خيمته ولا يتورّع عن الاشتراك في السكر والعربدة، والهزء والتنديد بمواقفنا العسكرية كأنه إله ديّان، ويستفزّ ترسيت الذي تنخر قلبه مرارة البؤس والافتراء، فلا يمتنع عن رمينا بأوحال مقارناته السخيفة ابتغاء تحقيرنا والحطّ من كرامتنا ومكانتنا وانتزاع الثقة بأوضاعنا رغم الأخطار الداهمة المحيطة بوجودنا ومصيرنا.

أوليس : هو يلومنا على سياستنا ويتهمنا بالتقاعس والجبن، ويعتبر الحكمة والتروّي كأمر غريب أثناء الحروب، ويهزأ بالتبصّر ولا يقيم وزناً إلّا لقوّة السواعد المفتولة. أمّا القوى الذهنية المسالمة التي تنظّم مفعول السواعد المدعوّة الى الضرب في الوقت الملائم والتي تستعين بالمراقبة والتوجيهات الواعية لتسديد الضربات المحكمة الى الأعداء عندما تحين الفرصة، فلا ينظرون اليها إلّا بعين الإهمال والإغفال. ثم يقولون ان مساعينا ليست سوى أوهام وأحلام ورواسب جغرافية وحرب كلامية، كلها هراء بهراء.

ويعتبرون ان خشبة « الكبش » التي تدكّ الأسوار وتحطّم الأبواب بقوة صدماتها وعنف وزنها الهائل أقلّ أهمية من الأيدي التي ابتدعتها وصنعتها كآلة هدّامة، ومن العقول البارعة التي تُحكِم استعمالها بإرشادات بصيرة حازمة.

نسطور : اذا أيّدنا أقوالهم، يكون حصان أخيل أفضل بكثير من ابن ثاتيس.

(يُسمع صوت البوق).

اكاممنون : لماذا يُنفخ هذا البوق؟

(يدخل إيني).

مينيلاس : هذا احد الرسل قادم من طروادة.

اكاممنون (لايني) : ماذا أتيت تفعل أمام خيمتنا؟

ايني : أرجوك أن تقول لي هل هذه هي خيمة اكاممنون الكبير؟

اكاممنون : هي بعينها.

ايني : هناك أمير ينقل خبراً يقيناً. هل يستطيع أن يوصل رسالة الى اذن جلالتك الكريمة؟

اكاممنون : أجل يمكنه أن يتكلّم هنا بأمان أكثر مما لو كان تحت حماية أخيل، بحضور جميع رؤساء الأغريق الذين يهتفون بصوت واحد ويحيّون رئيسهم وقائدهم اكاممنون.

ايني : هذا سماح صريح وأمانَ مطْمئِن. لكن كيف يتسنّى له أن تميّز جلالته بين سائر الأشخاص اذا كان لا يعرفه؟

اكاممنون : ماذا تقول؟

ايني : أجل، انا اطلب الدلالة عليه، لكي أقدّم له إجلالي وأكون على بيّنة لأفسّر احمرار خدّي الخجول نظير الصباح المنبلج حين يلقي نظرته العاتبة على إله النوم الشاب فابوس. أين هو الملك النشيط حامي البشر؟ ومن هو اكاممنون الكلي القدرة والسامي الاعتبار.

اكاممنون : أهذا الطروادي يتهكّم علينا، أمْ إنّ أهالي طروادة مهذّبون هكذا الى أقصى حدّ؟

اينى : نعم، من الآن وصاعداً، تراهم من المدّاحين المنفتحين المناصرين، وكالملائكة الخاضعين. هذه هي اوصافهم أيام السلم. لكنهم متى اصبحوا مقاتلين تجدهم مشاكسين مهدِّدين بسواعد مفتولة وعضلات صلبة وسيوف مرهفة فتّاكة. وبعون الإله المشتري تتفوّق قوّتهم ولا تضاهيها أية قوة أخرى. لكن، أصمتْ أيها الطروادي اينى، اصمت واغلق بإصبعك شفتيك، لأن المديح يفقد قيمته النفيسة اذا كان الشخص الموجَّه إليه هو مُطلِق هذا المديح بالذات. اما الثناء الصادر عن عدوّ، فبكل أسف هو الذي يحظى بالمجد، وهو وحده الصادق السديد الرأي لدى الأغلبية.

اكاممنون : هل أنت المدعوّ إينى، يا سيدي الطروادي؟

اينى : أجل، أيها الاغريقي الكريم، أنا هو.

اكاممنون : أرجوك أن تقول لي ماذا تريد منّا؟

اينى : اعذرني، يا مولاي. أودّ أن أتكلّم همساً في أذن اكاممنون عينه.

اكاممنون : هو لا يصغي على انفراد الى من يأتي من طروادة.

اينى : اذا جئت من طروادة، فليس من أجل أن أكلّمه بصوت خافت. فأنا قادم ومعي بوق لأُوْقظ أذنه وأنبّه فكره، وسأتكلّم عندما أثير اهتمامه.

اكاممنون : تكلّم بحريّة كهبوب الريح. لأن الآن ليس وقت نوم اكاممنون. واعلم جيداً، أيها الطروادي، انه مستيقظ على الدوام، وهو بنفسه يعلن لك ذلك.

اينى : أسمعْنا إذاً صوتك، يا بوق. وأرسل نبراتك النحاسية الى جميع هذه الخِيَم الكسْلى، وأفهِم كل اغريقي يهمه الأمر أن طروادة عازمة على قول ما تريد بصوتٍ عالٍ وبكل اخلاص وصراحة. (ينفخ البوق). أيها الملك العظيم اكاممنون، عندنا في طروادة أمير

يُدعى هكتور، هو ابن الملك بريام، يكاد الصدأ يأكل بسالته أثناء جمود هذه الهدنة الطويلة الأمد. وقد قال لي ان آخذ بوقاً وأكلمكم هكذا: أيها الملوك والأمراء والسادة، اذا وُجد رجل بين نبلاء بلاد الاغريق يضع شرفه فوق استراحته، ويبحث عن المديح أكثر مما يخشى المخاطر ويمتلك الشجاعة بدون أن يستسلم للخوف، ويحب عشيقته علناً، ويؤكد تعلّقه بها مغامراً حين يقبّل شفتيها العزيزتين جهراً، ويجرؤ على الاشادة بجمالها وأفضالها في موعد غير مخصّص له، أوجّه اليه هذا التحدّي السافر: « بحضور الطرواديين والاغريق، سيثبت هكتور، أو يحاول بكل جهوده أن يثبت، ان لديه سيدة أعقل وأجمل وأخلص ممّن ضمّها أي أغريقي بين ذراعيه. غداً على صوت البوق سيُقبِل الى منتصف الطريق بين خيامكم وأسوار طروادة ليتحدّى كل اغريقي مخلص في الحب. فاذا تقدّم احد، سيكرمه هكتور، وإلا سيعود الى طروادة ويعلن لأهاليها أن جميع سيدات الاغريق احترقْنَ في أشعة الشمس الحادة، ولا تستحق واحدة منهن لمعان أي رمح ».

اكاممنون : هذا الكلام سيُعاد لعشاقنا، يا سيدي ايني. فاذا لم يهتّز له شعور أي منهم في أعماقه، ذلك يعني ان اصحاب القلوب النابضة بالحياة لا يزالون في بلاد الاغريق يرتعون. أما نحن فمقاتلون، وهم اعترفوا بجبانة كل جنديّ لا يدّعي انه كان، ولا يزال عاشقاً الى الآن. واذ وُجد رجل كان في الماضي أو هو الآن أو يدّعي انه عاشق فليذهب الى مقابلة هكتور. وفي حال عدم وجود أي شخص ينطبق عليه هذا الوصف والتعريف، أكون أنا ذلك الشخص بالذات.

نسطور : حدّثه أيضاً عني، أنا نسطور، وقد كنت رجلاً حين كان جدّ هكتور لا يزال يرضع ثدي أمه. أنا الآن شيخ جليل. لكن، ان لم يكن بين بني قومي نبيل واحد لديه ذرة من البسالة

ويسعه أن يدافع عن كرامة حبّه، قل له من قبلي انني سأخفي لحيتي التي وخطها الشيب داخل خوذة ذهبية، وانني سأضع في عصبة ذراعي هذه القبضة اليابسة وسأذهب اليه وأعلن له ان سيدتي أجمل من جدّته وعفيفة نظير أية امرأة في العالم. هذه هي الحقيقة التي سأثبت صحتها بثلاث نقاط من الدم الذكي مقابل شبابه الذي سيُراق دمه.

اينى : وَقَتْكم السماءُ من أزمة الشباب النزق هذه.

أوليس : آمين.

اكاممنون : أيها المولى الوسيم اينى، دعني أمسك بيدك، وعلى وقع مشيتنا هذه ارافقك الى خيمتنا. وستُنقل رسالتكم الى أخيل، ومن خيمة الى خيمة ستبلغ حتماً كافة سادة الاغريق. وأنت نفسك ستحلّ علينا ضيفاً قبل أن ترحل، وستلاقي الاستقبال الحافل والحفاوة اللائقة بعدوّ نبيل مثلك.

(يبتعد الجميع، ما عدا أوليس ونسطور).

أوليس : يا نسطور.

نسطور : ماذا تريد، يا أوليس؟

أوليس : لقد خطرت ببالي فكرة ستغيّر وقتي وتعطيه شكلاً جديداً.

نسطور : ما هي هذه الفكرة؟

أوليس : اليك بها. ان الزاوية الحادة تشقّ أصلب العقد، والكبرياء المنتفخة النابعة من قلب المتهتك أخيل، لا بد من الاستفادة من زخمها الآن. وإلاّ فرطت عقدنا وزرعت في كل مكان شروراً غادرة وخنقتنا جميعاً.

نسطور : بدون شك. لكن كيف نعالجها؟

أوليس : ان التحدّي الذي أطلقه وأرسله الينا هكتور الباسل، مع انه موجّه الينا جميعاً بوجه عام، لا يخصّ إلا أخيل وحده.

نسطور : النيّة واضحة وجلية نظير حساب مجموعة أعداد محصورة في

بضعة أرقام. صدّقوني إن قلت لكم انه يكفي لجعل دماغ أخيل قاحلاً أكثر من رمال صحراء ليبيا، وهي أيضاً عقيمة، يعلم الإله أبولون بذلك. وتعرفون من أول ومضةِ فكر، أجل، من طرفة عين واحدة، انه خصم هكتور اللدود.

أوليس : وهل تعتقد أن تصريحك هذا سيحمله على الردّ؟

نسطور : نعم، لا بد من ذلك. ومَن غير أخيل يستطيع مقاومة هكتور، وحرمانه من شرف احراز الفوز والفخر، مع ان المسألة تقتضي التقيّد باللياقة وهي هامّة جداً بالنسبة الى الرأي العام. إذ إن أهالي طروادة يرغبن هنا في تذوّق طعم شهرتنا الغالية بأدقّ أحاسيسهم؟ صدّقني إن قلت لك، يا أوليس، ان سمعتنا ستُقاس بطريقة غريبة في هذا العمل الباهر. والنجاح، وإن كان خاصاً، سيعطي فكرة ملائمة أوْ لا عن قيمتنا بوجه عام. وستكون نظير علامة في موجز بيان الفصول المتلاحقة، تعطي صورة مصغّرة عن الكميات الهائلة من الموادّ المطلوب انماؤها. سيظنّ الجميع أن الخصم هكتور بطل اخترناه نحن، وأن تفضيلنا هو عمل جماعي ارتضته كافّة نفوسنا. وانه تقرر بناء على استحقاقه تقديرنا، وقد استقطب انتخابنا جميعاً رجل يُجسّم كل فضائلنا. واذا فشل هذا فأي تشجيع سيحمل الفريق المنتصر على دعم الرأي الشخصي الصالح في نظره هو. أمّا في نظر الرأي العام، فإن الأيدي هي وسائل طيّعة تماماً كالقوس والسيف في يد من يُتقن استعمال السلاح.

أوليس : اعذروني إن قاطعتكم. يجب أن لا يكون أخيل مَن يقاتل هكتور. تعالوا نتصرّف كالتجار. علينا أن نعرض أولاً أسوأ سلعنا آخذين بعين الاعتبار احتمال عدم بيعها. فاذا خاب أملنا، فان رونق افضل بضائعنا سيساعد على تصريفها. فلا تقبلوا بأن يشتبك هكتور وأخيل في التقاتل. اذ في هذ الوضع يستدعي شرفُنا أن نخجل من أنفسنا فنُحمّل وزر نتيجتين غريبتين.

نسطور : انا لا أرى بعينيّ الكليلتين، وقد بلغت سنّ الشيخوخة. فما هما هاتان النتيجتان؟

أوليس : أولاً المجد الذي ناله أخيل على حساب هكتور، ونحن نقاسمه اياه، لو لم يكن متجبّراً الى هذا الحد، وهو منذ الآن في غاية الوقاحة. فالأجدر بنا أن نتحمّل حرارة شمس افريقيا المحرقة بدلاً من أن ينهال على رؤوسنا احتقار نظراته القاسية، في حال اتّقائه ضربات هكتور القاضية. ثم بالعكس، اذا أصيب بعطب، سنجد سمعتنا الوطنية مشوبةً بتحقير خير رجل فينا. وسنلجأ بالحري الى القرعة لنلاقي وسيلة تجعل الصدفة تختار الوحش اجاكس لمواجهة هكتور. فتعالوا نعتبر فيما بيننا ان اجاكس هذا هو ألمع مقاتل بيننا، وهذا يعمل على شفاء ميرميدون الكبير من حمّى الهزيان الذي أورثه اياه التصفيق الحاد والاستحسان الجماعي، ونزع الحلية التي يعتزّ بها أكثر مما تفاخر إيريس بقوسها الأزرق. فإن خروج هذا الأحمق اجاكس من المعركة ظافراً سيجعلنا نكيل له المديح بدون حساب. اما اذا هُزم، فاننا نجد دوماً عذراً بأن لدينا من هو أفضل منه. على كلٍّ حال، إن كان نصيبه الفوز أو الفشل، فإن مشروعنا المحقّق يكون قد دفعنا الى الاعتقاد بأن اختيار اجاكس انتزع من أخيل أوْلى ما يفاخر به من ميزات.

نسطور : الآن، يا أوليس، بدأت أرى صواب رأيك السديد. ولن أتأخر عن إقناع اكاممنون بأن يتبناه. فلنذهب إليه في الحال. وعلينا أن ندع أحد هذين الحلّين يتقدّم على أيّ حلٍّ آخر. فالمفاخرة هي العظمة الوحيدة التي يتحتّم على هذين الخصمين أن يتنازعاها.

الفصل الثاني

المشهد الأول

في خيمة اجاكس ضمن المعسكر الاغريقي

(يدخل اجاكس وثرسيت)

اجاكس : يا ثرسيت.

ثرسيت (يكلّم نفسه) : لو كان في جسم أكاممنون بُثُور كبيرة منتشرة في كل أنحاء بدنه...

اجاكس : ماذا تقول، يا ثرسيت؟

ثرسيت : ولو فرّخت هذه البُثُور، والحالة هذه، أوَلاً يتسنّى لنا أن نحصل على ما نبتغي من القائد الأعلى من مزاج الرضى.

اجاكس : يا لك من كلب وقح.

ثرسيت : هذا ما نأمل أن تناله منه، اذ اني حتى الآن لم أجد ما يمكننا أن نستحصل عليه منه.

اجاكس : يا ابن الأفعى، أولا تسمع ما أقول؟ اليك بما تستحقّ.

(يضربه).

ثرسيت : أتمنى لك أن تصاب بالبرص الاغريقي، أيها الرجل المولَّد، الشبيه بالثور العنيد.

اجاكس : تكلّم اذاً، أيها الخمير الفاسد. تكلّم، وإلاّ أجبرتك على الخضوع.

ثرسيت : أرى الأولى أن أعوّدك أنا التفكير والانصياع. غير اني أعتقد بأن حصانك يستطيع أن يتعلّم التعقّل قبل أن تحفظ اللياقة غيباً. أولا تعرف كيف تضرب؟ ليت عَدْوَى أمراض الخيل كلّها تسري اليك.

اجاكس : أيها الحمار الغبي، اطلعني على التصريح.

ثرسيت : أتظنني عديم الاحساس، حتى تضربني هكذا؟

اجاكس : كيف تجسر على الاحتجاج؟

ثرسيت : أجدك تُهمْهِم دائماً وتذمّ أخيل، لأنك تحسده على تفوّقه. ولهذا السبب تنبح دوماً كلما ورد ذكره.

اجاكس : يا لك من فاجر لئيم.

ثرسيت : إذهب وقاتله هو.

اجاكس : يا له من جيفة نتنة.

ثرسيت : سيحطمك بقبضة يده، كما يكسر البحّار كعكة محمّصة.

اجاكس (وهو يضربه) : أيها القوّاد السافل.

ثرسيت : اذهب عني من هنا.

اجاكس : ما أشبهك ببردعة الساحرة.

ثرسيت : اذهب، يا نفاية الرعاع، يا من ليس في رأسه من الدماغ أكثر مما في كاحل رجلي، يا من يستطيع الحمار أن يقودك، أيها الحيوان الخسيس. أنت هنا لا تنفع إلا لمناوأة الطروادبين، أو ليجرّك العبد الذليل وراءه، يا أحقر الناس وأقلّهم ادراكاً. اذا ضربتني بعد الآن سأطليك من رأسك الى أخمص قدميك ببعر الماعز، وأفهمك من أنت، أيها السخيف البليد الطبع.

اجاكس : يا لك من كلب مسعور.

ثرسيت : ما أنت إلا مسخ حقير.

اجاكس (يضربه) : أمّا أنت فضبع بغيض.

ثرسيت : أيّها الأحمق السفيه، إضرب بما فيك من وحشيّة وضراوة، إضرب، إضرب. فأنا لا أبالي.

(يدخل اخيل وبتروكل).

اخيل : لماذا تتصرّف على هذا النحو، يا اجاكس؟ وأنت، يا ثرسيت، ماذا جرى لك؟

ثرسيت (يشير الى اجاكس) : أترى هذا الملعون؟

اخيل : نعم، وما به؟

ثرسيت : انظر اليه جيداً.

اخيل : نظرت اليه. ما شأن بلاهته هنا؟

ثرسيت : لا، لا. أنت لا تبصره جيداً. هل تظن أنه أجاكس؟

اخيل : اعرف جيداً انه ليس هو.

ثرسيت : حسناً. لكن الغبي لا يعمل بأنه كذلك.

اجاكس : ولهذا السبب اضربك علّك تدري.

ثرسيت : كفاك بلاهة كفاك. ما هذه النكتة البائخة؟ انها مهرب سخيف كبلادة الحمار. لقد لطمت دماغه لطمةً أشد مما رضّ هو عظامي. واشتريت تسعة عصافير دُورية بفلس، غير ان امه الثرثارة لا تساوي ربع ثمن الدوري. ها إن السيد اخيل، الشبيه بأجاكس، قد جعل رأسه في بطنه، وأمعاءه في رأسه. واليك رأيي فيه بكل صراحة.

اخيل : ما هو رأيك؟

ثرسيت : اقول ان اجاكس هذا

(يهم اجاكس بضربه. يمسك به أخيل).

اخيل : ما هذا، يا اجاكس الطيّب القلب؟

ثرسيت : لا يُبتلى بمثل هذه العقلية السقيمة إلّا من...

اخيل (يمسك بأجاكس) : في الحقيقة يجب أن أمنعك عن ضربه.

ثرسيت : قل لي ماذا يلزم لسد ثقب ابرة هيلانة التي جاء يقاتل من أجلها؟

اخيل : إهدأ، أيها المجنون.

ثرسيت : جئت أبحث عن الراحة والسكينة. لكن هذا المهووس لا يريد لي الخير. ها هوذا، انظر اليه.

اجاكس : أيها السفيه، أريد...

اخيل (لا يزال ممسكاً بأجاكس) : أتودّ أن تنزل بتصرّفك غير الرصين الى مستوى هذا المخبول؟

ثرسيت : كلا، لا تخف. انه في مستوى أحقر المجانين.

بتروكل : تكلم بأدب، يا ثرسيت.

اخيل : لماذا هذا الشجار؟

اجاكس : طلبت من هذا الصعلوك القبيح أن يطلعني على مضمون التصريح، فأهانني.

ثرسيت : انا لست خادمك.

اجاكس : حسناً. أغرب عن وجهي، أيها الأحمق.

ثرسيت : أنا أخدم هنا متطوّعاً.

اخيل (لثرسيت) : منذ هنيهة كانت خدمتك تكليفاً مفروضاً. اذ لا أحد يقبل أن يزاحم غيره راضياً. فكان اجاكس المتطوّع، وأنت المجبر قسْراً على اداء المطلوب منك.

ثرسيت (لأخيل) : وهكذا أنت أيضاً وضعت الجزء الأكبر من فهمك في رجليك. لم يخطئ الناس في وصفك هكذا. (لأخيل واجاكس). لا أظن أن هكتور، اذا كسر جمجمة أحدكما، يلاقي فيها ما يستحق الذكر، لأن دماغكما أشبه بجوزة فاسدة فارغة.

اخيل : ماذا تقول عنّي أنا أيضاً، يا ثرسيت؟

ثرسيت : يا أوليس ويا نسطور، أؤكد لكما ان عقلكما اصبح جافاً. ومنذ أن شاخ جدّكما وهرم ربطكما معاً الى المحراث، وجعلكما تفلحان الأرض كأنكما ثوران.

اخيل : ماذا تقول؟

ثرسيت : أجل، هذا صحيح. هيا إفلح، يا أجاكس، إفلح.

اجاكس : سأقطع لسانك.

ثرسيت : سأتكلم، مع ذلك، مثلك تماماً.

بتروكل : اصمت، يا ثرسيت، واهدأ.

ثرسيت : هل تريد أن أهدأ وأصمت عندما يقول لي الدبّ اخيل هذا الكلام المهين؟

اخيل : خذ هذا، يا بتروكل.

ثرسيت : أتمنى أن اشاهدك مشنوقاً كالمجرمين، قبل أن أرجع الى خيامكم. لأني اريد أن أمكث حيث يسود العقل الراجح. وأغادر معشر الأغبياء.

(يخرج).

بتروكل : تخلّصنا أخيراً من بلاهتك وحقارتك.

اخيل (لأجاكس) : والآن يا مولاي. هناك بلاغ يُعلم جميع أفراد الجيش بأن هكتور سيجيء غداً صباحاً في الساعة الخامسة عند سماع صوت البوق، ويدخل مخيّمنا في طروادة ويدعو متحدياً كل فارس نشيط جريء الى مساندته... وأرى ان هذه البادرة بلاهة قل مثيلها. الوداع.

اجاكس : الوداع. من ينوي أن يردّ عليه ويلبي دعوته؟

اخيل : لست ادري. تعالوا نقترع، وإلا عرفنا من ينازله عندما يحين الأوان.

اجاكس : أنت، على ما يظهر، تريد أن تقول... دعني استرسل في الاستعلام.

(يخرج).

المشهد الثاني

في قصر إيليون داخل طروادة

(يدخل بريام وهكتور وترويلوس وباريس وهيلينوس)

بريام : بعد كذا عدد من الساعات والحضور وفارغ الكلام والانتظار، هذا ما ردّد نسطور قوله لنا من قبل جماعة الاغريق : « أعيدوا لنا هيلانة، فننسى جميع ما عانيناه من التضحيات بشرفنا وأوقاتنا وأسفارنا ونفقاتنا وجراحنا واصدقائنا، وكل ما قاسيناه خلال هذه الفترة من ويلات الحرب ». ما رأيك بذلك، يا هكتور؟

هكتور : مع ان ليس من رجل يهاب الاغريق نظيري فيما يخصّني شخصياً، يا بريام المرهوب، لا توجد ابنة حواء تقوى على الصمود أكثر مني أنا هكتور، وتقبل أن تتحمّل القلق والصخب مثلي. من يدري بماذا يجدّ في الغد. ان ما يوطد السلام هو الأمن الواثق بذاته. أمّا التحدّي المتواضع فبالعكس يُعتبر نبراس العاقل الحكيم أثناء سعيه الى استئصال شامة الشر. لتذهب هيلانة. فمنذ أن أُشهر السيف لحسم هذ الشجار، هناك واحد من عشرة، هو عزيز على قلبنا كهيلانة بالنسبة الى الضريبة التي دفعناها من أرواحنا. فإن حلّت بنا الكوارث العديدة للاحتفاظ بامرأة نظيرها، ليست من أهلنا، وحتى إن شاءت أن تنتسب إلينا، نجدها لا تساوي حفنة من أبسط رجالنا. فلماذا نتشبّث بها ونرفض ارجاعها؟

ترويلوس : تباً لك، يا أخي. اراك تضع في الميزان كرامة ملك مبجّل كأبينا الوقور وشرفه الرفيع لقاء وزنة بذيئة. فهل تريد أن تحصر بالأرقام عظمة وجوده لقاء نِسَبٍ ضئيلة من المخاوف والحجج؟ بئس تفكيرك هذا الذي يغيظ الآلهة.

هيلينوس : لا استغرب حصرك كل هذه الأهمية في أسباب تافهمة بالنسبة

الى مستوى اعتباراتك. أتريد أن يتغاضى والدنا عن كل هذه الصغارات ليتسنّى له أن يدير شؤونه، لا لسبب إلا لأنك أنت لا تقيم لها وزناً فتتحدث عنها كما تفعل الآن؟

ترويلوس : لا أحد يفوقك في رؤية الأحلام والميل الى النوم، يا أخي الكاهن، علاوة على ما تمتلئ به جعبتك من الحجج. اما بعض هذه الحجج فهي : انك تعلم ان العدوّ يبيّت لك الشر، وتعلم أيضاً ان السيف المستلّ من غمده يتطاير منه شرر الخطر، وان العقل السليم يتجنّب دوماً كل أسباب الألم. فلا مجال للدهشة عندما تبصر هيلانة اغريقياً يشهر سيفه ويستخفّ بكل منطق، اذ يهرب نظير هرقل من توبيخ الاله المشتري، أو كنجم تائه خارج مداره في الفلك. وبما اننا نتكلّم عن المعقول، فلنغلقْ أبوابنا ونغرق في النوم. لأن الشجاعة والشرف يتطلّبان من الرجل أن يكون له قلب ارنب ليحشو رأسه بالأفكار والاعتبارات الباهتة. فكثرة التعقّل والتحفّظ لا تُفضي إلّا الى تبريد الحماس وتبديد القوى والامكانات.

هكتور : هذه المخلوقة، يا أخي، لا تساوي ما يكلّفنا الاحتفاظ بها من متاعب.

ترويلوس : أوليست قيمة الشيء بقدر ما نخلع عليه من الأهمية؟

هكتور : القيمة لا تتعلّق بإرادة معيّنة. لأن الثمن غالباً ما يكون بمستوى الشخص الذي يحدّده. فمن الغباوة اذاً أن يكون حبّنا واجلالنا أعظم من الاله الذي نكرسهما له. ولا بدّ أن يكون ضرباً من الهوس والهزيان وقوعنا في هيام خيالي لا يعادل ما يستحقّه الشخص الذي نمنحه هوانا.

ترويلوس : انا انتقيت اليوم امرأة، واختياري خاضع لارادتي التي تأثرت بما عاينتْه عيناي وسمعته اذناي، وهما كبحّارَيْن يتهاديان فوق الأمواج قرب شواطئ خطرة من الشوق والانجذاب. فهل يسعُني أن أنسحب اذا دَعَت ظروفي الى الابتعاد عن الحبيبة التي وقع

عليها اختياري؟ كلا، لا مجال للتهرّب من العهود التي قطعتها على نفسي، وحتّم علي واجب الشرف أن أتقيّ بها. اذ ليس من الشهامة أن نُرجع الى التاجر ما نشتريه منه من أَلْبسة حريرية بعد أن نوسّخها. وليس من الحكمة أن نرمي فضلات الطعام بعد أن نملأ منه بطوننا. لقد وجدنا الأصلح أن ينتقم باريس من الاغريق. وموافقتكم الجماعية على ذلك شجّعته على اقتحام المغامرة. لكن امواج الحرب ورياحها هذان المتناقضان على الدوام، قد هدأت ثورتهما، وساعداه هكذا على بلوغ شاطئ الأمان المنشود. وها هو من أجل عمّة مسنّة أسرها الاغريق،، قد عاد بملكة اغريقية تفوق نضارة صباها تجاعيد جبين أبولون، وتجعل اشراقة الصباح بالنسبة اليها قاتمة عابسة. فلماذا نحتفظ بها؟ وبينما هؤلاء يحتجزون عمتنا، أتساءل هل تستحق ان يحتفظوا بها؟ ان هيلانة لؤلؤة تهافتت الف سفينة على الاستئثار بها وحوّلت ملوكاً عديدن متوّجين الى تجّار يتزاحمون على خَطب ودّها. فهلاّ اعترفتم بأن باريس أظهر حكمة في الذهاب، كما اضطررتم أن تفعلوا حين هتفتم به : « إذهب، إذهب ». أجل، اذا اعترفت بأنه تصرّف بنبل حسبما تحتّم عليكم أنتم أيضاً أن تتصرفوا حين صفّقتم له وهتفتم : « يا لك من رجل لا يضاهى »، لماذا تلومونه اليوم على ما بلغه من نتيجة كانت في الواقع ثمرة نصحكم اياه على اللجوء الى هذا العمل، وتعتبرون أمراً بذيئاً ما قدّرتم فيما مضى انه اثمن ما في البر والبحر معاً. يا لوضاعة هذا الانقلاب. وما أمرّ الخوف مما اختلسناه ونخاف أن نحتفظ به. فبعد أن تصدّى للاغريق وأهانهم بتّنا نخشى من الإعتراف بأنه يقيم فيما بيننا.

كاسندرا (من الخارج) : ابكوا، أيها الطرواديون، ونوحوا.

بريام : ما هذه الضجة، ما هذا الصياح؟

ترويلوس : هذه اختنا المهووسة، عرفتها من صوتها.

كاسندرا (من الخارج) : اذرفوا الدموع، أيها الطرواديون.

هكتور : اجل، هذه كاسندرا.

كاسندرا : ابكوا ونوحوا، أيها الطرواديون. اعيروني الف عين لأملأها دموعاً سخينة.

هكتور : اصمتي، يا اختاه، اصمتي.

كاسندرا : أيتها العذارى، ويا أيها المراهقون والرجال الناضجون والشيوخ المجعّدو الجبهات، ويا أيها الأطفال الأبرياء الذين لا يسعهم إلا أن يصرخوا، ادعموا جميعكم طلبي. ادفعوا سلفاً جزءاً من ثمن فيض هذه الدموع المهدورة. ابكوا، أيها الطرواديون، ونوحوا، ومرّنوا مآقيكم على ذرف الدموع بسخاء. اذ لم يعد يحق لطروادة ان تحيا بعد الآن، ولم يعد لروائع إيليون من مكان تحت الشمس. أمّا شقيقنا باريس فهو الشعلة التي تحرقنا كلنا. ابكوا ونواحوا، أيها الطرواديون، واصرخوا بأعلى اصواتكم : « ان هيلانة تجرّ وراءها الشقاء والدمار. لأن طروادة ستحترق اذا لم تذهب عنها هيلانة ».

(تخرج).

هكتور : اذاً، يا ترويلوس الشاب، أوَلاَ تؤثّر فيك نبوءات أختك هذه، لتجعل رعشة الندم تسري في عروقك؟ أم ان دمك برد الى حدّ لم يعد منطق العقل ولا الخوف من الفشل الذريع في قضية خاسرة، يحرّك في أعماقك أي شعور بالمسؤولية؟

ترويلوس : أنا أقول، يا أخي هكتور، ان الحدث وحده بحدّ ذاته، لا يكفي ليحمّلنا وِزْر أي عمل، وان جنون كاسندرا لا يحتّم علينا التفريط بشجاعتنا وعزّة نفوسنا. وهذيان منطقها السخيف لا يقوى على تحطيم قضيّتنا التي نقدّسها جميعنا. من جهتي أنا، ليس لي صالح أكثر مما لسائر اخوتي ابناء بريام. ولا أرضى، بحق الاله المشتري، أن يُتّخذ قرار يرفض قبوله أي فكر ثاقب.

باريس : وإلاّ حكم الناس عليّ بالخفة والاستهتار في ما أسعى اليه، وعليكم بإسداء النصح غير المجدي. لكني استشهد الآلهة وأقول ان ما حدث كان بموافقتكم الجماعية التي حدت بي الى حسم كل المواقف المتأرجحة أمام هذا المشروع الرهيب. اذ لم يكن ساعدي قادراً على إتمامه منفرداً، يا للأسف. وأية مقاومة يسع إنساناً وحيداً ان يبديها للوقوف في وجه ثورة جارفة، أذكى نيرانها هذا الشجار المسلّح؟ مع ذلك انا أعلن انني لو اضطررت الى مواجهة كل الأخطار بمفردي، وكانت لديّ قوة كافية توازي صلابة ارادتي ومضاء عزيمتي، لما تركت باريس يتراجع بعد ما أقدم عليه بجرأة نادرة، ويتنازل قيد انمل عن تصميمه الحازم.

بريام : يا باريس، انت تتكلم كرجل أفقدته ملذّاته عقله الراجح. أنت تريد لنفسك حلاوة العسل باستمرار، وتترك لغيرك مرارة الحنظل. فاعلم ان البسالة لقاء هذا الثمن ليس لها أي استحقاق.

باريس : مولاي، أنا لا أفكّر فقط بالمتعة النابعة من مثل هذا الجمال. لكني أريد أن أمحو اللطخة التي يأبى الشرف الرفيع أن يرتضيها. ما أفظع الخيانة التي نرتكبها بحق هذه الملكة المغلوبة على أمرها. وما احطّ هذا التصرّف تجاه شهامتنا وكرامتنا، وأي عار يلحق بنا إن نحن رددناها اليوم الى ذويها على اثر تهديد خسيس من طرفهم، وإزعان ذليل من قبلنا. وهل من المعقول أن تؤثّر هذه الايحاءات المنحطّة على فُؤادك الإنهزاميّين. ليست لدينا شجاعة حائرة لا تملك جرأة الاقدام، ولا في يدنا سيف يزدري بالمروءة دفاعاً عن امرأة فذّة كهيلانة. أجل ليس في الوجود من نبل لا يحمي ولا يستميت في سبيل هيلانة، ويقبل التقاعس امام أية تضحية مهما غلت لإنقاذها من العار والمذلة. ولذلك اقول : نستطيع أن نقاتل بكل حماس من أجلها، لأننا نعلم كلنا ان لا مثيل لها في العالم أجمع.

هكتور : يا باريس، ويا ترويلوس، لقد تكلمتما كلاكما ببلاغة في خوض

موضوع هذه القضية وهذا التباين في الرأي، وقدم كل منكما حججه وبراهينه الشخصية، وإن بصورة سطحية، فاشبهتما كثيراً جماعة ارستوطاليس الذين حكموا بالتقصير على مجمل فلسفته الأخلاقية. والدواعي التي قدّموها تخدم بالحري تيّار الأشواق العنيفة التي أثارتها نزعة فوضوية بدون أن يصدر عنها أي تمييز بين الخير والشر. لأن اللذة والرغبة في الانتقام لا ينقادان الى صوت الواجب والضمير. بينما تفرض الطبيعة إعادة الحق إلى اصحابه. فهل في البشرية كلها حق شرعي أقوى من حقّ الرجل في أن تُلازمه زوجته؟ فاذا داست الأشواق سنّة الطبيعة هذه، وطغت على العقول الراجحة بدافع الغرائز الأنانية والميول المنحرفة فإن في كل أمّة متمدّنة قانوناً يلجم الشهوات الجامحة المتمردة على الأعراف والتقاليد الموروثة. فاذا كانت هيلانة حليلة ملك اسبارطة كما هو معلوم، فان الشرائع الطبيعية الأخلاقية القويمة تهيب بنا أن نردها الى زوجها. وإصرارنا على عمل الشر لا يخفّف جرمنا في اقتراف هذا الذنب بل يزيده خطورة. هذا هو رأيي انا هكتور عن ناحية المبدأ. لكني مع ذلك، يا اخوتي الأحباء، أميل مثلكم الى فكرة الاحتفاظ بهيلانة لأن القضية تتعلق بصون كرامة كل واحد منا وكرامة الجميع معاً.

ترويلوس : الآن أصبت الناحية الحيوية من تصميمنا. ولو لم يكن الشرف دافعنا أكثر من إرضاء أهوائنا وأشواقنا، أنا شخصياً لا أريد أن تراق نقطة دم طروادي في سبيل الدفاع عن هيلانة. لكن المسألة، يا هكتور الكريم، بالنسبة الينا هي موضوع شرف وسمعة طيبة، ومهماز يحثّ على مآثر الشهامة والسماحة، ويذكي فينا الإقدام على تحطيم العدوّ، ويقدّس نفوسنا في مستقبل الأيام. ختاماً، أرى ان هكتور الشجاع لا يرغب، ولو ربح كنوز الكون، ان يخسر غنى الأمجاد التي يكلّل هاماتنا بغارها انجاز هذا العمل الخيّر الفضيل.

هكتور : انا الى جانب رأيكم السديد، يا اخوتي ابناء بريام العظيم. وقد اطلقتُ بين نبلاء الأغريق الكسالى المتقاعسين، تحدّيًا صاخباً أثار الدهشة والوجل في أعماق نفوسهم الخاملة. وعلمت الآن بأن قائدهم الكبير نائم، بينما تدبّ بوادر الحسد في صفوف جيشهم، الأمر الذي سيوقظ ضميره ووعيه على ما أظن.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في معسكر الاغريق، امام خيمة أخيل.

(يدخل ثرسيت).

ثرسيت : ماذا حلّ بي أنا ثرسيت؟ أراني ضائعاً في متاهات غضبي. هل كتب للفيل اجاكس أن يتغلّب عليّ هكذا؟ هو يضربني وأنا أتهكّم عليه. وكم أتمنى أن يكون العكس من نصيبي لأروي غليلي، فأكون انا الذي أضربه، وهو من يهزأ بي. يا له من ثور هائج. سأتعلّم إن لزم الأمر أن أعوز بالشيطان لأفوز عليه. غير أني أودّ أن يكون لديّ من أنفث فيه سموم حقدي. ها هو أخيل انسان فذّ فريد من نوعه. اذا قُيّض لطروادة أن تقع تحت الاحتلال قبل أن يتسنى لهذين المشاغبين أن يلغماها ويهدماها، ستظل اسوارها قائمة حتى تنهار من تلقاء ذاتها مع مرور الزمن. أنت، يا مطلق الصواعق من علياء الأولمب، إنْسَ انك الاله المشتري، ملك الآلهة، وأنت أيها الاله عطارد، أسقط كل العلوم الملتوية الداخلة في حساباتك، إذا لم تنتزع من هؤلاء الرجال الجزء اليسير الذي يمتلكونه من الفطنة، والقسم الكبير من الجهل والغباء، لأنهم لا يتوصلون الى التخلّص من ذبابة

أو خيط عنكبوت ولا يجدون أية وسيلة غير امتشاق سيوفهم الحديدية الضخمة لقتل الذبابة ولتمزيق نسيج العنكبوت الواهي. بعد ذلك لتنقضّ الكوارث على معسكرهم ولتسحق عظامهم سحقاً، لأنها الضربة القاضية على كل غررو وادّعاء باطل. انا تلوت صلاتي، وما عليّ إلاّ أن أردّد لشيطان الحسد : آمين ثم آمين. (يصرخ). يا مولاي أخيل.

(يظهر بتروكل عند مدخل خيمة اخيل).

بتروكل : من القادم الى هنا؟ أهذا أنت، يا ثرسيت؟ ادخل وبادر الى الشتم والسباب.

ثرسيت : لو استطعت أن أتذكّر هذه الدمية الذهبية، لما امكنك أن تنجو من حبائلي. لكن هذا قد يعوّض... أتمنى لك أن تتدبّر امرك، وان تكون ضربات البشرية البذيئة وجهلها المخجل من نصيبك وحدك. ولا تقيّض لك السماء ناصحاً ينقذك من شرها، وان لا تعرف السبيل طوال حياتك الى الترتيب والنظام. وليكن مزاجك دليلك في هذه الدنيا حتى مماتك. واذا قالت لك تلك التي ستلفّك بكفنك أن جثّتك جميلة، أؤكد لك انها لم تدفن أبداً غير الموبوئين، آمين. أخبرني، أين أخيل؟

بتروكل : ما هذا؟ أنا لا أعرف انك تقيّ الى هذا الحدّ. هل كنت تتلو صلاتك؟

ثرسيت : أجل. وأرجو أن تكون السماء قد سمعت دعائي.

(يظهر أخيل عند مدخل الخيمة).

اخيل (لبتروكل) : من وصل الى هنا؟

بتروكل : ثرسيت، يا مولاي.

اخيل : أين هو؟ أين هو؟ (يلمح ثرسيت ويتقدّم نحوه). هذا أنت، يا آكل

الجبنة، ويا هاضم طعامي. لماذا لم تقدّم على مائدتي كل هذه المآكل؟ هيا قل لي من هو اكاممنون؟

ثرسيت : هو قائدك، يا اخيل... والآن، قل لي، يا بتروكل، من هو أخيل؟

بتروكل : هو مولاك، يا ثرسيت، والآن، بحياتك، قل لي من أنت؟

ثرسيت : أنا من يقدّر مزاياك، يا بتروكل. والآن قل لي بدورك من أنت، يا بتروكل؟

بتروكل : يسعك أن تقول من أنا، بما انك تقدّر مزاياي.

اخيل : هيا، قل لي، قل لي.

ثرسيت : دعني اراجع كل المسألة. اكاممنون هو آمر أخيل. وأخيل هو مولاي. وأما من يقدّر مزايا بتروكل. وبتروكل ليس سوى أبله.

بتروكل : يا لك من غبي.

ثرسيت : اصمتْ أيها الأحمق. لم أكمل حديثي بعد.

اخيل (لبتروكل) : هذا رجل ينعم بكثير من الامتيازات. تابع كلامك، يا ثرسيت.

ثرسيت : أكاممنون هو أيضاً أبله. كذلك أخيل أبله، وأنا ثرسيت أبله، وكما قد قلت إن بتروكل أبله.

اخيل : اشرح لي لماذا تقول ذلك؟

ثرسيت : أكاممنون ابله لأنه وضع تحت امرته أخيل، وأخيل ابله لأنه رضي بأن يكون تحت إمرة اكاممنون. وأنا ثرسيت ابله لأني قبلت أن أخدم شخصاً أشدّ منّي بلاهة. وبتروكل أبله بطبيعة الحال.

بتروكل : لماذا أنا أبله؟

ثرسيت : افعل ما يُطلب منك. ففي نظري، يكفيني أن تكون هكذا. انظر من الآتي الى هنا.

(يدخل أكاممنون وأوليس ونسطور وديوماد وأحاكس).

اخيل : أُقسم لك، اني لا ريد أن أكلّم أحداً. ادخل معي، يا ثرسيت.

(يدخل الى خيمته).

ثرسيت : ما هذه المهزلة؟ ما هذا التلاعب؟ ما هذه الخيانة؟ ان سبب كل هذه الضجة هو متهتّك وعاهرة. مشاجرة طريفة تثير كوامن الجسد، وتجعل الناس ينزفون دمهم حتى يموتوا. آه. ليفتك بك المرض، كي ننتهي من هذه المشكلة. ولتهلك الحرب والدعارة جميع المشتركين في القضية.

(يدخل الى الخيمة).

اكاممنون (لبتروكل) : أين أخيل؟

بتروكل : في خيمته. وهو يشكو بعض الإنزعاج، يا مولاي.

اكاممنون : أعلمه بأننا هنا. لقد طرد رسلنا. وها نحن نضع كرامتنا جانباً، ونأتي لمشاهدته. قل له ذلك، خوفاً من أن يتصوّر اننا لا نستطيع الابقاء على امتيازات مقامنا أو اننا لا ندري من نحن.

بتروكل : سأقول له ذلك.

(يدخل الى الخيمة).

اوليس (لأجاكس) : لقد رأيناه عند مدخل خيمته. فهو اذاً غير مريض.

اجاكس : واذا كان مريضاً، فعلّته هي شموخ الأسود، وهو مرض القلب... البشري. ويمكن أن ندعوه الكآبة، اذا أردت أن تعذر الرجل. غير اني أحلف برأسي أن ذلك من قبيل المكابرة. لكن لماذا؟ لماذا؟ دعه يعلمنا بالموجب اسمح لي بكلمة، يا مولاي.

(ينفرد بأكاممنون جانباً).

نسطور : ما الذي دعا اجاكس الى العواء عندما رآه؟

اوليس : اخيل سلبه جنونه.

نسطور : من؟ ثرسيت؟

اوليس : أجل.
نسطور : اذاً، لا يسع أجاكس أن يعترض، لأنه فقد حجّته الوحيدة.
أوليس : هذا غير صحيح. أنت ترى انه اتخذ حجة من سلَبه حجّته، وأعني أخيل.
نسطور : هكذا أفضل. لأن انفصالهما أصبح بالنسبة إلينا أمنية أولى من اتّحادهما. لكن صلتهما كانت أمتن وأقوى من أن يهدمها مجنون.
اوليس : الجنون يستطيع أن يهدم الصداقة بسهولة أكثر من الحكمة التي تبنيها. ها هوذا بتروكل.

(يدخل بتروكل).

نسطور : اخيل ليس برفقته.
اوليس : للفيل مفاصل تساعده على الانحناء. غير أنه بعيد عن كل ادب. وله قوائم غليظة ليقف عليها، لكنه لا ينحني ولا يساير.
بتروكل : كلّفني أخيل بأن أقول لك انه مستاء جداً. إذْ إن أسباباً أخرى للترفيه والتسلية قد دفعت جلالتك وهذا الموكب من النبلاء الى زيارته. فانه يرجو الحصول على كل ما تشاء لأجل المحافظة على صحتك. لذا يأمل أن تتنشّق الهواء الطلق بعد العشاء.
اكاممنون : اسمع، يا بتروكل. نحن لدينا أمثال هذ الأجوبة. لكن هذه الحجج الغريبة المرسلة على أجنحة الازدراء لا يتسنى لها أن تتجاوز دخولنا في الموضوع. هو أهل لكل تكريم. ونحن دواعينا كثيرة لمعرفة نواياه. مع ذلك، نرى ان فضائله التي لا يستخدمها بطريقة سليمة قد أخذت تفقد بريقها في نظرنا كلنا. ومثل الفواكه الجميلة المرصوفة في زورق غير نظيف قد تبقى زمناً طويلاً وتفسد قبل أن يذوقها أحد. اذهب، وقل له اننا جئنا لنكلمه. ولن تسيء التصرف اذا اضفت له اننا نجده كثير العنجهيّة قليل الشرف واوفر اعتداداً بنفسه من إكبار الرأي العام مزاياه الحميدة. دعه يعلم ذلك. فان أشخاصاً أرفع منه مقاماً يتحمّلون نزواته

السمجة، ويتغافلون عن كرامتهم المقدسة وسلطانهم الواسع لمسايرته بسماحة، كما لو كانت اعباء هذه الحرب ملقاةً على عاتقه، يختال بها على هواه. اذهب وردّد له كل ما سمعته مني، وأضف له انه اذا بالغ في فرضَ الثمن باهظاً، سنضطر الى الاستغناء عنه حتماً. ونظير آلة غير نافعة، نطرحه في زاوية الاهمال قائلين : « لنكلّف غيره، لأنه لم يعد قادراً على مواصلة القتال، ونفضّل اللجوء الى أبله يقظ ولا الاتكال على جبّار نائم ». أجل، ردّد له كل ذلك.

بتروكل : كما تشاء. سأنقل له أقوالك، وآتيك فوراً بجوابه.

(يدخل الى الخيمة).

اكاممنون : لا تفكّر بتكليف من ينوب عنّا في التحدث اليه، لأننا جئنا لننبهه شخصياً. أوَلا يمكنك أن تدخل؟

(يدخل أوليس الى الخيمة).

اجاكس : بماذا يمتاز هو عن سواه؟

اكاممنون : انه ليس أوْلى مما يظن هو نفسه.

اجاكس : وهل بلغت مهارته هذا الحدّ؟ ألا تعتقد بأنه يجد ذاته متفوّقاً عليّ؟

اكاممنون : بدون شك.

اجاكس : وأنت هل تميل الى الأُخذ برأيه، وتعتقد بأنه يفوقني مقدرةً؟

اكاممنون : كلا، أيها النبيل أجاكس، انت قوي وباسل وحكيم نظيره، ولستَ أقل منه رفعة بل أكثر لياقة وأسلس منه معشراً.

اجاكس : كيف يتسنى لهذا الرجل أن يتّصف بالشموخ؟ من أين أتته العجرفة؟ فأنا لا أعرف التجبّر مطلقاً.

اكاممنون : لأنك بعيد النظر، يا اجاكس، تسمو فضائلك على كل نقيصة. بينما تتآكل في داخله الكبرياء وينظر الى ذاته بمرآة التعالي وتنتفخ أوداجه في كل مناسبة بروح المقت والازدراء. فمن

امتدح نفسه على أساس فضائل لا يدعمها الواقع، يقضي الثناء على استحقاقات أعماله الخيّرة.

اجاكس : أنا أكره المتكبّر، كما أكره بشاعة الضفادع.

نسطور (على حدة) : مع ذلك، هو يحب ذاته. أوليس هذا الأمر غريباً.

(يدخل اوليس).

اوليس : اخيل لا يريد أن يقاتل غداً.

اكاممنون : وما هو عذره؟

اوليس : انه لا يبدي أية حجة مقبولة، بل ينساق وراء مزاجه، بدون الاستناد الى أي اعتبار أو مراعاة خاطر أي إنسان، تقوده اهواؤه الشخصية واعتداده بذاته.

اكاممنون : لماذا لا يريد، بناءً على طلبنا، أن يغادر الخيمة ويتنشق الهواء النقي؟

اوليس : هذا اقل ما يُطلب منه، وهو يعتبر ذلك أمراً هاماً. لأن روح العظمة يسيطر على تصرفاته، حتى انه لا يفكّر إلّا بتشامخ يهيمن على كل كلمة يتلفظ بها. وأفضاله الوهمية تجعل دمه يغلي في عروقه بقوة وحماس بشكل يزعج أخيل ويدفعه الى الهذيان رغم سيطرته على عواطفه. ماذا اقول لك؟ انه متكبّر الى أبعد حدود العجرفة حتى ان جميع دلائل الشر المدمّر تصرخ به : لا علاج لدائك هذا، يا أغبى الأغبياء.

اكاممنون : دع أجاكس يمضي اليه (لأجاكس). أيها المولى العزيز، إذهب وسلّم عليه داخل خيمته، لعلّه، استجابةً لطلبك، يحيد قليلاً عن تعنّته.

اوليس : يا اكاممنون، لا أريد أن تصل الأمور الى هذا الحدّ. نحن نبارك جميع الخطوات التي يُقْدِم عليها اجاكس للابتعاد عن اخيل. ما هذا الموقف؟ ان سيداً متعالياً مثله يتشبّث بما يخطر بباله وتلوكه ذهنيته الضيّقة، لا سبيل لنا الى أخذه بعين الاعتبار

وتقديره كمخلوق عزيز جديز بكل اعجاب. (يشير الى اجاكس).
لن نسمح لشخص نظيره يفتقر الى الشجاعة والحكمة بأن ينتزع غار مجدٍ كسبناه بنبل وشهامة. كلا، لن يستطيع بموافقتي أن يستخفّ بالكرامة العالية التي يتمتع بها اخيل، حين يذهب الى هذا الأخير. ففي هذه الحالة نشجّع اجاكس على الاستمرار في غيّه وعجرفته، ونذكي نار الحقد الذي يملأ صدره تجاه أيّ انسان سواه. ولا أظن ان ذهاب هذا المولى الى اخيل مفيد. أسأل الاله المشتري أن يحمينا من الصراخ بصوت كهزيم الرعد : « على أخيل أن يذهب الى اجاكس ».

نسطور (على حدة) : هذا حلّ مرضٍ يعالج موطن الضعف فيه.

ديوماد (على حدة يشير الى اجاكس) : كم نستشمّ من سكوته رائحة مديح نفسه.

اجاكس : اذا مضيت اليه سأشوّه وجهه بقفّازي الحديدي.

اكاممنون : لا تذهب اليه.

اجاكس : اذا تشامخ وتعالى عليّ سأحطّم كبرياءه. دعني أذهب اليه.

اوليس : كلا، ولو كلّف، الأمر ثمن الحملة المسندة الينا.

اجاكس : تبًّا له من شقيّ وقح لا يستحي.

نسطور (على حدة) : ما أبرعه في وصف ذاته.

اجاكس : هل يسعه أن يكون عشوراً؟

اوليس (على حدة) : الغراب يخشى المساء ويلعن العتمة.

اجاكس : سأعكّر مزاجه.

اكاممنون (على حدة) : ما أغرب المريض الذي يتصوّر نفسه أنه الطبيب المداوي.

اجاكس : لو فكّر الجميع مثلي...

اوليس (على حدة) : لظلّوا بعيدين عن كل منطق سليم.

اجاكس : لن يخرج من المعركة سالماً. إذْ عليه أن يتلقّى سيوفاً عديدة مختلفة. فهل يُعقل أن يفوز التكبّر بالغلبة.

نسطور (على حدة) : إن تحقّق ذلك، ظفرت أنت بنصفه.

اوليس (على حدة) : لا بد من الحصول على الأعشار العشرة كلها.
اجاكس : لا بد من أن أعجن عريكته وأليّنها كما يجب أن تكون. (على حدة لأوليس). ليس جاهزاً بعد تماماً. عليك أن تكيل له المزيد من المديح، وأن تُغدق عليه الثناء باستمرار، لأن تعطّشه اليه يكاد يقتله.
اوليس (لأكاممنون) : مولاي، اراك تهتمّ كثيراً بهذه المسألة.
نسطور : لا تفكر بذلك بعد الآن، أيها القائد النبيل.
ديوماد : لا بد من أن تستعد للقتال بدون مساعدة اخيل.
اوليس (لديوماد) : مجرّد ترديد هذا الاسم يجرح شعوره (يشير الى اجاكس). ها هوذا رجل بكل معنى الكلمة... لماذا أعلن بحضوره؟ علي أن أصمت.
نسطور : لماذا، لأنه أقلّ طموحاً من أخيل.
اوليس : لكن الجميع يعلمون انه باسل مثله.
اجاكس : ابن حرام، ويهزأ هكذا بنا. كما تمنّيت لو كان طروادياً.
نسطور : يا لمصيبة اجاكس حينذاك.
اوليس : لو كان لديه بعض العزّة.
ديوماد : أو كان متعطّشاً الى المديح.
أوليس : أو كان فقط حادّ الطبع...
ديوماد : أو صاحب أهواء أو أناني.
اوليس (لأجاكس) : أشكر السماء، يا مولاي، على كونك كريم الأخلاق. وأشكر من أنجبتك، هكذا سامي النفس، وأرضعتك لبانها الأبيّة. ليكن الحلم رائدك. لكنْ، المجد لمواهبك الطبيعية التي تَفْضُل كل علم غزير. أمّا هو الذي درّب ساعدك على القتال فليشطر إله الحرب مارس مرتع الخلود ويهبك نصفه، كي تنتقل أوصاف حامل الثور ميلون الى اجاكس الصنديد. أنا لا أريد أن أمتدح حكمتك، لئلا تحدّ معالمها رحابة مزاياك العالية. ها هوذا نسطور وقد لقّنه الزمان، وهو سيد الآثار القديمة، دروساً لا تنسى.

فقد كان ولا يزال ولا يمكن أن يكون إلا منتصراً. لكن، اعذرني إن قلت لك، أيها العاقل نسطور، لو كنت فجًّا نظير أجاكس، ودماغك من ذات جبلته، لما فقته حتماً، بل على الأكثر عادلته.

اجاكس (لأوليس) : هل تريد أن تنادي لي والدي؟

اوليس : طبعاً يا عزيزي.

ديوماد : دعه يوصلك، يا مولاي اجاكس.

اوليس : لا فائدة من البقاء هنا. فالغزال أخيل لا يريد أن يخرج من بين الأغصان حيث يختبئ. أتمنى أن يجمع القائد الأعلى كافة أعضاء مجلسه الحربي. فان ملوكاً آخرين قد أتوا الى طروادة. ولا بد لجميع قواتنا من أن تكون غداً على أتم الاستعداد. (يشير الى اجاكس). ها هوذا السيد المحترم عليكم، يا فرسان الشرق والغرب، أن تتقدّموا وتختاروا النخبة من بينهم. وسيواجه اجاكس افضلهم.

اكاممنون : هيوا بنا الى المجلس، ولندع اخيل يرقد. فالمراكب الخفيفة تهرول مسرعة، بينما السفن الضخمة تبطئ في سيرها.

(يذهبون).

الفصل الثالث

المشهد الأول

امام قصر بريام في طروادة

(يدخل بنداروس وأحد المرافقين)

بنداروس : يا صاح، أود أن أوجّه اليك سؤالاً. أولست من حاشية المولى الشاب باريس؟

المرافق : اجل، يا سيدي، عندما يمشي امامي.

بنداروس : هل أنت مرتبط به؟

المرافق : اجل، انا مرتبط بهذا المولى.

بنداروس : هل أنت مرتبط أيضاً بهذا الوجيه النبيل، الواجب عليّ امتداحه.

المرافق : نعم، وهو مولى يستحق الشكران.

بنداروس : وأنت تعرفني، أليس كذلك؟

المرافق : أجل، يا سيدي، بصورة سطحية.

بنداروس : عليك، يا صاح، أن تعرفني معرفة وافية. فأنا السيد بنداروس.

المرافق : ارجو ذلك يوماً.

بنداروس : فيسعدك الحظ آنذاك.

المرافق : انت تتمتع بمكانة مرموقة.

(تصدح الموسيقى).

بنداروس : من فضلك، ليس تماماً، يا صاح. ولقبي هو صاحب السيادة. ما هذه الموسيقى؟

المرافق : انا لا أعرفها إلّا جزئياً، فهي قسم من مقطوعة كبيرة.

بنداروس : أتعرف الموسيقيّين؟

المرافق : بكل تأكيد.

بنداروس : لمن يعزفون؟

المرافق : للمستمعين، يا سيدي.

بنداروس : بناءً على طلب من، يا صاح؟

المرافق : على طلبي انا وطلب سائر محبي الطرب.

بنداروس : عندما أفصح عن رغبتي أعني ما أقول، يا صاحبي.

المرافق : ماذا تودّ أن أطلب لك، يا سيدي؟

بنداروس : نحن لسنا ممن يجرّب أحدنا الآخر، يا صاح. فأنا ظريف متواضع، وأنت تتظاهر بالفطنة. أرجوك أن تفيدني صراحةً، على طلب من يعزف هؤلاء الموسيقيّون.

المرافق : لعمري، هذا سؤال في محلّه. إعلم يا سيدي، انهم يعزفون بناءً على طلب مولاي باريس الموجود شخصياً هنا، تصحبه شبيهة الإلهة فينوس الأصيلة، والآية المنظورة التي تمثّل روعة الجمال.

بنداروس : من تعني؟ أإبنة اخي كريسيدا؟

المرافق : كلا، يا سيدي. اعني هيلانة. أوَلم تحزر من هي من مجرد الأوصاف التي ذكرتها لك عنها؟

بنداروس : يبدو لي، يا صديقي، انك لم تشاهد السيدة كريسيدا بعد. انا قادم من قبل الأمير ترويلوس للتحدّث الى باريس. وأودّ أن أفاجئه بتقديم احتراماتي له، لأن القضية حامية جداً.

المرافق : القضية حامية؟ ها هوذا موضوع غريب شيّق.

(يدخل باريس وهيلانة ثم حاشيتهما).

بنداروس : ألْف تحية أوجّهها اليك، أيها المولى النبيل والى هذا الحفل الكريم. ما أبهى الأماني التي يحلم بها في هذا الجو المرح، جمعكم السعيد وخاصةً هذه الملكة الرائعة. أتمنى لكم أطيب الأوقات.

هيلانة : سيدي العزيز، كلامك أحلى من العسل.

بنداروس : لأنك حلوة تتلفّظين بهذه الكلمات المعسولة، أيتها الملكة الفاتنة. وأنتم أيها الأمراء المتميزون بالوسامة والأناقة، سامحوني إن انا قاطعت هذه الموسيقى الرخيمة.

باريس : لا بأس إن قاطعتها، يا ابن العمّ. لكن، بحياتي، لا بد من التعويض عنها. فعليك أن تُتْبعها بمقطوعة تتذوّقها. (لهيلانة). انه حقاً في غاية اللياقة واللباقة، يا عزيزتي نيلّي.

بنداروس : لا أظن، يا سيدتي.

هيلانة : سيدي...

بنداروس : اؤكد لك ان صوتي أجشّ وكلامي في غاية الخشونة.

باريس : هيا، يا سيدي، أنشدْ لنا. انك تتوسّل أعذاراً غير مقبولة.

بنداروس (لهيلانة) : جئت لأتحدث الى مولاي، أيتها الملكة العزيزة. فهل تأذن لي، يا مولاي، بكلمة أقولها لك؟

هيلانة : كلا، لن نخالفك. ثم نستمع حتماً الى غنائك العذب.

بنداروس : شكراً جزيلاً، أيتها الملكة اللطيفة. لا شكّ في انك تمزحين. ها هوذا مولاي. تفضّل بالإصغاء اليّ، يا مولاي. فان شقيقك الكريمترويلوس...

هيلانة : سيدي بنداروس، أيها المولى المعسول الكلام...

بنداروس : هيا، أيتها الملكة الفاتنة، هيا. (بصوت خافت لباريس). ارجوك بكل احترام أن تستمع.

هيلانة : املي ان لا تشوّش هذا النغم الساحر. واذا فعلت، فلتصمّ هذه الألحان أذنيك.

بنداروس : أيتها الملكة الفاتنة، صدقيني ان قلت لك انك ملكة رائعة حقاً.

هيلانة : لا تنسَ ان إحراج امرأة جميلة إهانة لا تغتفر.

بنداروس : لا، لا. كل هذا التمهيد، في الحقيقة، لا يفيدك. لاني لست ممن يتأثر بمثل هذا الإطراء. كلا، ثم كلا. (بصوت خافت لباريس) مولاي يرجوك، اذا طلب الملك ذلك أثناء جلوسه الى المائدة، أن تتفضّل وتعذره.

هيلانة : سيدي بنداروس...

بنداروس : ماذا تقول ملكتي الفاتنة، ملكتي الساحرة الفائقة الجمال؟

باريس (بصوت خافت لبنداروس) : بأي عمل باهر تفكّر؟ وأين تتعشّى هذا المساء؟

هيلانة (لبنداروس) : أرجوك، يا سيدي...

بنداروس : ماذا تقول ملكتي الرائعة؟ (بصوت خافت لباريس). ستحنق عليك ابنة اخي. أوَلا تعرف أين تتعشّى هي هذا المساء؟

باريس (بصوت خافت لبنداروس) : اراهن على قطع رأسي بأن هذه المسألة تتعلّق بكريسيدا المسالمة وحدها.

بنداروس (بصوت خافت لباريس) : كلا، كلا. لا صلة لها بتاتاً بالموضوع، وأنت لم تُصِبْ الهدف. لأن هذه المسألة المزعومة لا تسْلَم من اللوم.

باريس (بصوت خافت لبنداروس) : حسناً اذاً. وأنا أعتذر عنها.

بنداروس (بصوت خافت لباريس) : جيد جداً، يا سيدي الكريم. لماذا أتيت على ذكر كريسيدا؟ أؤكد لك ان هذه المسالمة حقاً لا تسلم من الملامة.

باريس : أظنّ...

بنداروس : أوَتظنّ؟ وماذا تظنّ؟ (بصوت مرتفع) : هيوا، أعطوني آلة موسيقية. أترينها، أيتها الملكة العزيزة؟

هيلانة : هي طريفة جداً.

بنداروس : ابنة أخي مغرمة بأمر يخصّك شخصياً، أيتها الملكة الفاتنة.

هيلانة : وستحصل عليه، يا سيدي، بشرط أن لا يكون ذلك مولاي باريس.

بنداروس : هو، لا، لا. لأنها لا تريده، ولأنه يختلف عنها كثيراً.

هيلانة : اذاً، اتفقا بعد خلافهما. وقد يصبحان ثلاثة أشخاص.

بنداروس : هيا، هيا. لنكفّ عن التحدّث في هذه المسألة المعقّدة. والآن، أُسمعكم أغنية.

هيلانة : أجل، أجل. أرجوك ان تنشد. أؤكد لك، يا مولاي الوسيم، ان جبينك العالي في غاية الروعة.

بنداروس : نعم، نعم. تابعي قولك.

هيلانة : أتمنى لك أن تقع في هوى مَن تُعجَب أنت بها. ولسوف يرمينا هذا الحب جميعاً في أسوأ المهالك. ما أعجب كوبيدون وأغرب مراميه.

بنداروس : أجل، هذا الحب سيهلكنا.

باريس : نعم، الحب وليس إلّا الحب يتحكّم بسلوكنا :

الحب، وليس إلا الحب، ودائماً هذا الحبّ.
ها هي سهامه المسدّدة تنصبّ
على الغزلان والنعاج التي تعبّ
من معين عواطف المغرم الجريح،
فتعذّبه باستمرار ولا تدعه يستريح.
أمّا العشاق فيصرخون : آه، باستسلام،
ويشكون من عذاب تبدّد الأحلام.
ثم يبدلون هتاف الاعجاب بصيحة الآلام.
فتحيا المحبة دائماً وتوشك أن تموت،
مفضّلة لوعة الشوق كأنها في العشق قوت،
تغذّيه الآهات طوال ساعات لا تفوت.

هيلانة : انه، لعمري، هائم غارق حتى أذنيه في هواه العجيب.

باريس : ولا يأكل، يا حبيبتي، إلاّ لحم الحَمَام الذي يجعل دمه يغلي في عروقه كأنه في مرجل، والدم حين يغلي يولّد الأفكار المكتوية بنار الغرام، والأفكار المكتوية هي جوهر الحب وجنة العاشقين.

بنداروس : أهذه هي مراتع الهيام : الدم الحامي والأفكار المكتوية والتصرفات المهووسة، وكلها مريعة كالأفاعي السامة. فهل الحب هو وليد هذه الأفاعي اللعينة؟ ألا قل لي من لنا اليوم في ساحات القتال؟

باريس : هكتور ودايفوبوس وهيلينوس وانتينور وكل نخبة بواسل طروادة. ولو لم تأبى نيلّي ذلك، لكنت تقلّدت اليوم بالذات انا أيضاً كامل اسلحتي. ماذا حدا بأخي ترويلوس كي لا يرافق سائر المقاتلين؟

هيلانة : هو حانق لسبب وجيه، أنت تعرفه، يا مولاي بنداروس.

بنداروس : كلا، أيتها الملكة الحلوة. لقد تأخّرتُ في الاطلاع على ما بادروا الى تدبيره اليوم... فهل تفكّر، يا باريس، في مسامحة أخيك؟

باريس : بكل تأكيد.

بنداروس : الوداع، أيتها الملكة الفاتنة.

(يخرج، ويدق نفير الانسحاب).

باريس : ها قد عاد الجنود من ساحة المعركة. فتعالوا نذهب الى قصر بريام لتهنئة المقاتلين على شجاعتهم. ارجوك، يا هيلانة اللطيفة، أن تنتزعي أسلحة عزيزنا هكتور. لأن مَحَابك ردائه تطاوع بسهولة أكثر، ملامسة يديك البيضاوين الناعمتين اللتين تسحران حتى القواطع الفولاذية، وصلابة عضلات الاغريق. وهكذا تؤثّرين أكثر مما يفعله ملوك هؤلاء الاغريق إذ تنتزعين اسلحة هكتور.

هيلانة : انا فخورة بأن أخدمه، يا باريس. أجل، والاحترام الذي ابديه له يضيف رونقاً جديداً الى معالم جمالي، ويعلي شأني فيما بينكم.

باريس : أيتها الفاتنة الفطنة، حلو حديثك زادني غرقاً في بحر هواك.

(يذهبون).

المشهد الثاني

في حديقة بنداروس وسط طروادة

(بنداروس والمرافق يلتقيان).

بنداروس : أين معلمك؟ أهو عند ابنة اخيه كريسيدا؟

المرافق : كلا، يا سيدي. هو بانتظارك ليصطحبك الى هناك.

(يدخل ترويلوس).

بنداروس : ها هوذا. هيا بنا.

ترويلوس (للمرافق) : إنسحب، يا هذا.

(ينسحب المرافق).

بنداروس : هل رأيت ابنة أخي؟

ترويلوس : كلا، يا بنداروس. انا أتنزّه قرب بابها، كروح غريب هائم على ضفاف نهر استيكس بانتظار المركب الذي ينقلني اليها. فخُذ أنت مكان كارون وأوصلني بسرعة الى الحقول حيث أتمرّغ على شتلات الزنبق المخبأة لمستحقّيها. يا بنداروس اللطيف، انتزع من اكتاف كارون أجنحة كوبيدون وطِرْ بي نحو كريسيدا.

بنداروس : تنزه أنت هنا في هذه الحديقة، وأنا أوصله حالاً اليها.

(يخرج بنداروس).

ترويلوس : لقد طاش صوابي، والانتظار اورثني الدوار، وعذوبة المتعة الخيالية هي أحلى التسليات التي هزّت مشاعري. فبماذا احسّ يا ترى عندما اذوق حقيقةً رحيق الحب الذي يشيد به المغرمون المكتوون بنار الهوى؟ أخشى أن يكون طعمه كمرارة الموت وحنظل الفناء في الاغماء. سيكون ذلك السرور سائغ المذاق وقوي المفعول

ولذيذ النكهة بالنسبة الى قدرة أحاسيسي الخشنة. هذا ما أخشاه فعلاً كما أخاف أن تنهار مشاعري أمام كل هذه السعادة الفائضة، تماماً كما هو الحال خلال معركة يطارد فيها المنتصر فلول عدوّه المهزوم الهارب أمامه على غير هدى.

(يعود بنداروس).

بنداروس : هي تتهيّأ للمجيء الى ساحة القتال. والآن عليك أن تثبت انك حاضر الذهن ثابت الجنان. فخدودها حمراء وأنفاسها متقطعة كأن شبحاً هائلاً يروّعها. ها أنا ذاهب لآتي بها. ولا تنسَ انها أجمل خبيثة بين الحسان، وان أنفاسها أقصر من نفس عصفور الدوري الذي التقطناه منذ لحظات.

(يخرج بنداروس).

ترويلوس : ضيق نفسي يطبق على صدري. وقلبي يخفق بسرعة من شدّة تأثري، ويكاد نبضي المضطرب وسائر حواسّي تفقد توازنها، كما يرتعش الوكيل عندما تلتقي انظاره بغتةً بعيون سيده المؤنب.

(يدخل بنداروس ومعه كريسيدا).

بنداروس (لكريسيدا) : هيّا بنا. لماذا احمرّ خدّاك؟ الحياء من ميزات الأولاد. (لترويلوس). ها هيذا. كرّر عليها جميع الأيمانَ التي أقسمتها لي. (لكريسيدا). لماذا تنوين الذهاب ثانية؟ هل تحتّم علينا أن نعاملك بقسوة لنردّك الى جادة الصواب؟ هل من حاجة فعلاً الى ذلك؟ سيري، هيا سيري. واذا تراجعت وضعناك في المقدّمة. (لترويلوس). لماذا لا تكلّمها أنت؟ (لكريسيدا). هيا اسحبي هذا الستار، وأرينا لوحتك. (يرفع لها الستار). ما أغرب هذا النهار. لماذا تخشين أن تغطيه؟ لو خيمت عتمة الليل، لما تأخر أحدكما عن الاقتراب من الآخر. (يشدّ أحدهما الى الآخر). هكذا، هكذا. هيا لاطفها وقبّلها. ما أحلى هذا العناق الطويل. شيّدْ هنا، أيها

البنّاء، سكناً فيه يطيب المناخ. لا بد لقلبيكما من أن ينفجرا قبل أن أدعكما تفترقان. حان للصقر أن يحظى بانثاه، بين جميع بطّات النهر. هيا، هيا.

ترويلوس : لم تَدَعي لي مجالاً للتكلم، يا سيدتي.

بنداروس : الكلمات لا تسدّ الديون التي تحتاج الى أعمال. لكني أخشى ان تستنفد هي كل افعالك أيضاً. اذا ما أجرت تجربة على مقدرتك. ما معنى مواصلة العناق؟ وبناءً على ذلك تمّ الاتفاق بين المتواطئين... هيا ادخلا. وسآتيكما بنار تدفئكما.

(يخرج بنداروس).

كريسيدا : أتريد أن تدخل، يا مولاي؟

ترويلوس : عزيزتي كريسيدا، كم وكم اشتهيت أن أتصرّف هكذا.

كريسيدا (حالمة) : هل حقاً اشتهيت، يا مولاي؟ ان الآلهة ذاتها تريد ذلك.

ترويلوس : الآلهة تريد ذلك فعلاً، وإلاّ... لماذا هذا التنهد العميق؟ هل ترين ثمالةً في كأس حبنا الصافي؟

كريسيدا : الثمالة تزيد أحياناً على الماء النقي، إن كان بصري سليم الرؤية.

ترويلوس : الخوف يحوّل الملائكة الى شياطين. وأنا أرى انك لا تبصرين بوضوح.

كريسيدا : الخوف الأعمى الذي تقوده البصيرة المنفتحة، يسير بثقة أضمن من البصيرة العمياء المتمادية بدون وجل. والخشية من الأسوأ غالباً ما تداوي هذا الأسوأ.

ترويلوس : لا ينشغل بالك، يا سيدتي، ولا تخافي. فعلى مسرح إله الحب كوبيدون لا يظهر أي مسخ مزعج.

كريسيدا : ولا أي كائن مريع آخر.

ترويلوس : كلا، ليس هناك سوى مبالغاتنا. بينما نحن نحلف اننا سنذرف دموعاً توازي مياه البحار، ونعيش وسط النيران وننهش الصخور ونروّض النمور، فنواجه صعوبات جمّة تتوهّم صويحباتنا انها

أشقّ ما نلاقيه في تذليها. وأهوال الحب، يا سيدتي، تكمن في الاعتقاد بأن هذا الحب قد انتهى، وفي التقاعس عن إرواء رغباتنا. لأن الشهوات لا حدود لها، وعملها يظل اسير الحدود التي نرسمها.

كريسيدا : يقال ان العشاق يتعهدون دوماً بأكثر مما يستطيعون أن يحقّقوه، وانهم لا يقوون على تنفيذ جميع ما يقطعون من وعود، لأنهم غير قادرين على الوفاء بها كلها. فيتعهدون بعشرات الأمور ويكادون ينفذون عشرها فقط. والغريب في هذا الوضع هو ان الذين يزأرون كالأسود يهربون كالأرانب، لأنهم من فئة المسوخ البغيضة.

ترويلوس : هل في الكون مثل هؤلاء الرجال؟ انا بكل تأكيد لست منهم. إن شئت ان تمتدحيني، فبقدر ما أُساوي. واحكمي عليّ بعد الاختبار، لأن رأسي سيتابع المسيرة مكشوفاً حتى يستحق التاج الذي يليق به. لا تديني إنجازاتي حتى تحظى بالتقدير والشكران. وعلينا أن لا نصنّف القيم قبل أن ترى النور. وحين تصبح في حيّز الوجود، علينا أن نصفها بتواضع واتّزان. بوجيز العبارة، هذا هو اعتقادي : سيكون ترويلوس صنْو كريسيدا التي رمى الحسد أمانتها بأقبح التهم. ومهما أنصفتها الوقائع الصادقة، لن تكون أخلص وأوفى مني انا ترويلوس.

كريسيدا : هلاّ دخلت، يا مولاي؟

(يعود بنداروس).

بنداروس : ما الداعي الى احمرار الخدود على الدوام؟ ألم يقف بعد حديثكم عند حدّ؟

كريسيدا : حسن، يا عماه انا مستعدة لاطلاعك على كل الحماقات التي ارتكبها.

بنداروس : اشكرك على هذه الثقة. اذا كان لمولاي ولد منك، لا تتأخري

عن أن تنسبيه إليه. كوني أمينة نحو مولاي. واذا انتابته فترة ضعف، ما عليك إلاّ أن تلوميني انا.

ترويلوس (لكريسيدا) : أنت تعرفين الآن هذين العاملَيْن الأساسيَّين : وعد عمّك وايماني الوطيد بك.

بنداروس : وأنا أتحمّل مسؤوليتي حيالهما. ففي اسرتنا لا نقتنع بالأمور بسهولة وعجلة. لكن، متى اقتنعنا لا يتزعزع ايماننا، لأننا كالمرساة الثابتة أؤكد لك اننا نتشبّث بالأرض التي نرتضيها ونعيش تحت سمائها هانئين.

كريسيدا : ها قد استعدتُ شجاعتي التي تزوّدني بالحماس، أيها الأمير ترويلوس، بعد ان مرّت عليّ شهور عديدة كئيبة، وأنا هائمة بحبك أفكّر فيك ليلاً نهاراً.

ترويلوس : لماذا، يا عزيزتي كريسيدا، طالت بك الأيام حتى اقتنعتِ أخيراً بحبّي؟

كريسيدا : أجل طالت بين الأيام، مع اني من اول نظرة أحببتك. اعذرني، يا مولاي، إن لم أعترف بذلك قبلاً، لأني خشيت أن تستبدّ بي عواطفي. أجل، أنا أحبك. لكن ليس بالقدر الذي يمكّنني من التحكّم بهواي. كانت أفكاري شبيهة بأولاد طائشين ركبوا عنادهم للحفاظ على والدتهم. فانظر كم نحن النساء مهووسات. لماذا انا اثرثر هكذا؟ من يظل وفيًّا لنا عندما لا نحفظ اسرارنا الخاصة؟ فرغم تعلّقي بك لم اظهر لك ميلي. غير اني في الحقيقة تمنّيت لو كنت رجلاً، أو على الأقل أتمتّع بما ينفرد به الرجال من امتيازات، أوّلها المبادرة في بدء الحديث. يا صديقي العزيز، قل لي أن أصون لساني. لأني في هذا الانفتاح لا بد لي من أن أكشف عمّا قد أندم على التصريح به. وهكذا حين لا أصمت برزانة تنتزع من ضعفي أعمق أسراري. فأرجوك أن تساعدني على إغلاق فمي.

ترويلوس : أنا طوع بنانك، وأتعشّق النبرة العذبة التي تخرج منه.

(يقبّل شفتيها).

بنداروس : لعمري، هذا بديع جداً.

كريسيدا : سامحني، يا مولاي. ألتمس منك أن تسامحني. أنا لم أقصد أن أتسوّل منك قبلة. انا مستحية. أيتها السماء، ماذا فعلت؟ هذه المرة أودّعك جدّياً، يا مولاي.

ترويلوس : أتودعينني، يا كريسيدا الفاتنة؟

بنداروس : تودّعينه الآن؟ ما رأيك في أن تودعيه غداً صباحاً؟

كريسيدا (لترويلوس) : ارجوك أنت تزْعني.

ترويلوس : ماذا يضايقك هنا؟

كريسيدا : وجودي بالذات، يا مولاي.

ترويلوس : لا يسعك أن تتجنّبي ما هو جزء من كيانك.

كريسيدا : دعني أجرّب ذلك بذهابي. لأن جزءاً مني سيبقى معك. اما جزئي السّيء فيستسلم ليكون لعبة في يد سواه. كم أودّ أن أكون قد ذهبت. لست أدري أين عقلي، ولا أعرف ما أقول.

ترويلوس : لا بد للمرء من ان يدرك ما يقول، عندما يتكلم بمثل هذه اللباقة.

كريسيدا : يمكنك أن تعتقد، يا مولاي، باني اظهرت التعقل أكثر من الحب. واني لم ابلغ حدّ التصريحات الجوهرية إلا لأقتنص أسرارك. لكن، كما تعلم، لا سبيلٍ للانسان أن يتحدث برصانة واتّزان إلا عندما لا يكون عاشقاً. وهذا أمر يستحيل على الرجل أن يحقّقه، لأنه خاص بآلهة العلاء.

ترويلوس : لو ظننت ان ذلك ممكن بالنسبة الى المرأة (وكانت المسألة صحيحة، كما أرجو) للمحافظة على الشعلة المتأجّجة المنبعثة من حبها، وصيانة الأمانة بنضارتها وورنقها، كي يبقى جمالها وهّاجاً خارجياً بفكرة الاستعجال لاسترداد زهو الصبا بسرعة أكبر ممّا في العزم المائل الى الشيخوخة. واذا، بفضل هذا الاقتناع، اقتنعت انا بأنّ أمانتي المصرّة على التعلق بك، تلاقي

لهفةً وحباً آسراً، كم تتملكني البهجة حينذاك. لكن، يا للأسف، أنا وفي بسذاجة كأصدق وفاء ممكن ضمن نطاق البساطة في حقل وفاءٍ صبياني.

كريسيدا : في هذا المجال يسعني أن أضاهيك تماماً.

ترويلوس : يا للصراعِ الفضيل. عندما يكافح الولاء ولاءً آخر ليتبيّن أيهما أكثر امانةً. في مستقبل الأيام سيحلف العشاق الأوفياء أمانة ترويلوس. وحالما تغصّ شاعريّتهم بالاحتجاجات والمواعظ والمقارنات الكبرى وتفتقر الى الصُوَر، عندما تتعب أمانتهم من تكرار تأكيدها انها محافظة على العهد بصورة أصلب من الفولاذ، أمينة كالنباتات للقمر، وكالشمس للنهار وكاليمامة لذكرها، وكالحديد للمغنطيس، وكالأرض لمركزها، حينئذٍ بعد كل هذه المقارنات ستذكرني بالأمانة كأني مبتكرها الأصيل وتتوّج أشعارها بعبارة : « وفيّ نظير ترويلوس ». وتقدّس أعداد حساباتها.

كريسيدا : يبدو عليك انك من الأنبياء. فاذا كنت أنا غير أمينة، وانحرفت بوفائي قيد شعرة، سيأتي يوم، عندما يصبح الزمان مطروحاً في زاوية الاهمال من كثرة القِدَم، عندما تَبْري قطرات الماء أحجار طروادة، ويبتلع النسيان الأعمى بعضَ المدن، وتمسي الدولة خالية من الصروح وقد تفتّت غباراً في هوّة العدم، فتنتقل ذاكرة البشر من خطإٍ الى خطإٍ حتى تتوسّط العاشقات الجاحدات وتفضح الأغلاط. أجل عندما يصرخ الكل ان المجتمع فاسد نظير الثعلب والحمل، والذئب والعِجْل والنمر والنعجة وامرأة الأب وابن زوجها، حينئذٍ لكي يبلغ الفساد صميم القلب يبادر الجميع الى الصراخ : خدّاعة نظير كريسيدا.

بنداروس : هيا، لقد عُقدت الصفقة وتمّ توقيعها، وأنا الشاهد عليها. (لترويلوس). هاتِ يدكَ. وأنت هاتِ يدكِ يا ابنة اخي. فاذا خنتما الأمانة ونقض أحدكما ما قطعه من عهود لرفيقه بعد كل ما عانيته لأجمع شملكما. فليتبجّح كافة الوسطاء باسمي الى منتهى

الدهور، وليُعْتَبَروا مذنبين. وليصبح جميع الرجال غير مستقرين على رأي نظير ترويلوس، وجميع النساء غير أمينات نظير كريسيدا، وجميع الوسطاء مجرمين كالمحكوم عليهم بالإعدام. قولوا آمين.

ترويلوس : آمين.

كريسيدا : آمين.

بنداروس : آمين ثم آمين. وبناءً على ذلك، سأريكما غرفتكما. ولكي لا يبوح سريركما بما يجري من مداعبة طريفة بينكما، تشبّثا بالسرّ حتى الموت. هيا، هيا.

سيظلّل الهوى عشّاقه بأجنحة بيضاء،
وتظلّ الغرفة والسرير والبهجة في أكرم عطاء.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في معسكر الاغريق حيث تشاهد خيمة اخيل

(يدخل اكاممنون وأوليس وديوماد ونسطور واكاجس ومينيلاس وكلْشاس)

كلشاس : اليوم، أيها الأمراء، لقاء الخدمات التي أدّيتها لكم، تدعونني الفرصة الى طلب المكافأة. ففكروا جيداً، نظراً الى تبصّري بأمور المستقبل، اني هجرت طروادة وتخلّيت عن ممتلكاتي، وتعرّضت لحقارة السارق، وتركت ارزاقاً حقيقية، وسعيت الى سعادة وهمية. وانقطعت عن كل ما ألفْته من أوقات وعلاقات وعادات ومراتب متنوّعة. وبنفي ذاتي لأنال حظوة رضاكم، بتُّ كالدخيل في هذا العالم غريباً وحيداً. فألتمس منكم أن تمنحوني الآن هبةً صغيرة نظير أوّل مذاق تلذّذت به من الاحسانات التي سجّلتُها وعودكم وتقولون انها محفوظة لمستقبلكم.

اكاممنون : ماذا تبغي منّا أيها الطروادي؟ قدّم لنا مطلبك.

كلشاس : لديك سجين طروادي مثلي يُدعى انتينور، أُسر يوم أمس. وطروادة متمسكة جداً به. غالباً ما طلبت منك، وغالباً ما شكرت سعيك، أن تقايض كريسيدا التي تخصّنا مقابل اسير بارز، رفضتْ طروادة باستمرار تسليمنا اياه. لكن انتينور هذا، كما أعلم، يمسك بسرّ أعمالهم. وجميع تجارتهم تضطرب اذا لم يكن هناك ليتدبّر أمر وصل الروابط بعضها ببعض. وسيعطيكم تقرياً أميراً اصيلاً، هو أحد أبناء بريام بديلاً عنه. فأرجو أن تردّوه، أيها الأمراء الكرام، ليكون فدية ابنتي. لأن حضور كريسيدا سيعوّض عن كل المشقّات التي تحمّلتُها في سبيل خدمتكم كما تعلمون.

اكاممنون : دعوا ديوماد يأخذ انتينور، ويأتي بكريسيدا الى هنا. وسيحظى كلشاس بما يطلبه منا. يا ديوماد الكريم، تولّى أنت هذه المهمة. وستخبرنا في ذات الوقت، اذا كان هكتور لا يزال يريد أن نردّ غداً على تحدّيه. فان اجاكس على أتم الاستعداد لمواجهته.

ديوماد : يسرني أن أقوم بكل هذه الأعمال. وأنا فخور بأن أكون انا المولج بها.

(يظهر اخيل مع بتروكل عند مدخل خيمته).

اوليس (لأكاممنون) : اخيل موجود عند مدخل خيمته. فاذا طاوعتني، أيها القائد العام، ستمرّ امامه ببرود، كما لو كنت لا تعرفه، وجميع الأُمراء الذين تراهم سيلقون عليه بغموضٍ نظرة عدم اكتراث. وأنا أكون في مؤخّرتهم. وربما سألني لماذا تحوّلتْ عنه جميع العيون بازدراء، فأُجيبه والحالة هذه، باستهزاء يتوسّط برودك وكبرياءه، ولن يتردد عن تحجيمه. فقد يفيده ذلك لأن الكبرياء ليس لها مرآة لترى ذاتها غير معالم الكبرياء. لأن مرونة الانحناء غالباً ما تنتهي الى العجرفة ولا تبخل على المنجبّر بما يستحقه من أجر.

اكاممنون : سننفّذ فكرتك ونتزيّ بمظهر غريب عندما نمرّ امام خيمته وعلى كل سيّد أن يحذو حذونا، فلا يسلّم عليه أحد، إن لم يكن

ذلك على سبيل الازدراء، فلن يضايقه تصرّف أكثر من إشاحة النظر عنه وعدم الاكتراث به. وها أنا مزمع أن أكون في الطليعة لأفتتح الموكب.

(يتقدّم مع نسطور نحو خيمة اخيل).

اخيل : ارى ان القائد العام تكلّم منذ لحظة. انتم تعرفون قراري. فأنا لا أريد مطلقاً بعد الآن أن اقاتل رجال طروادة.

اكاممنون : ماذا قال اخيل؟ هل له مطلب منّا؟

نسطور (يقترب من اخيل) : ماذا تبغي من القائد العام، يا مولاي؟

اخيل : لا شيء.

نسطور (لأكاممنون) : لا شيء، يا مولاي.

اكاممنون : هذا أفضل.

(يخرج اكاممنون ويتبعه نسطور).

اخيل (لمينيلاس الذي يمرّ) : نهارك سعيد.

مينيلاس : كيف حالك.

(يخرج مينيلاس).

اخيل : ماذا يقول؟ هل يزدري بي هذا الأحمق؟

اجاكس (مارًا) : كيف حالك، يا بتروكل؟

اخيل : نهارك سعيد، يا اجاكس.

اجاكس : ماذا تقول؟

اخيل : نهارك سعيد

اجاكس : وأنا أيضاً اقول لك نهارك سعيد.

(يخرج اجاكس).

اخيل : ماذا يقول هؤلاء الشبان؟ ألم يعرفوني أنا أخيل؟

بتروكل : لقد مرّوا بطريقة غريبة، هم الذين اعتادوا الانحناء امام اخيل والابتسام له وقد اتوا اليه بتواضع كأنهم يدنون من هيكل مقدّس.

اخيل : ماذا جرى؟ هل بُليت بالفقر في هذه الآونة؟ من المؤكد ان العظمة عندما يعاندها الحظ، ينفر منها الأصحاب أيضاً. والمنبوذ يقرأ الجفاء في عيون سائر الرجال حالما يشعر بسقوطه من عيون اترابه. فالناس كفراشات لا تعرض جمال أجنحتها المخملية إلّا في الأيام الصافية الجميلة. وفي الانسان ليس الكائن بنفسه هو موضوع التكريم بل الأمجاد التي تحفّ به، من مرتبة وثروة وثقة تأتيه غالباً عن طريق الصدفة لا نتيجة تقدير حسناته. وهذه في الحقيقة مزالق حذرة. فعندما يهبط من عُليائه يجرّ وراءه مناصريه الذين كانوا يستندون الى نفوذه ويتشبّثون بأذياله. غير أني لم أبلغ هذه النهاية لأن الحظ لا يزال يحالفني. وأنا محتفظ بكل ما أملك، ما عدا الابتسام لمن يبدون كأنهم اكتشفوا فيّ صفةً تجعلني أهلاً لاهتمامهم الغالي الذي غالباً ما خصّوني به. (يتقدّم أوليس وعيونه شاخصة الى ورقة). ها هو أُوليس. عليّ أن أكفّ عن قراءة هذه الورقة. ما وراءك؟ يا اوليس؟.

اوليس : ما قولك، يا ابن ثاتيس الكبير.

اخيل : ماذا تقرأ؟

اوليس : رسالة من شاب غريب يكتب لي، وهو مشتّت الأفكار حائر، بصرف النظر عن احواله الخارجية والداخلية، ولا يقوى على الادّعاء بأنه قانع بما لديه، ولا يقدّر ان يمتلك إلا بعد التفكير المليّ الطويل. وهكذا تشعّ فضائله على الآخرين وتشملهم بدفئها، وهم بدورهم يعكسونها على من انبثقت منه.

اخيل : لا غرابة في هذا، يا أوليس. فالجمال الذي يتجلّى هنا على المحيا، يجهله صاحبه نفسه، ولا يتألق لمعانه إلّا في عيون الآخرين. فالعين ذاتها، وهي اداة اللمحات الصافية، لا تبصر ذاتها لأنها لا تقوى على الخروج من محجرها. لكن، عندما

يلتقي نظران، يحيّي أحدهما الآخر بصورة انعكاسية. لأن التأمل لا يرتدّ الى ذاته قبل أن يجول ويقترن بمشهد يتسنّى له أن يرى فيه ذاته. وهذا أمر أؤكد لك انه ليس غريباً ابداً.

اوليس : انا لا استغرب هذه البوادر، لأنها ليست جديدة. لكني أتوقف فقط عند استنتاج الآخرين. ففي تفحّص المسألة بذهنية المتبصّر يصرّح هذا بنوع خاص بان الانسان لا يمتلك شيئاً مهما علت مكانته وتفوّقت صفاته في داخله وخارجه قبل أن يشعر سواه بمزاياه التي لا يعلم بها هو ذاته قبل أن يراها تنمو بفعل تصفيق المعجبين ورجع صدى الهتافات، نظير القبة التي ترجع صدى الأصوات أو عند باب فولاذي اذا تلقّى أشعة الشمس، يعكس نورها وحرارتها. ولقد تأثرت بهذا الواقع الأكيد، وقارنته حالاً بوضع اجاكس المبهم. فقلت في نفسي. ما هذا الرجل؟ انه كالحصان الذي يجهل ما يحمل على ظهره. أيتها الطبيعة كم من الأمور ينفر الرأي العام منها، وهي أثمن مما تُقدّر قيمتها لدى الاستفادة منها. وكم منها بالعكس هي ثمينة في نظر الرأي العام ولا تستحق الذكر. لربما نرى غداً اجاكس، لأجل نجاح يتحفه به الحظ صدفةً، تنهال عليه هتافات التقدير والاعجاب. أيتها السماء ، هل يتوجّب على بعض الرجال أن يقوموا بما أتى به غيرهم من عظائم، وأن يقتحم بعضهم معقل حسن الطالع ويجابه ما ينطوي عليه من شتى الأهواء، بينما يظل سواه هنا تحت انظاره يتغابى ويتغافل، ثم يشارك أمجاد منافسه ويسكر بخمرة ما يلفّه من باطل. انظر الى هؤلاء السادة الاغريق، تراهم يلامسون كتف هذا الثقيل الظلّ اجاكس، كما لو كانت رجله جاثمة على صدر هكتور الباسل، وكما لو كانت طروادة العظيمة تنهار وتصبح اطلالاً.

اخيل : انا أعتقد بحدوث مثل ذلك. لأنهم مرّوا بقربي كأنهم بخلاء أمام متسوّل، بدون أن يلقوا عليّ أية كلمة رقيقة أو نظرة عطف.

وهل يتسنّى لأفعالي أن تُنسى بهذه السهولة؟

اوليس : ان الزمان، يا مولاي، يحمل على ظهره خرجاً يجمع فيه الاحسانات لنسيان هذا المسخ الجبّار العقوق، ونفاياته هي الأعمال الصالحة الماضية التي ينخرها السوس ما ان تنتهي، وتُنسى حالما تتمّ. ولا يصون لمعانها، يا مولاي العزيز، إلا المثابرة والثبات. فعندما يعمل الانسان يظل خارج لعبة الزيّ، معلّقاً نظير حلقة صدئة في مجموعة اسلحة بدائية مضحكة. هيا، سيروا لأن المجد سيمشي في استعراضنا الضيّق المجال الذي لا يسمح للناس إلّا التتابع واحداً واحداً. واحرصوا على ملازمة الدرب، لأن للأزدواجية ألف ولد يحلقون بكم فرداً فرداً. واذا خسرتم موقعكم، أو حدتم عن السبيل المباشر القويم، سرعان ما يحملكم المدّ، فيحثّ الجميع خطاهم ويتركونكم خلفهم تتأخرون. انتم كالجواد النشيط الذي يبرز في الطليعة، فاذا تباطأ ولو قليلاً سبقه سائر المتبارين ووطأوه بأقدامهم. هكذا كل ما يفعلونه حاضراً، مهما كان أدنى من أعمالكم الماضية، يسيطر حتماً على مساعيكم. فالزمان نظير ضيف في بيت محترم، يصافح بهدوءٍ أيدي المدعوّين المغادرين، وكما لو كان يقصد الهرب، يضم القادمين الجدد الى صدره. فالتحية تتّسم بالابتسام، والوداع يرافقه التجهّم والتأوّه. كم أتمنى ان لا يطالب صاحب الاستحقاق أيّ اجر على ما اداّه من فضل، لأن الجمال والفطنة وعراقة النسبة وقوّة البدن والخدمة المبذولة والحب والصداقة والاحسان، جميعها تشكّل هدفاً للحسد والنميمة في كل زمان ومكان. هناك ميزة طبيعية تجعل كافة الناس اقرباء، لأنهم جميعاً بدون استثناء يُشيدون بالدّمى التافهة الجديدة المصنوعة من موّاد عتيقة، ولا يأبهون لما يكسوها من غبار تحت التخريجات المذهّبة الخفيفة التي تبدو من خلال الغبار. النظرة الحاضرة تُعجَب طبعاً بالأمور الحالية. فلا تُدهش أنت الرجل الكبير الكامل الصفات

من أن يميل كافة الاغريق الى تكريم شخصية اجاكس، ما دامت الأشياء المتحرّكة تجتذب بالحري مجمل الأنظار الجامدة التي لا تتحرك. فالهتافات كانت في الماضي موجّهة الى مقامك، ولا يُستغرب ان تستعيد شخوصها اليك ثانية. أجل هذا لا يزال ممكناً، اذا لم تشأ تُدفن حيًّا وتحبس شهرتك في خيمتك، انت صاحب الانجازات المجيدة التي قمت بها في هذه السهول واقامت الآلهة واقعدتها حين حسدتك على أمجادك، وأثارت حفيظة إله الحرب مارس ذاته في هذا الصدد.

اخيل : انّ لانسحابي اسباباً قاهرة.

اوليس : لكن اسباباً أقوى وأمجد تنتقد قرارك وتدينه. فالمعروف، يا اخيل، انك مغرم باحدى بنات بريام.

اخيل : كيف تقول ان ذلك معروف؟

اوليس : ما الغريب في الأمر؟ ألا تدري ان في كل حكومة نشيطة عيناً ساهرة تراقب حتى آخر حبّة من مجموع ذهب بلوتوس الذي يجد ان الهوة السحيقة لا سبيل الى تخطّيها، وتأخذ مكانها الى جانب الفكر، وتقريباً كالآلهة تكشف النوايا في مهدها الصامت. ففي روح الحكومة قوة عجيبة لم يجرؤ التاريخ على الاهتمام بها والتدخل في شؤونها. وعملها الخارق لا يفسّر باللسان أو بالريشة. فكل الصلات التي نشأت بينكم وبين طروادة أضحت مألوفة لدينا كما هي لديك، يا مولاي. ويجدر بأخيل ان يتخلّص من هكتور لا من بوليكْسين. فأي ألم سيطغى على بيروس الشاب في مسقط رأسه حين تُعزف موسيقاه في جزرنا ومُعظم صبايا الاغريق وهن يرقصن، ينشدن.

اخيل انتصر على شقيقه هكتور،
لكن اجاكس الكبير نطح هكتور كالثور.

وداعاً، يا مولاي. انا اكلمك كصديق مع أن المهووس يتزلّج على جليد يتحتم عليك أنت أن تكسره.

(يخرج).

بتروكل : غالباً، ما نصحتك في هذا الصدد، يا اخيل. لأن المرأة المسترجلة بوقاحة ليست مستبعدة كالرجل المتخنّث في مختلف أعماله، وأنا المتهم بهذه المخالفة. يتصوّر البعض ان قلة ميلي الى الحرب، وعطفك عليّ، غالباًما يقعدانني هكذا عن ردة الفعل. يا عزيزي، انفض عنك غبار التواني، وكوبيدون العاطفي المستسلم الى ملذاته يعتقك من نير هذا الحب المستبدّ. ونظير قطرة الماء المتساقطة من لبدة الأسد ستبدو سمعتك في الجوّ شفّافة صافية.

اخيل : هل صمّم اجاكس على مقاتلة هكتور؟

بتروكل : أجل، وربما فاز هو بغار النصر.

اخيل : انا أتوقع ذلك، وأرى ان صيتي في خطر ومجدي مهدد بضربة قاضية.

بتروكل : فكن اذاً على حذر. لأن الجراح التي يسببها الانسان لنفسه لا تشفى تماماً، واهمال الضروريات هو حليف الدمار، كما ان الحمّى تتسرّب الينا ونحن نتعرض باسترخاء لأشعة الشمس.

اخيل : اذهب وائتني بثرسيت، يا عزيزي بتروكل، لأرسل هذا المهرّج الى اجاكس، وأرجوه ان يدعو رؤساء طروادة للمجيء مجرّدين من أسلحتهم بعد المعركة بغية مقابلتنا هنا. فإن هوى المرأة يداعب خاطري، ورغبة ملحة لرؤية هكتور الكبير في ثيابه السلمية تدفعني الى التحدث اليه وتأمُّلِ محياه الصبوح ونظراته المعبّرة. (يدخل ثرسيت). وهذا يخفف عنك وطأة العذاب.

ثرسيت : عجيب امرك.

اخيل : ماذا تعني؟

ثرسيت : اجاكس يروح ويجيء في السهل كأنه يبحث عن ذاته.

اخيل : ولماذا يفعل ذلك؟

ثرسيت : امامه غداً قتال غريب، لأنه يزمع أن يواجه هكتور، والضربة

القاضية التي قد يتلقّاها تجعله يخشى الهزيمة ولا يستغربها بدون أن ينبس ببنت شفة.

اخيل : هل هذا ممكن؟

ثرسيت : نعم، وهو يتهادى كالطاووس. يسير خطوة ثم يتوقّف، وهو يتمتم ويراجع حساباته، كأنه تاجر يعالج ارقامه في رأسه، ويعضد شفته بأسف كمَن يقول في نفسه : « ان هذا الرأس يطفح ظرفاً ولباقة، اذا شاء ان يحسن التخلّص ». وهو قادر على ذلك، لكنه يعتمل ببرودة، كالنار في الحصاة التي لا بد من ضربها بشدّة ليندلع منها الشرر. لقد ضاع هذا الرجل الى الأبد. اذ إن هكتور اذا لم يدقّ له عنقه أثناء الاشتباك، فإنه هو ذاته الذي يستدرج ذلك في سبيل مجد باطل. وقد بدا كأنه لم يعد يعرفني عندما قلت له : « نهارك سعيد، يا اجاكس » اذ أجابني « شكراً، يا اكاممنون ». فما رأيك في رجل يظنّ اني انا القائد العام؟ اراه مستعجلاً كسمكة جهنمية لا اسم لها، بل كمسخ قزم متشامخ لا يعرف قدْر ذاته. ألاَ تبًّا للشهرة كم تغرّر بصاحبها. والأغرب من كل ذلك هو ان المرء يسعه أن يكسب هذه الشهرة ويكسو بها صدره كدرع ضيّق من الجلد على الوجه على القفا سواءً بسواء.

اخيل : لا بد لك من أن تكون سفيري اليه، يا ثرسيت.

ثرسيت : مَنْ؟ أنا؟ لكنه لا يريد أن يردّ على احد، بل يتصوّر أن التغافل عن البطولة هو الأصلح، بينما التنفيس بالكلام هو علاج الغرور الذي يُعمي بصيرة الوغد اللئيم القصير النظر. غير أنه يحبس لسانه داخل فمه هكذا كما انا أُقلّد الآن شخصيته المرتبكة. على بتروكل أن يقدّم طلباته. وستمضي أنت لمشاهدة تمثيلية أجاكس المحيّرة.

اخيل : كلّمه، يا بتروكل، وقل له اني بكل تواضع أسأل اجاكس الشجاع أن يدعو صاحب القيم العالية هكتور كي يأتي بدون سلاح

الى خيمته وأن يحصل على جواز مرور من قبل الفذّ سليل النبل والشرف الرفيع قائد الجيش الاغريقي اكاممنون، الخ... هيّا اذهب.

بتروكل (يلتفت نحو ثرسيت) : باركَ الاله المشتري بطلنا اجاكس.

ثرسيت : ما هذا الكلام؟

بتروكل : انا قادم من مقابلة اخيل المبجّل.

ثرسيت : ها، ها.

بتروكل : الذي يطلب منك بتواضع أن تدعو هكتور للمجيء الى خيمته.

ثرسيت : ماذا تقول؟

بتروكل : أن تحصل له على جواز مرور من قبل اكاممنون.

ثرسيت : من اكاممنون؟

بتروكل : اجل، يا مولاي.

ثرسيت : ها، ها.

بتروكل : ما رأيك بذلك؟

ثرسيت : اتمنى لك التوفيق، من كل قلبي.

بتروكل : ما هو جوابك، يا مولاي؟

ثرسيت : اذا كان الطقس صافياً غداً حول الساعة الحادية عشرة، ستميل الأمور الى جانبٍ أو آخر. على كل حال، فليدفعْ لي الثمن غالياً قبل أن يتمكن من مضايقتي.

بتروكل : أودّ أن أعرف جوابك.

ثرسيت : ان تكون بألف خير. هذا ما أتمناه لك بكل اخلاص.

اخيل : هو غير مستعد للتجاوب على هذا المستوى، أليس كذلك؟

ثرسيت : أجل هو غير مستعد. وحبّذا لو علمت كيف سيكون حاله عندما يواجهه هكتور ويحطّم دماغه. هذا ما أجهله. غير أني واثق بان إله الفنون ابولون سينتزع منه اعصابه، ويجعلها أوتاراً لِكَمَانه.

اخيل : هيّا، سلّمه الرسالة في الحال.

ثرسيت : حمّلني رسالة أخرى لحصانه أيضاً. لأنه بين الأثنين، هو الحيوان الأوفر قدرةً.

اخيل : ضميري غير مرتاح، نظير ينبوع عُكِّر ماؤه، فلم أعدْ أرى قعره.

(يخرج اخيل ويتبعه بتروكل).

ثرسيت (يتبع اخيل بأنظاره) : أتمنى أن تصفو مياه ذهنك، كي أقود الحمار ليشرب منه، وأنا أفضّل أن أكون بعوضة في صوف خروف، على أن أكون جباراً جاهلاً.

(يخرج).

الفصل الرابع

المشهد الأول

في أحد شوارع طروادة

(أرخى الليل سدوله. ودخل ايني من جهة ثم مرافق يحمل مشعلاً،
ومن جهة أخرى دخل باريس ودايفوبوس وانتينور وديوماد
وأشخاص آخرون يحملون مشاعل).

باريس (لديوماد) : من الآتي الى هنا، يا ترى؟

دايفوبوس : هو السيد إيني.

ايني (يتفحّص وجه باريس) : هل هو الأمير شخصياً؟ لو كان لديّ مثل حججك الدامغة، كي أبقى مستلقياً، أيها الأمير، لأقتضى الأمر وجود اوامر سماوية لتنتزعني من اجتماعي برفيقة سريري.

ديوماد : هذا هو رأيي أنا أيضاً. السلام عليك، يا مولاي ايني.

باريس : خذ يدي هذه، يا ايني. فان ديوماد الاغريقي الشجاع، شهّد عل ذلك حديثك الأخير، حين رويتَ لي كيف سيطر شبحه طوال اسبوع على ساحة القتال.

ايني : أتمنى لك الصحة التامة، أيها المولى الباسل، ما دامت الهدنة مفروضة. لكنك، حالما اراك مدججاً بأسلحتك، أجدك بهدف

أبغض التحدّي الذي يسع أي شهم أن يفكّر بتوجيهه اليك أو يُقدِم على تنفيذه.

ديوماد : انا أقبل هذا وذاك التمنّي. لأن دمي رائق في الوقت الحاضر. وطالما هو هكذا، أرجو أن تكون بصحّة وعافية على الدوام. لكن حالما يتزامن القتال وفرصة خوض المعركة، فبحقّ الاله المشتري سأمضي لإخماد أنفاسك بكل ما لديّ من قوة واندفاع ومهارة.

ايني : وستطارد اسداً يهاجمك وجهاً لوجه. والآن ارحّب بك في طروادة بكل صداقة وانسانية. أجل، بحياة أنشيز، أقول لك أهلاً وسهلاً. وأقسم بجمال فينوس، اني لا أعرف انساناً على قيد الحياة يحبّ بصورة جدّيّة شخصاً ينوي أن يقتله.

ديوماد : نحن نقدّر العواطف المتبادلة. أيها الاله المشتري، أطلْ عمر ايني، دعه يعش الف سنة شمسية، اذا لم تكن نهايته مجداً أنتزعه أنا بحدّ سيفي. اما اذا كان سيسوّد صفحة شجاعتي، فلْميتْ بجرح بليغ لدى الاشتباك منذ يومِ غدٍ.

ايني : الآن عرف أحدنا الآخر حق المعرفة.

ديوماد : اجل، ويعزّ عليّ إن يُسيء أحد معرفة الآخر.

باريس : هذا هو الاستقبال الحميم العدائي النابع من المودّة الخالصة التي تحقد بنبل، كما بلغني. (لإيني). ماذا وراءك من أعمال هذا الصباح، يا مولاي؟

ايني : ارسلني الملك لأبحث عنك. لماذا؟ لستُ ادري.

باريس : ستتلقّى اوامره أثناء الطريق. المهمّ أن نوصل هذا الاغريقي الى منزل كاشاس. وهناك نسلّمه الحسناء كريسيدا لقاء استلامنا انتينور. فلا تبخل علينا بصحبتك، او اذا شئت، اسبقنا الى هناك. اعتقد بكل تأكيد، وانا على يقين، بأن أخي ترويلوس يمكث هذه الليلة في ذلك المكان. أيقظه وأطلعه على زيارتنا وعلى

الدواعي التي اضطرتنا الى القيام بها غير اني أخشى أن لا أكون عند حسن ظنك.

اينی : انا اطمئنك من هذا القبيل، وأفضّل أن أرى طروادة تحت سيطرة الاغريق، وأن تكون كريسيدا قد أُبعدت عن طروادة.

باريس : لا يسعنا أن نأتي بأية بادرة. فقد حكمت علينا صروف الدهر بالوصول الى هنا. هيا نلحق بهم، يا مولاي.

اينی : بلّغ الجميع سلامي الخالص.

(يبتعد).

باريس : ما هذا؟ قل لي، أيها النبيل ديوماد، بكل صراحة وعلى سبيل الصداقة النزيهة، من منا يستحقّ الحسناء هيلانة، انا ام مينيلاس؟

ديوماد : كلاكما على حدّ سواء. هو أهل للحصول عليها، وقد جاء بدون تردد ولا وجل من العواقب، مجتازاً هذا الجحيم المريع الحافل بالمشقات العسيرة. وأنت أيضاً تستحق الاحتفاظ بها لأنك من أجل الدفاع عنها وبدون أن تخشى تلويث شرفها، أقدمت على التضحية بكل اصحابك وارزاقك. فهو بصفته الزوج المخدوع المتباكي يودّ شرب الثمالة بعد كأس لا طعم لها ولا مذاق، وأنت كمستهتر يلذّ لك أن تنجب ورثتك في ظروف غير ملائمة. إن وزنت أنت هذين الداعيَيْن وجدتهما متعادلَيْن، أمّا هو، فمع كل ما يمتاز به من المآثر، ترجح كفّته نحو العاهرة المتنازع عليها.

باريس : أرى كلامك في غير محله، باعتبار كونك مواطناً منحازاً، بل مرّ المذاق لا يطاق.

ديوماد : لا بل هي مُرّة المذاق بالنسبة الى قومها. أصغ اليّ، يا باريس. ان كل نقطة دم تجري في عروق هذه المومس قد سبّبت إزهاق روحِ اغريقيٍ. ولقاء كل وخزة، ضمير تثيرها في أعماقنا

هذه الجيفة، لم تستدرّ منها اية لفظة عطف وأسف على من ماتوا في سبيلها من اغريق وطروادين معاً.

باريس : يا ديوماد الوسيم، انت تتصرف كالوسطاء الذين يُعلون أو يُخفضون شأن البضائع حسب ما يشتهيه المشترون. غير أننا نحافظ على القيم بصمت وهدوء ولا نميل إلى الإطناب في مدح ما لا نودّ أن نبيعه. هذه هي طريقتنا في التعامل.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في باحة امام منزل بنداروس، وسط طروادة

(طلع النهار، ودخل ترويلوس بصحبة كريسيدا).

ترويلوس : لا تزعجي نفسك، يا عزيزتي، فالصبيحة باردة.

كريسيدا : بقي عليّ، يا مولاي اللطيف، أن أستدعي عمي ليفتح الأبواب.

ترويلوس : لا تزعجيه. هيا الى السرير. ارجو أن تتمتّعي بنوم مريح يهب حواسّك سكوناً وغفوة الولد الخالي من كل همّ.

كريسيدا : الوداع اذاً.

ترويلوس : أرجوك أن تعودي الى رقادك.

كريسيدا : هل مللتني بمثل هذه السرعة؟

ترويلوس : عزيزتي كريسيدا، لو إنشغل النهار الذي أيقظته القبّرة، ولو لم يحرّض الغراب الكسول على النهوض، ولو حجب الليل الحالم أفراحنا مدة اطول، لن أتركك وحيدة.

كريسيدا : لا تقلق عليّ. فالليل يمرّ مسرعاً.

ترويلوس : يا له من ساحر قاتل ببطء جهنمي. غير انه يتملّص من عناق

الحب، ويهرب بأجنحة أسرع من الفكر... سيلفحك البرد وتضطرين الى الالتفاف بي حينذاك.

كريسيدا : ارجوك أن تنتظرني قليلاً... انتم الرجال تنفرون دائماً من الانتظار... يا لي من مهووسة انا كريسيدا... كان عليّ أن أثابر على المقاومة، وإذ ذاك يتحتّم عليك أن تنتظرني. إسمع... هل يوجد أحدٌ هنا؟

بنداروس (من الداخل) : ارى جميع الأبواب مفتوحة في هذا المكان.

ترويلوس : هذا هو عملك.

(يدخل بنداروس).

كريسيدا : فتك به البرص. سيكرّر تنكيته. ما اصعب العيش معه.

بنداروس : ها، ها. اين هؤلاء العذارى؟ هذه هي البتول. اين ابنة اخي كريسيدا؟

كريسيدا : اذهب واشنق نفسك. ثم تعالَ انتقدني.

بنداروس : على ماذا؟ ما هذا القول، وما الذي دفعك الى هذا العمل؟

كريسيدا : هيا، هيا. يا لك من ثعلب محتال. لن تتّصف قط بالتعقّل، ولن تدع غيرك يتحلّى به.

بنداروس : ها، ها. واأسفاه. انا ارثي لحالكِ، يا فتاتي، لأنك ضيقة التفكير. يبدو عليك انك لم تنامي هذه الليلة. ألاَ يدعكِ هذا الرجل المستبد ترتاحين؟ ليحمله أحقر القرود الى الهاوية.

(يُطرق الباب).

كريسيدا (لترويلوس) : أوَلم اقل لك كم وددت أن يُحطَّم رأسه؟ (لبنداروس). من في الباب؟ اذهب وانظر، يا عماه. (لترويلوس). لازمْ مخدتي، يا مولاي، وابتسم بازدراء، كما لو كانت نيّتي خبيثة.

ترويلوس : ماذا تقولين؟

كريسيدا : أنت مخطئ. هيا اذهب. أنا لا أفكّر بذلك. (يشتدّ طرق الباب).

لماذا يُطرق الباب هكذا بشدّة؟ ارجوك أن تدخل بصحبتي. لأني لا أرغب في أن يراني أحد هنا، ولو مُلّكتُ نصف طروادة.

(يدخل ترويلوس وكريسيدا الى المنزل ويتضاعف طرق الباب).

بنداروس (عند الباب) : من هنا؟ ماذا يجري؟ هل يريد الطارق أن يكسر الباب؟ ماذا يجري؟

(يدخل إيني).

ايني : نهارك سعيد، يا مولاي.

بنداروس : من الآتي؟ مولاي إيني؟ صدّقني اذا قلت لك اني لم أعرفك. ما وراءك من الأخبار في هذه الساعة المبكّرة.

ايني : أظن ان الأمير ترويلوس موجود هنا.

بنداروس : وماذا تريد ان يفعل هنا؟

ايني : هيا، قل لي انه هنا، يا سيدي، ولا تنكر. الأمر في غاية الأهمية، ولا بد لي من أن أكلّمه.

بنداروس : هل تقول انه هنا؟ اقسم لك اني لست أدري. لأني من جهتي عدت متأخراً جداً. ثم ماذا تريد أن يفعل هنا؟

ايني : هو؟ لا شيء... هيا، هيا. انك تؤذيه من حيث لا تدري. أنت تريد أن تظهر وفاءك له، لكنك تغدره وتلحق به الضرر. اذاً تجاهل كل ما يتعلّق به وابحث عنه، على كل حال. هيا.

(بينما يتّجه بنداروس نحو المنزل، يظهر ترويلوس).

ترويلوس : والآن، ما الأمر؟

ايني : مولاي، يكاد الوقت يتّسع امامي لأحيّيك، وأنا مضطر الى إبلاغك رسالتي. وقد سبقت ببضع خطوات باريس ودايفوبوس والاغريقي ديوماد وصاحبنا انتينور الذي رُدَّ إلينا. ومقابل هذا الأخير، علينا

أن نتحمّل أول تضحية فوراً، ونردّ السيدة كريسيدا الى عهدة ديوماد.

ترويلوس : هل قرّ الرأي على هذا؟

اينى : من قبل بريام ومجلس طروادة بكامله. وسيُكلّف غيرنا بتنفيذ القرار.

ترويلوس (على حدة) : لا بد لانتصاري ذاته من أن يهزأ بي. (بصوت مرتفع لإيني). ها انا ذاهب لملاقاتهم. إعلم، يا سيد ايني، بأنك لن تجدني هنا.

اينى : حسناً، يا مولاي. لا يغرب عن بالك ان اسرار الطبيعة ليست مكتومة بقدر السرّ الذي أحفظه انا.

(يخرج ترويلوس واينى).

بنداروس : هل يمكن أن يخسر حالاً كل ما ربحه؟ ليذهبْ انتينور الى الجحيم. وإلّا فقدَ الأمير الشاب عقله. ليَفْتُك الطاعون بأنتينور. كم أتمنى أن يُدقّ عنقه.

(تدخل كريسيدا).

كريسيدا : ماذا يجري هنا؟

بنداروس : آه، ثم آه.

كريسيدا : لماذا تتنهّد هكذا بعمق؟ أين ذهب مولاي؟ قل لي، يا عمي العزيز، ماذا يجري؟

بنداروس : اودّ أن أكون مدفوناً في أعماق الأرض بدلاً من أن أرتفع الى أعاليها.

كريسيدا : أيتها الآلهة، ماذا يجري هنا؟

بنداروس : ارجوك أن تدخلي. كم أتمنى لو لم تأتي الى هذا العالم. انا على علمٍ بانك تستعجلين موته. ما اتعس مولاي المسكين. ملعون أنت، يا انتينور.

كريسيدا : يا عمي الكريم، أتوسّل اليك، وأنا جاثية على ركبتيّ الاثنتين، أن تقول لي ما الخبر؟

بنداروس : يتحتّم عليك أن تغادري هذا المكان، يا بنيّة، يجب أن تذهبي. فقد أُقرّ أمر مبادلتك بأنتينور. ولا بد من رجوعك الى أبيك وابتعادك عن ترويلوس. مع ان هذا يعني هلاكه وموته، لأنه لن يقوى على تحمّل فراقك والعيش بدونك.

كريسيدا : وحقّ الآلهة الخالدة. لن أذهب من هنا.

بنداروس : يجب عليك أن تمضي.

كريسيدا : انا لا اريد الابتعاد عن هذا المكان، يا عماه. فلقد نسيت والدي، وتجاهلت عواطف اسرتي. لم يعد لي من أهل ولا مودّة ولا دم ولا روح قريبة اليّ بقدر حبيبي ترويلوس الوفي اللطيف. لماذا، يا آلهة السماء تجورين عليّ انت أيضاً. ألا مرّغي اسمي، انا كريسيدا، في أوحال الذل والفساد اذا تخلّيت عن ترويلوس. ايها الزمان، ويا أيها العنف، وأنت أيها الموت، لو أنزلتِ جميعاً بجسمي ما شئتِ من بلايا الكون، سيظل حبي المخلص أثبت وأقوى من عناصر الأرض التي تجتذب اليها كل ما عليها. دعني ادخل وأنتحب وحدي، يا عماه.

بنداروس : هيا اذهبي.

كريسيدا : سأنتف شعري البديع، وأخدّش خدودي الوردية التي يكيل لها المديح كل من تأمّلها، وأبحّ صوتي الصافي بما اطلقه من ندب وعويل، وأمزّق قلبي وأنا انادي « ترويلوس ». انا لا أريد أن أغادر طروادة.

(يخرجان).

المشهد الثالث

امام منزل بنداروس في طروادة

(يدخل باريس وترويلوس وايني ودايفوبوس وانتينور وديوماد).

باريس : ها قد أقبل الضحى، ودنا الوقت المحدد لرجوع هذا الاغريقي الباسل... يا اخي العزيز ترويلوس، عليكَ أن تذهب وتنبّهها الى ما لا بدّ لها من إتمامه، وأحملها على تنفيذه.

ترويلوس : ادخل الى المنزل. سآخذها حالاً الى هذا الاغريقي. وحالما اسلّمه اياها، لا تعتبرْ هذا المكان إلّا هيكلاً، ولا تجدْ في أخيك ترويلوس إلّا كاهناً يقدّم قلبه قرباناً عليه.

(يخرج).

باريس : انا ادرى الناس بما هو الحب والهيام. وأودّ أن أعزّيه بقدر ما ارثي لحاله. تفضّلوا بالدخول، يا سادتي.

(يخرج).

المشهد الرابع

في شقة كريسيدا وسط طروادة

(يدخل بنداروس وتتبعه كريسيدا)

بنداروس : هوّني عليكِ، يا عزيزتي.

كريسيدا : لماذا تطلب مني ذلك؟ والألم الذي أعانيه لا يُطاق. إضطرابي ناجم عن قسرٍ عنيف. فكيف السبيل الى تخفيف صدمتي؟ اذا تسنى لي أن اضغط على اشواقي أو أبرّد لظاها أو أخفّف وطأة

حرماني، لهان عليّ عذابي. غير ان قلبي يأبى أن تحلّ بعواطفي وهنائي خسارة باهظة الثمن كهذه.

(يدخل ترويلوس).

بنداروس : ها هوذا، ها هوذا عزيزنا الذي يشقى في حبه.

كريسيدا : ترويلوس، ترويلوس.

بنداروس : كلاكما كزوج حمام، تعاليا لأعانقكما. أُنشدْ، يا قلبي، هذه الأغنية الحلوة :

يا فؤادي المعذَّب، يا قلبي المتألم،
لماذا تتنهّد؟ طبعاً من فرط المظالم.

وكرّر هذه الردّة :

لأنك لا تقوى على تخفيف عذابك
لا بالشكوى ولا بالبوح بأسرارك.

حقاً ليس بين قوافي الشعر أصدق تعبيراً من هذا الكلام. علينا أن لا نغفل أي أمل، عسى أن يمرّ بنا يوم نحتاج فيه الى السلوى. ها قد أتى، أيها الأصحاب.

ترويلوس : عزيزتي كريسيدا، ان احبك بصدق واخلاص جعل الآلهة السعداء يغارون ويغضبون عندما رأوا هواي أقوى من الابتهال الذي ترفعه الشفاه الباردة الى الألوهية التي تبعدك عني.

كريسيدا : وهل تغار الآلهة وتحقد؟

بنداروس : اجل، اجل. لا حاجة الى تبيين ما هو جليّ واضح.

كريسيدا : قل لي هل يتحتّم عليّ فعلاً أن أرحل عن طروادة؟

ترويلوس : هذه هي الحقيقة المريعة بعينها.

كريسيدا : وأن أبتعد عنك أيضاً، يا ترويلوس؟

ترويلوس : نعم، عن طروادة وترويلوس معاً.

كريسيدا : وهل هذا ممكن؟

ترويلوس : نعم، في الحال. ويأبى حظنا العاثر أن يتيح لنا فرصة الوداع.

فهو يداهمنا بدون إمهال، ويسرق من شفاهنا عزاء تكرار القُبل، ويحرمنا حلاوة العناق، ويخنق في صدورنا حنان الرجاء حين تتحرك هذه الأماني العذبة في مهد انفاسنا اللاّهثة. كلانا يفتدي أحدنا الآخر بتنهّدات اشتراها بأعزّ التضحيات، وهو الآن مضطر الى بيعها بأبخس أثمان الهجر والبعاد. ها هي الأيام العنيدة تكدّس لنا الأحزان، وكاللص تسلبنا كنوز الطمأنينة، تاركةً لنا مرارة الحرمان وحنظل القهر والإذلال، ولا تسمح لنا حتى بقبلة وداع وحيدة، طعمها أمرّ من دمع الفراق وأقسى من نسيان المودّة والوفاء.

ايني (من الخارج) : هل السيدة جاهزة، يا مولاي؟

ترويلوس : اسمعي صوت من أتى ليأخذك مني. يقال ان الجنّ ينادون هكذا « تعالَ، تعالَ » كل من يتحتّم عليه أن يموت حالاً. (لبنداروس). قل له ان يصبر قليلاً، لأنها لن تلبث أن تمضي.

بنداروس : أين دموعي؟ لا بد من هطول المطر لانفراج هذه العاصفة التي تقتلع قلبي من جذوره.

(يخرج بنداروس).

كريسيدا : هل يتحتّم عليّ أن أذهب الى الاغريق؟

ترويلوس : لا مناص من ذلك.

كريسيدا : وماذا سيكون حالي، انا كريسيدا الكئيبة، وسط جماعة الاغريق المهلّلين لرجوعي؟ ومتى يتسنى لنا أن نلتقي ثانية؟

ترويلوس : اصغي اليّ، يا حبيبتي، وظلّي وفيّة لهوى قلبك.

كريسيدا : انا؟ أظلّ وفيّة؟ كيف تتلفّظ بذلك؟ وما معنى هذا الأمل التعيس؟

ترويلوس : مهلاً. علينا أن نتجنّب اللوم والعتاب في لحظة الفراق هذه. انا لا أقول لك : « كوني وفيّة » كما لو كنتُ أشكّ بأمانتك. اني أتحدّى الموت الف مرّة لأثبت لك ان صفحة قلبي البيضاء لا تحمل سوى رسمك الغالي واذا قلت لك : « كوني وفيّة »

فلألخّص وعدي القاطع لك بقولي « كوني وفيه، وسأذهب حتماً لأراك ».

كريسيدا : آه. ستتعرض، يا مولاي، لأهوال وأخطار لا مفرّ منها قريباً. لكن أعدك بأن أبقى وفيّة.

ترويلوس : اذاً سأكون حليف الخطر... إحملي هذا الزند.

كريسيدا : وأنت إحمل هذا القفاز. متى سأراك؟

ترويلوس : سأرشو الحراس الاغريق لكي ازورك كل ليلة. فأرجوك أن تظلّي وفيّة.

كريسيدا : يا للسماء. كيف تكرّر لي أيضاً : « ظلّي وفيّة »؟

ترويلوس : اسمعي لماذا أكرّر لك ذلك، يا حبيبتي. ان صفات شبّان الاغريق عديدة، ولطفهم تضاعفه عبقرية طبيعية تُعزّزها الفنون والتربية. وكم يبرزها الانطباع الذي يولّده فيك كل جديد وساحر ينبعث من أشخاصهم. هذه مسألة، يا للأسف، تتعلّق بإحساس الغيور، سمّيه اذا شئت الخطأ الفضيل، واعذريني اذا اعتبرته خطأً يشغل البال.

كريسيدا : لعمري، يبدو عليك انك لا تحبّني جدياً.

ترويلوس : اذاً دعيني أمُتْ غماً. لأن ما كنت أشكّ فيه ليس ايماني بل استحقاقي وفاء حبك الغالي. انا لا أجيد التملّق، ولا أعرف اللفّ والدوران حول الموضوع، ولا تنميق حديثي ولا صبّ اللعنات البذيئة، ولا العلوم الراقية التي يتقنها الاغريق بذوق وامتياز. غير اني استطيع ان أؤكد لك ان كل هذه المزايا تخفي وراءها شيطاناً يلمع في عينيه بريق الاغراء والاغواء. فأملي أن لا تدعي الاستمالة تستهويك.

كريسيدا : وهل تظن اني راغبة في ذلك؟

ترويلوس : كلا، لكن الانسان يفعل أحياناً ما لا يريده. وقد نتصرّف كالأبالسة بحق ذواتنا، عندما نتجاهل هزال قوانا، ونعتقد بأن طاقتنا أجدر من سلطتهم المتلوّنة.

ايني (من الخارج) : اذاً، يا مولاي الكريم؟

ترويلوس : هيا نتبادل قبلة واحدة ونفترق.

باريس (امن الخارج) : يا اخي ترويلوس.

ترويلوس : ادخل، يا شقيقي، واصطحب معك ايني وهذا الاغريقي أيضاً.

كريسيدا : هل ستكون أميناً، يا مولاي؟

ترويلوس : من؟ انا؟ يا للأسف. هذه هي نقيصتي، وهذا هو مكمن ضعفي. بينما يتسنى للآخرين أن يكتسبوا بتكتمهم شهرة واسعة، اراني من شدّة صراحتي لا اجتذب إلا التقدير وحده. وفيما الآخرون يتفنّنون في طلي تيجانهم النحاسية بالذهب، انا بكل بساطة وسذاجة أظل عاري الرأس. فلا تشكّي بوفائي. لأن شعاري الأخلاقي هو : « البساطة وحسن النية ». وهذ هو محمل مبادئي.

(يدخل ايني وباريس وانتينور ودايفوبوس وديماد).

أهلاً بك وسهلاً يا سيدي ديوماد. ها هيذا السيدة التي نسلّمك اياها مقابل استلام انتينور. سأتركها تحت تصرّفك عند مدخل المدينة، يا مولاي. وأثناء الطريق سأشرح لك من هي. فأرجوك أن تعاملها بنبل، وأستحفلك، أيها الاغريقي، إن وُجدتَ يوماً تحت رحمة سيفي، ان تذكر لي اسم كريسيدا كي تغنم سلامة حياتك نظير بريام المعزّز في ايليون.

ديوماد : ارجوك، يا سيدتي الجميلة كريسيدا، أن تعفيني من التشكرات التي يترقّبها هذا الأمير. لأن سحْر عينيك وورْد خدّيك يستدرّ عليك كل عطف ومودّة. ستكونين سيدتي المُطلَقة وأنا أعتبر رغباتك مجرد أوامر ألبّيها راضياً بدون أي تردّد.

ترويلوس : لا تلجأ أيها الاغريقي الى اللياقة التي تخفض حرارة حماسي بامتداح كريسيدا. واعلم أيضاً، يا ديوماد، انها ارفع مما تكيله لها من الثناء بصفة كونك خادمها الأمين. فأنا أوصيك بأن تحسن معاملتها، وأحذّرك من عدم التقيّد برغبتي هذه. لأني

بحق الاله بلوتون، اقسم لك، ان حسابك معي، اذا قصّرت في هذا الصّدد، سيكون عسيراً، وسأقطع رأسك مهما دافع عنك الجبّار اخيل.

ديوماد : ارجوك أن لا تنفعل، أيها الأمير ترويلوس. أترك لي الامتياز الذي تمنحني اياه وظيفتي ورسالتي، ألا وهو أن انطق بكل حرّية. اذ اني عندما ابتعد عن هذا المكان، لا أحد يحاسبني على ما يبدر مني إلا ضميري الحي. واعلم، يا مولاي، بأني تحت الأمر لا أقوم بأي عمل، وثق بأنها إن تناولها مديحي، تكون قد استحقته فعلاً. فاذاً كلما قلت لي : « إفعل كذا » اجيبك بوحي كرامتي « كلاّ، ثم كلاّ ».

ترويلوس : لنتوجّه نحو الأبواب... اعلم، يا ديوماد، بأن هذه العنتريّات ستجبرك في أغلب الأحيان على اخفاء نواياك. وأنت، يا سيدتي، هاتي يدك. وأثناء مسيرنا سيُسِرُّ كل واحد منّا ما يريد أن يبوح به للآخر.

(يخرج ترويلوس وكريسيدا ويتبعهما ديوماد).

(يسمع صوت موسيقى)

باريس : اسمعوا صوت بوق هكتور.

ايني : بماذا انشغلنا أثناء قضاء هذه الصبيحة؟ سيجدني الأمير بطيئاً جداً، وَيْحكُم على وقتي بأنه غير منضبط، انا الذي أقسمت ان امتطي جوادي قبله.

باريس : هذا ذنب ترويلوس. هيّا بنا ننطلق، ونرافقه في السهل.

دايفوبوس : لِنَسِرْ اذاً على الدرب بخطى حثيثة.

ايني : نعم، وبحماس العاشق الملهوف. عليّ أن ألْحق هكتور. لأن مجد مدينتنا طروادة يتعلّق اليوم بصيانة قيمتها الخلقية وفروسيّتها الباسلة.

(يخرجون).

المشهد الخامس

في حقل مغلق بين طروادة ومعسكر الاغريق

(يدخل اجاكس مدجّجاً بأسلحته، وكذلك اكاممنون وأخيل وبتروكل ومينيلاس وأوليس ونسطور وغيرهم).

اكاممنون : ها أنت على الموعد نشيط ومرتاح، تسابق الساعة بشجاعة وعجلة. أرسل الى طروادة إشارة تنبيه من بوقك، يا اجاكس الرهيب بطريقة تجعل صوته يصمّ اذن خصمك العنيد، ويستدعيه واجماً الى هنا.

اجاكس (وهو يرمي كيس نقوده لمناديه) : أنت، يا نافخ البوق، اليك كيس نقودي والآن فجّر رئتيك واثقب انبوب بوقك النحاسي، انفخ، ايها المشعوذ، الى أن يمتلئ خدّاك هواءً أكثر من بطن أكيلون الكروي. ضخّم صدرك ودع الدم ينفر من عينيك، لأنك تنفخ لأجل هكتور.

(ينفخ البوق).

اوليس : ليس من بوق هناك يجيب على ندائك.

اخيل : لا يزال الوقت مبكراً.

اكاممنون : أوَليس ديوماد من نراه هناك بصحبة ابنة كلشاس؟

اوليس : هو بعينه. انا اعرف مشيته. فهو يتقدّم على رؤوس اصابع قدميه، واندفاعه في تنشّقه الهواء يكاد يرفعه عن الأرض.

(يدخل ديوماد وكريسيدا).

اكاممنون (لديوماد) : أهذه هي السيدة كريسيدا؟

ديوماد : هي بعينها، يا مولاي.

اكاممنون : تقبّلي من الاغريق أرقّ ترحيبهم، أيتها السيدة الفاتنة.

(يعانقها).

نسطور : قائدنا الأعلى يرحّب بك، ويهديك قبلة.
اوليس : مع أن اللطافة صفة خاصة، لذلك يجدر بها أن تُقبَّل امام الجميع.
نسطور : هيئة المجلس في غاية اللباقة. دعني أباشر. هذا نسطور.

(يعانقه).

مينيلاس (يقترب من كريسيدا) : كانت لي في الماضي حجة مقنعة تشمل المستقبل.
بتروكل (يقف بين كريسيدا ومينيلاس) : لكن هذا السبب لا يدعوك اليوم الى العناق. ونظيري انا في اللحظة الحاضرة، تجاسر باريس، على التفريق بينك وبين حجّتك.

(يعانق كريسيدا).

اوليس (يشير الى مينيلاس) : تبًّا للقهر العابر الذي جرّ علينا بؤسنا. اذا فقدنا حياتنا، فلأننا اردنا ان نطلي قرونه بماء الذهب.
بتروكل : اراك بدأت بمعانقة مينيلاس. ها أناذا أقبّلك. وهذا مينيلاس يقبّلك أيضاً.

(يعانقها).

مينيلاس : ما أعذبها من قبلة.
بتروكل : انا وباريس نقبّلها دائماً عوضاً عنه.
مينيلاس : انا اودّ ان استردّ قبلتي، يا سيدي. (يقترب من كريسيدا). اسمحي لي يا سيدتي...
كريسيدا : عندما تعانق، هل تأخذ القبلة أم تعطيها؟
مينيلاس : آخذ وأعطي.
كريسيدا : انا لا أعقد إلا صفقات رابحة. فالقبلة التي تأخذها تساوي أكثر من التي تعطيها. اذاً لا داعي للقبل بعد الآن.

مينيلاس : اما انا فأعطيكِ من الفائض، وأمنحك ثلاث قُبَل لقاء واحدة.

كريسيدا : انت اذاً لا تتعاطى إلا بالفائض. وأنا أريد أن أستلم رصيدي أو لا شيء.

مينيلاس : تقولين اني لا أتعاطى إلا بالفائض؟ هكذا لا يأخذ كل انسان سوى الفائض.

كريسيدا : كلا. فباريس قد دبّر أكثر من الفائض. لأنه، كما تعلم، هو الذي سدّد جميع حساباتك.

مينيلاس : انتِ لم تفعلي سوى ملامسة جبيني.

كريسيدا : كلا. أقسم لك.

اوليس : فالمبادلة ليست متعادلة. وأظافرك لا توازي قرنيه. فهل لي، يا سيدتي الفاتنة، أن أحظى منك بقبلة.

كريسيدا : لا مانع من ذلك.

اوليس : اذاً، انا ألتمسها منك بإلحاح.

كريسيدا : يمكنك ان تحصل عليها في أي وقت كان.

اوليس : حبًّا بالإلهة فينوس، أعطيني قبلة عندما تصبح هيلانة عذراء ثانيةً وزوجة مينيلاس.

كريسيدا : انا مدينة لك، وما عليك إلاّ أن تطالبني بالتسديد عند الاستحقاق.

اوليس : قبلتك قيد الاستحقاق، وموعدها لن يحين أبداً.

ديوماد : اسمحي لي بقول كلمة واحد، يا سيدتي. سآخذك الى أبيك.

(ديوماد يصطحب كريسيدا).

اوليس : تبًّا لها. ان لعينيها ولسانها وشفتيها لغة خاصة. حتى رجليها تتكلّمان وذهنيتها الماجنة تتجلّى في كل حركة من جسمها. يا لهؤلاء المستهترات ولسانهن السليط الفالت من عقاله الذي يلعلع مفصحاً عن أفكارهن المتحرّرة لأوّل من يحتكّ بهن. انظرهن لدى كل فرصة سانحة كيف يتصرّفن كبنات الهوى.

(يسمع صوت موسيقى).

الجميع : هذا صوت بوق الطرواديين.

اكاممنون : ها هي فرقهم تقترب.

(يدخل هكتور مسلّحاً، ثم ايني وترويلوس وطرواديون آخرون مع حاشيتهم).

هكتور : السلام عليكم جميعاً، يا رؤساء الاغريق. ماذا تصنع لمن يحرز قصب النصر؟ هل تودّون ان تعلنوا فوز الظافر؟ هل تريدون أن يتقاتل الفارسان حتى النهاية أو ان يفترقا لدى اول نداء وأول إشارة من مسؤول المعسكر؟ هذا ما يستفسر عنه هكتور.

اكاممنون : وماذا يفضّل هكتور؟

ايني : الأمر لا يهمّه كثيراً، فهو مستعدّ للامتثال الى رغبتكم.

اخيل : هذا موقف يحازي كرامة هكتور. على كل حال، اعلموا أن الإباء والكبرياء يكادان يبلغان طرفي نقيض في نظر هكتور، لأن الأول كبير والثاني صغير، الواحد يكاد أن يكون غير محدود والآخر يتدهور نحو الإنعدام. تفحّصوا الأمر جيداً. ان ما يشبه التشامخ في هكتور ليس إلّا مظهر لياقة، اما اجاكس فنصفه مكوّن من دم هكتور. ولأني احترمه أُعلن : ان نصف هكتور قد بقي في طروادة. لذلك أعتبر أن نصف هذا الأخير فقط، أي نصف شجاعته ونصف قوّته، سيقابل هذا الفارس المولّد المنتمي نصفه الى الطرواديين ونصفه الآخر الى الاغريق.

اخيل : ستكون المعركة اذاً معركة نساء. الآن فهمت مقصدك.

(يعود ديوماد).

اكاممنون : ها هوذا السيد ديوماد... اذهب أيها الفارس الظريف وساعد صاحبك اجاكس. وأنت وايني إتفقا على ما تشاءان من الشروط : فإمّا قتال مستميت، وإمّا عرض عضلات وأسلحة. لأن قرابة المتقاتلين انتزعت منهما معظم قدرتهما وأسلحتهما قبل أن يشتبكا في الصراع.

(يدخل اجاكس وهكتور الى الحلبة).

اوليس : ها هما الآن وجهاً لوجه.

اكاممنون : من هو هذا الطروادي الذي يبدو عليه الأرهاق؟

اوليس : هو اصغر ابناء بريام، فارس اصيل غير ناضج بعد وليس له مثيل، فضلاً عن انه ثابت الجنان واللسان، رشيق الحركة قليل الكلام، صعب المراس عنيف التحدّي. اذا استفزّه الخصم لا يهدأ له ساعد، يفتح قلبه ويده بمنتهى الكرم. يجود بما يملك ويجاهر بما يجول في رأسه من أفكار. غير انه لا يمنح فلساً واحداً اذا لم يتبيّن وجهة إحسانه، ولا يميل الى التعبير عن فكرة لا تستحقّ شرف المروءة. هو شجاع كهكتور، لكنه أخطر منه. لأن هكتور يستطيع، حين يثور غضبه، أن يماشي عواطفه برفق. كما انه في عنفوان تحركه، اكثر تطلّباً منه في إرضاء حبه الغيور. اسمه ترويلوس، وعلى تفوّقه تبني طروادة آمالها الجسام، كما تبنيها على شجاعة اخيه هكتور. هذا ما ردّده ايني الذي يعرف هذا الفتى حق المعرفة. وهكذا رسم صورته الحقيقية بثقة ودراية في قصر ايليون.

(تسمع الموسيقى، ويبدأ العراك بين هكتور وأجاكس).

اكاممنون : ها هما يشتبكان.

نسطور : هيا، يا اجاكس، كن شديد البأس.

ترويلوس : هل أنت نائم، يا اجاكس، هيا استيقظ.

اكاممنون : ضرباته مسدّدة بإحكام. تنبّه، يا اجاكس.

ديوماد (للمقاتلين) : هذا يكفي.

ايني : أيها الأميران، ارجوكما أن تتوقّفا.

اجاكس : انا لم أشعر بالتعب بعد، وأفضّل الاستمرار.

ديوماد : كما يشاء هكتور.

هكتور : انا اريد أن أظّل على موقفي. (لأجاكس). أيها المولى النبيل، انت

ابن شقيقة ابي، وابن عم اولاد بريام الكبير. وروابط الدم تمنع بينكما التنافس في القتال. فلو كان دمكما ممزوجاً بدم الاغريق والطرواديّين معاً، لتسنى لك الهتاف : « هذه اليد اغريقية، وهذه طروادية. هذا الجنب اغريقي وهذا طروادي. دم امي يسري في خدّي الأيمن، ودم ابي يجري في خدّي الأيسر ». حينئذٍ، بحياة الاله المشتري القدير، أُقسم أنك ستنتصر بساعد الاغريق حيث لا يترك سيفي علامة حقدنا المرير. غير ان الآلهة العادلة لا تريد أن تُراق نقطة دم واحدة تنتسب الى والدتك عمتي المباركة، وتسيل من جرح أحدثه سيفك القاتل. دعني اعانقك، يا ابن عمتي اجاكس، يا سليل العزّ والشرف.

(يتعانقان).

اجاكس : اشكرك، يا هكتور، فأنت فائق النبل والكرم. لقد جئتُ الى هنا كي اقتلك، يا ابن خالي، واكتسب شهرة واسعة بانتصاري عليك وسفك دمك.

هكتور : لا، لا. ان نيُوبْتولام الوقور الذي بدل مجده الأثيل على المُعيّنه، قد صرّح يوماً : أجل، ها هوذا مَنْ لا يسعه أن يمتدح نفسه بأنه انتزع من هكتور ذرّة واحدة من المجد.

ايني : يسأل الطرفان معاً : ماذا تريد ان تفعل؟

هكتور : على هذا الاستفهام أجيب : « إن خاتمة المعركة مربكة ». فالوداع، يا اجاكس.

اجاكس : لو رجوت النجاح من التماس ٍ قلّما سنحتْ لي الفرصة بأن أفصح عنه، لدعوتك يا ابن خالي الفاضل للمجيء الى خيام الاغريق.

ديوماد : هذه رغبة اكاممنون. ويعزّ على أخيل الكبير أن يرى هكتور الشجاع منزوع السلاح.

هكتور : يا إيني، ناد نسيبك ترويلوس الى هنا كي يعلن نتجية المواجهة

الودّية التي تمتّ لصالح الطرواديين وهم ينتظروننا ها هنا ولا تتأخّر عن دعوتهم للدخول. (لأجاكس). هات يدك، يا نسيبي، فأنا اودّ أن أجلس بقربك الى المائدة لمشاهدة فرسان الاغريق القادمين.

اجاكس : ها هوذا اكاممنون العظيم مقبل نحونا.

هكتور : اذكر لي اسماء هؤلاء الشجعان واحداً واحداً. أمّا اخيل، فان عينيّ الباحثتين عنه ستعرفانه من طول قامته ووقار هيبته.

أكاممنون (لهكتور) : أيها المحارب الكريم، أهلاً بك، كما يليق بعدوّ مثلك يميل الى حسن التخلّص. واعلم ان ما اقوله لا يكفي للترحيب اللائق بك. لذا أوضح كلامي : سندع المستقبل مغلّفاً بغموضه، والماضي نهمله في زاوية النسيان لعلّ الزمان ينقّيه من كل الحجج الخاطئة والأعذار الواهية، ولندع قلوبنا تهتف معاً : « أهلاً بك، يا هكتور الكبير ».

هكتور : أشكرك، يا اكاممنون، صاحب الصدر الرحب والقلب السموح.

اكاممنون (لترويلوس) : دعني أدعم استقبال شقيقي الأمير، وأعتبركما معاً أخوين مخلصين في الفروسية النبيلة السامية، ورفيقَيْ سلاح فذَّيْن، وأرحّب بكما كبطلين في الشهامة والمروءة.

هكتور (لإيني) : الى من يجب علينا أن نوجّه جوابنا؟

ايني : الى النبيل مينيلاس.

هكتور : ماذا تقصد؟ أإليك يجب توجيه الردّ، يا مولاي؟ بحق اله الحرب مارس، يتحتّم عليّ أن أشكرك. لا تهزأ بحلْفاني هذا غير المألوف. فان زوجتك السابقة لا تقسم إلا بالإلهة فينوس. هي بصحة تامة، لكنها لم تكلّفني بان آتي على ذكرها امامك.

مينيلاس : لا تذكرها بعد الآن، يا مولاي. لأن ذكراها تزيد الغم على قلبي المهموم.

هكتور : سامحني اذاً، يا مولاي، اذا أسأت التعبير في مجاملتك.

نسطور : رأيتك مراراً، أيها الطروادي الباسل، تسعى الى سلامة المصير،

وتعمل على فتح ثغرة بين صفوف شبّان الاغريق. وشاهدتك أيضاً تهمز بنشاطٍ حصانك لتشقّ الطريق الى مقاطعة فريجيا مزدرياً بكل الاشتباكات التي تشهر خلالها سيفك البتّار : لمنع حدوث التسكّع والسقوط، حتى اني قلت لبعض المحيطين بي : « انظروا، ها هو الاله المشتري بعينه يوزّع نفحات الحياة ». وكم رأيتك ترتاح فترة لتستعيد أنفاسك وسط جماعة الاغريق نظير مصارعٍ أولمبي. تماماً كما عهدتك سابقاً. وكان محياك دائماً مشرقاً كالنور مثلما أراه الآن لأول مرة. لقد عرفت جدّك، وفي احد اللقاءات قاتلته فوجدته جندياً باسلاً صلباً. وأقسم لك بحياة الاله المشتري قائدنا جميعاً، انه لا يوازيك مهارةً وشجاعةً. فاسمح لي انا الطاعن في السن بأن اعانقك، أيها المحارب الكريم، وأتمنى لك طيب الاقامة في خيامنا.

اينى (لنسطور) : هذا هو العجوز نسطور.

هكتور : اعانقك أيها الشيخ الوقور، وقد سايرت الزمان طويلاً وماشيتَه يداً بيدٍ. يا نسطور المبجّل، انا سعيد بهذا العناق.

نسطور : كم أتمنى أن تشتبك يدانا في القتال، كما تتماسكان في اللياقات.

هكتور : أنا أيضاً أرجو تحقيق هذه الأمنية العزيزة.

نسطور : بحقٍّ لحيتي البيضاء، أودّ أن اقاتلك منذ الغد. والآن ارحب بك، وقد قطعت شوطاً بعيداً في مرافقة السنين طويلاً.

اوليس (لهكتور) : عجبي من هذه المدينة التي لا تزال قائمة هناك، ونحن هنا نسيطر على أركانها وأعمدتها.

هكتور : انا أعرف محياك الصبوح، يا مولاي أُوليس. وقد ماتت أعداد كبيرة من الاغريق والطروادبين منذ أن رأيتكما لأول مرّة أنت وديوماد كمبعوثَيْن في قصر ايليون.

اوليس : سأنبئك، يا مولاي، بما سيحدث في حينه. لأن توقّعاتي لا تزال في منتصف الطريق الى تحقيقها، ولأن هذه الأسوار التي نشاهدها هناك، لا تزال منتصبة بوقاحة، وأبراجها التي تناطح

القبة الزرقاء بشموخ، لا بد لها من أن تنحني وتقبّل اخماص قدمينا.

هكتور : ليس ما يدعوني الى تصديقك. فأسوارنا لا تزال قائمة، وأعتقد صراحةً بأن سقوط كل حجر من أبنية فريجيا سيكلف قطرة دم اغريقي. والنهاية هي التي تكلّل العمل بغار النجاح والمجد. والحكم المألوف العجوز، أعني به الزمان، سيبتُ يوماً بأمر هذه القضيّة الشائكة.

اوليس : اذاً، فلنتركها له يحلّها على هواه. أهلاً بك، أيها المولى النبيل الشجاع هكتور. وبعد تحية القائد الأُعلى، ارجوك ان تتنازل وتدعني أملأ ناظريّ من مشاهدتك. فقد درستُ وضعك، يا هكتور، بعناية ودقة، وتتبّعتُ مراحل صعودك قفزةً قفزة.

هكتور : هل يكون هذا أخيل؟

اخيل : نعم، انا هو.

هكتور : ارجوك أن تنتصب بقامتك المديدة، كي اراك جيّداً.

اخيل : بوسعك أن تتأمّلني مليًّا.

هكتور : حسناً. هذا ما أفعله.

اخيل : كلامك موجز. أنا اريد أن أتأمل كل عضو فيك بمفرده، كما لو كنت عبداً وأودّ أن أشتريك.

هكتور : اذاً تفحّصْني جيداً مثل كتاب المطالعة. لكن لا تنسَ ان في داخلي أموراً تفوق مداركك. فلماذا تصرّ على ابقاء عينيك شاخصتين اليّ؟

اخيل : ارجوك، أيتها السماء، ان تدلّيني على أجزاء بدن هكتور التي يمكنني فيها ان أصيب منه مقتلاً، هنا أو هناك، فأحدّد المكان الأنسب لجرحه، وأعيّن الثغرة الملائمة التي أُخرج منها روحه. ألتمس منكِ أن تستجيبي، رجائي، أيتها السماوات العالية.

هكتور : لا بدّ للآلهة السعيدة من أن تلاحظ، أيها الرجل المتجبّر، انها تخطئ اذا استجابت التماسك. هيّا انهض اذاً. أوتظن انك قادر

على ازهاق روحي بمثل هذه السهولة، لمجرّد الايحاء اليك
أين تضربني؟

اخيل : أؤكد لك : نعم.

هكتور : ولو كنت في منزلة النبي، وهديتني الى ذلك، لما صدّقتك أبداً. فمن الآن وصاعداً ينبغي لك أن تكون حذراً. لأني لن اقتلك هنا ولا هناك بل بواسطة السندان الذي طرّق عليه إله الحرب مارس خوذته الفريدة. سأصيب منك مقتلاً في أي مكان من بدنك. نعم، نعم. سامحوني، يا حكماء الاغريق على هذا التحدّي، فإن وقاحته تنتزع هذه الحماقة من بين شفتيّ. غير أني سأجتهد لجعل أعمالي تنطبق على اقوالي أوّ لا اظلّ مطلقاً على قيد الحياة.

اجاكس (لهكتور) : لا تتحمّس كثيراً، يا نسيبي. وأنت، يا أخيل دع جانباً هذه التدابير حتى توصلك اليها الظروف المؤاتية او الارادة الحسنة. يمكنك أن تشبع نظرك كل يوم من مشاهدة هكتور، اذا كانت لك رغبة في صحبته. ولكني أخشى أن يقرر مجلس الاغريق انك توشك أن توازيه بالقوة والمقدرة.

هكتور (لأخيل) : اودّ أن أراك في ساحة المعركة. لقد اشتركنا في قتال مختصر حين نفضتَ يديك من قضية الاغريق.

اخيل : انت ترجوني، يا هكتور، أن اجابهك. سأذهب اذاً في الغد لمواجهتك، وان كنت رهيب الجانب كالموت الزؤام. اما الليلة فلنكن جميعنا اصدقاء.

هكتور : هات يدك لندعم هذا الاتفاق.

اكاممنون : يا ذوات الاغريق كلكم، تعالوا أوّلاً الى خيمتي حيث تكونون جميعكم ضيوفي. ثم حسب ما توحي إليكم به حكمتك، وتسمح أوقات فراغ هكتور، ستتعاطون معه كل فردٍ بدوره. فَدُقّوا الطبول وانفخوا الأبواق. وليعلم هذا الجندي الشجاع اننا نرحب به.

(تسمع موسيقى، ويخرج الجميع ما عدا ترويلوس وأوليس).

ترويلوس : مولاي اوليس، استحلفك ان تقول لي في أية بقعة من المعسكر يقيم كلشاس.

اوليس : في خيمة مينيلاس، أيها الأمير ترويلوس. وهناك يتعشّى ديوماد معه هذا المساء. وديوماد هذا الذي لم يعد يبصر السماء ولا الأرض، يركّز انتباهه وكل نشوة نظرته العاشقة على الحسناء كريسيدا.

ترويلوس : أكون حقاً اسير فضلكم، اذا شئتم، عند الخروج من خيمة اكاممنون، أن توصلوني الى هناك.

اوليس : انا في خدمتك، يا مولاي. فتفضّل بدورك وقُل لي كيف كانت سمعة كريسيدا هذه في طروادة. أوَلم تترك هناك عاشقاً يتحسّر على غيابها؟

ترويلوس : آه، يا مولاي. ان من يستعرض آثار جراحه، لا يتسحق إلّا الهزء والسخرية، هل تريد أن تعرف، يا مولاي، انها كانت معشوقة، وانها كانت عاشقة؟ وأنت تعلم أيضاً ان أشهى الحب ليس سوى لقمة سائغة تحت أضراس الحظ السعيد.

(يخرجون).

الفصل الخامس

المشهد الأول

امام خيمة اخيل

(اقبل المساء. ودخل اخيل يتبعه بتروكل).

اخيل : سأدع دمه يغلي هذا المساء بخمرة إغريقية، وسأبرّده غداً بسيفي. فتعالَ نحتفل في هذه المناسبة، يا بتروكل، بكل ابهة وحفاوة.

بتروكل : هوذا ثرسيت آتٍ.

(يدخل ثرسيت).

اخيل : أهذا أنت، يا دمّلة الحسد، يا حثالة البشر، ما وراءك من أخبار؟

ثرسيت : آه منك، يا صورة لا تنطبق على صاحبها، يا أسخف البلهاء، خذ هذه الرسالة الموجّهة اليك.

(يسلّمه رسالة).

اخيل : من أين أتت، يا صعلوك؟

ثرسيت : هي من طروادة، يا احطّ الحمقى.

(يقرأ أخيل الرسالة التي اعطاه اياها ثرسيت).

بتروكل : هل تعلم مَن الشخص الموجود داخل الخيمة؟

ثرسيت : الجريح الذي ينتظر معدات الجرّاح لاجراء عمليّته.

بتروكل : بالصواب نطقت. يا للتناقضات. لماذا هذا التلاعب بالكلام؟

ثرسيت : ارجوك أن تصمت، أيها الثرثار. انا لا أرى فائدة من محادثتك، اذ يبدو عليك انك الخادم الذكر لدى أخيل.

بتروكل : ماذا تعني بقولك الخادم الذكر لدى اخيل؟

ثرسيت : أعني انك مومس ذكر. ولذلك ارجو أن تصيبك جميع الأمراض الفتّاكة، وكذلك التشنّجات المعوية والكسورات العظمية والنزلات الصدرية واوجاع الظهر وحصى الكلي والغثيان المقنع والشلل البارد ورمد العين وإلتهاب الكبد وتورم الرئتين والبثور النتنة وداء المفاصل وتحجّر العضلات وارتجاف اليدين وجميع العلل المزمنة التي لا شفاء منها كي تعطبك على الدوام.

بتروكل : ما هذا الكلام الفارغ، يا جعبة الأقذار؟ لماذا كل هذه اللعنات المؤذية؟

ثرسيت : هل وجّهتُ انا اليك أية إهانة؟

بتروكل : كلا، يا برميل النفايات، يا شريك العاهرات، كلا.

ثرسيت : اذاً، لماذا أنت حانق الى هذا الحدّ، يا أيها الخنزير البري. آهٍ، كم هذا العالم مليء بالذباب المزعج نظيرك.

بتروكل : اخرج من هنا، أيه االأحمق.

ثرسيت : يا لك من حقير خسيس.

اخيل : عزيزي بتروكل، عليّ أن أُقلع كليًّا عن مشروع قتال الغد. هذه رسالة من الملكة هيكوب، وكلمة من ابنتها حبيبتي. وكلتاهما تطلبان مني بإلحاح أن أتقيّد بالقَسَم الذي أدّيته، وانا لا أريد أن أكون غير وفيّ. فتبًّا لكم، أيها الاغريق، وتبًّا أيضاً لصيتي الحسن. على الشريف أن يختار البقاء سالماً أو الضياع والزوال. فإنّ أمنيتي الغالية منحصرة في العيش هنا بسلام. وانا مصرّ على

تحقيقها. تعال، تعال، يا ثرسيت وساعدني على ضبط وضع الخيمة. لا بد من قضاء الليل بطوله في الاحتفال بهذه المناسبة. هيا بنا، يا بتروكل.

(يدخل اخيل وبتروكل الى الخيمة. تزداد عتمة الليل. وتشع خيمة اخيل بالأنوار).

ثرسيت : بكثير من الدم وقليل من الدماغ يتسنى لهذين الرجلين أن يصبحا من المجانين لكن اذا أضحيا مجنونَيْن بكثير من الدماغ وكثير من الدم سأُنقلب انا الى طبيب مهووس. ها هوذا اكاممنون الشجاع الشريف الذي يحب عصافير السمُّن. غير انه لا يمتلك من العقل أكثر من الصمغ الذي يسدّ أذنيه. هذا الشبيه بالاله المشتري المتبدّل من حال الى حال، هذا التمثال البدائي، هذا الشبح المخدوع، هذا القرن الذي يسهّل ولوج القدم في الحذاء والذي يظل ملازماً جانب اكاممنون... أي شكل من الأشكال الموازية للمزاح المحشو دهاءً، والدهاء المحشو مزاحاً، يمكن أن يغيّره ويحوّله الى حمار بليد؟ لا، بل هو حمار وثور في آن وحد. إن كان كلباً أو بغلاً أو هرًّا أو ضفدعاً أو جرذاً أو بومة أو طيراً أو سمكة أو بيضة؛ هذا لا يهّم. وهيهات أن يمسي نظير مينيلاس... لا بدّ لي من أن أتمرّد على مصيري. فلا تسألوني عمّا أرغب أن أكون، لو لم أكن ثرسيت. ما دمت أوافق على أن أكون قملة في رأس أقرع، على أن أكون نظير مينيلاس. ها، ها. ما هذه إلّا أشباح سرعان ما تجرّ وراءها المشاكل.

(ينزوي جانباً).

(يدخل هكتور وترويلوس واجاكس واكاممنون وأوليس ونسطور ومينيلاس وديوماد، وهم يستضيئون بالمشاعل).

اكاممنون : لقد ضللنا طريقنا. اجل، ضللنا طريقنا.

اجاكس : كلا، طريقنا من هنا حيث تشاهدون الأنوار الساطعة.

هكتور : هل أضايقكم.

اجاكس : لا، لا، أبداً.

اوليس : ها هوذا قد أتى بنفسه ليدلّكم على الطريق.

(يخرج اخيل من خيمته، ويأتي ليقف امام هكتور).

اخيل : أهلاً وسهلاً، يا هكتور الباسل، ومرحباً بكم جميعاً، أيها الأمراء.

اكاممنون (لهكتور) : وأنا أيضاً، يا أمراء طروادة، أقول لكم ليلتكم سعيدة. سيكون الحارس الذي يرافقكم بإمرة اجاكس.

هكتور : شكراً. ليلتك سعيدة، أيها القائد الاغريقي.

مينيلاس : ليلتك سعيدة، يا مولاي.

هكتور : ليلتك سعيدة أنت أيضاً، يا عزيزي مينيلاس.

ثرسيت (على حدة) : لقد قال : عزيزي مينيلاس. أجل، هو عزيز المرحاض والمجرور المعطّر والقاذورة الفواحة النتنة.

اخيل : أتمنى ليلة سعيدة للذاهبين. وأنا أرحّب في الآن ذاته بكل الباقين معنا.

اكاممنون : ليلتكم سعيدة.

(يذهب مينيلاس ثم اكاممنون).

اخيل : ها إن نسطور العجوز باقٍ. فابقَ برهةً، يا ديوماد، وامكث بصحبة هكتور مدة ساعة أو ساعتين.

ديوماد : لا استطيع، يا مولاي. هناك مسألة هامة تقتضي ذهابي حالاً. فليلتك سعيدة، يا هكتور الكبير.

هكتور : هاتِ يدك.

اوليس (على حدة لترويلوس) : إتبع ضوء مشعله. فهو ذاهب الى خيمة كلشاس، وأنا أرافقهم.

ترويلوس : مولاي العزيز، وجودك هنا يشرّفني.

هكتور : أنا أيضاً أقول لكم : ليلتكم سعيدة.

(يخرج ديوماد ويتبعه أوليس وترويلوس).

اخيل : هيا بنا. ادخلوا الى خيمتي.

(يدخل اخيل وهكتور وأجاكس ونسطور).

ثرسيت (وحده) : ديوماد هذا رجل نذل، ووغد لئيم عديم الشرف. لن أثق به بعد الآن، لأنه يفح كالثعبان، وهو كثير الأذى كالحية الرقطاء، يقطع وعوداً لا تُحصى لكنه نظير كلب صيد كسول لا يلبّي. وعندما ينجز ما يعلن عنه، يتسنّى للفلكيّين أن يتنبأوا بما يحدث من أمور غريبة وتبديلات وشيكة الوقوع. كأن تستمدّ الشمس نورها من القمر، وعندما يصدق ديوماد يفعل ما يقول. غير أني أفضّل ان أُقلع عن رؤية هكتور، وقد ضلّ دربه وسط الغابة. يقال انه ينفق كثيراً على عاهرة طروادية، وانه يستخدم خيمة الخائن كلشاس. لنسرع اليه ونراقبه... ارى التهتّك في كل مكان، وليس هناك إلا مجموعة من الخاملين.

(يخرج).

المشهد الثاني

امام خيمة كلشاس

(تحت جنح عتمة الليل، يدخل ديوماد)

ديوماد (عند مدخل الخيمة) : هل من أحد مستيقظ هنا؟ أجيبوا، هيّا تكلّموا.

كلشاس (من الداخل) : مَن ينادي؟

ديوماد : أنا ديوماد، وأنت كلشاس، على ما أظن... أين ابنتك؟

كلشاس (من الداخل) : ها هي آتية اليك.

(يدخل ترويلوس وأوليس، ويقفان على حدة. يدخل ثرسيت وراءهما).

اوليس : لنقف بشكل لا يصل الينا نور المشعل، كي لا يرانا احد.

(تدخل كريسيدا).

ترويلوس (على حدة) : ها هي كريسيدا متجهة نحوه.
ديوماد : ماذا فعلتِ، يا فتاتي؟
كريسيدا : اسمع، يا حارسي الأمين، لديّ كلمة أبلغك اياها.

(تكلّمه بصوت حافت).

ترويلوس (على حدة) : ما هذا؟ هل اصبحا كلاهما متآلفَيْن الى هذا الحدّ؟
اوليس (على حدة) : هي أمست بارعة في فهم أحوال أي رجل، من أول نظرة.
ثرسيت (على حدة) : وكل رجل قادر على ادراك جوهرها، بشرط أن يهتدي الى مفتاح قلبها : في الحقيقة هي فتاة رائعة ممتازة.
ديوماد : أتريدين أن تتذكّري؟
كريسيدا : أن أتذكّر؟ نعم.
ديوماد : اذاً تذكّري ما يحقق الانسجام بين عواطفك واقوالك.
ترويلوس (على حدة) : ماذا عليها أن تتذكّر؟
اوليس (على حدة) : اصمت أنت.
كريسيدا : أيها الاغريقي الوسيم اللطيف، لا تغرّر بي وتدفعني الى حافة الجنون أكثر مما فعلتُ حتى الآن.
ثرسيت (على حدة) : يا للخساسة والدناءة.
ديوماد : ما بكِ؟ لماذا لا تردين؟
كريسيدا : صبراً، أودّ أن افاتحك بأمر هامّ.
ديوماد : ها، ها. هذه كلها سخافات. أنتِ شاهدة زور.
كريسيدا : اقسم لك، انني لا أستطيع... ماذا تريدني أن أفعل؟

ترسيت (على حدة) : إلجأي الى الحيلة لفضح سرّه.
ديوماد : ماذا أقسمت أن تمنحني.
كريسيدا : أرجوك أن لا تقيّدني بيميني. اطلب مني ما تشاء غير هذا، أيها الاغريقي الوسيم.
ديوماد (وهو ينسحب) : ليلتك سعيدة.

(تمسك به كريسيدا).

ترويلوس (على حدة) : أمسكي به جيداً، يا عزيزتي.
اوليس : ما بك، أيها الطروادي؟
كريسيدا : يا ديوماد، ارجوك أن تبقى معي.
ديوماد : لا، لا. ليلتك سعيدة. انا لا أرضى بأن تخدعيني بعد الآن.
ترويلوس (على حدة) : من هي أفضل منك، لا تتردّد في ذلك.
كريسيدا : اسمع، سأهمس كلمة في اذنك.

(تكلّم ديوماد بصوت خافت).

ترويلوس (على حدة) : يا للعذاب الأليم.
اوليس : اراك متأثراً، أيها الأمير. هيا بنا نذهب، لئلاّ ينقلب انزعاجك الى غضب. فإن هذا المكان محفوف بالأخطار، والوقت في هذه الساعة رهيب. فأتوسّل اليك أن تطاوعني على الذهاب.
ترويلوس : أرجوك أن تنتظر قليلاً.
اوليس : لا، يا مولاي الكريم. لنذهب، وإلاّ تدحرجتَ الى هوّة هلاكك. تعال، يا مولاي.
ترويلوس : ارجوك هذه المرة أن تبقى.
اوليس : ليس لديك ذرّة من الصبر. تعال.
ترويلوس : ارجوك ثانية بإلحاح أن تبقى. بحق السماء وكل مَنْ فيها، لن أنبس ببنت شفة.
ديوماد : والآن أتمنى لكم : ليلة سعيدة.

كريسيدا : لا، لا تذهبوا، وأنتم غاضبون.

ترويلوس (على حدة) : هل هذا يضايقك؟ اسفي على الشرف الذي ذوى كما تذبل الذهور.

اوليس : ما بك، يا مولاي؟

ترويلوس : بحياة الاله المشتري، سأكون طويل البال.

كريسيدا : أيها الحارس الأمين، أيها الاغريقي الشهم.

ديوماد : هذا لا يعجبني. الوداع. أنت محتال حقير.

كريسيدا : لا لعمري. عُدْ الى هنا.

(تمسك بديوماد).

اوليس (لترويلوس) : اراك ترتجف غيظاً، يا مولاي. هل تريد الذهاب؟ وأنت على وشك الانفجار من شدّة الغضب.

ترويلوس : ها هي تلامس خدّه وتداعبه.

اوليس : تعالَ، تعال.

ترويلوس : كلا، إبقَ. بحياة الاله المشتري، لن أتلفّظ بكلمة بعد الآن، وسأجعل سوراً عالياً يفصل بين إرادتي وكافّة رغباتي. إنتظروا برهة.

ثرسيت (على حدة) : مثل شيطان الملذات، يدغدغ الأثنين معاً، تارة بفخذه الغليظ وطوراً بأصابعه المنتفخة كالرغيف. فاختمري، أيتها الأشواق، اختمري وارفخي.

ديوماد : ماذا تريدين أن يجري اذاً؟

كريسيدا : لعمري، اذا أخلفت وعدي، لن تثقوا بي أبداً بعد اليوم.

ديوماد : قدّمي لي رهناً كضمانة.

كريسيدا : سأبحث عما يرضيك.

(تدخل الى الخيمة).

اوليس (لترويلوس) : لقد أقسمت لي وأكّدت بأن تكون صبوراً.

ترويلوس : لا تشكّ بكلامي، أيها المولى الكريم. سأقهر نفسي وأتجاهل مشاعري. وها انا كلّي اصطبار.

(تخرج كريسيدا من الخيمة).

ثرسيت (على حدة) : ها هي الرهينة. فما العمل؟
كريسيدا : هيا يا ديوماد، احتفظ بهذا الزند.

(تعيد الى ديوماد الزند الذي اعطاها اياه ترويلوس).

ترويلوس (على حدة) : أين سلطانك، أيها الجمال؟
اوليس : مولاي.
ترويلوس : سأكون صبوراً طويل الأناة ولو ظاهراً.
كريسيدا : هل نظرت الى هذا الزند؟ إفحصْه جيداً... كان يحبني... يا لي من فتاة مخدوعة. انظروا الى هذا...
ديوماد : من كان صاحب هذا الزند؟
كريسيدا : هذا أمر لا يهمّ، بما اني وقد استرجعته. لا أريد أن أكون برفقتك غداً مساءً.
ثرسيت (على حدة) : ها هيذا تعالج زاويته. حسناً صرّحتْ بأنها حارّة كالمكواة

ديوماد (محاولاً أن يستردّ الزند) : سآخذه.

كريسيدا : أتأخذ هذا؟

ديوماد : نعم، آخذه.

كريسيدا : يا اله السماء، ما أروعه من رهن. سيدك يستلقي الآن على سريره، وهو يفكّر فيّ، ويتنهّد ثم يتناول قفّازي ويطبع عليه، إحياءً لذكري، قبلات لذيذة كالتي أمنحك اياها. (ترفع الزند الى شفتيها). لا، لا تنتزعه مني. لأن من ينتزعه مني يقتلع معه قلبي.
ديوماد : قلبك دائماً يصحبني منذ زمن طويل، لأنه ملكي.
ترويلوس (على حدة) : لقد أقسمتُ اني سأكون طويل البال.

كريسيدا : وأنا أقسم لك، يا ديوماد، انك لن تنال الزند أبداً. لن يكون من نصيبك. لأني سأمنحه لغيرك.

ديوماد : انا لا أريد سواه. فمن الذي كان يملكه سابقاً؟

كريسيدا : هذا أمر لا أهميّة له.

ديوماد (يأخذ منها الزند) : هيا قولي لي من كان يملكه؟

كريسيدا : شابّ أحبّني أكثر منك. لكنه الآن، وقد أصبح يخصّك، يسعك أن تحتفظ به.

ديوماد : اريد أن أعرف من الذي كان يملكه؟

كريسيدا : اقسم بحياة كل رفيقات ديانا في العلاء، وبحياة ديانا نفسها، اني لن أبوح لك باسم من كان يمتلكه.

ديوماد : غداً سأضعه على خوذتي، وأدع مانحه يتألم، ولن يجرؤ على المطالبة به.

ترويلوس (على حدة) : ستصبح شيطاناً وستحمله على قرنك امام الجميع.

كريسيدا : هيا، هيا. انتهى الأمر، واتُخِذ القرار. لكن لا. لن أفي بوعدي.

ديوماد : اذاً، الوداع. وهكذا لن تتمكّني من الاستهزاء بي انا ديوماد.

كريسيدا (تُمسك به) : لن تذهب. لا أحد يسعه أن يقول كلمة بدون أن تحتدّ.

ديوماد : انا لا أحب هذا المزاح.

ثرسيت (على حدة) : ولا أنا، بحق الاله بلوتون. لكن ما لا يعجبك، يعجبني انا كثيراً.

ديوماد : هيا. هل عليّ أن أعود؟ وفي أية ساعة؟

كريسيدا : نعم، عُدْ. أيتها السماء أعينيني... تعال، فقد اضحت عذاباتي كثيرة.

ديوماد : اذاً، الوداع.

كريسيدا : ليلتك سعيدة. ارجوك أن لا تذهب. (يخرج ديوماد). الوداع، يا ترويلوس. ان احدى عينيّ شاخصة اليك، والعين الأخرى ترنو الى حيث يميل قلبي. ما أغبى جنسنا اللطيف الضعيف. فالعلّة التي نشكو منها هي أن انحراف نظرنا يوجّه عواطفنا. وما تجرّه

الأخطاء على تفكيرنا، لا بدّ من أن يسيطر على تصرّفنا. وبالنتيجة تنجرف النفوس التي تتحكّم بها العيون الى وهْدَة الخزي والعار.

(تدخل كريسيدا الى الخيمة).

ثرسيت (على حدة) : ليس لديها حجة أقوى، إلّا اذا قالت : «أمسيت بإحساساتي كالعاهرة الخالعة العِذار.

اوليس : قضي الأمر اذاً، يا مولاي.

ترويلوس : أجل.

اوليس : فلماذا نبقى هنا؟

ترويلوس : لأذكّر نفسي بكل كلمة قيلت. لكني اذا رويت كيف اجتمع هذان العاشقان واتّحدا، ألاَ أُعْتَبر مبالغاً في اعلان الحقيقة؟ بالفعل، لا ازال أعتقد وأصرّح بإصرار بانها صدّعت عمل عينيّ وأذنيّ، كما لو كانت وظيفة هذه الأجهزة فاسدة ومخجلة، ووُجدتْ فقط للنميمة والأذى؟ فهل حقاً كانت مسبّبتها كريسيدا؟

اوليس : انا لا أعرف لهذا تفسيراً، يا أيها الطروادي.

ترويلوس : حتماً ليست هي.

اوليس : طبعاً هي ذاتها بكل تأكيد.

ترويلوس : مع ان إنكاري لا يمتّ الى الإنحراف بأية صلة.

اوليس : ولا أنا، يا مولاي. كانت كريسيدا هنا منذ لحظة.

ترويلوس : يجدر بنا أن لا نصدّق هذا، كي لا نسيء الى سمعة النساء، وان لا ننسى ان لنا امهات وأخوات. ولا تأبه لهذه الانتقادات المغرضة الميّالة بدون سبب الى الاغتياب والانتقاص، ونأخذها كحجة لنقيس جميع بنات حوّاء على كريسيدا، كأنها قاعدة. فالأفضل أن نعتبر ان هذه الأخيرة لم تكن ها هنا.

اوليس : وأية هفوة إرتكبتْ، أيها الأمير، حتى تُلطّخ شرف والدتنا.

ترويلوس : لا شيء مطلقاً. إلا انها كانت موجودة في هذا المكان بالذات.

ثرسيت (على حدة) : وهل سيطلب من عيونه أن تكون شاهدة على ذلك؟

ترويلوس : هي، هنا؟ كلاّ. بل كانت كريسيدا التي تخصّ ديوماد. فإن كان للجمال روح، فحتماً لم تكن هي. واذا كانت النفس مرشدة الإيمان، وكان الايمان مقدّساً، واذا كانت القداسة حِلْية الآلة وكانت للعبادة قوانين، فحتماً لم تكن هي. يا لهزيان المنطق الذي يقوم على اتهامك والدفاع عنك في آن واحد يا للسلطة المتناقضة التي يقوم عليه العقل بدون أن يتضعضع، ويدّعي الضياع رغم صواب الحق بدون أن يثور. لقد كانت كريسيدا، ولم تكن هي. ففي ذهني قام صراع من نوع ليس أغرب منه : لأن ما لم تنفسم عراه، هو في الواقع غير منفصل تماماً عن الأرض والسماء. مع ان هذا الفارق الزهيد لا يسمح بالمرور لرأس دقيق جداًنظير خيط ربّة الزركشة الماهرة أراكْني التي اشتهرت في منطقة ليديا. الأمر في منتهى الجلاء والوضوح : كريسيدا تخصّني وهي مرتبط بي بوثاق متين أقوى من لهفة الشوق ذاته. وهذا الرباط السماوي لا سبيل الى حلّه ولا الى قطعه ولا الى ارضائه. لأنه عقدة اخرى صعبة الفكّ، حبكتها الأنامل البارعة، من بقايا ايمانها ونفايات حبّها والأجزاء والفُتات والنُتف الصغيرة المتناثرة من شرفها المهدور الذي جمع شتاته ديوماد.

اوليس : وهل يجوز أن يشعر ترويلوس الرصين، بنصف احاسيسه التي يعبّر عنها هنا؟

ترويلوس : أجل، أيها الاغريقي. وسينشر ذلك بحروف حمراء نظير قلب إله الحرب مارس المكتوي بهوى فينوس. اسمع، أيها الاغريقي. انا احب كريسيدا بقدر ما اكره ديوماد الذي يدّعي الهيام بها. وهذا الزند يخصّني، وهو يريد أن يضعه على خوذته التي، حتى ان كان إله الفن صانعها ساخترقها بحدّ سيفي. كلاّ، ان الزوبعة الكثيفة التي تثيرها حرارة الشمس الساطعة ويسمّيها الفلاحون

إعصاراً، لن تصمّ آذان اله البحر نبتون، هي تهبّ بصخب اعنف من صرير سيفي حين سيهوي على رأس ديوماد.

ثرسيت (على حدة) : سيغنّجه كما يليق به نظراً الى فسقه ودعارته.

ترويلوس : كريسيدا، يا كريسيدا الخدّاعة، ان جميع المخاتلات الماكرات اللواتي يرد ذكرهن الى جانب اسمك الملطخ بالعار، سيظهرن أمجد منك بما لا يقاس.

اوليس : مهلاً، مهلاً. إلزمِ الهدوء. لأن فورة مشاعرك تسترعي هنا الانتباه.

ايني : انا ابحث عنك منذ ساعة، يا مولاي. فان هكتور يتقلّد اسلحته في طروادة. واجاكس حارسك ينتظرك كي يعيدك الى مقرك بسلام.

ترويلوس : كلّي آذان صاغية لسماعك، أيها الأمير. (لأوليس). السلام عليك، يا مولاي اللبق. ووداعاً، أيتها الثائرة الحسناء. وأنت يا ديوماد، كن شديد البأس واجعل خوذةً على رأسك لتحميك.

اوليس : سأوصلك الى الباب.

ترويلوس : اقبل مني شكري الجزيل.

(يذهب ترويلوس وايني وأوليس).

ثرسيت (وحده) : كم أتمنى أن أواجه ديوماد الخبيث، واستقبله بالنعيب كالغراب، وانزل به شتى المصائب. فيتحفني بتروكل بمكافأة اذا أرشدته الى هذه المومس. لأنه غارق في الدعارة، ولا يهمه سوى الحرب والمجون. وليس من امرأة مثلها يتهافت عليها المتهتكون الذين سيحملهم ابليس الى اعماق الجحيم.

(يخرج).

المشهد الثالث

في قصر بريام وسط طروادة

(يدخل هكتور ومعه اندروماك)

اندروماك : متى كان مزاج مولاي معكّراً ليسدّ اذنيه كي لا يسمع تحذيراتي المتكرّرة؟ انزعوا عنه السلاح، انزعوه ولا تدعوه يقاتل في هذا النهار المشؤوم.

هكتور : انت تضطرينني الى اهانتك، يا عزيزتي. هيا عودي من حيث أتيتِ. بحق الآلهة الخالدة، لا بد لي من خوض المعركة.

اندروماك : ستضطرب احلامي في هذه الليلة المزعجة.

هكتور : أقول لكِ كفى، كفى.

(تدخل كاسندرا).

كاسندرا : أين أخي هكتور؟

اندروماك : ها هوذا بكامل اسلحته التوّاقة الى هدر الدماء. شاركيني الالحاح والتوسّل. تعالي نركع امامه على ركبتينا ونستعطفه لعلّه يلين. لأني حلمت الليلة الماضية بمعركة عشوائية بدت لي كأنها رؤيا تنذر بالقتل والعويل.

كاسندرا : في الحقيقة، قولك صحيح، يا للأسف.

هكتور : ما هذا الكلام السخيف. ليُنفخ لبوق، إيذاناً ببدء المعركة.

كاسندرا : بحق السماء، لا تطلب نفخ البوق لاعلان استعدادك، يا اخي العزيز.

هكتور : هيا انصرفي. لقد سمع الفريقان قسمي.

كاسندرا : الأثنان اطرشان، لم يبلغهما حلفانك المتهوّر العنيد الذي يشبه التقدمة الملوّثة المرذولة في نظرهما مثل قلب الضحية المضرجة بالدماء.

اندروماك : ارجو ان تقنعك توسّلاتي. لا تظن ان عمل الشر لتلبية الأهواء الفاسدة يستحق أية شفقة. لأن السرقة عنْوةً بغية التكرّم والعطاء، مثل الاختلاس الخفي بقصد البرّ والإحسان، كلاهما يخالفان الشرع والقانون.

كاسندرا : النوايا الطيّبة هي التي تضفي الفعالية على الحلفان. كذلك لا تظنّ أنّ جميع التعهّدات تستحق التنفيذ. فأرجوك ثانية أن تنتزع عنك اسلحتك، يا اخي الحنون هكتور.

هكتور : اكرّر عليكِ رجائي ان تهدّئي روعكِ، وأن تدعي شرفي يقودني الى مصيري انا لا أنكر أنّ على كل انسان أن يتشبّث بحياته. غير أنّ على صاحب المبدإ ان يتشبّث بشرفه أكثر من تشبّثه بحياته الغالية.

(يدخل ترويلوس مدجّجاً بالسلاح).

ماذا نويت أن تفعل، أيها الفتى؟ هل أنت لا تزال مصمّماً على القتال في هذا النهار؟

اندروماك (لكاسندرا) : يا كاسندرا، نادي ابي ليُقنع هكتور

(تخرج كاسندرا).

هكتور : لا، حقًّا، يا زينة الشبان ترويلوس، عليك أن تنزع عنك معدّاتك ايها الفتى. فالحظ يحالف اليوم فروسيّتي انا. اما انت فدع عضلاتك تنمو حتى يشتدّ ساعدك، ولا تُعرّض نفسك منذ الآن لمهالك الحرب الطاحنة. هيا انزع عنك اسلحتك واذهب. وكن واثقاً، يا اخي، بانني أعرف كيف أقاتل اليوم عنك وعني وعن طروادة بأجمعها.

ترويلوس : يبدو ان شيطان السخاء سيطر الآن عليك، وهو ينطبق على الأسد المفترس اكثر مما ينطبق على رجل متّزن نظيرك.

هكتور : ما هي علّتي، يا ترويلوس الكريم؟ عليك أن تبيّنها لي، هيا.

ترويلوس : في أغلب الأحيان يسقط الاغريق امامك لمجرد ما يحدثه سيفك من هدير وما يحركه من هواء عندما تستلّه ويبرق حدّه، فتصيح بهم كي ينهضوا عن الأرض ويتمتعوا بموهبة الحياة.

هكتور : لكن هذه البادرة هي من مستلزمات اللعبة الطريفة.

ترويلوس : بحق السماء، يا هكتور، صدّقني إن قلت لك ان هذه هي لعبة المغرورين.

هكتور : ماذا تقول؟

ترويلوس : بحياة جميع الآلهة المقدسة، لندع امهاتنا واخواتنا برعاية القادر الشفوق. وعندما تكون دروعنا مشدودة، الى صدورنا، وروح الانتقام الفتّاك يمتشق ويهزّ سيوفنا، لا بد لنا من أن نهمز خيولنا وننصرف الى العمل الجدّي معتصمين بالحلم والتبصّر.

هكتور : تبًّا لك، أيها الجبان. تبًّا لك الف مرّة.

ترويلوس : هذه هي لعبة الحرب، يا هكتور.

هكتور : انا اتمنى ان لا تقاتل في هذا النهار، يا ترويلوس.

ترويلوس : ومن الذي يمنعني عن خوض المعركة؟ لا المصير والا الإخضاع ولا ذراع اله الحرب مارس، إن شاء أن يشير اليّ بخنجر من اللهب كي انسحب، ولا بريام ولا هيكوب جاثيةً على ركبتيها، وعيناها محمرّتان من وفرة زرف الدموع، حتى ولا أنت، يا اخي، بسيفك المستلّ لا تستطيع سدّ الطريق امامي. جميعكم لن تقفوا في دربي ولن تحولوا دون مسيرتي ما عدا الموت القادر على شلّ حركتي.

(تعود كاسندرا مع بريام).

كاسندرا : مدّ يدك اليه، يا بريام، وتمسّك به جيداً. فهو عكازك في شيخوختك. واذا فقدت سنده، فما امامك انت الذي تستند اليه، وأمام طروادة كلها التي تستند اليك، إلّا السقوط والهزيمة والمذلّة.

بريام : هيا، يا هكتور، هيا. عُدْ الى منزلك. فلقد ابصرتْ زوجتك حلماً مشؤوماً، وكذلك حدث لأمك. وتوقّعتْ كاسندرا مثلي، بوحي صريح كما يُنزل على الأنبياء، أن هذا النهار محفوف بأوخم العواقب. لذلك عليك أن تعود الى اسرتك.

هكتور : لقد سبقني إبني الى السهل. وانا تعهّدت لجماعة الإغريق وأقسمت بشجاعتي ان اظهر لعيانهم في هذا الصباح.

بريام : لكنك مع ذلك لن تذهب.

هكتور : لا يسعني ان احنث بيميني. وأنت تعرف جيداً كم أنا أقدّس الواجب. لذلك ارجوك أن لا تدفعني، يا مولاي العزيز، الى دوس مبادئي وكرامتي، بل إسمح لي بأن أتابع برضاك وموافقتك، طريقي الذي تحاول أن تمنعني عن السير عليه، يا صاحب الجلالة بريام أبتي الجليل.

كاسندرا : أتوسل اليك ان لا تسايره، يا بريام.

اندروماك : وأنا أيضاً، ألتمس منك ذلك، يا أبي الحبيب.

هكتور : أنت تثيرين حفيظتي، يا اندروماك. فبحقّ حبي لك، أرجوك أن تنسحبي.

(تخرج اندروماك).

ترويلوس (يشير الى كاسندرا) : ما لهذه المهووسة، هذه الفتاة المتشائمة، صاحبة الرؤى الغريبة، تتخيّل كل هذه الخزعبلات الوهمية.

كاسندرا : وداعاً، يا عزيزي هكتور. انظر الى نفسك كيف تهرول نحو الموت. انظر كيف تغور عيناك، انظر كيف تدع جراحك العديدة تنزف دماءك الزكية. وانصت الى صوتك كيف يزمجر بوحشية، وكيف تشهق امك هيكوب غارقة في أسى الندب والنحيب، وكيف تصرخ زوجتك المسكينة اندروماك من شدّة الألم والعذاب. ألاَ انظر كيف يتراكم حولك العنف والخراب والهلع،

وكلها صادرة عن هوس مَوْتور يصيح : « مات هكتور، يا للأسف. آهٍ من هكتور ».

ترويلوس : اذهبي، هيا اذهبي من هنا.

كاسندرا : الوداع. كلا. مهلاً، يا هكتور. دعني استأذنك، يا من تضلّل طروادة بأسرها، وأنت تخدع نفسك أيها المغرور.

(تخرج).

هكتور (لبريام) : يا مليكي وأبي، يا من أدهشتك هذه الصرخات، عُدْ وطمئن المدينة اننا ماضون الى القتال والى القيام بأعمالٍ يليق بها المديح والاطراء حين نتباهى بسرد وقائعها في الأمسيات المقبلة.

بريام : الوداع. لتشملكم الآلهة برعايتها وحمايتها.

(يخرج بريام من جهة، وهكتور من جهة أخرى. تصدح الموسيقى)

ترويلوس : ها هما قد باشرا العراك. فلنستمع اليهما. آه منك، يا ديوماد المتجبّر، صدّقني. اني أعدك إمّا أن أخسر ذراعي أو أن استردّ زندي.

(يذهب ترويلوس من جهة وبنداروس من جهة أخرى)

بنداروس : هل تسمع، يا مولاي؟

ترويلوس : ماذا تريد ان اسمع؟

بنداروس : هذه رسالة من الفتاة المسكينة المحجوزة هناك.

(يسلّمه ورقة)

ترويلوس (يفتح الورقة) : لنقرأ.

بنداروس : كم تُقلقني هذه الجيفة النتنة، هذه الفتاة المشؤومة الحقيرة لسبب أو لآخر لا بدّ لي من التخلّي عنها في يوم من الأيام الدموع تجول في عينيّ، وعظامي تؤلمني بشكل لا يطاق وتجعلني

أكفر ولا أفكّر بما أقول. (لترويلوس). بماذا تتلفّظ هذه المرأة.

ترويلوس : كلماتها مبهمة غير مفهومة، ولا تنطلق من قلبها لأن عواطفها تهيم بعيداً عن هذا المكان. (يمزّق الرسالة). إذهبي مع الرياح، وتطايري حيث تحملك الأعاصير. هي تبادلني الهيام بكلمات فارغة وأكاذيب مخجلة. وتناقِض هواها بأفعالها المشينة.

(يخرج).

المشهد الرابع

في ارض منبسطة بين طروادة ومعسكر الاغريق. تصدح الموسيقى، ويتحرّك الجنود

(يدخل ثرسيت).

ثرسيت : ها هما أخيراً يشتبكان، فلأراقبهما. تبًّا لهذا المحتال، وذاك الدجّال الخبيث ديوماد الذي يحمل على خوذته زند هذا الشاب الغريب الأطوار، هذا المختلّ الذي يهذي، هذا الطروادي الأحمق. كم أود أن أراهما مشتبكَيْن، وأن يردّ صاحبنا بعنف على هذا الحمار الطروادي الذي عشق العاهرة وان يرجع ذاك المعتدّ الاغريقي بدون زند. من جهة أخرى، أجد ان سياسة هؤلاء المخاتلين المشعوذين، ترمي الى ازدراد الجبنة العفنة التي يعاف أكلها الجرذان وتليق بنسطور والكلب الزميم أوليس... وهي لا تصلح إلّا لرميها مع الأقذار. أجل، في سياستهم الخرقاء، اقاموا هذا الذئب الهزيل المُوَلّد اجاكس، وذاك الضبع الضخم الجثة المتعجرف أخيل الذي يأبى اليوم حمل السلاح. فتسنّت المباشرة لجماعة الاغريق بإعادة اعتبار البرابرة الذين توحي سحنهم، عن

المدينة، بفكرة كئيبة حزينة. مهلاً. ها هوذا الرجل حامل الزند يتبعه شخص آخر.

(يدخل ديوماد، ووراءه ترويلوس).

ترويلوس : لا تهربْ، لأنك ستقطع نهر استيكس الذي سأخوض مياهه خلفك.

ديوماد : الاستراحة لا تعني الفرار. فأنا لا أهرب بل استعدّ للقتال بصورة افضل. لذا جدْتُ قليلاً عن الجماعة، وها انا أتصدّى لك.

ثرسيت : دافع عن عاهرتك، أيها الاغريقي المخدوع. واستعد للدفاع عن العاهرة ذاتها انت أيضاً، أيها الطروادي المغرور. والآن هيا الى القتال في سبيل الزند.

(يخرج ترويلوس وديوماد، وهما يتقاتلان).

(يدخل هكتور).

هكتور (يشاهد ثرسيت) : من تكون، أيها الاغريقي، هل أنت خصم هكتور؟ هل أنت شريف أصيل؟

ثرسيت : كلا، كلا. انا سافل بغيض، انا محتال لعين، انا دجّال خبيث.

هكتور : وأنا أصدّقك، ولذا أدعك تعيش.

(يخرج).

ثرسيت : اني أشكر الآلهة على تصديقك إياي. لكني ارجو مع ذلك أن يقضي عليك الطاعون لأنك روّعتني. ماذا حلّ بهؤلاء الأوغاد المستهترين؟ أظن انهم أفنوا بعضهم بعضاً. وهذه المعجزة تعجبني كثيراً لأني أوقن بأن الدعارة تفتك بذاتها. هيا بنا نبحث عنهم.

(يبتعد).

المشهد الخامس

في بقعة أخرى من ساحة القتال

(يدخل ديوماد وأحد الخدم).

ديوماد : اذهب، اذهب، يا خادمي الأمين. خذ حصان ترويلوس وقدّمه للسيدة كريسيدا، لأنه جواد أصيل. ثم اعرِض، أيها الصديق، خدماتي على هذه الحسناء. وقل لها اني عاقبتُ العاشق الطروادي، واني فارسها المخلص ورهن إشارتها.

الخادم : انا ماضٍ، يا مولاي.

(يخرج الخادم).

(يدخل اكاممنون).

اكاممنون : النجدة، النجدة، فالوحش بوليداموس قد صرع مينون، واللقيط مركاريلون أسر دوريوس، ووقف كالجبار يلوّح بسلاحه فوق جثث ملوك إبيسْتْروفوس وساديوس. قُتل بوليكْسان وأمفيماخوس، وثواس أثخنته جراح بليغة. وبتروكل استُفرِد وأُخمِدَت انفاسه، وبلاميد اصيب بطعنة قاتلة. والمسخ ساجيتار يروّع جنودنا. فلنعجّل، يا ديوماد، ونبادر الى اغاثتهم، وإلا هلكنا جميعاً.

(يدخل نسطور).

نسطور : هيّا بنا نحمل جسم بتروكل الى أخيل. ولنقل لأجاكس البطيء كالسلحفاة ان يتسلّح ويدافع عن شرفه المهان. فهناك ألْفٌ من أمثالِ هكتور في ساحة المعركة على أتمّ الاستعداد. من هنا أرى هكتور يحارب وهو على رجليه، والجميع يهربون أمامه كأنهم اسماك صغيرة يلفظها حوت هائل من شدقه الواسع. وهنالك أبصره واقفاً بالمرصاد لجماعة الاغريق وهم يشبهون

عيداناً يابسة امام حدّ سيفه البتار ويُسقطون عند قدميه كما يتناثر العشب تحت منجل الحصّاد. وهنا وهناك، وفي كل مكان، يأخذ ويترك وتخضع مهارته لهواه فيجترح المعجزات كما يشاء، وتأتي حصيلته واقعاً يكاد لا يُصدَّق، اذ يُعتَبر من رابع المستحيلات.

(يدخل أوليس).

اوليس : يا للبسالة، يا لشجاعة الأمراء. لقد شاهدت اخيل العظيم يتسلّح ويبكي ويشتم ويحلف بأخذ الثأر. واذا بعنفوانه الغافي يستيقظ لدى رؤيته بتروكل مجندلاً على الأرض الى جانب الجرحى من رجال تسّاليا، وقد تهشّم أنفه وتكسّرت يداه وتناثرت اشلاؤه المشوّهة، يهرول نحوه وهو يلعن هكتور ويكيل له احطّ الشتائم بدون حساب. اما اجاكس وقد خسر صديقه الحميم، فأخذ يرغي ويزبد، وبسلاحه الفتّاك يضرب يميناً ويساراً، ويزمجر بسبب ترويلوس الذي حقّق اليوم ابرع الإنجازات، اذ كرّ وفرّ فارضاً نفسه بقوة وشجاعة غير مبالية وبعدم اكتراث وبدون جهد، كأن الحظ حالفه فوق ما امتاز به من مهارة تدفع صاحبها الى الانتصار، فسحق جميع أعدائه.

(يدخل اجاكس).

اجاكس : ترويلوس، يا ترويلوس، أين أنت، يا جبان؟

ديوماد : هو هناك، بعيداً عنّا.

نسطور : حسناً. هيّا نستجمع كل قوانا لمواجهته.

(يدخل أخيل).

اخيل : أين هكتور؟ هيا، يا هكتور، يا قاتل الأطفال، أرنا وجهك، وتعلّم

ماذا تعني مواجهة غضبي، انا اخيل. هكتور، أين أنتَ، يا هكتور؟ انا لا أطلب إلاّ مجابهة هكتور.

(يخرجون).

المشهد السادس
في مكان آخر من ساحة المعركة

(يدخل اجاكس)

اجاكس : يا ترويلوس، أيها الجبان ترويلوس، أَرِنا وجهك المشؤوم.

(يدخل ديوماد).

ديوماد : اني انادي ترويلوس. فأين ترويلوس؟
اجاكس : ماذا تريد منه؟
ديوماد : أريد أن أؤدّبه.
اجاكس : سأكون القائد العام، إن تنازلت بالأحرى عن موقعي بدل القيام بهذا التأديب اللازم.

(يدخل ترويلوس).

ترويلوس : أيها الخائن ديوماد... أُدِر وجهك المنحوس، يا خائن، ودَعْني ازهق روحك النجس لقاء خسارتي حصاني المفقود.
ديوماد : ها أنت أخيراً قد أتيت.
اجاكس : انا وحدي سأقتله. قِفْ، يا ديوماد الجبان.
ديوماد : ترويلوس هو طريدتي، ولن أقف حياله مكتوف اليدَيْن.
ترويلوس : تقدّما كلاكما، أيها الاغريقيان المشعوذان، وخذا نصيبكما معاً.

(يبتعد وهو يقاتل).

(يدخل هكتور).

هكتور : أجل، هذا هو ترويلوس. نعم، حاربتُ بشجاعة ومهارة، يا أخي الصغير.

(يدخل اخيل).

اخيل : أخيراً عثرت عليك، يا وجه البوم، فكن حذراً، يا هكتور.

هكتور : استرجع انفاسك، اذا شئت.

اخيل : انا في غنى عن نصائحك، أيها الطروادي المتشامخ. إفرح، لأن اسلحتي لم تعد صالحة للاستعمال، ولأني بإخلادي الى السكينة والمسامحة أتغاضى عنك في الوقت الحاضر. غير أن اخباري ستبلغك حتماً عما قريب. وحتى ذلك الحين، تابع مسيرتك لتبلغ مصيرك.

(يبتعد).

هكتور : الى اللقاء. لو أمكنني ان أتوقّع قدومك، لكنتَ رأيتني على أتمّ الارتياح. فما وراءك من الأنباء يا أخي؟

(يعود ترويلوس).

ترويلوس : اجاكس إصطحب إيني. فهل علينا أن نتحمّل سماجة عمله؟ كلا، بحقّ هذه الشمس الساطعة هناك، لن أدعه يرافقه. وإلّا كنت انا أيضاً أسيراً محجوزاً، إن لم استطع أن أخلّصه. هذا نصيبه. إلاَ اسمع ما اقول. أنا لا يهمّني كثيراً إن انتهت حياتي في هذا النهار.

(يذهب ويمر احد المقاتلين مدجّجاً بأسلحة رهيبة).

هكتور : قفْ، أي الاغريقي، فأنت هدف بارز. ألا تريد أن تقف؟ إني

أحبّ كثيراً درعك وخوذتك، رغم كوني أتوق الى تحطيم رأسك معهما. ولأني أودّ أن أمتلكهما، ها اناذا ألاحقك حتى أزهق روحك.

(يخرجون).

المشهد السابع

في ساحة القتال

(يدخل اخيل ومعه رجال من تسّاليا)

اخيل : تعالوا كلكم، والتفّوا حولي، يا رجال تسّاليا الأشداء، وانتبهوا جيداً الى ما أقول. رافقوا عربتي الحربية، ولا تضربوا ضربة واحدة، بل احبسوا انفاسكم. وعندما أجد هكتور الدموي، عليكم أن تحيطوا به من كل الجهات، وأنتم بكامل اسلحتكم، وتنزلوا به أقسى ضرباتكم القاضية... اتبعوني، يا سادتي، وراقبوا تحركاتي. لقد قررت أن أقتل هكتور الكبير.

(يبتعدون).

(يدخل مينلاس وباريس وهما يتقاتلان. ثم يأتي ثرسيت وراءهما).

ثرسيت : لقد وقع المخدوع والخادع في الفخ معاً. هيا، يا ثور، هيا، يا كلب، لماذا لا تعضّه؟ جاء دورك، أيها الحيوان الذميم. هيا عضّه، يا باريس. لقد فاز الثور. فحذار من قرنيه. ها هو.

(يدخل مركاريلون).

مركاريلون : إلتفت، أيها اللص، وقاتل.

ثرسيت : من أنت؟
مركاريلون : انا ابن بريام غير الشرعي.
ثرسيت : وأنا كذلك ولد غير شرعي، وأحبّ اللقطاء امثالي. انا غير شرعي في مولدي، وغير شرعي في دراستي وفي تفكيري وفي مكانتي. اجل، غير شرعي في كل أموري. الدببة لا ينهش بعضها بعضاً، فلماذا لا يقتدي بهم اللقطاء؟ كونوا على حذر، لأن العراك سيكون وبالاً علينا. وسيكون القتال كارثة ومحنة تشملنا كلّنا. وهذا القتال في سبيل عاهرة سيجرّ علينا أفظع اللعنات، لا سيّما اذا كنا، كما نحن، اولاد حرام. فالوداع، أيها اللقطاء.
مركاريلون : ليجرّك الشيطان الى اعماق الجحيم، أيه الجبان.

(يخرجون).

المشهد الثامن

في مكان آخر من ساحة المعركة التي تضيئها شمس المغيب

(يدخل هكتور)

هكتور : ما أروع درعك، أيها النذل الخسيس، رغم بهاء طلعتك. إعلم انه سيكلفك حياتك. انتهى عملي اليومي في هذا النهار، وآن لي أن أتنفّس الصعداء. استرح، يا سيفي في غمدك. كفاك ما سكرت به من نشوة سفك الدماء وتكديس جثث القتلى.

(يدخل اخيل ومعه رجال من تسّاليا).

اخيل : يا هكتور، انظر شمس المغيب، والليل الهابط اللاّهث جرياً وراء خطواتك. ففي هذا التواري تحت جنح الظلام، لا بدّ، كخاتمة نهارك، من أن أخطف حياتك، يا هكتور.

هكتور : انا الآن غير مسلّح، فلا تغتنم هذه الفرصة، أيها الاغريقي.

اخيل (لرجال تسّاليا) : اضربوا، أيها الشجعان، اضربوا هذا الرجل الذي أبحث عنه. (يسقط هكتور ميتاً مضرّجاً بدمه). والآن وقد سقطت معه ايلون، اسقطي انت أيضاً يا طروادة. اذ هنا يرقد قلبك وذراعك وجبروتك. الى الأمام تقدّموا، يا رجال تسّاليا. واصرخوا كلكم بصوت عالٍ : « اخيل قتل الجبار هكتور ». (يسمع صوت موسيقى الإنسحاب). أصغوا، هذه علامة انسحاب الاغريق.

رجل من تسّاليا : ابواق الطرواديين تعلن أيضاً هذا الانسحاب، يا مولاي.

اخيل : الليل يبسط على الأرض جناحه كالتنين، وكحاكم المعسكر يفصل بين الجيشين. وبما أن سيفي لم يتناول سوى نصف عشائه، أراه يصرّ على ادراك الشبع. لكنه بعد أن سحرته هذه اللقمة الشهية، عاد الى غمده راضياً. (يعيد سيفه الى غمده). هيّا، اربطوا جثة هذا الطروادي الى ذيل جوادي لأجرّه على طول ساحة القتال.

(يخرجون).

المشهد التاسع

في ساحة المعركة

(يُقرع الطبل. يدخل أكاممنون وأجاكس ومينيلاس ونسطور وديوماد وغيرهم من الاغريق. يتعالى اللغط عن بعد).

اكاممنون : اسمعوا. ما هذا اللغط؟

نسطور : هدّئ روعك. هذا قرع الطبل.

صراخ عن بعد : أخيل، ويح أخيل الذي قتل هكتور.

ديوماد : تقول الاشاعة أن أخيل قتل هكتور.

اجاكس : اذا كان هذا الخبر صحيحاً، علينا أن لا نتبجّح، مع أن هكتور الكبير إستحقّ ذلك.

اكاممنون : لنسِرْ بنظام. وليذهبْ احدنا كي يرجو أخيل أن يحضر لمقابلتي في خيمَتي. فإنْ خصّتْنا الآلهة بامتياز هذه الميتة، أضحت طروادة من نصيبنا، وانتهت حروبنا الشرسة.

(يخرجون).

المشهد العاشر

في مكان آخر من ساحة المعركة

(يدخل ايني والطرواديون)

ايني : قفوا، يا جماعة. سيطرنا أخيراً على ساحة المعركة. ولا حاجة لدخولنا الى طروادة، بل الأَوْلى أن نقضي الليل ها هنا.

(يدخل ترويلوس)

ترويلوس : قُتِل هكتور.

الجميع : هكتور؟ حَمَتْنا الآلهة من الأعظم.

ترويلوس : لقد مات، وربطه القاتل بذيل حصانه وجرّه وراءه على طول السهل المشؤوم، أيتها السماوات، ظلي غضبى وواصلي هبوب عاصفتك. اجلسي على عروشك أيتها الآلهة، وابتسمي لطروادة، واختصري ضرباتك رحمةً بنا وخشيةً ان تنهمر الكوارث على رؤوسنا.

ايني : يا سيدي، انت تثبّط عزيمة كل جيشنا هكذا.

ترويلوس : انتم لم تفهموا قصدي لكي تكلّموني بهذه اللهجة، انا لا أعني الهرب ولا التضعضع ولا الفناء، بل بالعكس اقف في وجه جميع

الأخطار التي تهدّدنا بها الآلهة، ويلوّح لنا الناس بها. لقد قضى هكتور نحبه. فمن يذهب الى بريام وهيكوب ليعلمهما بالأمر. ومن يقبل أن يعتبر صوته على الدوام كنعيب اليوم، يتحتّم عليه أن يذهب الى طروادة ويعلن موت هكتور، ويطعن قلب بريام، ويفجّر في مآقي الصبايا سيلاً من الدموع، ويجعل جميع الأمهات ثكالى نظير نيوبي التي فقدت كل اولادها، ويحوّل جميع الشبان والصبايا أعمدةً باردة، وطروادة فزّاعة في نظر نفسها. ألا هبّوا الى النعي، لأن هكتور قد قضى نحبه، ولم يعد من سبيل الى التلفّظ بأية كلمة أخرى. مع ذلك، عليكم أن تريّثوا... وأنت أيتها الخيام الفظيعة المنتصبة بشموخ وسط سهولنا الفريجية، دعي شمس النهار تطلع حالما تجسر على الاطلالة، لكي اجتازك من ادناك الى اقصاكِ. وأنت، أيها الجبان الحقير، اعلم أنْ ليس من فارق بين حقدنا نحن الأثنين. سأستبدّ بك على الدوام نظير ضمير المجرم الذي يناشد عدداً كبيراً من الأشباح يوازي وخزات هذا الضمير المستمرة. ألاَ اعزفوا موسيقى الهجوم على طروادة. ولنأخذ معنا من يعزّينا، لأن روح الانتقام يجب أن يخيّم على كوارثنا الداخلية.

(يذهب إيني ويتبعه الطروادیون).

(عندما يبتعد ترويلوس يدخل بنداروس من الجهة الأخرى).

بنداروس : اسمعوا، اسمعوا جيداً.

ترويلوس : تراجعوا، أيها الوسطاء المستعبدون. ليقضّ الذلّ والهمّ مضاجعكم ولْيقترنِ العار باسمائكم.

(يخرج).

بنداروس : هذا هو الدواء الناجع لشفاء نخْز العظام الموجع... آه من الناس. أهكذا يكون العملاء المساكين عرضةً للازدراء؟ أيها الخونة

والمتهتّكون، كم يُطلب منكم أن تَشْقَوْا في اشغالكم، وكم يُغمَط حقكم في المكافأة؟ لماذا تظل خدماتنا مرغوبة وأعمالنا مبخوسة ومرذولة؟ هل لدينا أشعار وأمثال تنطبق على وضعنا هذا؟ دعونا نتفحّص المسألة.

النحلة النشيطة تترنّم بسرور،
ما دامت لم تفقد عسلها الموفور.
لكن حالما تُنتزع إبرتها العاقصة
يقلّ عسلها وتنضب نكهته الناقصة.

هيَّا نبدأ من الأول ونكتب على اللوحة التذكارية :

أنتم جميعاً يا من تتردّدون على داري،
نوحوا بدمع عيونكم المقرّحة على سقوط بنداري.
واذا كنتم لا تستطيعون البكاء، ارسلوا الصيحات،
وإلّا ترتّب عليّ أن أبادر الى الندب والآهات.
يا أخوتي وأخواتي، يا من تحرسون الأبواب،
سأكتب وصيتي خلال شهرين للأنساب.
وكنت استعجلت في اتمامها لولا اني أخاف
أن يتهمني الحمقى بالأفكار السخاف
وأن يحين الوقت المناسب، فالعرق
يتصبّب من جبهتي قبل أن يعتريني الأرق،
من بين سائر العلل التي أودّ ان انقلها،
على سبيل العدوى الى ابدانهم، وأنشرها.

(يخرج).

(تمت)

تيمون الأثيني

أشخاص المسرحية

ألسيبياد : قبطان آثيني

فلافيوس : وكيل تيمون

أبيمنتوس : فيلسوف مشاكس

لوسيوس لوكولوس سمبرونيوس	نبلاء متزلّفون الى تيمون.

فنتيديوس : أحد أصحاب تيمون غير المخلصين

شاعر

رسام

جوهري

تاجر

فلافيوس لوسيليوس سرفيليوس	خدم تيمون
كافيس فيلوطس	خدم دائني تيمون

تيطس
لوسيوس } خدم دائني تيمون
هرتنسيوس
خادما فارون
خادم ازيدوروس
دائنا تيمون
آثيني شيخ
ثلاث غرباء
لصوص
مرافق
مجنون
كوبيدون
مقنّعون
فريني } عشيقتا ألسيبياد
تيمنْدْرا
ضباط وجنود وسادة وشيوخ ووصفاء.

تجري الأحداث في آثينا وفي غابة بضواحي المدينة.

الفصل الأول

المشهد الأول

في قصر تيمون بآثينا

(يدخل رسام وشاعر).

الشاعر : نهارك سعيد، يا مولاي.

الرسام : يسرني أن أراك بصحة جيدة.

الشاعر : لم أشاهدك منذ زمن طويل. كيف أحوال الدنيا في هذه الأيام؟

الرسام : أجدها تزداد سوءاً كلما طعنت في السن.

الشاعر : أجل. هذا أمر معلوم. لكن، هل هناك من قضية نادرة بصورة خاصة؟ هل من غرائب ليس لها مثال حتى الآن. أخبرني، بربك.

(يدخل من أبواب مختلفة جوهري وتاجر وغيرهما من المموّنين).

هذا حقاً كرم زائد منك. لا بدّ أنك تدعو جميع أصحاب الكياسة. أنا أعرف هذا التاجر.

الرسام : أنا أعرفه، وأعرف الجوهريّ أيضاً.

التاجر (للجوهري) : هذا سيد فاضل.

الجوهري : بكل تأكيد.

التاجر : ولا مثيل له. لأنه على الدوام يطاوع طيبة قلبه بدون تردّد ولا إمهال. نعم هو رجل قلّ نظيره.

الجوهري : لديّ هنا جوهرة ثمينة.

التاجر : أرجوك أن تريني اياها. هل تنوي أن تقدّمها للسيد تيمون؟

الجوهري : اذا دفع قيمتها. لكنه من هذا القبيل...

الشاعر (يلقي هذه الأبيات) :

عندما نتقاضى أجر الإطناب بالأشرار،
عملنا هذا يسوّد صفحة أبلغ الأشعار،
مع أننا نكرّس قولنا للإشادة بالأخيار.

التاجر (يتفحّص الجوهرة) : شكلها جميل جداً.

الجوهري : هي حقاً تحفة نادرة. تأمّل بريقها.

الرسام (للشاعر) : ألا تفكّر، يا سيدي، بإعداد كلمة حلوة توجهها الى مولانا الجليل؟

الشاعر : لم يخطر ببالي هذا الأمر. لأن الشعر هو كالنسغ الذي يسيل تلقائياً من جذع الشجرة السخية. والشرر لا يتطاير من الزناد إلّا عندما تضربه. غير ان قريحتنا النبيلة، نحن معشر الشعراء، تتدفّق منها الفصاحة كالسيل العارم الذي يجرف كل ما يعترض سبيله. ما معك هنا؟

الرسام : لوحة، يا سيدي. قُلْ لي متى يظهر ديوان شعرك؟

الشاعر : حالما أسلّمه للنشر، يا سيدي. بربك، أرني عملك.

الرسام (يشير الى لوحة) : هذه تحفة رائعة.

الشاعر : بالطبع. وسيتخاطفها العارفون بلا مراء.

الرسام : انها، كما تراها، عمل يستحق التقدير.

الشاعر : فعلاً هي جديرة بالاعجاب. فهذا الوجه الصبوح تشعّ منه نظرة جذابة. ما أوسع هذا الخيال الخصيب الذي ينبعث من هاتين العينين الساحرتين ويحرّك هاتين الشفتين بأعذب الكلام.

فهذه الملامح رغم جمودها في الرسم تتّسم بأبلغ التعبير.

الرسام : لعمري، هذه سخرية موفّقة تتناول مظاهر الحياة. انظر الى هذه اللمسة أوليست بارعة؟

الشاعر : يسعني القول انها مجلى من مجالي الطبيعة المفعمة بالجمال، بل هي عبقرية الفن، تتجسّم في قسمات هذا الوجه الذي يفيض حيوية.

(يمرّ بعض الشيوخ من هناك).

الرسام : أولا ترى معي كم يتوق الناس الى مشاهدة مولانا تيمون؟

الشاعر : هؤلاء الشيوخ ليسوا سوى شخصيات تدين لهم السعادة والرفاهية.

(يمرّ غيرهم من الرجال).

الرسام : انظر أيضاً الى أولئك.

الشاعر : أتلاحظ كيف ينساب هذا الفيض من الزوار؟ ألا أعلم، اني في الديوان الذي أكملته مؤخراً، أبرزت مولًى يتسابق هؤلاء المتهافتون المتزلّفون بوضاعة لاظهار تعلّقهم به؟ ان اسلوبي الحرّ لا يتوقّف عند أي غرض خاص، بل يهطل كالغيث المنهمر ويجري الى بحر واسع من الخير. وليس فيه أيّة نيّة مشبوهة تشوب لحظة واحدة سخاء شاعريّتي التي تحلّق بجرأة في أجواء النبوغ كالنسر المتشامخ ولا تترك خلفها أية ضحية.

الرسام : ماذا تقصد أن تقول بكل هذا الكلام؟

الشاعر : ها أنذا أشرح لك ما أرمي اليه. أوَلا تلمس كيف تتسابق جميع الطبقات، وكل الأذهان، الأكثر سطحية وخفة نظير الأكثر تحفّظاً وإباءً، لتعرض خدماتها على المولى تيمون. بينما هو برحابة صدره وكرم أخلاقه يجتذب حوله جميع الأفئدة ويأسرها ويجعلها تتفانى في تلبية مشيئته : من المتزلّف المحابي

ذي الوجه المتلوّن كالحرباء حتى أيمنتوس هذا الذي لا أحبّ اليه من إبراز حسنات شخصه المتعالي. والجميع بدون استثناء، حتى هذا المرائي، يجثون على ركبهم أمام تيمون، متمنّين التشامخ عليه وهم يرقصون فرحاً لمجرد ما يتحفهم به من ابتساماته.

الرسام : أجل، شاهدتهم يلغطون كلهم في آن واحد.

الشاعر : أرجوك، يا سيدي، ان لا تنسى اني صوّرتُ الحظّ السعيد متجلّياً في أعلى التلال الضاحكة المرحة. وفي أسفل منحدر الجبل تجثم جميع الكرامات، وكل الناس من سائر الطبقات والفئات يجتهدون وهم يدورون في دوّامة هذا الوجود لعرض أحوالهم على الملأ. وفي وسط هذا الجمع المتّجهة أنظاره الى السيادة أشير الى شخص يشبه كل الشبه تيمون الذي، بإشارة من يده البيضاء الناعمة، يوزع الثروة والهبات، وبأصابعه السحرية يحوّل ألدّ أخصامه الى عبيد طائعين.

الرسام : هذه فكرة عميقة. فهذا المجد وهذا الثراء وهذا الشموخ، ثم هذا الانسان المختار كالتربة الصالحة الخصبة يتّجه منحني الرأس الى الساحل المتعرّج صعداً نحو ارتقاء سلّم السعادة والهناء، وهو يبدو كأنه يجسّم حرفيًّا مرامي فنّنا الرفيع.

الشاعر : لكن، يا سيدي، أرجوك أن تصغي اليّ حتى النهاية. فإن الذين كانوا يوماً متساوين، بل متفوّقين، لا بد لهم جميعاً من أن يتشبثوا بالسير على خطاه. ولذلك يتزاحمون على اعتابه حيث يكيلون له أعذب المديح ويقدّسون حتى الركاب الذي يضع فيه رجليه وهو على صهوة جواده الأصيل.

الرسام : أنا أسلّم معك في صحة هذا الأمر. فماذا تعني؟

الشاعر : عندما يسم الحظ لمجرد نزوة خياله، ويبدّل الأحوال على هواه يجندل الى الحضيض من كانوا يتسنّمون أعلى المراتب بالأمس، ويدحرج الى الأعماق من عانوا المشقات في تسلّق

الجبال، ويجعلهم يجثون على ركبتيهم ويزحفون على يديهم ورجليهم ويتدحرجون الى القعر بدون أن يصدّهم أو يوقفهم رادع عن التدهور الى أعماق الهودة.

الرسام : هذا أمر شائع. وأنا باستطاعتي أن أرسم رموزاً تصوّر انقلاب ظهر المجن فجأةً وتبديد الحظ السعيد، بشكل أقوى من الكلام. على كل حال يمكنك أن تشرح لمولاي تيمون ان الصغار كثيراً ما رأوا الكبار يتعثرون ويتساقطون من قممهم الشاهقة.

(يسمع صوت أبواق. يدخل تيمون تصحبه حاشيته وهو يكلّم خادم صاحبه فنتيديوس).

تيمون : هل قلت لي انه سجين؟

الخادم : نعم، يا مولاي الكريم. لأن في ذمته ديْن مقداره خمسة دنانير. وليس لديه الآن منها درهم واحد. ودائنوه يلحّون عليه ويتشدّدون في مطالبته بتسديدها. لذلك، يسألك سيدي أن تتكرّم وتتدخّل في هذا الموضوع الحرج لامهال دائنيه. وإلا أصيب بأفدح الخيبات.

تيمون : يا لنبالة فنتيديوس. أنا ليس من طبعي أن أدع صديقي في ضيق. لأني أعتبره رجلاً شهماً يستحق كل عون. وسأسدّد جملة دينه وأنقذه حالاً من هذه الورطة.

الخادم : هكذا سيظل معلّمي على الدوام أسير جميلك.

تيمون : طمئنه من هذا القبيل اني سأدفع عنه دينه. وحالما يطلق سراحه قُلْ له أن يأتي اليّ. اذ ليس من الواجب فقط أن أُنهض صديقي من كبوته بل أن أسانده ما حييت. الوداع.

(يخرج).

(يدخل شيخ مسنّ).

الشيخ : يا مولاي تيمون، أرجوك أن تتكرم عليّ بالاستماع الى ما أقول.

تيمون : بكل طيبة خاطر، أيها الأب العطوف.
الشيخ : لديك خادم يدعى لوسيليوس.
تيمون : أجل. ماذا تريد منه.
الشيخ : أيها المولى الشهم تيمون، أسألك أن تُحضر لي هذا الرجل.
تيمون : هل لوسيليوس هنا؟

(يدخل لوسيليوس)

لوسيليوس : ها أناذا رهن اشارتك، يا مولاي.
الشيخ : هذا الرجل، صنيعتك يا مولاي تيمون، يتردد على بيتي ليلاً. وأنا شخص تعشّقت الربح منذ نعومة أظفاري. وثروتي بحاجة الى وريث يستحقها.
تيمون : حسن. ما هي بغيتك؟
الشيخ : أنا لا أهل لي حالياً سوى ابنتي الوحيدة التي أترك لها كل ما تملكه يداي. وابنتي جميلة كأحلى الخطيبات عادةً، وقد سهرت على تربيتها كما يجب. وهذا الرجل الذي يخصّك، يا مولاي، تجرّأ وصرّح بأنه يحبّها. فألتمس منك أيها المولى النبيل، أن توافق مثلي على منعه عن زيارتنا، بعد أن كلمته أنا في هذا الموضوع عبثاً.
تيمون : انه رجل شريف.
الشيخ : لا أخالفك في هذا الرأي. لكن اختبارات فتوّتنا تؤكد لنا ان الشباب طائش لا يرعوي.
تيمون (للوسيوس) : هل تحب الصبية المذكورة؟
لوسيوس : أجل، يا مولاي الكريم، وهي راضية بي.
الشيخ : اذا تزوجت ابنتي بدون موافقتي، تشهد الآلهة عليّ، اني سأختار أي متسوّل في هذا العالم ليكون وريثي، وأحرمها ثروتي.
تيمون : كم تبلغ بأئنتها، اذا اقترنتْ بزوج يحوز موافقتك؟
الشيخ : ثلاثمئة دينار في الحاضر، وفيما بعد جميع ما أملك.

تيمون (يشير الى لوسيوس) : هذا الرجل الطيب القلب خدمني مدة طويلة. ولكي أذكّي مقتناي سأتحمّل تضحية صغيرة. لأني أعتبر ذلك واجباً انسانياً... إمنحه إذاً يد ابنتك، وسيضاف ما أعطيه اياه من نصيب، الى البائنة التي ترصدها أنت لها. وأنا على أتم الاستعداد لجعل الوفاق يستتبّ بينها وبينه.

الشيخ : مولاي الكريم، أقسم لك بشرفي اني سأتمّم ذلك. وأنا أيضاً مستعد لأن أزفها اليه.

تيمون (يمد يده الى الشيخ) : هات يدك. اني أعدك بشرفي بأن لا أتراجع.

لوسيليوس : أشكرك من كل قلبي، يا مولاي. ومنذ الآن أعلن أن كل ما أملكه الآن من ثروة وسعادة يعود الفضل في تحقيقه الى سيادتك.

(يخرج لوسيليوس والشيخ).

الشاعر (يقدّم مخطوطاً لتيمون) : تنازل يا مولاي الفاضل، واقبل عملي هذا. ولتحيا يا صاحب السيادة سيداً مكرّماً.

تيمون : أشكرك. ستعلم بما يسرّك في الحال. لا تذهب. (للرسام) : وأنت ماذا لديك يا صديقي.

الرسام : لوحة ألتمس أن تقبلها مني، يا مولاي.

تيمون : بكل امتنان أقبلها. لأن رسمها يمثل الرجل الأصيل، على ما أرى. والانسان لا يبدو منه سوى مظهره الخارجي والخطوط التي تبيّنها الريشة ويمثّلها الواقع. أنا أحبّذ عملك ولسوف تلمس اني أقدّره حق قدره. انتظرني هنا ريثما أعود وتحظى بما تستحقّ.

الرسام : حفظتك السماء يا مولاي، ذخراً للفن.

تيمون : نهاركم سعيد، يا سادة. هات يدك يا صاح، وتعال نتناول طعام العشاء معاً. (للجوهري) : يا سيدي، جوهرتك أعجبت العارفين أكثر مما تساوي في الواقع.

الجوهري : ماذا تقول يا مولاي؟ هل حقاً فَقَدتْ من قيمتها؟

تيمون : في الحقيقة، قيل فيها من الثناء أكثر مما تستحقه. واذا دفعتُ الثمن الذي يحدّده حماس الناظرين، سأكون حتماً من المغبونين.

الجوهري : مولاي، المبلغ المطلوب ليس إلا قيمتها الحقيقية التجارية. وأنت تعلم أن الجوهرة عندما تنتقل من يد الى أخرى أرفع منها يزداد ثمنها. صدّقني، يا مولاي، حين تقتني هذه الجوهرة ستتضاعف قيمتها وهي في حوذتك.

تيمون : ما هذا المزاح؟

التاجر : يا مولاي، انه يعبّر عن الشعور العام، وهو يثبّت صحّة القول المأثور.

تيمون : أنظر الى من يأتي نحونا. (يدخل ايمنتوس). هل تريدون أن ينهال عليكم التأنيب والتوبيخ؟

الجوهري : نحن نتحمّل ما يحكم به مولانا.

التاجر : هو لا يجور على أحد.

تيمون : نهارك سعيد، يا عزيزي ايمنتوس.

ايمنتوس : سأردّ لك التحية حالما أصبح لطيفاً. وهذا ما سيتمّ عندما أمسي من أتباع تيمون، ويتحوّل هؤلاء الخبثاء الى شرفاء.

تيمون : لماذا تنعتهم بالخبثاء؟ وأنت لا تعرفهم بعد.

ايمنتوس : أوليسوا آثينيّين أصيلين؟

تيمون : أجل، أجل.

ايمنتوس : اذاً لن أسحب كلامي.

الجوهري : هل عرفتني، يا أبيمنتوس؟

ايمنتوس : أنت تعلم اني عرفتك، ولذا دعوتك باسمك.

تيمون : أراك كثير الاعتداد بنفسك، يا أبيمنتوس.

ايمنتوس : أنا فخور أولاً باني لا أشبه تيمون.

تيمون : الى أين أنت ذاهب؟

ايمنتوس : لأحطّم رأس رجل آثيني شريف.

تيمون : وهذا عمل لأجله ستموت موتاً.

ايمنتوس : نعم اذا قدّر للموت أن يقضي على المعدمين.

تيمون : كيف تجد هذه اللوحة، يا ايمنتوس؟

ايمنتوس : أفضل نعت تتصف به هو أنها بريئة من الفن.

تيمون : أوليس الذي رسمها بارعاً؟

ايمنتوس : والأبرع منه هو من صنع راسمها. مع ذلك هو لم يأتِ إلّا بعمل سمج.

الرسام : أنت كلب نجس.

ايمنتوس : أمك طبعاً على شاكلتي.. فمن تكون هي، إن كنت أنا كلباً، كما تقول؟

تيمون : هل تودّ أن تتناول معي طعام العشاء؟

ايمنتوس : كلا. أنا لا أفترس أبناء آدم.

تيمون : لو افترستهم لأغضبت هؤلاء السيدات بنات حواء.

ايمنتوس : لا تحزن. سيفترسنهم بأنفسهن. وهذا ما يسبب لهن انتفاخ البطون.

تيمون : هذه اشارة واضحة الى ما هنّ عليه من استهتار.

ايمنتوس : أهذه هي نظرتك اليهن؟ عليك أن تحتفظ بها لأوقات ضيقك.

تيمون : هل تحبّ هذه الجوهرة، يا ايمنتوس؟

ايمنتوس : هي أقلّ شأناً من الصراحة التي لا تكلّف المرء سوى الزهيد من الجرأة.

تيمون : ما هو مقدار ما تساويه في نظرك؟

ايمنتوس : انها لا تستحق حتى أن أفكّر بها. ما قولك يا أيها الشاعر البليغ؟

الشاعر : ما رأيك أنت أيها الفيلسوف المتحزلق؟

ايمنتوس : أنت منافق حقير.

الشاعر : أولست فيلسوفاً؟

ايمنتوس : نعم، نعم.

الشاعر : أنا لا أقول إلاّ الحقّ.
ابيمنتوس : ألست شاعراً؟
الشاعر : أجل.
ابيمنتوس : اذاً أنت أكبر دجّال. راجع مؤلفك الأخير الذي تبيّن فيه على سبيل المبالغة ان صاحبنا رجل كريم.

(يشير الى تيمون).

الشاعر : هذه ليست مبالغة. لأن تيمون هو حتماً كما أصفه تماماً.
ابيمنتوس : نعم، هو كريم مثلك، وأنت تستحق ما ينتابك من الاكتئاب. من يحب المديح هو طبعاً من طينة مادحه. آه، لو كنت أنا مولاك.
تيمون : في هذه الحالة، ماذا يسعك أن تفعل، يا ابيمنتوس؟
ابيمنتوس : ما يفعله الآن ابيمنتوس الجسور. وهذا يدعوني الى كره كل مولى.
تيمون : ماذا تقول؟ هل تكره نفسك؟
ابيمنتوس : نعم، نعم.
تيمون : لماذا؟
ابيمنتوس : أولست تاجراً؟
التاجر : أجل، يا أيمنتوس.
ابيمنتوس : لتهدم التجارة بيتك، إن شاءت السماء.
التاجر : اذا أنزلت التجارة بي هذه الكارثة، فتكون تلك ارادة الآلهة.
ابيمنتوس : التجارة هي الرب الذي تعبده، وهو الذي سيدمّر بيتك.

(يدخل أحد الخدم).

تيمون : بأي نبأ يأتينا هذا المخبر العجول؟
الخادم : ألسيبياد يجتمع بنحو عشرين من الخيّالة.
تيمون (لأحد رجاله) : اذهب، واستقبلهم، وائتِ بهم الينا. (يخرج أحد رجال

الحاشية). ستتناولون طعام العشاء معنا. ولن تغادروا هذا المكان قبل أن أشكركم. وبعد العشاء سأرى ما الأمر. أنا سعيد بمشاهدتكم جميعاً.

(يدخل ألسيبياد ورفاقه).

(يحيّيهم).

أهلاً بكم وسهلاً، يا سادتي.

ابيمنتوس (يراقبهم) : نعم نعم. أتمنى لظهوركم أن تنحني وان يرهق التعب أرجلكم الهزيلة. ماذا أرى؟ هل غابت اللياقة عن هؤلاء الثعالب الخداعين وفقدوا كل لطف ونعومة؟ في الحقيقة يخسر الانسان كل صفاته الحميدة عندما يتدنّى الى مستوى القرود البذيئة.

ألسيبياد (لتيمون) : يا مولاي، إفتقدت جداً رؤيتك. وها أنا أروي غليل شوقي إلى مشاهدتك.

تيمون : أهلاً بك وسهلاً، يا سيدي. وقبل أن نفترق أودّ أن نُمضي معاً أوقاتاً سعيدة ومُسلّية بتنوعها. أرجوك أن تدخل.

(يخرج الجميع ما عدا أبيمنتوس).

(يمرّ سيدان).

السيد الأول: كم تبلغ الساعة الآن؟ يا ابيمنتوس؟

ابيمنتوس : الساعة ساعة التصرف بشرف وكرامة.

السيد الأول: أنت غير خاسر لأنك تفتقر الى ذلك على الدوام.

السيد الثاني: هل أنت ذاهب الى وليمة مولانا تيمون؟

ابيمنتوس : لأرى كيف تمتلئ البطون لحماً، وكيف تذهب الخمرة بوعي الجهلة.

السيد الثاني: السلام عليكم اذاً.

ابيمنتوس : أنت حقاً أحمق، لأنك وجّهت اليّ تحيّتين.

السيد الثاني: لماذا، يا ابيمنتوس؟

ايمنتوس : كان عليك أن تحتفظ بتحية واحدة لأنك لن تحصل مني على مقابلها.

السيد الأول: اذهب، واشنق نفسك.

ايمنتوس : لن أرضى بأية توصية منك. ارسل تمنياتك الى أصحابك.

السيد الثاني: ابتعد أيها المنافق الصعلوك، أو أطردك أنا طرداً من هنا.

ايمنتوس : سأنجو بنفسي، وأنت تتحمّل الضرب كالحمار.

(يخرج).

السيد الأول: هذا هو عدوّ البشريّة... والآن لندخل ونتذوّق ألذّ مآكل تيمون وأشهاها، لأنها تفوق سخاءً أكرم الكرماء.

السيد الثاني: ما له يوزعها بوفرة؟ ألأن بلوتوس إله الذهب وكيله؟ ويأبى إلا أن يكافئ صاحب المعروف سبع مرات على كل مأثرة من مآثره بدل مرة واحدة. ولا يسعه أن يقبل هدية إلا ليردها أضعاف الأضعاف، ويعوّض عنها بشكل يتعدّى كل مقاييس عرفان الجميل.

السيد الأول: ان مزاياه تفوق حقاً كل المواهب التي يتحلّى بها الانسان.

السيد الثاني: نسأل الآلهة ان تمنحه طول العمر والعيش الرغيد. تعالوا ندخل.

السيد الأول: ها أنا أرافقك بدون إبطاء.

المشهد الثاني

قاعة الولائم في قصر تيمون.

(تُرسل المزامير اصواتها. والوليمة جاهزة. فلافيوس ورفاقه يقومون بخدمة المدعوين.
يدخل تيمون وألسيبياد وبعض السادة وشيوخ مجلس آثينا يتبعهم فنتيديوس.
أخيراً يأتي وراءهم أبيمنتوس وعلى محياه تبدو إمارات الاشمئزاز).

فنتيديوس : أيها السيد الموقّر تيمون، لقد شاءت السماء أن تتذكّر العمر الذي بلغه والدي، فاستدعته الى الراحة الأبدية. وقد رحل مطمئناً وترك لي ثروة.. لذلك، وبما أن كرمك ولطفك يستوجبان عرفاني جميلك، جئت أردّ لك صنيعك مقروناً بتقديري واخلاصي، وأسدّد الوزنات التي أقرضتني اياها لاسترداد حريتي.

تيمون : لا حاجة الى ذلك، يا فنتيديوس الشريف. يخيّل اليّ انك تتجاهل عطفي عليك. فأني قدمت لك المبلغ كهدية مني لا تستعاد. وأنا لم أتعوّد استرداد ما أبذله في سبيل اصدقائي. فإن أقدم من هم أكبر مني على مثل هذه اللعبة فأنا آبى أن أقلّدهم. وما أخطاء الكبار إلا دليل نقص دائم كوصمة على جباههم.

فنتيديوس : ما أنبل مقاصدك!

(يظل جميع الضيوف وقوفاً ناظرين الى تيمون بكل احترام).

تيمون : يا سادة، لم يدُرْ هذا الحديث أمامكم إلاّ لالقاء الضوء على عمل بسيط وعلى مساعدة يسيرة بل على اهتمام طبيعي لا يستدعي الشكر مثل التكريم المموّه في سبيل ترسيخ صلات وثيقة. أرجوكم أن تتفضّلوا بالجلوس، فأنتم أعزّ عليّ من حياتي.

(يجلس الجميع).

السيد الأول: يا مولاي، اننا نعترف لك بهذا الصنيع جميعاً.

ايمنتوس : ما هذا القول؟ انكم بتصريحكم هذا تستحقون التأنيب والملامة حقًا، إذ لا موجب له.

تيمون : مهلاً، يا أيمنتوس. أهلاً بك وسهلاً.

ايمنتوس : أنا لا أمل لي في ترحيبك بي ها هنا. فقد جئتك آملاً أن تطردني من بيتك.

تيمون : تبًا لك. أنت حقاً جاحد. وتصرّفك هذا لا يدل على أنك رجل، بل تستحق اللوم على ما نطقت به. يقال، يا سادة، ان الغضب جنون موقّت، وهذا الانسان غاضب على الدوام. على كل حال أفردوا له مائدة خاصة، لأنه لا يحب المعاشرة التي لم يخلق لأجلها.

ايمنتوس : ليكن كما تريد. وسأبقى هنا على مسؤوليتك، وأنبّهك اني جئت لأراقب ما يجري في قصرك.

تيمون : أنا لا أبالي بك. فأنت آثيني ومرحباً بك في بيتي، لأني شخصياً لا أودّ أن تكون لك أية سلطة في محيطي. أتمنى أن يسد عشائي فمك ويمنعك عن مواصلة ثرثرتك.

ايمنتوس : وأنا لا يهمني عشاؤك الذي يخنق صوتي، لأني لا أبغي التزلّف إليك. أيتها الآلهة ! ما أكثر الناس الذين يسيئون إلى تيمون، وهو لا يأبه لغدرهم. في نظري، ينبغي على مدعوّيك أن لا يحملوا سكاكين. فيكون هذا التدبير اقتصادياً عند الجلوس الى مائدتك، وحرصاً على سلامة الموجودين. هناك أمثلة عديدة على ذلك : منها الدخيل الذي يجلس الى جانب مدعوّيك ويشاطرهم خبزهم ويزدرد القسم الأكبر من طعامهم. ويكون أول من يشاجرهم، وهذا لعمري أمر مثبوت لا يحتاج الى برهان. ولو كنت أنا شخصية مرموقة لكنت خشيت أن أشرب

على مائدتك لئلا أكشف اخطائي وأتعرّض للنقمة. فعلى كبار الرجالات أن لا يشربوا إلّا اذا كانوا مزوّدين بما يحمون به أعناقهم وصدورهم.

تيمون (لمدعوّ يريد أن يشرب نخبه) : أشكرك يا سيدي على حسن نيتك ورعايتك، وأتمنى الصحة التامة لك وللجميع. دعوا الخمرة تصل الى هنا.

ابيمنتوس : تصل الى هنا؟ ها هوذا رجل بارع يعرف كيف يوجّه مجرى الأمور. يا تيمون ألاحظ أن هذه الأنخاب ستكون وبالاً عليك وعلى حظك العاثر. هذا الشراب خفيف ويبدو غير خالٍ من الماء، بل هو بالأحرى كالماء الصافي الذي لا يدع أي انسان يغوص في أوحال السكر. وهو سلس لذيذ نظير أطعمتي. ولا عجب في ذلك، لأن سائر الولائم طافحة بالغش الذي لا ترتاح اليه السماء.

أدعية يرفعها أبيمنتوس :

أغلب الخلائق ولا ألتمس صداقتهم.
أنا لا أسأل العون إلا لنفسي،
وأرجو أن لا أكون من المجانين.
لكني أركن لأي انسان أثناء حلْفانه أو توقيعه،
وأصدّق دمع أية عشيقة ولْهى متجنّية
وأتجنب كل كلب يتناوم أو جلّاد يستلّ سيفه،
وأحتفظ بأي صديق قد أحتاج اليه، آمين.
لتنفتح اذاً شهيتي. وإن كان الغنى ذنباً،
فإني آكل جذور شتى النباتات لأسدّ جوعي.
(يأكل ويشرب) أتمنى لنفسي حظاً سعيداً، أنا أبيمنتوس.

تيمون : أيها القبطان ألْسيبياد، إباؤك يخوض الآن معركة شرسة في ميدان التحدّي.

ألْسيبياد : أنا مستعد لخدمتك في كل حين، يا مولاي الفاضل.

تيمون : يبدو عليك أنك تتمنى أن تكون على مائدة عدوّ، ولا تودّ الجلوس الى مائدة صديق.

ألسيبياد : عندما يكون الطعام شهياً يا مولاي، لا شيء يضاهيه. وهذه الوليمة أتمناها لأعزّ أصحابي.

ابيمنتوس : لهذا السبب أرجو أن يكون جميع هؤلاء المتزلفين من أعدائك لكي يتسنى لك أن تطردهم، وتدعوني أنا بمفردي الى الوليمة.

السيد الأول: لو لم يكن لدينا الا هذا السرور فقط، يا مولاي، لطلبنا مرة أخرى أن تمتحن قلوبنا ومودتنا واخلاصنا، ولكُنّا أسعد الخلق على الدوام.

تيمون : بربكم، لا يخامركم أدنى شك، يا أحبائي. فقد شاءت السماء أن أكون قادراً على مساعدتكم. وإلّا لماذا أنتم أصدقائي؟ ولماذا؟ من بين العديد منهم قد استأثرت بهذا اللقب المفضّل، لو لم تكونوا مقرّبين اليّ بنوع خاص؟ لقد قلت عنكم في نفسي كلاماً اطيب مما كنتم أنتم نسبتموه بتواضع لأنفسكم. ان ثقتي بكم كبيرة جداً. تعلم السماء، كم أنا أحب أصدقائي وإن كنت غير محتاج اليهم. لأنهم أنفع المخلوقات طرًّا، وان كنت غير مضطر الى طلب معونتهم. انهم أشبه بالآلات الموسيقية الرخيمة المخبّأة في غلافاتها محتفظةً بانغامها الساحرة لذواتها. كما تمنيت أن أفتقر الى المساعدة كي أظلّ مرتبطاً بكم بوثاق متين من المحبة والوفاء. نحن نولد لعمل الخير. وماذا يسعنا أن نشتهي لأنفسنا أفضل من الابتهاج بأصحابنا. وما أوفر الضمانة التي نعتبركم بموجبها كإخوة مخلصين تشاطروننا مسرّاتنا وخيراتنا (يبكي). ما أعظم هذه الفرحة التي تموت أحياناً قبل أن ترى النور. ان مآقيّ لا تقوى الامساك بدموعي، ولكي أنسى أخطائي حين أشرب الآن نخبكم جميعاً.

ابيمنتوس : أنت تبكي لكي تدعهم يشربون، يا تيمون؟

السيد الثاني (والدموع تجول في عينيه) : ها هو دمعنا يشاطر دموعك هذه الفرحة ويبدو كطفل لا يبالي بتأثير الدموع.

ابيمنتوس : أنا أضحك كلّما افتكرت بأن هذا الولد هزيل.

السيد الثالث : اؤكد لك، يا مولاي، انك هززت شعوري هزًّا عميقاً بتصريحك الغريب.

ابيمنتوس : أإلى هذا الحد وصلت؟

(ينفخ البوق).

تيمون : ما معنى هذه الموسيقى اذاً؟

(يدخل خادم).

الخادم : اعذرني، يا مولاي. هناك عدة سيدات يردن أن تدعوهنّ...

تيمون : سيدات؟ ماذا يبغين؟

الخادم : لقد سبقهنّ أحد السعاة، يا مولاي، وهو يودّ أن يبلغك نواياهنّ.

تيمون : لا مانع لدي من أن تدعوهنّ الى الدخول.

(يدخل كوبيرون).

كوبيرون : السلام عليك، يا تيمون الكريم، وعلى كل من يستسيغ عشرتك. ان حواسّنا الخمس تعترف بمقدرتك. وقد أتت من تلقاء ذاتها لتُقرّ بسخائك، وهي السمع والذوق والحسّ والشمّ التي تتجلّى على موائدك كي تؤدّي لك التحية والشكران. وها هنّ رفيقاتي آتيات لتبتهج عيونك بطلعتهن البهية.

تيمون : أهلاً بكم جميعاً. هيا استقبلوا الضيوف أحسن استقبال. ولتصدح الموسيقى ترحيباً بالقادمين.

(يخرج كوبيرون).

(تصدح الموسيقى ويدخل كوبيرون ثانية، تتبعه السيدات في هرج ومرج، وبعضهنّ يعزف على العود).

ابيمنتوس : ما هذه الرقصة المستهترة؟ هؤلاء النساء مختلاّت الشعور، تماماً كما هي أمجاد هذه الدنيا مختلة التوازن، نظير العظمة الباطلة الشبيهة بمزيج من العسل والعلقم. ألا ترون أن الترفيه عن نفوسنا يقلّل الاحساس في أعماقنا. فنكيل المديح جزافاً لأيّ كان بغية الحصول على مبتغانا، وان رددنا له في شيخوخته ما أسداه الينا من معروف، يتمّ ذلك بجفاء وازدراء. أي انسان يقبل راضياً بأن يخدع غيره أو أن يكون مخدوعاً، ويطويه القبر بدون أن يوجّه اللوم والتأنيب الى من عكّر عليه صفو أيامه. أنا أخشى أن يدعوني الراقصون الى مشاركتهم في مجونهم. فكم رأيت من غرائب التدليس واقتناص الفرص ولم أقبل مرة واحدة أن يدوس أحد حقوقي. مع ذلك حدث ذلك عرضاً. لأن البعض يغلقون أبوابهم في وجه أولياء نعمتهم بدلاً من أن يشكروهم على معروفهم. وكم من الراقصين ها هنا في قصري لن يلقوا عليّ نظرةً ذات يوم، حتى لو ارتميت على أقدامهم متوسلاً. وهذا أيضاً يحدث. فكم من الناس يغلقون أبوابهم ونوافذهم لحجب أشعة الشمس الساطعة.

(ينهض المدعوّون عن المائدة ويقفون أمام تيمون باجلال واحترام. ولينالوا رضاه، اختار كل منهم سيدة وراح يراقصها خطوة أو خطوتين على أنغام المزمار، ثم يتوقفان).

تيمون : كم ضاعف وجودكنّ سروري، أيتها السيدات، بإضفاء الجمال على حفلتنا. وقد ازدادت بهجة وأنتنّ ترقصن ببراعة ورشاقة. فأثلج مرحكن صدري فطفح حبوراً وارتياحاً. لذلك أشكركنّ من صميم فؤادي.

السيدة الأولى : هذا حديث مجاملة في غاية اللطف من سيادتك، يا مولاي.

ابيمنتوس : وسط هذا الانحطاط المشين الذي تتخبّطون فيه، أنا أشكّ بأنكم تستطيعون تحمّل معاملة أخشن من تصرفكم البذيء.

جميع السيدات : نودّ أن نرضيك بكل طيبة خاطر.

(يخرج كوبيرون بصحبة السيدات).

تيمون : يا فلافيوس.

فلافيوس : نعم، يا مولاي.

تيمون : أجلب لي صندوقي الصغير.

فلافيوس : حالاً، يا مولاي (على حدة). أيضاً هو يريد المجوهرات. لا سبيل الى معارضته حين يسيطر عليه هذا المزاج. وإلّا سأعلر له... أجل يتحتّم عليّ ذلك. اذ انه عندما ينفد كل مال سيندم على عدم ممانعتي اياه. من المؤسف أن لا يكون الكر مزوّداً بعينين خلفيّتين، فلا يذهب المرء ضحية طيبة قلبه

(يخرج ثم يعود حاملاً بيده صندوقاً صغيراً)

السيد الأول (هو ينسحب) : أين الجماعة؟

أحد الخدم : هنا، يا مولاي. أنا رهن أوامرك.

السيد الثاني (وهو ينسحب أيضاً) : نريد جيادنا.

تيمون (وهو يمسك بالضيفين) : يا صاحبيّ، أودّ أن أقول لكما كلمة... لِ أمنية أوجّهها اليكما، أرجوك يا مولاي أن تقبل مني هذ الجوهرة.

السيد الأول (وهو يتناول الجوهرة) : في الحقيقة غمرتني بكرمك، يا مولاي

الجميع : نحن جميعاً أسرى سخائك.

(يدخل أحد الخدم

الخادم : يا مولاي. نبلاء عديدون من مجلس الشيوخ ترجّلوا، وه يودّون أن يزوروك.

تيمون : أهلاً بهم وسهلاً.

فلافيوس : استحلف سيادتك أن تتنازل وتستمع اليّ في موضوع يتعلق بك من قريب.

تيمون : من قريب؟ اذاً سأنصت اليك في فرصة أخرى. أرجوك أن تعمل ما بوسعك للترفيه عن القادمين الجدد.

فلافيوس (على حدة) : لا أدري كيف أتصرّف.

(يدخل خادم ثانٍ).

الخادم الثاني : اكراماً لك، يا مولاي، يقدّم لك السيد لوسيوس أربع جياد بيضاء كالثلج سروجها مزيّنة بالفضة.

تيمون : بكل طيبة خاطر أقبلُ هذه الهدية، وأنا أقدّرها حق قدرها.

(يدخل خادم ثالث).

ما وراءك من الأخبار، يا هذا؟

الخادم الثالث : يا مولاي، ان سيدي النبيل لوكولوس يرجوك بإلحاح أن تقبل دعوته غداً الى الصيد، ويرسل لك هذين الأرنبين البرّيين كهدية.

تيمون : سارافقه الى الصيد. وأنا أقبل هذه الهدية. لكن بشرط أن يرضى مني بهدية تماثلها.

فلافيوس (على حدة) : متى ستنتهي هذه المجاملات، ويأمرنا مولانا بالاستعداد لتقديم هدايا قيّمة، مع أن خزينته فارغة؟ هو لا يريد أن يطّلع على وضعه المالي المنهار، ولا يقبل أن نلفت انتباهه الى أية كارثة ستعرّضه اليها أريحيّته، وقد أمسى غير قادر على تلبية رغباته الكريمة. لقد أضحت وعوده تفوق موارده بما لا يقاس. ولا يعلم أنه سيضطر الى الاستدانة، وهو يزيد المتوجّب عليه بكل كلمة تخرج من فمه، ويضاعف بطيبة قلبه ما عليه أن يدفعه من فوائد مستحقة على المبالغ التي يقترضها، بينما جميع أراضيه مرهونة. كما أتمنى أن يعفيني

من خدمته برفق قبل أن يضطر الى طردي من جرّاء شدة ضيق يده. أليس الأجدر به أن لا يكون له أصدقاء يدعوهم الى الوليمة لأنهم أسوأ من الأعداء. حقاً أشعر بأن قلبي يتفطّر حزناً على مصير مولاي.

(يخرج).

تيمون (وهو يكلّم بعض ضيوفه) : أنتم تستخفّون بأنفسكم، ولا تقدّرون ظروفكم حق قدرها. (يقدم جوهرة لأحدهم). هذا عربون صداقتنا وإن كان صغيراً.

السيد الثاني: اقبله وأقدّر جميلك الذي أعتبره عظيماً.

السيد الثالث : هذا منتهى الكرم.

تيمون (للسيد الثاني) : أنا أتذكّر، يا مولاي، انك اطنبت في مديح حصان بنّي اللون، كنت أمتطيه باعتزاز. وبما أنه أعجبك فهو لك مني هدية.

السيد الثاني: لا، يا مولاي، أرجوك أن تعذرني على عدم قبوله.

تيمون : بل أرجوك أن تسايرني، لأني واثق بأن لا أحد يمتدح شيئاً اذا لم يكن معجباً به، وإعجاب صديقي أمر مقدس عندي. أقول لك هذا بكل صراحة. على كل حال سأذهب وأشاهده.

جميع السادة : لا سبيل الى إكرام أحد أكثر مما فعلت.

تيمون (يواصل توزيعاته) : جميع زياراتكم عزيزة على قلبي بصورة خاصة، ولا يسعني أن أمنحكم ما فيه الكفاية. ويخيّل اليّ اني أحب أن أوزّع عروشاً على أصحابي بدون أي كلل أو ملل. (يقدم جوهرة رائعة لصديقه ألسيبياد). أنت جندي يا ألسيبياد، وبالتالي غير ثري. لذلك يعتبر اهداؤك نوعاً من الصدقة الواجبة، لأنك لا تعيش إلا بين القتلى، في أماكن ما هي إلا ساحات حرب.

ألسيبياد : أجل، يا مولاي، هي أراضٍ بورٌ لا ينبت فيها زرع.

السيد الأول: أنا متمسك بصداقتك بكل نزاهة وتجرّد.

تيمون : وأنا أيضاً متشبّث بوفائك واخلاصك.
السيد الثاني: الى آخر حدود الوفاء والامانة.
تيمون : وأنا كذلك. ما أبهى هذه الأنوار.
السيد الأول: يا مولاي تيمون، أملي أن يكون من نصيبك كل ما أتمناه لك من السعادة الكاملة والشرف الرفيع والنجاح الباهر.
تيمون : أنا دائماً في خدمة أصدقائي.

(يخرج الجميع ما عدا تيمون وابيمنتوس).

ابيمنتوس : ما هذه الضجة؟ كم أرى من الرؤوس المنحنية ومن العقائر المرفوعة. أنا أشك بأن الرؤوس المنخفضة تستحق كل ما يُبذل في سبيلها. آه، كم من الثمالة في كؤوس هذه الصداقات المزيّفة. أعتقد ان الخداع لا يستحقّ كل هذا التكريم. هكذا ينفق الأغرار الحمقى أموالهم هدراً، وان كانوا من الشرفاء.
تيمون : يا أبيمنتوس، لو كنت أقلّ تطرّفاً وشغباً لتكرّمت عليك بالكثير.
ابيمنتوس : أنا لا أبغي شيئاً، لأني لو استرسلت أنا أيضاً في السعي وراء المزيد من الاستغفال والاستغلال، لما عمدتُ الى الشكوى من تصرفاتك كي ترتدع بسرعة. أنت تجود بهداياك منذ زمن طويل، يا تيمون. لذا تراني أخشى عليك أن تضطر الى الاستدانة وتوقيع السندات. وأقول لك ما فائدة هذه الولائم، وهذه الفخفخة، وهذه الاكراميات؟
تيمون : اذا بدأت بالتهجّم على المجتمع، أقسم لك بأني لا أبالي بذلك. وداعاً. عُدْ إلينا بأنغام أكثر إنسجاماً مما تتحفنا به.

(يخرج).

ابيمنتوس : ليكن ما تشاء. أنت لا تريد أن تصغي اليّ الآن. وسوف لن ترى وجهي أبداً. سيُغلق أمامك باب الجنة. عجبي من آذان البشر الذين لا يودّون سماع النصائح القيّمة، بل يعيرون كل انتباههم الى التزلفات الكاذبة.

الفصل الثاني

المشهد الأول

في بيت أحد شيوخ المجلس بآثينا

(يدخل أحد الشيوخ وبيده أوراق).

الشيخ : وأخيراً خمسة آلاف لفارون، ولإزيدوروس تسعة آلاف، اذا اضيفت الى المبالغ التي سلّفته اياها قبلاً يصبح المجموع خمسة وعشرين الفاً. أما من حد لكرمه المسرف؟ هذا لا يمكن أن يدوم، ولن يطول أمره أبداً. فإذا احتجت أنا الى الذهب ما عليّ إلاّ أن أسرق كلباً من أحد المتسوّلين وأقدمه لتيمون، وسرعان ما يدرّ عليّ سيلاً من النقود. وان شئت أن أبيع حصاني وأن أشتري عشرين غيره أفضل منه، ما عليّ إلا أن أمنح تيمون هذا الجواد. وبدون أن أطلب منه أي مقابل، يمنحني فوراً بضعة جياد ممتازة. ليس من بوّاب على عتبته بل هناك رجل يبتسم ويوجّه الدعوة الى جميع المارّين. وهذا أيضاً لا يمكن أن يدوم. لأن العقل السليم يأبى القبول بمثل هذا الوضع الشاذ. كافيس، تعال، يا كافيس.

(يدخل كافيس).

كافيس : ها أناذا، يا سيدي. ماذا تريد مني؟

الشيخ : أريد أن تأتي بمعطفك. أسْرِع الى مولاي تيمون، وطالبه بما لي عليه من مال. ولا تقنع بأجوبة الرفض والتهرّب. إياك أن تظلّ صامتاً حيال تلطّفه بالسلام على سيدك، ورجائه أن أمهله، بل جابهه بمطالبة حازمة وإلحاح شديد. قل له اني في أمسّ الحاجة الى الدراهم التي اقرضته اياها، وإلا اضطرني الى ملاحقته، لأن موعد تسديدها قد فات منذ زمن طويل. فخاب أملي وتبدّدت الثقة التي أوليتها اياه. أنا أجلّه واحترمه، لكني لا أقوى على الصبر أكثر مما فعلت، لأني الآن بحاجة قصوى الى مالي، ولن يخدعني بعد اليوم بلين كلامه الذي لا يغنيني عن دراهمي. اذهب اذاً وتذرّع بلهجة الأمر والاصرار على استرداد أموالي. أسرع حالاً.

كافيس : ها أنا ماضٍ، يا سيدي.

الشيخ : خذ هذه السندات وتمعّن جيداً بتواريخها ومبالغها.

كافيس : نعم، يا مولاي.

الشيخ : هيا اذهب.

(يخرجان).

المشهد الثاني

في قصر تيمون.

(يدخل فلافيوس وبيده رزمة أوراق).

فلافيوس : لا وازع، ولا رادع. هو منشغل بإسرافه إلى درجة أنه لم يعد يبالي بوضع حدّ له، ولا أن يوقف سيل تبجّحه. لم يعد يكترث لخروج الأمور من يده، ولا يبالي بأن لا يبقى لديه

إلا القليل مما كان يمتلكه. في الحقيقة أرى أن طيبة قلبه تجعله يغفل كل تفكير منطقي. ما العمل؟ لن يصغي اليّ إلّا بعد أن تحلّ به الكارثة. لا بد من أن أكلّمه بمنتهى الصراحة حال عودته من الصيد. وا أسفاه.

(يدخل كافيس مع خادمَيْ ايزيدورروس وفارون).

كافيس : مساء الخير يا موفد فارون. أعتقد أنك تأتي مطالباً بالمال.

خادم فارون : أوليس هذا ما جاء بك الى هنا؟

كافيس : نعم، وأنت لماذا أتيت؟ أولست موفد إيزيدورروس؟

خادم إيزيدورروس : بالفعل.

كافيس : آمل أن نقبض جميعنا ما جئنا لأجله.

خادم فارون : أنا أشك بذلك.

كافيس : ها هوذا رب القصر.

(يدخل تيمون وألسيبياد والسادة وغيرهم).

تيمون : حالما ننتهي من تناول طعامنا، سنخرج الى الصيد، يا صديقي ألسيبياد. (لكافيس الذي يتقدّم وبيده ورقة) : ماذا تريد مني؟

كافيس : يا مولاي، هذه مذكرة، تتعلّق ببعض المتأخّرات.

تيمون : بعض المتأخّرات؟ من أين أتيت أنت؟

كافيس : من هنا، من آثينا، يا مولاي.

تيمون : توجّه الى وكيلي.

كافيس : مهلاً، يا مولاي. طوال هذا الشهر، قد أجّلني من يوم الى آخر. غير أن سيدي، نظراً إلى بعض الظروف الطارئة، مضطرّ الى المطالبة بماله. ويرجوك بتواضع أن تسدّد له ما عليك نظراً الى ما اشتهرت به من كرم وأمانة.

تيمون : يا صديقي العزيز، أرجوك أن توافيني غداً صباحاً الى هنا.

كافيس : لكن، يا مولاي...

تيمون : صبراً، يا صديقي.
خادم فارون (يتقدّم) : أنا خادم فارون، يا مولاي.
خادم ايزيدوروس : أنا آت من قبل إيزيدوروس الذي يرجوك أن تدفع له المستحقّ بدون امهال.
كافيس : لو علمت بحاجة سيدك الماسّة...
خادم فارون : هذا المبلغ مستحق منذ ستة أسابيع ويستوجب وضع اليد على ما يقابله، يا مولاي. وقد أرسلني لتفادي كل ما يزعجك.
تيمون : دعوني أتنفّس. أرجوكم، يا سادة، أن تسيروا أمامي، وأنا سألحق بكم حالاً.

(يخرج السيبياد والسادة).

(لفلافيوس) : أرجوك أن تقترب مني، وتقول لي ماذا يجري هنا ولماذا يجابهني هؤلاء بمطالباتهم كي أسدّد سندات متأخرة، وديوناً غير مدفوعة ؟ هذا الأمر يسيء إلى شرفي ويجرح كرامتي.
فلافيوس (لخدم الدائنين) : اعذرونا، يا جماعة. الوقت غير مناسب لما جئتم من أجله. فالرجاء أن تؤجلوا مطالبتكم الى ما بعد العشاء كي يتسنى لي أن أفهم مولاي لماذا لم تدفع سنداتكم حتى الآن.
تيمون : افعلوا ما هو مطلوب منكم (لفلافيوس) حاول أن تعاملهم بمنتهى اللياقة.

(يخرج تيمون).

فلافيوس (للخدم) : هيا اتبعوني.

(يخرج فلافيوس)

(يدخل أبيمنتوس وأحد المجانين).
كافيس (لرفاقه): قفوا، قفوا. ها هو المجنون آت بصحبة ابيمنتوس. فلنتسلَّ.
قليلاً بمجونه.

خادم فارون : أنتم تستحقون الشنق على هذا الكلام المهين.

خادم ايزيدوروس : ليفتك الطاعون بهذا الكلب الخسيس.

خادم فارون (للمجنون) : كيف حالك أيها المخبول؟

أبيمنتوس (لخادم فارون) : هل تتحدّث أنت وظلّك؟

خادم فارون : كلا. هذا الكلام موجّه اليك. (للمجنون) : هيا بنا نذهب من هنا.

خادم ايزيدوروس (يشير الى أبيمنتوس، وهو يكلّم خادم فارون) : ها هو المجنون الذي يلازمك كظلّك، وهو يمتطي ظهرك كالحمار.

أبيمنتوس (لخادم ايزيدوروس) : لا، لا. ها أنت واقف على رجليك، وأرى جيداً أنك لست على ظهره...

كافيس : من هو المجنون بيننا؟

ايمنتوس : ومن تريد أن يكون بيننا المجنون؟ هو خادم أرعن يخصّ مرابياً نجساً يتسكّع على أبواب أصحاب الذهب والتسوّل.

جميع الخدم : من نحن، يا أبيمنتوس؟

ايمنتوس : أولسنا في الحقيقة من الحمير؟

جميع الخدم : لماذا تقول هذا؟

ايمنتوس : لأنكم تسألونني أن أقول لكم من أنتم، وأنتم لا تعرفون أنفسكم. أجبهم بصراحة، أيها المجنون.

المجنون : كيف حالكم، يا سادة؟

جميع الخدم : نشكرك، أيها المجنون الخبيث. كيف حال سيدتك؟

المجنون : انها متحفّظة على الدوام، وتتمنى أن تصبّ الماء المغليّ على أمثالكم أيها الحمقى. كم أودّ أن أشاهدكم في أعماق الجحيم.

ايمنتوس : شكراً جزيلاً.

(يدخل أحد الغلمان).

المجنون : ها هوذا غلام سيدتي قد أقبل.

الغلام (للمجنون) : ماذا تفعل، يا سيّد، في مثل هذه الصحبة؟ كيف حالك يا أبيمنتوس؟

ابيمنتوس : ليتني حرّ اللسان كي أجيبك بردّ لا يعجبك أبداً.

الغلام (يمدّ بعض الأوراق الى ابيمنتوس) : أرجوك يا أبيمنتوس أن تقرأ لي عناوين هذه الرسائل، لأني لا أبصرها جيداً.

ابيمنتوس : أنا لا أعرف القراءة.

الغلام : كيف لا تعرف؟

ابيمنتوس : اذاً لن يخسر العلم كثيراً يوم يحين موعد وفاتك قريباً. بلّغ مولاي تيمون ذلك. أمّا ألسيبياد، فهو ولد منحوس، وسيموت حقيراً مهملاً.

الغلام : أنت والدتك حقيرة، وستموت جوعاً مثلها، نظير كلب مسعور. لا تجاوب، لأني ذاهب من هنا حالاً.

(يخرج الغلام مسرعاً).

ابيمنتوس : لماذا تهرب من الخير بأقصى سرعتك؟ سأمضي معك الى سيدك تيمون.

المجنون : ألا تريد أن تتركني هنا؟

ابيمنتوس : هل تيمون موجود في منزله. أراكم أنتم الثلاثة تخدمون ثلاثة مرابين وقحين.

جميع الخدم : نعم. لكنهم يعاملوننا أحسن معاملة.

ابيمنتوس : أجل. وأنا أعرف كيف أعاملكم أيها اللصوص.

المجنون : هل أنتم الثلاثة الذين تخصّون المرابين؟

جميع الخدم : أجل، أجل، أيها المجنون.

المجنون : أنا لا أعرف مرابياً خادمه ليس مجنوناً. سيدتي هي أيضاً مرابية، وأنا مجنون في خدمتها. عندما يأتي الناس ليستدينوا من سادتكم، يكسو الحزن وجوههم بعد أن تكون منبسطة

الأسارير. أمّا مَن يستديتون من سيدتي الكريمة فالشرّ يلوح على محياهم بعد أن يكون الغمّ قد حجب إشراقتهم وبسمتهم. هل تعرفون ما هي الأسباب؟

خادم فارون : أنا أعرف أحد الأسباب.

ابيمنتوس : هات هذا السبب الوجيه، أيها الدجال الغبي البعيد عن كل منطق سليم.

خادم فارون : ماذا تقول أيها المجنون؟

المجنون : ان مجنوناً يرتدي ثياباً لائقة ويشبهك هو رجل محترم، أحياناً تبدو عليه ملامح المولى النبيل، وأحياناً مظاهر القاضي العادل. وأحياناً أيضاً يبدو كالفيلسوف الحكيم الذي يبحث عن أكياس المال المفتوحة ليغرف منها، وأحياناً عن جوهرة نادرة الوجود. وغالباً ما يتمتع بطلعة الفارس الشجاع. لكنه في الواقع مر الأرواح التائهة في كل مكان، لهم هيئة جميع البشر ويتنقّلو بدون انقطاع من بقعة الى أخرى.

خادم فارون : أنت في الحقيقة لست مجنوناً بكل معنى الكلمة.

المجنون : ولا أنت غلام بالتمام والكمال. فأنا إن ظهر مني بعض الاختلال، كن على ثقة بأن رأسك لا يحوي ذرة من العق والذكاء.

ابيمنتوس : هذا الجواب يليق بي أنا يا أبيمنتوس.

جميع الخدم : أفسحوا الطريق، فقد قدم مولانا تيمون.

(يدخل تيمون وفلافيوس

ابيمنتوس : تعال معي، أيها المجنون، تعال.

المجنون : أنا لا أتمسك دوماً بالمحبّ ولا بالأخ البكر ولا بالمر بل ألازم الفيلسوف أحياناً.

(يخرج بصحبة أبيمنتوس

فلافيوس (للخدم) : أرجوكم أن تمرّوا بقربي لأتحدث اليكم على عجل.

(يخرج الخدم).

تيمون (لفلافيوس) : أنت تفاجئني؟ لماذا لم تشرح لي قبلاً وضعيتي المالية كما هي؟ فكنت أتخذت التدابير اللازمة لاختصار مصاريفي حسب وارداتي.

فلافيوس : لقد أبيت أن تصغي اليّ كلما حاولت أن أفاتحك بهذا الأمر الضروري.

تيمون : ما هذا الكلام؟ لا بد من أن تكون قد اخترت الوقت غير المناسب حين لا يتيسر لي الاصغاء اليك. أوَما كنت تجد في هذا العجز حجّة وعذراً لتقصيرك في واجبك؟

فلافيوس : يا مولاي الفاضل، كم مرة أتيتك بحساباتي ووضعتها أمام عينيك، فرميتها جانباً وقلت لي أن أراجعها بتأنّ وانتباه. وعندما كنت تطلب مني أن أدفع كذا وكذا من المبالغ كنت أهزّ رأسي استنكاراً وأبكي. ورغم الفوارق في المواقف بيننا كنت ألتمس منك أن تغلق كفّك السخيّ. وكم تحمّلت لومك وتعنيفك عندما لفتّ انتباهك الى انخفاض مستوى ثروتك وتضخّم ديونك المتصاعدة باستمرار. يا مولاي المحبوب، وان كان الوقت قد فات، لا بد لك من أن تعلم الآن أن مجمل أموالك المتبقّية لا تكفي لسدّ نصف ديونك.

تيمون : عليك اذاً أن تبيع جميع ما أملك من الأراضي.

فلافيوس : كلها، يا مولاي، مرهونة، وجزء منها بحكم المفقود. وما تبقّى لا يسدّ أفواه الدائنين الذين استحقت لهم عليك مبالغ مستعجلة. فكيف نتوصّل الى تسديدها في القريب العاجل قبل حلول الكارثة الفادحة. أيتها الآلهة، ماذا سيكون مصيرنا.

تيمون : ان أرزاقي تمتدّ حتى منطقة لاسيديمون الواسعة.

فلافيوس : يا مولاي النبيه، ضاقت بنا الدنيا. ولو كان الحلّ بيدك أو

بيدي لما تأخرت لحظة عن طرحه لانقاذ وضعنا المتدهور.

تيمون : هل تتكلّم جدّيًّا؟

فلافيوس : ان كنت تشكّ بصدق قولي وأمانتي، حاسبني أمام من تعتبرهم خير حكم عادل، واعرض لهم تصرّفي. وأنا أرفع أمري الى السماء التي تعلم بأن قلبي يتفطّر حزناً عندما أشاهد أموالك تتحوّل الى سكْر وعربدة وتزلّف وتمرّغ على أعتابك بغية الابتزاز. حين كانت قاعات قصرك تشعّ بالأنوار، والموسيقى تصدح بأعذب الألحان، كنت أنا أنسحب لأخلو بنفسي وأندب حظّنا العاثر. لأن خساسة المراهنين هدرت أموالك المبذولة بدون حساب، ولم أكن أقوى إلا على ذرف الدموع السخينة ألماً وحسرة بسبب إغضائك عن نصحي وانذاري.

تيمون : أرجوك أن تكفّ عن هذا الحديث غير المجدي في هذه اللحظة.

فلافيوس : العون، أيتها الآلهة! ما أطيب قلبك يا مولاي. لقد أتحت للمزيد من الطامعين المستغلّين أن يزدردوا أموالك ويستغلّوا أرزاقك بدون أن تأبه لتماديهم. أين المخلصين لمولاي الفاضل، أين الذين لا يبخلون بعواطفهم وأفكارهم وسيوفهم وإمكاناتهم وأموالهم في سبيل مولاي تيمون، تيمون الكبير النفس النبيل، تيمون المبجّل المفدّى؟ كلما فكّرت بأن كل هذا التبجّح والنفاق الذي يكيله كل المتزلّفين جذافاً سيتحوّل إلى نقيضه، عندما تجفّ مواردك ولا تجد ما تقدّمه لهم على موائدك. ان اصحابك الكثيرين في ولائمك لن تجد منهم واحداً الى جانبك حين لا يبقى لديك إلا الحرمان والموائد الخاوية. أتمنى أن يجود غيم الشتاء بالمطر الغزير ويبدّد كل هذه الحشرات من حولك.

تيمون : كُفّ عن لومك وندبك، يا فلافيوس. ان فؤادي لم يندم يوماً على ما جادت به كفّي. ربما بذلت عطفي بدون تحفّظ،

ولكني لم أتصرف بحماقة. لماذا تبكي؟ ألم يعد لك ذرّة من الثقة بي، وبتّ تخشى أن لا يبقى لي من اصدقاء عند الشدّة؟ اطمئنّ، يا فلافيوس، لو شئتُ أن ألجأ الى اصحابي واستعين بنجدتهم واستدرّ اخلاصهم لتسنّى لي أن أتكل عليهم كرجال أوفياء وعلى ثرواتهم كخير سند لي في المحنة، تماماً كما أستطيع أن آمرك بالتزام الصمت في الحال.

فلافيوس : أرجو أن يكون رأيك في محله، وأن يكون كل الحق الى جانبك، يا مولاي.

تيمون : اني أعتبر حاجتي الحاضرة، حسب قولك، أسمى بركة تخصّني بها السماء. اذ بفضلها سأتيقّن من صدق نوايا أصحابي. وسترى كم أنت مخطئ في تقدير وضعي وامتهان حظي وثروتي. فأنا غنيّ بأصدقائي. مَن الآتي الى هنا؟ تعال يا فلامينيوس، وأنت يا سرفيليوس.

(يدخل فلامينيوس وسرفيليوس وخدم آخرون).

الخدم : مرْ، يا مولانا.

تيمون : سأرسلكم واحداً واحداً. فاذهب أنت الى السيد لوسيوس، وأنت الى السيد لوكولوس الذي كنت برفقته اليوم اصطاد الطيور، وأنت الى السيد سمبرونيوس. أرجوكم أن تنقلوا اليهم أصدق تحياتي، وأن تقولوا لهم بهذه المناسبة اني اسمح لنفسي باللجوء الى وفائهم وسخائهم. ثم اطلبوا من كل واحد منهم خمسين ديناراً.

فلامينيوس : أمرك مطاع، يا مولاي.

فلافيوس (على حدة) : السيد لوسيوس والسيد لوكولوس؟ ما أبغضهما.

تيمون (لخادم آخر) : اذهب أنت الى الشيوخ عليهم، لمجرد الخدمات التي أدّيتها للدولة، أن يستمعوا الى كلامي. قلْ لهم أن يرسلوا لي الف دينار.

فلافيوس : لقد سمحت مسبقاً لنفسي، بأن أعرض عليهم اسمك وتوقيعك كضمانة لديونهم. لكنهم هزّوا رؤوسهم استخفافاً. وعدتُ من لدنهم خاوي الوطاب.

تيمون : أصحيح ما تقول؟ وهل هذا ممكن؟

فلافيوس : جميعهم أجابوا بلهجة واحدة أن جيوبهم خالية في الوقت الحاضر، ولا يمكنهم إستجابة رغبتك وأنهم يأسفون كل الأسف لعدم تلبية طلبك. هم يعلمون انك رجل محترم ويتمنّون... هم يدركون أنك مغبون وأن كرم أخلاقك يستحق خلاف ذلك. لكن، ما بيدهم حيلة رغم تمنّياتهم أن تجري الأمور على ما يرام. لذلك كانت نظرتهم إليّ نظرة واجمة متهرّبة، لا تعكس تصريحاتهم الشاذة وعباراتهم المخجلة وبرود تحياتهم وهزّ رؤوسهم بأسف. وهذا بالذات ما خنق الكلام في حنجرتي.

تيمون : أيتها الآلهة، لا تعامليهم بقساوة موقفهم. وأنت، يا عزيزي فلافيوس، أرجوك ان لا تستغرب تصرفهم لأنهم اظهروا ما يضمرون في قرارة نفوسهم من خبث ونكران الجميل. وان بدوا أشراراً فلأن الجشع في الحقيقة أعمى بصائرهم (لأحد الخدم) : اذهب الى فنتيديوس. (لفلافيوس) : لا تحزن يا صاحبي فأنا أدرى بعزة نفسك ووفائك. وبكل صراحة أعلن لك انك غير مسؤول ولا يقع عليك لوم. (للخادم) : لقد دفن فنتيديوس والده مؤخراً وآلت اليه ثروته. وعندما كان فقيراً ومسجون لا أصدقاء حوله يغيثونه، انتشلته أنا من العوز ودفعت عن خمسة دنانير وانقذته من محنته. فاذهب اليه واطلب منه أن يردّ لي الآن هذه الدنانير الخمسة، لأني في أقصى الحاج اليها فوراً. (لفلافيوس) : وحالما تحصل عليها ادفع لهؤلا الأشخاص ما يستحقّ لهم بذمتي. ولا تفكّر أبداً بأن ثرو تيمون قد تبدّدت هباءً منثوراً وهو بين اصدقائه المخلصين

فلافيوس : أودّ أن لا أصدق ما يجري. فمجرّد هذه الفكرة تحزّ في قلبي كما تسحق فؤاد مولاي. ولأنك كريم تظن ان الجميع نظيرك كرماء أوفياء.

(يخرج).

الفصل الثالث

المشهد الأول

في بيت لوكولوس بآثينا

(فلامينيوس ينتظر. يتوجّه اليه أحد الخدم).

الخادم : لقد أنبأت مولاي بقدومك، وسيحضر لمقابلتك.

فلامينيوس : أشكرك، أيها السيد.

(يدخل لوكولوس

الخادم (على حدة) : هذا أحد رجال مولاي تيمون. أراهن أن هناك هد تأتي في محلها. لقد أبصرت هذه الليلة في الحلم تسْ وإبريقاً من الفضة. (بصوت مرتفع) فلامينيوس، يا فلامينيو الأمين، زيارتك عزيزة جداً على قلبي، يا سيدي. (للخادم) صـ لنا قليلاً من الخمرة (يخرج الخادم). كيف حال مولاك المحتر الرجل الكامل الصفات، وأكرم شخص في آثينا، أعني معلم السخي الكف تيمون.

فلامينيوس : صحته جيدة، يا سيدي.

لوكولوس : أنا سعيد لعلمي بأنه بصحة وعافية، يا عزيزي. ما معك تحـ

المعطف يا فلامينيوس الظريف الخفيف الظلّ.

فلامينيوس : هذا، يا سيدي، مجرّد صندوق صغير فارغ، جئت باسم مولاي، ألتمس من كرمك أن تملأه له. ولأن معلمي بحاجة ماسة الى خمسين ديناراً، ارسلني الى سيادتك لكي آخذها منك، وهو لا يشكّ مطلقاً بأنك ستبادر الى تلبية طلبه بدون امهال.

لوكولوس : قف عند هذا الحدّ. قلت ان سيدك ليس لديه أي شكّ... ما أكرمه من مولى جليل ورب قصر مضياف فاضل. كم مرة تناولت طعام الغداء على مائدته وعدت مساءً وتعشّيت بصحبته متمنياً لو يخفف قليلاً من نفقاته الوافرة. لكنه لم يعر نصحي أذناً صاغية، ولم يكترث بتنبيهاتي وتحذيراتي. أجل، لكل انسان نقائص، وهو حرّ التصرف كما يشاء. ولقد كرّرت عليه توجيهاتي في هذا الصدد. لكنه لم يقبل بأن يرتدع.

(يعود الخادم ومعه الخمرة).

الخادم : هذه هي الخمرة التي طلبتها مني، يا سيدي.

لوكولوس (يملأ كأسين) : لقد عهدتك يا فلامينيوس عاقلاً على الدوام. وها أنا أشرب نخبك.

(يفرغ أحدى الكأسين).

فلامينيوس (يفرغ الكأس الأخرى) : لا شك في أن سيدي مسرور لسماع هذا القول؟

لوكولوس : لقد لاحظت هذا دائماً عليك، وأنا أصرّ على التصريح بأنك شخص ليّن العريكة سريع الخاطر تميل الى الاعتراف بالحق واغتنام الفرص لخدمة قريبه. لكن تصرفك الآن غير معقول ولا مقبول. وإن تواترت زياراتك لي بهذا الصدد، فأنت تعلم حق العلم أن طلبك ان أقرضكم بعض المال هو في غير محله، طبعاً بدون أن تكون هناك أية ضمانة موجبة غير ما

يربطنا من الصداقة والمجاملة. هذه ثلاثة فلوس لك، فغضّ النظر عن هذه المقابلة وادّع أنك لم تجدني ها هنا. الوداع.

فلامينيوس : هل من الممكن أن تتدنّى أخلاق البشر وتصل الى هذا الحدّ من الجحود والانحطاط؟ أين الوفاء والشعور بالمسؤولية، أين الضمير والشهامة؟

(يرمي النقود التي قدّمها له لوكولوس).

لوكولوس : أنا ألمس الآن مدى حماقتك التي تليق بسيدك، أيها الغبي الأبله.

فلامينيوس (يشير الى قطع النقود الملقاة أرضاً) : أتمنى أن تحتفظ بها وأن تحترق في جيبك، وأن تذوب كالمعدن النجس، لأنك صديق ماكر خدّاع لا أثر لأية رحمة في قلبك الخبيث. يا أيتها الآلهة، أنا أشعر بخيبة أمل مولاي وما ستغرقه فيه من الحزن والألم. ان هذا الحقير لا يزال طعم مآكل سيدي عالقاً بأسنانه. فهل يتحتّم على مولاي أن يذوق مرارة العلقم لقاء ما تلذّذ به هذا اللئيم من طيب الأصناف الشهية؟ أرجو أن تصيبه الأمراض المزمنة والعذابات المبرحة، وان تكون له سماً قاتلاً وأن يكون ما تلقّاه من كرم سيدي وسيلة لإطالة نزاعه الأخير قبل أن يدركه الموت الزؤام.

المشهد الثاني

في آثينا وسط ساحة عامّة.

(يدخل لوسيوس وبرفقته ثلاثة غرباء)

لوسيوس : من أرى؟ مولاي تيمون؟ حقاً انه أوفى صديق وأشرف وجيه.

الغريب الأول : نحن نعرف ذلك جيداً، وإن كنا عنه غرباء. ويسعني أن

أقول لك، يا سيدي، اني علمت حسب الاشاعات السارية، بأن أوقات سيدك تيمون الطيبة انطوت كصفحات التاريخ القديم، وأن ثروته قد ذابت تماماً كما يذوب الثلج.

لوسيوس : أرجوك أن لا تصدّق هذا الهراء. لأن احتياجه الى المال هو من رابع المستحيلات، وله كل هؤلاء الأصدقاء.

الغريب الثاني : على كل حال، يمكنك أن تصدّقني، يا سيدي، إن صرّحت لك بأن شخصاً ذهب الى السيد لوكولوس وسأله أن يقرضه بضعة دنانير والتمس منه بإلحاح أن يلبي طلبه نظراً الى حاجته الماسّة الى المال. غير أن طلبه هذا لم يلقَ سوى أذن صمّاء.

لوسيوس : كيف؟ ماذا تقول؟

الغريب الثاني : أجل لم يكن نصيبه إلا الامتناع والرفض الصريح.

لوسيوس : عجيب هذا الأمر، بحق السماء، أنا في غاية الخجل من رفض طلب رجل شريف نظيره مفضال. هذا عمل غير لائق، وعليّ أن أعترف بأني لقيت منه أكرم معاملة اذ قدّم، لي الكثير من الترحيب والسخاء والمال والأواني والمجوهرات التي لا تستحق الذكر بالنسبة الى ما تلقّاه منه لوكولوس. ولو وجّه طلبه الى أحد غيره، لو جاء مثلاً اليّ لما تمنعت عن اعطائه أيّ مبلغ من الدنانير يحتاج اليه.

(يدخل سرفيليوس).

سرفيليوس (وهو يلمح لوسيوس) : يا لحسن حظي، يا سيدي اذ لقيتك. فلقد أجهدت نفسي في البحث عن سيادتك، يا مولاي الكريم.

لوسيوس : شكراً يا سرفيليوس. أنا سعيد بلقائك يا عزيزي. أرجوك أن تبلّغ سيدك أخلص تحياتي الودية.

سرفيليوس : حسناً. مولاي أرسل اليك...

لوسيوس : بربّك، ماذا أرسل اليّ؟ اني شديد الافتخار والتعلّق بمولاك. ولا أدري كيف أثني عليه. قل لي ماذا أرسل اليّ كهديّة؟

سرفيليوس : ارسل لك رجاءً حاراً مستعجلاً، يا مولاي، وهو يلتمس من سيادتك أن تقرضه حالاً مبلغاً من الدنانير.

لوسيوس : أرى أن سيدك يقصد ممازحتي. لو كان حقاً بحاجة الى خمسمئة دينار لن يلاقي أية صعوبة في الحصول عليها سريعاً.

سرنيليوس : بانتظار حدوث ذلك، هو بحاجة الى أقلّ من هذا المبلغ، يا مولاي. ولو لم تكن وضعيته خطيرة حرجة، لما ألححت هكذا في السؤال بحرارة ورجاء.

لوسيوس : هل تتكلم جدّيًا يا سيدي.

سرفيليوس : بشرفي، ليس في الدنيا أصدق مما أقول لك . هذه هي الحقيقة بعينها، يا صديقي.

لوسيوس : ما أكره الشخص اللعين الذي تخلّصت منه في الوقت المناسب منذ هنيهة لأُنقذ شرف محتدي. وما أسوأ حظي لو فقدت هذا الشرف بسبب أمر تافه كهذا. ما أشدّ حماقتي لأني كنت الآن عازماً على طلب المساعدة من سيدي تيمون، لأصبح أفضل الذوات شهود سخافتي وبلاهتي. غير أني أشكر السماء على كوني لم أُقدم على مثل هذا العمل المحرج. لا، لا، لن أقدم عليه ولو لقاء كل أموال آثينا. أملي ان لا يسيء السيد تيمون ظنه بي وان لا أكشف عجزه هكذا عن تطويق عنقي بجميله. قل له اني، من كل قلبي، آسف شديد الأسف على عدم امكاني تلبية طلبه هو الوجيه النبيل. يا صديقي سرفيليوس، أرجوك أن تسدي الي هذا المعروف، وان تكرر له اعتذاري الصادق بهذه المناسبة.

سرفيليوس : بدون شك، يا سيدي.

لوسيوس : وسأكون لك من الشاكرين (يخرج سرفيليوس). لقد أصبت كبد الحقيقة. فإن تيمون ينوء تحت وقر ديونه الوافرة. وعند رفض هذا الطلب مرة واحدة لا سبيل الى تكراره والحصول على المرغوب.

(يخرج لوسيوس).

الغريب الأول : هل لاحظت ما قيل، يا هستيليوس؟

الغريب الثاني : أجل، بكل دقة.

الغريب الأول : هذا هو شعور سائر الناس. جميع المتزلفين هم من هذه الطينة الرديئة. هيا نادِ صديقك الذي أكلت معه من صحن واحد. أعتقد بأن تيمون قد عامل هذا السيد كما يعامل الأب العطوف ابنه الحبيب، وأغدق عليه المنح والعطايا كما ساند لوسيوس في ضيقاته ولم يبخل عليه بالغالي والرخيص، وسدّد له ديونه. لأن لوسيوس لا يشرب نقطة ماء اذا لم يشعر بأن تيمون يحيطه برعايته. مع ذلك، كم يبدو الانسان عقوقاً حينما لا يقدّر ما يُسدى اليه من جميل. انه يرفض مساعدة لا تكلّف أكثر مما يمنحه الرجل الثري كصدقة زهيدة في سبيل البر والاحسان.

الغريب الثالث : وأعتقد أنه هكذا لا يتمم واجباته الدينية.

الغريب الأول : من جهتي لم أذق طعم حسنات تيمون الذي لم يَجُد الى الآن في سبيلي بأي مبلغ يغمرني بكرمه المعروف. وأنا أعلن ذلك احتراماً لشخصه كي يكسب مودّتي وصداقتي. ولأبرز فضيلة رجل شهير نظيره. فلو طلب مني مساعدته في محنته لما تأخرت عن منحه كل ما يحتاج اليه كما لو كنت أنا المحتاج، وأطلبُ منه العون. وأنا على أتم الاستعداد كي أردّ له ما يسلّفني اياه، كأني انا الذي اقترض المال منه. لكني في هذا الموقف تعلّمت أن على المرء أن ينبذ الشفقة من الآن وصاعداً. وأن الأنانية وقر ثقيل على كاهل من يرتضيها.

(يخرج).

المشهد الثالث

في آثينا ـــ عند سمبرونيوس

(يدخل سمبرونيوس وأحد خدام تيمون)

سمبرونيوس : هل يجوز له أن يضايقني أكثر مما فعل الآخرون؟ كان عليه أن يلجأ الى لوسيوس أو لوكولوس. ثم هناك فنتيديوس الثري الذي اغتنى بعد أن أنقذه تيمون من السجن. فهؤلاء الثلاثة مدينون لهذا الأخير بغناهم.

الخادم : يا مولاي، رغم حلول المصائب سابقاً بالثلاثة المذكورين، ها هم يكشفون عن سوء نواياهم وخبث تصرفاتهم، لأنهم رفضوا مساعدة وليّ نعمتهم.

سمبرونيوس : كيف رفضوا ذلك؟ هل حقاً امتنع فنتيديوس ولوكولوس عن مدّ يد العون إليه فوجّه استغاثته إليّ هؤلاء الثلاثة الذين أنكروا جميله، وهذا لعمري دليل صارخ على خسّة صداقتهم وقصر نظرهم وعدم تمييزهم بين الخير والشر. فهل عليّ أنا أن أعوّض عن هذه النذالة؟ أين أصحابه؟ أراهم كالأغبياء تخلّوا عنه تباعاً، ووقعت عليّ أنا مسؤولية نجدته. وبذلك وجّه اليّ اهانة لا تُغتفر وأزعجني بشكل خشن، وكان الأوْلى به أن يبادر الى ردّ ما يستحق لي عليه وأن يلجأ الى مراجعتي أنا أوّلاً لأهوّن عليه محنته. اني أعتبر نفسي من أوائل المستفيدين من كرم أخلاقه وسخائه عندما غمرني بهداياه العديدة. لكنه استهان بكرامتي ولم يلجأ اليّ إلاّ في آخر لحظة ليعتمد على عرفاني جميله. تبًّا له، لقد عرّضني الى سخرية أصحابي، وأظهرني كالأبله بين الناس جميعاً. وأنا على أتمّ الاستعداد لبذل أضعاف مطلوبه لو فكّر في التوجّه اليّ قبل سواي أجل، أنا لا أزال على أتم الاستعداد لتلبية حاجته فوراً. لكن عُد الآن اليه وأضف

على برود ردود الآخرين، جوابي هذا : من استهان بكرامتي لا يستحقّ أن أنجده بمالي.

(يخرج).

الخادم : هذا ممتاز. سيادتك على جانب كبير من روح التحدّي والإقدام. فالشيطان ذاته لا يتردد في محاربة الانسان الدنيء. وأنا واثق بأن دناءة البعض ستُثبت أخيراً حسن نيته. كما حاول هذا المولى أن يبيّض سواد وجه غامطي نعمته ويعيد اليهم ما فقدوه من الاعتبار. وهو يتّخذ من امتهان الفضيلة مبرّراً لزرع بذور الشر. نظير هؤلاء المرائين الذين يتبرقعون بالغيرة والتفاني ليشعلوا نيران الفتنة ويهدموا البيوت العامرة. ان وفاءه في هذا الباب هو من هذا النوع بالذات. فتخلّى عنه الجميع ما عدا الآلهة، وقد أضحى أصحابه بحكم الأموات. ها هي أبوابه التي لم توصد يوماً في وجه مخلوق أثناء عزه وازدهار شؤونه، لا بد من أن تشفع به وتحفظ كرامته المهانة. لأنه لم ينصت إلا الى صوت قلبه الطيب وصدره الرحب. ومن لا يقوى على الاحتفاظ بماله، عليه بالأحرى أن يصون سلامة بيته.

(يخرج).

المشهد الرابع
في قصر تيمون

(يدخل خادما فارون ولوسيوس، ويلتقيان بتيطس وهرتنسيوس وغيرهما من الدائنين الذين يترقبون مجيء تيمون).

أحد خدم فارون : صدفة مباركة. نهارك سعيد، يا تيطس، وانت يا هرتنسيوس.

تيطس : نهارك سعيد يا فارون اللطيف.

هرتنسيوس : ما بك، يا لوسيوس؟ وماذا جمعنا ها هنا؟

خادم لوسيوس : أعتقد أن موضوعاً مشتركاً قد استدعانا. فأنا غايتي المطالبة بالمال.

تيطس : هذه هي غايتنا جميعاً.

(يدخل فيلوطس).

خادم لوسيوس : ها هو السيد فيلوطس.

فيلوطس : نهاركم سعيد.

خادم لوسيوس : أهلاً بالزميل العزيز. كم هي الساعة الآن؟

فيلوطس : حوالي التاسعة.

خادم لوسيوس : الوقت متأخر.

فيلوطس : وسيدي لم يظهر بيننا بعد.

خادم لوسيوس : حتى هذه اللحظة.

فيلوطس : غريب أمره، لأنه في الواقع عوّدنا أن يكون بيننا منذ الساعة السابعة.

خادم لوسيوس : أجل، غير أن الأيام أضحت أقصر من السابق بالنسبة اليه. ولا بد من اعتبار حياة المسرف أشبه بالشمس التي لا تكلّ عن استئناف نهارها. أخشى أن تكون ثروة السيد تيمون

قد تقلّصت نظير أيام الشتاء. أعني شحت ولم يعد يتسنى لأحد أن يغرف منها كما كان يجري ذلك في الماضي.

فيلوطس : أنا أيضاً أخشى أن يكون الأمر هكذا.

تيطس : أودّ أن ألفت انتباهك الى مسألة غريبة (لهرتنسيوس) هل أرسلك سيدك الى هنا لتطالب بمال؟.

هرتنسيوس : نعم هذا ما جئت لأجله.

تيطس : أنه لا يزال يعتزّ بالمجوهرات التي قدّمها له تيمون كهدية. وقد جئت أنا لأطلب تسديد ثمنها.

هرتنسيوس : ما عليّ إلا الطاعة مرغماً.

خادم لوسيوس : لا خطر من هذا الجانب العجيب الذي يجعل تيمون يدفع مبلغاً يفوق ما يستحق عليه. وهذا تماماً كما لو كان معلمك يطالب بثمن المجوهرات التي يقتنيها تيمون نفسه.

هرتنسيوس : هذه الرسالة تثير في أعماقي التقزّز والإشمئزاز. وتشهد الآلهة عليّ، اني أعلم بأن معلمي انفق مال تيمون، وأن نكران الجميل حوّل هذا الشذوذ الى جريمة نكراء.

خادم فارون الأول : بدون شك، أنا أطالب بدَيْن يبلغ ثلاثة آلاف درهم. فما هو مبلغ دَيْن معلمك؟

خادم لوسيوس : قدره خمسة آلاف.

خادم فارون الأول : هذا مبلغ ضخم. واذا جمعنا الأرقام تبيّن لنا أن معلمك إئتمن تيمون على ما هو أكبر من مبلغ معلمك، وإلاّ كانت ديون الأثنين متعادلة.

(يدخل فلامينيوس).

تيطس : أجد هنا رجال السيد تيمون.

خادم لوسيوس : يا فلامينيوس، أصغِ اليّ وقلْ لي هل مولاك مستعد أن يقابلنا؟

فلامينيوس : كلاّ. في الحقيقة، هو غير مستعد.

تيطس : نحن ننتظر سيادته. بلّغه ذلك، من فضلك.

فلامينيوس : ليس من حاجة الى إبلاغه. لأنه يعلم أنكم حريصون على مواعيدكم.

(يخرج فلامينيوس).

(يمرّ فلافيوس وهو يستر وجهه بمعطفه).

خادم لوسيوس : أوليس هذا وكيله الذي يمرّ متخفّياً، ويغيب كأنه طيف يتغلغل في الضباب. نادوه، هيا نادوه.

تيطس (يرفع صوته) : اسمع، يا سيد.

فلافيوس : ماذا تريد مني، يا صاح؟

تيطس : سيدي، نحن ننتظر هنا، ونريد أن نقبض مبلغاً من المال.

فلافيوس : أجل، لو كان هذا المبلغ أكيداً، مثل انتظاركم، لأصبح الأمر معقولاً ومقبولاً، لماذا لم تقدموا مذكرات بحساباتكم عندما كان معلموكم جالسين الى مائدة مولاي يأكلون؟ لكان آنذاك ابتسم واهتمّ بديونكم، وحسم الفوائد من أفواههم الجشعة. كل جهودكم تذهب الآن سدى. دعوني أمرّ بسلام. ثم أعلموا اني أنا ومعلمي قد صفّينا أمورنا وأصبحنا لا نملك شروى نقير. فأنا قد سجّلت وهو صرف.

خادم لوسيوس : اذا افترضنا إن الأمر تمّ هكذا، فهذا لا يفيدكم بتاتاً.

فلافيوس : لو كانت المسألة كما تقول لأصبحت القضية أسهل عليكم في الحقيقة أنتم تخدمون دجّالين متلاعبين.

(يحرج)

خادم فارون الأول : ماذا تقول؟ ماذا تغمغم، يا حضرة المسرَّح من الخدمة

خادم فارون الثاني : هذا لا يهمّنا. لقد أصبح فقيراً وبذلك لقي عقابه الكافي. من تجرأ على التكلّم بصراحة أكثر، لم يعد له بيت

ينام تحت سقفه بارتياح. أظنّ أن الناس ليسوا أحراراً في تهجّمهم على أرباب القصور.

(يدخل سرفيليوس).

تيطس : ها هوذا سرفيليوس. وأخيراً سيحصل على الجواب.
سرفيليوس : اذا وافقتم على العودة في وقت آخر، يا سادة، أكون لكم من الشاكرين. لأن مزاج معلمي يميل الآن الى الغضب، وقد نفد اصطباره. وأوى الى غرفته.
خادم لوسيوس : العديد من الناس يلزمون غرفهم بدون أن يكونوا من المرضى. فهو مزعوج حقاً وليس على استعداد بحجة أوْلى لدفع ديونه في هذه الفترة. وإن وافاه أجله تكون القضية أخف وطأة في هذه الحالة.
سرفيليوس : ارفقي به، أيتها الآلهة.
تيطس : نحن لا يرضينا هذا الكلام لنكتفي به، يا سيدي.
فلافيوس (من الداخل) : النجدة، يا سرفيليوس. مولاي، يا مولاي.

(يدخل تيمون وهو يرغي ويزبد، يتبعه فلافيوس).

تيمون : هل أصدّق عينيّ، عندما لا يتسنى لي اجتياز عتبة بيتي، وقد كنت حرًّا على الدوام؟ وها هو المجال يضيق عليّ وأنا في منزلي كأني في سجن لدى عدوٍ أو طاغية. وهذا المكان الذي تجلّت فيه انسانيتي يحز في قلبي أن أجده كقفص من حديد.
خادم لوسيوس : تقدم اليه الآن، يا تيطس.
تيطس (يعرض ورقة على تيمون) : هذا هو مطلوبي منك، يا مولاي تيمون.
خادم لوسيوس : وهذا هو مطلوبي أنا.
هرتنسيوس : وهذا مطلوبي أنا أيضاً.
خادما فارون : ومطلوبنا نحن كذلك.

فيلوطس : أجل، هذه هي مطاليبنا جميعاً.
تيمون : لقد خنقتموني وسببتم لي الصداع.
خادم لوسيوس : يا للأسف، أيها السيد.
تيمون : حولوا قلبي الى نقود اذا استطعتم، وخذوا منها ما تشاؤون.
تيطس : مطلوبي أنا وحدي خمسون ديناراً.
تيمون : تقاسموا أيضاً دمي، إن أمكنكم.
خادم لوسيوس : نحن مطلوبنا خمسة آلاف ريال، يا مولاي.
تيمون : خمسة آلاف ضربة تسدّد هذا المبلغ، ومبلغك... ومبلغك أيضاً.
خادم فارون الأول : يا مولاي.
خادم فارون الثاني : مولاي.
تيمون : مزّقوني إرباً إرباً، واقتسمُوني. ولتُنزل بكم الآلهة أشرس عقابها.

(يخرج).

هرتنسيوس : على ما أرى، الأحرى بمعلمينا أن يودّعوا أموالهم ويترحموا عليها الى الأبد. إذ لا أمل على ما يبدو في استردادها ما دام المدين متهوّساً هكذا.

(يخرجون).

(يدخل تيمون ثانية برفقة فلافيوس)

تيمون : يا لهم من أشقياء هؤلاء الدائنين أعوان الشياطين. لقد أحرجوني وأزهقوا روحي.
فلافيوس : مولاي العزيز، مهلاً.
تيمون (بعد وقفة وجيزة) : ما رأيك لو فعلت هذا؟
فلافيوس : يا مولاي.
تيمون : أجل، تعال نتصرّف كما أقول لك، يا وكيلي.
فلافيوس : ها أنا مستعد، يا مولاي.

تيمون : هذا ممتاز. هيا ادعُ ثانية جميع أصدقائي الجدد، يا لوسيوس. ويا لوكولوس، ويا سمبرونيوس. أريد أن أستضيف على مائدتي جميع هؤلاء المحتالين.

فلافيوس : يا مولاي، كلامك هذا يدل على ضياع تبصّرك، اذ لم يبقَ عندنا ما نضعه على مائدتك مهما كانت متواضعة.

تيمون : لا يقلق لك بال أبداً. أنا آمرك بأن تذهب وتدعوهم كلّهم. أُدخل هؤلاء الدجّالين مرة أخرى. فأنا والطاهي سنتدبر أمرهم كما يجب.

(يخرجون).

المشهد الخامس

قاعة مجلس الشيوخ في آثينا.

(المجلس منعقد. يدخل ألسيبياد وحاشيته).

الشيخ الأول : يا مولاي، صوتي رهن اشارتك. فالتردّد غير مجد ولا بدّ من أن يموت. لا شيء يشجّع على ارتكاب الجريمة مثل الشفقة في غير محلّها.

ألْسيبياد : أتمنى لأعضاء مجلس الشيوخ كل الشرف والصحة والعدل والمروءة.

الشيخ الأول : ما الأمر أيها القائد.

ألْسيبياد : أنا أناشد فضيلتك والتمس عطفك بتواضع. لأن الرحمة هي نقيض ما يمارسه الطغاة من الظلم بوحشية واستبداد. لقد شاءت الأقدار أن تجور على أحد اصدقائي في برهة انفعال وضياع، فخالف القانون بدون تعمّد. وبصرف النظر عن هذه الهفوة، أؤكد لكم أن الرجل المشار اليه يتحلى باسمى الفضائل.

وعمله هذا لم يدفعه اليه أي قصد شرير. فهناك اذاً ظروف مخففة تشفع به. وبدافع انتفاضة مشروعه ليصون كرامته وسمعته الطيبة، ردّ عنه أذى عدوّه أثناء فورة غضبه رغم كل الجهود لضبط نفسه بقدر الامكان.

الشيخ الأول : أراك تتذرّع بحجج واهية، وأنت ترمي الى تهوين فعلته الشنيعة. وألمس بأنك بفصاحتك وبلاغتك تحاول أن تعذر القاتل وتخفف جرمه، وأنت ترفع من مستوى نواياه السيئة. وتعتبر أن تصرّفه في الحقيقة لا يقارن بافعال أي نذل يعيث في الأرض فساداً. ان الشهم الأبيّ هو الذي يتعالى عن الدنايا بعقله الراجح وفكره الثاقب، ويتحمّل بلاياه بصبر وحكمة ففي التأنّي سلامة لأنه يكظم الغيظ ويترك للتفكير والتروي المدى اللازم لاختيار اصلح الحلول. وإن كان الانفعال يحمل المرء على ارتكاب الصغائر، فان الكثير من الشرور قد يخمد لظاها بمجرّد عامل التروّي والتبصّر بالعواقب.

ألسيبياد : يا مولاي.

الشيخ الأول : لن تتوصّل الى تخفيف أي جرم. فالشجاعة لا تقوم على الانتقام بل على الحلم وطول الأناة.

ألسيبياد : فإذاً، يا سادتي، سامحوني على مخاطبتكم كقائد. لماذا يتعرّض الرجال لمخاطر الحرب كالمهووسين ويواجهون شتى التهديدات؟ لماذا لا ينامون على الضيم ويدعون اعداءهم يقطعون رؤوسهم بدون أن يدافعوا عن أنفسهم ويردوا عليهم بالمثل. عندما تتراكم علينا المهاترات، لماذا نذهب الى ساح الوغى؟ هل نحن أقلّ بسالة من النساء اللواتي يمكثن في المنازل، حين تتجلّى المروءة في تحمّل الشدائد؟ فالحمار قادر على الصبر مرغماً أكثر من الأسد، والخائن المكبّل بالقيود يبدو أكثر حكمة من القاضي. لأن سرّ التعقل كامن في التبصّر والتروّي. يا سادتي، يجدر بكم أن تكونوا رحماء وعقلاء

بقدر ما أنتم أقوياء. فمن منا لا يشذب العنف الصادر عن برودة قلب؟ فالقتل عن سابق تصميم وإصرار هو أبشع الجرائم طرًّا. بينما القتل دفاعاً عن النفس هو عمل مشروع يستحق الغفران. الغضب هو عمل عدائي. لكن أين الرجل الذي لا يستشيط غيظاً متى أهينت كرامته. أرجوكم أن تنظروا الى جرمه ضمن إطار هذه الفكرة الحليمة الرحيمة.

الشيخ الثاني : أراك تنثر أقوالك هباءً وتضيّعها سدًى.

ألسيبياد : سدًى؟ وأنا أعدّد الخدمات التي أسداها في لاسيديمون وبيزنطية، وأوصاف من جندلهم من أعدائكم في ساحات القتال. هل نسيتم بسالته في المعركة الأخيرة التي خاضها لانقاذكم، وكيف خلّصكم من المهاجمين الأشداء.

الشيخ الثاني : كم وكم من الأشلاء ترك وراءه وهو ثمل بخمرة أهوائه الهوجاء. ان آثامه كثيراً ما أغرقت عقله في لجة الشهوات، وجعلت فضائله أسيرة عجرفته وأخضعتها لنزواته ونزقه، وبصرف النظر عن سائر معاصيه، يكفي عمله المشين لادانته. ففي فورته الوحشية كم من الشرور أثار، وكم سبّب من المشاحنات، ونحن على أتمّ الاقتناع بأن وجوده هنا إهانة وسكْره المتواتر محفوف بالمخاطر الجسام.

الشيخ الأول : اذاً لا بد من اعدامه.

ألسيبياد : ما العمل وحظه العاثر يعاكسه. كم كان أشرف له أن يقضي نحبه في الحرب. يا سادة، اذا كنتم لا تقدّرون مزايا هذا الشجاع الذي يستطيع بشدّة بأسه أن يفتدي حياته، بدون أن يكون مديناً لأي انسان، يسعكم أن تضيفوا خدماتي أنا الى ما ذكرته من أفضاله. ولما كان تقدّمكم في السن يقتضي ضمانةً ما، فأنا أجعل، كل انتصاراتي العديدة رهن افتدائه. واذا كان بهذا الجرم أخضع وجوده لحكم القانون، فدعوه يبذل دماءه بسخاء في ساحة الوغى لأن الشرائع مهما كانت

عدالتها صارمة، لا توازي مآسي الحرب التي لا ترحم لأنها أشد وطأة وأعنف فتكاً من كل ما عداها.

الشيخ الأول : نحن أرباب الشرائع، ولذا نحكم عليه بالموت. لا تحرجنا لئلا تبعدنا عن الانصاف.

ألسيبياد : هل حزمتم فعلاً أمركم؟ هذا غير جائز، يا سادة، وأنا أستحلفكم بأن لا تنسوا أفضالي على شعبنا وبلادنا.

الشيخ الثاني : كيف؟

ألسيبياد : تذكروا فقط من أنا.

الشيخ الثالث : وماذا تعني بهذا الكلام؟

ألسيبياد : يخيّل اليّ أن أعماركم قد أنستكم تفانيّ في سبيل الجميع، وإلاّ لما اعتبرتم التماسي وتوسّلي في هذا الموضوع هباءً منثوراً. وأنا لا أطلب منكم إلاّ تحكيم مروءتكم وعدالتكم. فلقد نكأتم جراحي بتشبّثكم وعنادكم الباطل.

الشيخ الأول : أو تتجرأ على استفذاذ نقمتنا عليك؟ نحن لا نريد أن نطيل الشرح. ولكن كن على يقين بأننا باقتدارنا ونفوذنا، لن ننساق الى استعطافك، أو وعيدك. لذا نستبعدك كما استبعدنا طلبك

ألسيبياد : تستبعدونني شخصياً؟ والأحرى بكم أن تستبعدوا بلاهتكم وتقاعسكم ومساوئكم القبيحة، أيها الشيوخ المستبدون.

الشيخ الأول : اذا لم تغادر آثينا خلال يومين، ترقّب منّا أن نحاكمك أنت أيضاً وبصورة أدهى. أمّا هو فبما انه أزعج مزاجنا الى هذ الحدّ، فسينفّذ فيه حكم الاعدام فوراً.

(يخرج الشيخ)

ألسيبياد : أسأل الآلهة أن تطيل أعماركم حتى تصبحوا هياكل عظم بشعة تنفر منها كل الأنظار. ان مراجل الغضب أخذت تغلي في صدري. فلقد أنقذتكم في الماضي من بطش أعدائكم بينما كنتم منشغلين في عدّ نقودكم حين أقرضتم دراهمكم لقاء فوائد فاحشة، وأنا لم ينبْني سوى الجراح العديدة. فلذ

اليوم جزاء اخلاصي وشجاعتي. هذا هو البلسم الذي حفظه مجلسكم، مجلس المرابين هذا، لشيخوختي أنا زعيمكم وحاميكم. أجل أنتم تنوون ابعادي. وأنا لست بحانق، ولن أكره حكمكم الجائر عليّ لأنه خير مبرر لما سأكيله بسبب عقوقكم من الضربات لكم ولرعاع آثينا الذين يساندونكم. سآمر جيشي بالقضاء على قواكم الغاشمة. وبذلك استميل قلوب الأشراف من أهالي آثينا. وهذا يكفيني مجداً وفخراً، لأن محاربة الفساد أسمى فضيلة، وجنودي لن يكونوا أطول بالاً من الآلهة في مكافحة رذائلكم.

(يخرج).

المشهد السادس

قاعة فخمة في قصر تيمون

(تصدح الموسيقى. الموائد مجهزة والخدم يروحون ويجيئون.
يدخل بعض السادة من أبواب مختلفة).

السيد الأول: نهارك سعيد، يا سيدي.

السيد الثاني: نهارك سعيد. أعتقد أن هذا هو رب القصر، وقد أراد أن يمتحن صبرنا في ذلك اليوم الرهيب.

السيد الأول: هذه الفكرة شغلت بالي طوال لقائنا السابق. وأعتقد بأن هذه المحاولة لن تحظى بمناصرة أصدقائنا في ما ننوي الاقدام عليه.

السيد الثاني: طبعاً لا. والبرهان على ما أقول، هذا الحشد الكثيف الذي جمعناه للوصول الى بغيتنا.

السيد الأول: أعتقد أن الأمر لكذلك. فقد وُجهّت الي دعوة، مستعجلة

لأسباب موجبة حملتني على التردّد. لكن الظروف تطلّبت مجيئي اليوم الى هنا.

السيد الثاني: كان لديّ شغل هام في غير هذا المكان. إلا اني لم أشأ أن ألتمس العذر لغيابي. وكم ساءني أن أجد نفسي بحاجة الى المال عندما أرسل صاحبنا يطلب مني أن أمنحه قرضاً.

السيد الأول: وأنا طار صوابي حالما اضطررت الى الاعتذار عن تسليفه.

السيد الثاني: جميعنا هنا في ذات هذا الوضع. فما هو المبلغ الذي أراد أن يستدينه منك؟

السيد الأول: ألف قطعة من الذهب.

السيد الثاني: ألف قطعة؟

السيد الأول (للشيخ الثالث): وأنت كم طلب منك؟

السيد الثالث: يا سيدي، لقد أرسل لي... ها هو قد أقبل.

(يدخل تيمون وحاشيته).

تيمون (للسيدين الآخرين): أنا مسرور بلقائكما، أيها السيدان. كيف حالكما؟

السيد الأول: صحتي تصبح جيدة عندما أعلم بأن سيادتك بألف خير، يا مولاي.

السيد الثاني: طائر السنونو لا يتهجّ بقدوم الربيع قدر ما يفرحنا وجودك بيننا.

تيمون (على حدة): الطير يهرب من برد الشتاء بارتياح أكثر، فالناس عصافير عابرة. (بصوت مرتفع): يا سادة، لن يعوّض عشائي عما سببته لكم من الضجر بانتظاركم قدومي المتأخر. والآن دعوا الموسيقى تشنف آذانكم اذا كان صوت البوق لا يزعج مزاجكم. وسنجلس الى المائدة بعد لحظات.

السيد الأول: أرجو أن لا تحقد عليّ سيادتكم، لأني رددت مبعوثكم خاوي اليدين.

تيمون: لا تشغل بالك بهذا الأمر البسيط، يا مولاي.

السيد الثاني: ما أنبل عواطف سيادتكم.

تيمون : كيف حالك، يا صديقي الغالي؟

(يأتي الخدم بالمائدة).

السيد الثاني: يا مولاي الكريم، ساءني جداً أن أبدو هكذا فقيراً وخشناً حين أرسلت اليّ خادمك.

تيمون : لا تفكر بذلك مطلقاً، يا مولاي.

السيد الثاني: لو أرسلتَ الخادم قبل ساعتين فقط...

تيمون : لا تزعج نفسك بأسفك، وتعكّر صفو خاطرك، يا سيدي (لخدمه) : هيا قدموا المآكل للجميع.

السيد الثاني: ما أشهى هذه الأطعمة اللذيذة.

السيد الأول: أؤكد لك أنها تليق بالملوك.

السيد الثالث : بدون شك هي أفضل ما بوسع المال الغزير وهذا القصر العامر تقديمه بسخاء.

السيد الأول (للسيد الثالث) : كيف حالك؟ وما وراءك من الأخبار؟

السيد الثالث : لقد أُبعد ألسيبياد. هل دريت بهذا النبأ الأخير.

السيدان الأول والثاني : أحقاً أُبعِد ألسيبياد؟

السيد الثالث : نعم. وصحة الخبر لا تقبل الشك.

السيد الأول: لماذا، لماذا؟

السيد الثاني: أرجوك أن تفيدني، لماذا؟

تيمون : أيها الأصدقاء الأحباء، أرجوكم أن تقتربوا الى هنا.

السيد الثالث : سأخبركم بعد لحظة بالمزيد من الأنباء. والآن، هيا نتذوّق مآكل هذه الوليمة الشهية الفاخرة.

السيد الثاني: هذه من تقاليد صاحبنا القديم وعاداته.

السيد الثالث : وهل سيدوم كرمه؟ والى متى سنظلّ ننعم به؟

السيد الثاني: لقد طال حتى الآن. ولكن، ربما في المستقبل..

السيد الثالث : فهمت ما تقصد.

تيمون : ليتخذ كل واحد منكم مقعده باشتياق العاشق الى شفتي حبيبته.

فالمآكل متشابهة أمام جميع المدعوّين. ولا تحسبوا هذه الوليمة رسمية، ولا تدعوا الطعام يبرد في صحونكم. اجلسوا كلكم، فالآلهة منحتنا الطيبات التي تستوجب شكرنا هكذا :
« أيها المحسنون، ازرعوا عرفان الجميل في قلوب أفراد مجتمعنا. دعونا نشكر على الدوام نعمكم الغزيرة. واشملونا بعطفكم اذا شئتم أن تظل ألوهيّتكم مكرّمة ومحترمة. وزّعوا العطايا على الجميع، اذا وددتم أن يُقرض الغني أخاه المحتاج. واجعلوا المآكل محبوبة أكثر من الشخص الذي يقدّمها. وليكن في الجمع المؤلف من عشرين رجلاً عشرون آخرون من البؤساء، وبين كل عشرة نساء لتكن بنفس هذا العدد نساء أخريات مهما كانت أخلاقهن. ثم انتقمي، أيتها الآلهة من الجميع، وأنزلي بشيوخ مجلس آثينا ما يستحقون إجمالاً من الضربات. ولتشمل حثالة الشعب الآثيني أيضاً، جاعلين آثامهم سبباً لسلبهم حياتهم الخسيسة. أمّا أصدقائي الحاضرون ها هنا، فبما أنهم لا ينفعونني بشيء، لا تباركيهم ولا تحميهم لأني عازم على دهورتهم في هوة الهلاك ».
والآن أكشفوا الأغطية عن الصحون، أيها الأوغاد اللئام، والْعَقوا كالكلاب العطشى الجائعة.

(يرفع المدعوون الأغطية عن الصحون المليئة بالماء الساخن).

بعض المدعوين : ماذا يقصد سيادته؟

مدعوون آخرون : لا ندري.

تيمون : أتمنى لكم أن لا تُدْعَوْا أبداً الى وليمة أفضل من هذه، يا أصحاب الأشداق النتنة. لأنكم لا تستحقون سوى الماء الساخن وما يتصاعد منه من بخار لتطهير أنفاسكم الرجسة. هذا هو وداع تيمون الذي سئم تزلّفكم البذيء. فأنا أغسل يدي وأتبرّأ منكم، يا أصحاب الوجوه الكالحة (يرشق وجوههم بالماء الساخن) : البثوا طوال حياتكم كالهوام الطفيلية، فابتسامكم الزائف

وخداعكم البغيض قد جعلكم كالذئاب الماكرة والحيّات اللادغة. أنتم مهرّجون حقيرون. تستميتون أمام الأطعمة وأنتم تتظاهرون بالمودة المغرضة، لأنكم مراؤون منافقون. أتمنى أن يفتك بكم ما لا يُحصى من أوبئة الانسان والحيوان معاً. ما هذا؟ هل أنت ذاهب؟ هيا خذ معك مرقك قبل أن يبرد. وأنت، وأنت أيضاً (يسكب ماء الصحون على رؤوس المدعوين ويطردهم الواحد بعد الآخر). أمّا أنت فقف لأني سأقرضك ما تريد من المال. أراكم جميعاً تهربون. اذاً اعلموا جيداً ان لا ولائم عندي لكم أيها الأوغاد بعد الآن في هذا المكان. اشتعل، يا قصري، ويا آثينا تهدّمي على رؤوسهم. وليحلّ حقد تيمون عليكم وعلى كلّ أشباهكم من ثعالب البشر.

(يخرج).

(يدخل سادة وشيوخ عديدون).

السيد الأول: ما بكم؟

السيد الثاني: بماذا تنعت هياج السيد تيمون؟

السيد الثالث: بحياتك، هل رأيت قبعتي؟

السيد الرابع: أنا أضعت ردائي.

السيد الثالث: هذا المولى، لا بد أن يكون مختلّ الشعور، تتلاعب بعقله الأهواء الهوجاء. منذ بضعة أيام أهداني مجوهرة، واليوم أسقطها من قبعتي. هل رأيتم مجوهراتي؟

السيد الرابع: هل رأيتم قبعتي؟

السيد الثاني: ها هيذا.

(يلمّ القبعة من الأرض).

السيد الرابع: وها هنا يتقوْقع ردائي.

(يلمّ رداءه).

السيد الأول: هيا بنا. علينا أن لا نبقى هنا.

السيد الثاني: حتماً أصيب السيد تيمون بعارض جنون.

السيد الثالث: كلنا أبصرنا ما دهاه من غضب ووقاحة.

السيد الرابع: أجل. هو في أحد الأيام يقدّم لنا ماسة، وفي يوم آخر يرشقنا بحجر.

(يخرجون).

الفصل الرابع

المشهد الأول

عند أسوار آثينا.

(يدخل تيمون).

تيمون : دعني ألقي عليك نظرة أخيرة، أيها السور الذي يأوي هذه الذئاب المفترسة. علي أن أغور في أعماق الأرض، ولا أدافع عن آثينا التي أضحت كالقوّادة الخالعة العذار. وأنتم أيها الفتيان، عليكم بالتمرّد والعصيان. ويا أيها العبيد والمدعوسون دحرجوا شيوخ المجلس عن مقاعدهم الوثيرة لأنهم تمرّغوا في أوحال الجشع وتخبّطوا في وهدة العجز والرذيلة. هيا استلموا دفة التشريع بدلاً عنهم. وتنعّموا بارتداء ملابسهم الفخمة التي تليق ببراءة الشبان البواسل أمثالكم. أفعلوا ذلك تحت أنظار ذويكم. وأنتم أيها المفلسون اصمدوا وهاجموا، وبدلاً من أن تستسلموا انتضوا خناجركم واغرزوها في أعناق جميع الدائنين. وأنتم أيها الخدم المغبونون، استولوا على أرزاق سادتكم، لأنهم عصابة من اللصوص ينهبون الأموال بالجملة تحت ستار القانون. وأنت أيتها الجارية اندسّي في سرير سيدك بينما تتمرّغ زوجته

في حمأة المواخير والعهر. وأنت أيها الشاب المحروم في ربيعك السادس عشر انتزع عكاز أبيك المحشو دنانير واضربه به على رأسه. أما التقوى الحقيقية والأخلاق الحميدة واحترام الغير وهدوء البال وحسن الجوار والطقوس والعادات والقوانين فلتتضعضع جميعها في ضباب أضدادها، ولتَسُد الفوضى. ويا ضربات البشرية صبّي جام غضبك على الآثينيين كي يحلّ بهم الويل والاضمحلال. وأنت يا أمراض ويا أوبئة افتكي بشيوخ المجلس واجعليهم يعرجون نظير ضمائرهم المعوّجة. ويا دعارة ويا استهتار ويا انحطاط تسرّبي الى عقول الشبيبة حتى تنجرف أمام كل مجرى ينافي الفضيلة، ويغرقها في أوحال العهر والتهتّك الذميم. أيها الجربُ وأنت أيها الطاعون غلغل جراثيمك في صدور الآثينيين لكي تقضي عليهم وتمحقهم. ولتزهق أنفاسهم حتى يغور المجتمع في أهوائه المميتة كالسم الزعاف. وأنا لن يبقى في قلبي لدى ذكركِ المشؤوم، أيتها المدينة البغيضة، سوى الكره والاحتقار. سأتعزّى بهذه اللعنات المتكررة. لأني أنا تيمون عازم على الانزواء في الغابات حيث تأوي الوحوش الضارية التي يظل فتكها أهون من أذى البشر. أسألك، أيتها الآلهة الصالحة، وأنا واثق بانك تسمعينني، أن تقتصّي من الآثينيين داخل أسوارهم وخارجها. واجعلي نقمة تيمون تتفاقم على مدى السنين وتشمل الجنس البشري برمته كباراً وصغاراً. آمين.

(يخرج).

المشهد الثاني
داخل آثينا، في قصر تيمون

(يدخل فلافيوس مع أثنين أو ثلاثة من خدمه).

الخادم الأول : هل تعلم، يا سيدي الوكيل، أين مولانا؟ وهل حقاً خسرنا كل ما لدينا، وفقدنا أيضا عملنا؟ أو لم يبقَ لنا أي شيء؟

فلافيوس : ما سأقوله لكم، يا اصحابي، يستدعي كل الأسف. واستشهد بالآلهة على إني أصبحت أفقر منكم.

الخادم الأول : أتقول، يا مولاي، ان الخراب حلّ بهذا القصر العامر، وانك لم تعد تملك شيئاً، وليس من صديق لك الآن يأخذ بيدك وينقذك وينقذنا أيضاً من هذه المحنة؟

الخادم الثاني : تماماً كما نفعل نحن عندما ندير ظهرنا لأحد رفاقنا المنكودي الحظ عندما يسقط في حفرة النفايات. هكذا غادره حتى أهله بسبب فقدانه مقومات حياته المرفّهة، ورشقوه بملامتهم. وهو مسكين يتقلّى على جمر الغيظ والأسى، كأنه مصاب بالبرص يتيه وحيداً شريداً في شقائه وبؤسه. وهذا ينعكس طبعاً على زملائنا.

(يدخل خدم آخرون).

فلافيوس : كل شيء في هذا القصر قد تهدّم.

الخادم الثالث : لكن قلوبنا لا تزال متعلقة بمولانا تيمون، كما يظهر على وجوهنا المتجهمة، ولا نزال متمسكين بخدمته وهو في أشدّ ضيقاته وأحزانه. نسمع هدير الأمواج التي تحاول ابتلاعه، ونقف عاجزين أمام تعاظم بلاياه.

فلافيوس : يا رفاقي الأعزاء، أنا مستعد لأن أقتسم أموالي معكم. وحيثما اجتمعنا باسم مولانا تيمون، علينا أن نظل أصدقاء متضامنين

ونهتف بحياة معلمنا ونحن ندق ناقوس الخطر، لأننا شاركناه في أيامه السعيدة. (وهو يوزع عليهم بعض المال) ليأخذ كل منكم حصته. هيا مدّوا كلّكم أيديكم. ولا تنطقوا بكلمة تذمّر، لأننا نودّ الآن أن نفترق ونحن فقراء من ناحية المال، ولكن أغنياء بولائنا وأمانتنا رغم ما يعصر أفئدتنا من الألم الشديد.

(يخرج الخدم) : يا للكارثة الرهيبة التي حلّت محل البهجة التي لقيناها في هذا القصر. من منا بعد الآن لا يزدري بالغنى، اذا كان من الممكن أن يعقبه مثل هذ االبؤس والإفلاس. ومن منّا لن يكره هذا الجاه الخدّاع والعيش الذليل حيث تضمحلّ الصداقة كالحلم، وينقلب البذخ الى فاقة كمودّة المنافقين. يا للرجل الشريف المغدور الذي فتح قلبه وأبوابه للأصحاب المغرضين المتزلّفين الذين طعنوه في الصميم. ما أغرب طبيعة البشر الذين نبذوه نبذ النواة بعد أن أكلوا خيراته واستأثروا بهداياه. وكان ذنبه الوحيد أنه صدّقهم وأحاطهم برعايته لسموّ أخلاقه ورحابة صدره. ومَن مِن بعده يجرؤ على البذل بسخاء حين تقابل طيبة قلبه بالعقوق ونكران الجميل؟ أيها المولى الكريم، يا من وُهبتَ النبل والشهامة ولم تستحق المهانة والمذلة، ومُنحت الثروة والجاه العريض ثم أُصبت بالفقر والعوز، نحن نأسف لما حلّ بك من محن لست من أهلها بل ساهم أصحابك بانقضاضها عليك، إعلم أن افئدتنا لا تزال متعلقة بك، واننا نريد أن نساعدك، ما أمكننا، على اجتياز هذه النكبة. ان لديّ بعض المال أودّ أن أسعفك به على قدر طاقتي، طالما بقي أمامي وسيلة للتخفيف من مصابك بصفتي وكيلك الأمين.

(يخرج)

المشهد الثالث

في الغابة

(يدخل تيمون وبيده مجرفة).

تيمون : أيتها الشمس المشرقة امتصّي بحرارتك رطوبة الأرض العفنة، وطهّري الهواء الذي تتنشّقه ونحن في ضوء زميلك القمر. فكلاكما خرجتما من رحم واحد. وكما كانت ولادتكما متشابهة، هكذا تكاد نشأتكما تتشابه نظير مصيركما. فالأمل أن لا تعاملا الناس المتناحرين حسب أعمالهم لأن البعض يحاول أن يسيطر ويتغلّب على الآخر. اسألك يا كوكب النهار أن لا تحتقر المسرفين الكرماء، وأن ترفع هذا الفقير وتخفض هذا المولى حتى يقنع الثريّ بنصيبه من العلل الموروثة، والمحتاج بكرامة عنصره. فالمرعى الخصيب يسمّن المواشي التي تضمّرها المجاعة. من يجسر في قرارة نفسه على إدانة هذا الرجل المتزلّف. فان كان هو على هذا الحال فالجميع هم أيضاً مثله. لأن كل طبقة في المجتمع تحسد الطبقة التى تفوقها بالعزّة والمقام. وعلى هذا الأساس يطأطئ العالم رأسه أمام الأبله إذا كانت جيوبه منتفخة مالاً. وكل ما في الدنيا يشوبه الاعوجاج، ولا شيء نراه مستقيماً في الطبيعة البشرية الخبيثة المجبولة بالخداع والنفاق. فتبًّا للولائم المهدورة وللمجتمع الفاسد وللفوضى المتفشّية بين الناس. تيمون يكره أترابه كما يحتقر الآن نفسه. فما على الانسانية إلا أن تدفن ذاتها (ينبش الأرض). أيتها الأرض، أين جذورك؟ واذا كان هناك من يبحث عنها نظيري، فما عليك إلاّ أن تنفثي فيه أسرع سمومك القاتلة. ماذا أرى هنا؟ هذا ذهب أصفر برّاق غالي الثمن. كلاّ، أيتها الآلهة الكريمة، أنا لا أطمع بالمغريات ولا

بأسباب الهناء والرفاه تحت السماء الزرقاء. لأن القليل من هذا الذهب الرنّان يكفي لجعل النبيل حقيراً والشاب مسنًّا والشجاع جباناً والعادل ظالماً. أجل، ما أعجب مفعوله. لكن لماذا هذا التحوّل؟ انه يبعد سيادتكم وخدّامكم عن الطريق القويم، وينتشل وسادة الراحة من سرير المريض الهزيل. نعم، هذا المعدن الأصفر من خصائصه أن يحرّض على خفر العهود، ومباركة الملاعين. وأن يحبّب الخائن ويعزّز اللصوص، ويكيل لهم الألقاب والمدائح بدون حساب على مقاعد مجلس الشيوخ. وهذا في الواقع ما يدفع الأرملة الحزينة الى الزواج ثانية، ويسكب بلسماً شافياً على جراح المصابين بأبشع العلل المنبوذة ويمدّهم بنضارة ندى نيسان. وهذا لعمري ما لا تتمتّع به إلّا حثالة البشر، والبغايا والمتهتّكين الذين يزرعون الخزي والعار في صفوف بني قومهم. (تُسمع ضجة بعيدة كأنها مشية عسكرية). هذا قرع الطبول. على كل حال سأدفن أشلاءك النتنة أيها السارق الخسيس. سوف تمضي الى مكان بعيد لا يصل اليه إلّا المنبوذون المنفيّون. والآن عليّ أن أنجز مهمّتي.

(يتناول قبضةً من الذهب ويدفنها في الأرض).

(يدخل ألسيبياد على صوت الطبل والمزمار، تحيط به سريّة من الجنود، وترافقه فرينى وتيمندرا).

ألسيبياد : مَن أنت؟

تيمون : تائه مثلك. ليت السرطان ينهش سحنتك كيلا تريني مرة أخرى وجه شخص على شاكلتك.

ألسيبياد : ما اسمك؟ هل يسعك أن تبغض الانسان بصفة كونك أنت أيضاً انساناً مثله؟

تيمون : أنا أحب عمل الخير. ومع ذلك أكره جنس البشر. أما أنت فأودّ أن تكون كلباً أميناً كي يتسنى لي أن ألاطفك قليلاً.

ألْسيبياد : اني أعرفك جيداً. لكن ما حدث لك هو في الحقيقة سرّ غامض في نظري.

تيمون : أنا أيضاً أعرفك ولا أريد أن أدري بأكثر مما أعلم. حقّق رغباتك اذاً، واصبغ الأرض بدم بني آدم واجعلها مقبرة المتشدّقين. إن القوانين المدنية والحقوق الدينية لا ترحم أبداً، فكيف اذاً بالحروب المدمّرة؟ انها كالمومس الدنيئة الشرسة، تأسرك لتبتزّ كيانك بسلاح أمضى من حدّ السيف، رغم كل ما تظهره لك من غنج وعطف ودلال.

فريني : لتهترئ شفتاك ايها النمّام الخسيس.

تيمون : أنا لا أودّ معانقتك، بل أتمنى أن يشوّه الطاعون محياك.

ألْسيبياد : عجباً، كيف تبدّل النبيل تيمون بهذه الصورة ؟

تيمون : نظير القمر الذي لا يشع بنور من ذاته. غير اني مثله لم أتوصّل الى تنميق لمعاني، لأني لم أعد أجد شمساً تعكس أنوارها عليّ.

ألْسيبياد : أيها النبيل تيمون، أية خدمة تودّ أن اؤدّيها لك؟

تيمون : ليس هناك من خدمة سوى أن تتبنّى رأيي.

ألْسيبياد : وما هو رأيك يا تيمون؟

تيمون : عِدْني بأنك تظل صديقي، وحاول أن تفي بوعدك هذا. واذا كنت لا تقوى على وفاء الوعود، فلتعاقبك الآلهة كما ينقض أقدس العهود. واذا وفيت بوعدك، فليحلّ عليك الغضب لكونك انساناً كغيرك.

ألْسيبياد : لقد بلغني بغموضٍ ما أصابك من محن.

تيمون : ما لي أراك الآن تتمرّغ في أحضان عاهرتين؟

تيمندرا : أهذا هو ظريف آثينا الذي كرّمه واحترمه الجميع؟

تيمون : هل أنت تيمنْدرا؟

تيمندرا : نعم، أنا هي.

تيمون : إذاً حافظي دائماً على عهرك. لأن من يشاطرك فراشك الدافئ

لا يسعه أن يحبك. ومقابل ذلك جودي عليه بما يكمن فيك من جراثيم ورجاسة. واستخدمي ساعات اللذة كلها في إعداد الخلقين والحمّام، ولا تبخلي على الشبان بما يستحقون لقاء عفّتهم وورد خدودهم.

تيمندرا : أنت تستوجب أقسى العقاب، أيها المسخ الذميم، على كلامك هذا القبيح.

ألسيبياد : سامحيه يا تيمندرا الفاتنة لأن عقله غرق وضاع في لجّة ما انتابه من الكوارث الفادحة. لم يبقَ لديّ سوى القليل من الذهب، يا تيمون الشجاع، وتقصيري هذا يثير كل يوم نقمة جماعات المعوزين. لقد علمت أن آثينا التي لا تكترث لمصابك ولا تقدّر مزاياك الحميدة، نسيت بطولتك حين هاجمتها جاراتها وكادت تسحقها لولا بسالتك وسيفك الذي لا يعرف الكلل.

تيمون : أرجوك أن تقرع طبلك وتمضي.

ألسيبياد : أنا صديقك، ولا يسعني إلا أن أرثي لحالك، يا عزيزي تيمون.

تيمون : كيف ترثي لحال من يضايقه حديثك. أنا أفضّل أن أبقى وحيداً.

ألسيبياد : اذاً، الوداع. واليك بهذه الحفنة من الذهب.

تيمون : احتفظ به لنفسك، فأنا لا أستسيغ أكله.

ألسيبياد : غداً سأحوّل آثينا المتشامخة الى تلة ركام.

تيمون : هل ترغب في محاربة الآثينيين؟

ألسيبياد : أجل، يا تيمون. هناك اسباب عديدة تدفعني الى مقاتلتهم

تيمون : لتبيدهم الآلهة جميعاً بانتصارك عليهم. ولتهلك أنت أيضـ بعد ظفرك.

ألسيبياد : لماذا تتحامل عليّ، يا تيمون؟

تيمون : لأنك خلقت لتتزعّم أبناء وطني في مكافحتك الأنذال. احتفظ بذهبك. وهيا سرْ فوراً أمامي، بينما الاله المشتري ينفث سموم في الجو ويُوبئ سماء المدينة الفاسقة. لا تدع خنجرك يخطئ أحداً. كن بلا شفقة حيال الشيخ المسنّ ذي اللحية البيضا

لأنه مرابٍ عتيق ماكر. واضرب المشعوذة الخبيثة. ولا تدع خدود العذارى تلطّف حدّة سيفك البتّار، وإن كانت ثدياهنّ المليئان لباناً يأسران فوق صدورهن العارية أنظار الرجال المحرومين من الرقّة واللطف. اقطع أعناق الخونة المارين، ولا ترحم حتى بسمة الأطفال البريئة التي تجتذب العواطف بل اعتبرهم كلقطاء قد يطعنونك في ظهرك. صُمَّ اذنيك حيال صراخ الأمهات والعذارى والأولاد ولا تستجب التماس الكهنة الذين يحاولون التشفّع بالمساكين. كن المنتقم العنيد الذي يهلك كل من يتصدّى له. ولتشمل فورة سخطك الجميع بدون استثناء. هيا اذهب، ولا تنطق بكلمة واحدة.

ألسيبياد : ألا يزال الذهب في حوزتك؟ فأنا أقبل ذهبك وأرفض نصحك.

تيمون : إن قبلته أو لم تقبله، هذا شأنك وحدك. بينما أنا اطلب من السماء أن تصبّ عليك سيل لعناتها.

فريني وتيمندرا : اعطنا قليلاً من الذهب، يا تيمون الكريم. أولم يبقَ منه لديك؟

تيمون : أجل عندي ما يكفي لجعل الزانية تتوب ولحمل القوّادة على استدراج الغواني والمستهترات. ما أغربكما. هيا اخلعا العذار بشكل سافر. اذ ليس المطلوب منكما أن تلقيا المواعظ، وإن كنتما مثل الكثيرين، كما بلغني، تحلفان وتقسمان أغلظ الايمان زورا بصورة مخيفة تُرجف آلهة السماء الخالدين الذين يصغون اليكما. فوفرا الإرشادات واحتفظا بها لنفسكما. ومع من يحاول أن يهديكما سواء السبيل ضاعفا وقاحتكما واغراءاتكما، وأنبذا من يحضّكما على الاهتداء الى الخير. واتركا روحكما النجس يسيطر على من حولكما ولا تتنازلا أبداً عن مآربكما. ولكي تهوّنا عليكما آلامكما حاولا أن لا تشعرا بها إلا فيما بعد، خلال الأشهر اللاحقة، ولا تستهدفا غيرها. ثم استرا عورتكما بما يليق برفات الأموات، حتى إن كانوا ممن استحقوا الشنق

فهذا لا يضيركما. مهّدا لهم سبل الخيانة واتركاهم يتصرفون كبنات الهوى. ثم زيّنا وجهكما وتبرّجا بشكل جذاب، وأزيلا تجاعيد جبهتكما.

فريني وتيمندرا : حسناً. هذا مزيد من الذهب. وأعلم جيداً بأننا لن نتردد في أتيان أي عمل لأجل الحصول على المال.

تيمون : ازرعا بذور الشقاق حتى في أعماق الانسان وامسدا فخذيه وكبّلا رجولته. أخفضا صوت المشترع كي لا يستطيع أن يدافع عن أخطائه أو يفنّد حججه. قاوما من يتضرّع الى الآلهة لقهر الجسد وترسيخ الثقة بالنفس. أكسرا له أرنبة أنفه الملتوي حتى العظم ولا تتركاه يغادر الحلبة العامة إلا عندما يضطر الى الانسحاب مخذولاً أثناء ملاحقة مصالحه الخاصة. أنتف شعر المتبجّحين وحرّضاهم على مهاجمة من تنتقل اليهم عدوى الغرور واحرماهم تذوّق لذة الاستسلام لأهوائهم. اليكما بعض الذهب، خذاه وتنصّلا من اللعنات خشية أن تتحول هذه الحفر الى قبر يضمكما معاً.

فريني وتيمندرا : ها هي نصائح جديدة. وهذه كمية ثانية من الذهب، نحن نعطيك اياها، أيها الفاضل تيمون.

تيمون : عودا الى عهركما ما استطعتما اليه سبيلاً. فقد دفعت الآن لكما عربون إقدامكما على نشر الشر والفساد.

ألسيبياد : إقرعوا الطبول. وهيا نزحف على آثينا. الوداع، يا تيمون اذا نجحت في محاولتي سأعود اليك مرة أخرى.

تيمون : لم يخب ظني حتى اليوم، فلا تريني وجهك بعد الآن.

ألسيبياد : أنا لم أسبب لك أي ضرر في حياتي.

تيمون : لا بل تكلّمت عني بالحسنى.

ألسيبياد : وأنت تعتبر ذلك شرًّا.

تيمون : أجل، هذا شر يذهب الكثيرون كل يوم ضحاياه. هيا نتعاو

ونجعل من هذا الرجل يوميًّا ضحية جديدة. اذهب، واصطحب كلبتَيْك.

ألسيبياد : نحن نحرجه بهذا الحديث. هيا إقرع طبلك.

(يدق الطبل. ويخرج ألسيبياد وفريني وتيمندرا).

تيمون : هل يستطيع بإبائه مواجهة عقوق البشر والمحافظة على رحابة صدره؟ (ينبش الأرض ثانية) أيتها الطبيعة أمنا الحنون التي تنجب وتغذّي بلبانها الجميع، من الرجل المتعجرف الى الضفدع القاتم السواد والحية الرقطاء والجرذ الرمادي والزحّافات العمياء السامة وكل ما يدب من الحشرات البغيضة تحت القبة الزرقاء، وتثير كره الناس أولادك الذين يشكّلون جذوراً في أحشاء الأرض. أوليس الأولى بك أن تصابي بالعقم كي لا تنجبي هذه المخلوقات الناكرة الجميل. إحبلي بالنمور والثعابين والذئاب والدببة، أولاد المسوخ الجدد الذين يعجّون على وجه البسيطة ولا يحاولون حتى أن ينظروا الى رخام فلكك الناصع البياض. أهذه بعض جذورك؟ كلاّ، كلاّ. عليك أن تجففي عروقك وأن تعتّمي الأذهان وتجمّدي الأفكار.

(يدخل أبيمنتوس).

ها هوذا رجل آخر. يا للفظاعة.

ابيمنتوس : لقد دلّني البعض على مكان عزلتك. وقيل لي انك تسعى الى تقليد حركاتي ومحاكاة أعمالي.

تيمون : أتظن أنك قدوة مثالية، على البشر أن يجاروك. خَسِئْت.

ابيمنتوس : كل ما في شخصك مصطنع، وكآبتك البائسة سببها تدهور أوضاعك المضطربة. لماذا تحمل المجرفة وتلبس هذا الثوب الذي لا يرتديه إلاّ العبيد المحرومون، وتتّسم بهذه الطلعة الحزينة؟ ان المتزلفين اليك يتسربلون بالحرير ويحتسون الخمرة

ويرقدون على وسادات ناعمة ويحتضنون الحسناوات المتعطرات المراوغات. ولا يتذكرون تيمون الذي لم يَعُد له من وجود في أذهانهم. لن تكون أنت متزلفاً بدورك، بل اجتهد أن تغتني مما تقتنصه من الذين دهوروا أحوالك. ثم ضع مفصّلة مستعارة عند ركبتيك لتركع مراراً وتكراراً إن شئت أن تتملق كالمداهنين. فأطنب في مدح القباحات وأخلع قبّعتك احتراماً لهؤلاء المتعالين كما يفعل أصحاب الحانات لابتزاز أموال زبائنهم من السكارى المدمنين. ليس أسهل من اللجوء الى هذه الأساليب لتستعيد ثروتك المفقودة، ولا تحاول أبداً أن تقتدي بي.

تيمون : لو كنت أنا شبيهك لقتلت نفسي حتماً.

ابيمنتوس : لقد غابت عنك فضائلك وأنت تحاول تقليدي، فلم تفلح في الماضي. واليوم يستحيل عليك النجاح، لأن رياح الشمال الجليدية هبّت عليك، يا أيها المعتدّ بنفسك، وانتزعت عنك رداءك وحرمتك الدفء. أنت أشبه بالأشجار التي تحطّ عليها النسور عندما تجتاحها عواصف الخريف وتعرّيها من أوراقها اليابسة. ناد جميع المتجبّرين الذين يواجهون كل الاهانات في جوّ مكفهرّ ملبّد بالغيوم وهم شبه عراة يتعرّضون لبرد الشتاء وعوامل الطبيعة القاسية، واطلب منهم أن يتزلّفوا اليك، فتدرك سبب ما حلّ بك من نكبات.

تيمون : يا لك من أحمق. اذهب عني الى الجحيم.

ابيمنتوس : أنا الآن أقدّرك أكثر من أي وقت مضى، وأرثي لحالك.

تيمون : بينما كرهي لك يزداد حدّةً يوماً بعد يوم.

ابيمنتوس : لماذا؟

تيمون : لأنك تتملّق البؤس والشقاء.

ابيمنتوس : أنا لا أتزلف اليك، بل بالعكس أبيّن لك انك غبي قصير النظر

تيمون : لماذا أتيت اليّ؟

ابيمنتوس : لكي أضايقك.

تيمون : هذا عمل سافل لئيم. فهل يلذ لك أن تفعل ما لا ترتضيه؟

ابيمنتوس : لو كنت استسغت هذا العيش الجاف الصارم كي تعاقب كبرياءك لهان الأمر، لكنك تتصرف مكرهاً، وستعود الى اقتبال التمليق لو لم تكن معوزاً. لأن البؤس الراضي أفضل من الرخاء القلق، فالأول يمتصّ بدون أن يرتوي، والثاني يكتفي بما يحصل عليه. وأسوأ الحالات خارجاً عن القناعة هي حالة الأسى المفروضة، لأنها أدهى من التي يرافقها القبول. وعليك اذاً أن تطلب الموت لترتاح، أيها الشقي المنهوك القوى.

تيمون : لن أتمنى الموت بناءً على اقتراح من هو أتعس مني. أنت لص لم تشملك الثروة بدفئها المرتجى، بل عاملتك كالكلب الأرعن. لو كنت مثلنا عرفت في طفولتك نعومة العيش الرغيد وذقت طعم أطايب الدنيا، وإن عابرة، لخضعت لمشيئة الأقدار وانسقت وراء أهوائك واستسلمت إلى الاستهتار. ولكنت صرفت شبابك فوق أسرَّة التهتّك وارتميت في أحضان العاهرات. أما أنا فاعتصمت بالامتناع عن الموبقات. لذا دانت لي الأفواه والألسنة بالثناء والعيون والقلوب المُحبة التي لا تُحصى والتي كنت أخدمها بمعاناة، وكانت متشبّثة بي نظير أوراق شجر البلّوط بأغصانها الوارفة. غير أن عواصف الشتاء انتزعتها وبقيت الأشجار تحت رحمة الرياح الهوجاء التي هبّت عليها من كل صوب. وبالنسبة اليّ أنا الذي لم أعرف سوى السعادة والرخاء صعب عليّ احتمال هذه التقلّبات القاسية. لكن بالنسبة اليك، أنت منذ طفولتك تعوّدت شظف العيش والعذاب والشقاء، فاكتسبت الصلابة بمواجهتك مشاكل الحياة وصعوباتها لماذا تكره الناس اذاً؟ وهم لم يتملقوك أبداً. ماذا أعطيتهم؟ واذا كنت عازماً على كيل اللعنات، فوالدك هو الأوْلى بها. لأنه كان فقيراً معدماًوأنجبك على مثاله وربّاك

في البؤس والعوز وأورثك الفاقة والحرمان. فهيّا ابتعد عني، واذهب. ولو لم تخلق في وسط وضيع لكنت زاولت الدسّ والتزلّف واغتنيت.

ايمنتوس : ألا تزال فخوراً بما وصلت اليه؟

تيمون : أنا فخور بأني لست نظيرك.

ايمنتوس : وأنا فخور بأني لم أكن يوماً مسرفاً مثلك.

تيمون : أما أنا فأفتخر بأني لا أزال كريماً سخيّ الكف. عندما تستأثر بممتلكاتي، سأطلب منك أن تشنق نفسك. هيا اذهب عني. فان كل حياتك التي قضيتها في آثينا ليست سوى تدجيل وتضليل. أنظر كيف سأفترسك.

(يأكل الجذور).

ايمنتوس (يقدم له بعض الطعام) : كُلْ هذا. أريد أن أحسّن طعامك.

تيمون : أبدأ بتحسين محيطي الذي ينفرج بغيابك عني.

ايمنتوس : أما أنا فتتحسّن بيئتي عندما أبتعد عنك.

تيمون : عوضاً عن أن تحسّنها هكذا، أنت تفسدها، ولسوف لا أتحسّر على فقدانك.

ايمنتوس : ما هي رسالتك الى مدينة آثينا؟

تيمون : لتدمّرها العواصف. قل لأبنائها، إن شئت، اني أمتلك ذهباً. ها هوذا أمام عينيك.

ايمنتوس : هنا لا فائدة من بريق الذهب.

تيمون : لا أفضل ولا أخلص منه. لأنه ها هنا يرقد ولا يثير الفتن

ايمنتوس : أين ستنام هذه الليلة، يا تيمون؟

تيمون : سألتحف السماء التي فوقي ترقب. لكن أين ستأكل أنت أثناء النهار، يا ايمنتوس؟

ايمنتوس : حيث يجد فمي مأكله، أو حيث يتسنى لي أن أتناول أي طعام

تيمون : عجبي، كيف لا يجد السمّ طريقاً الى أمعائك لتلبية رغبتي في غيابك عني.

ايمنتوس : وكيف تريده أن يسري؟

تيمون : كم أودّ أن يمتزج بأطعمتك.

ايمنتوس : أنت لم تعرف الحلول الوسطى أبداً في حياتك، بل ملت الى التطرّف والتناقض. فعندما كنت ترتع في أقذارك وعطورك، كنت موضوع تندّر وسخرية بنعومتك الزائدة التي فقدتها عندما أصبحت ثيابك أسمالاً بالية وبتّ أضحوكة الجميع من حولك بشذوذك. هذه الليمونة لك وتستطيع أن تأكلها وتتلذّذ بشهيّ مذاقها.

تيمون : أنا لا أقتات بما لا أحب تناوله.

ايمنتوس : وهل تكره الليمون؟

تيمون : نعم أنا أكره الليمون الذي تقدمه لي، لأنه بغيض في نظري.

ايمنتوس : لو كرهت الليمون أكثر من التزلف لكنت اليوم في أحسن أحوالك. هل عرفت يوماً أحد المسرفين، بعد أن خسر ما يملك، ظلّ الناس ينظرون اليه بعين الاعتبار؟

تيمون : وهل عرفت أنت رجلاً، وسائله كالتي تتكلم عنها أحبّه محيطه؟

ايمنتوس : نعم، شخصك الغريب الأطوار.

تيمون : أنا أفهم عقليتك. وأعتقد أن الأولى بك أن تطعم الكلاب.

ايمنتوس : من تظنّه يتقرّب الى المتملق أكثر منك؟

تيمون : المرأة المغرضة. لكن الرجل هو والمتزلف توأمان. وماذا تفعل بالناس، يا أبيمنتوس، لو تسلطت عليهم؟

ايمنتوس : أولاً، ألقي بك الى الوحوش الضارية، لأنك تريد التخلّص من أخوانك البشر.

تيمون : أظنك تريد أن تعيش بين البهائم بعد أن تقضي على البشرية، لتصاحب الوحوش وأنت منها.

ايمنتوس : أجل، يا تيمون، هذه أمنيتي.

تيمون : هذا طموح غريب عجيب. اسأل الآلهة أن تساعدك على بلوغ مأربك. لو كنت أسداً لوجب عليك أن تعلم أن الثعلب يخدعك. ولو كنت حملاً، فالذئب يفترسك، ولو كنت ثعلباً أو ذئباً لأثرت شكوك الأسد عندما يشكوك الحمار اليه، ان سخافتك لا تزيد عذابك. حقاً أنت لا تنفع إلّا لأن تكون طعام الذئب. سيجلب طمعك لك الاضطهاد. وستبحث سدًى عن لقمة تسدّ بها رمقك. فلو كنت حيواناً نادراً كحيوانات الخرافة لقادك شموخك المتعجرف حتماً الى الهلاك، وذهبت ضحية غضبك. وإن كنت دبًّا قضى عليك الحصان، وإن كنت حصاناً انقضّ عليك الفهد، وإن كنت فهداً أصبحت من أقرباء الأسد، وما تربحه بهذه القرابة سيكون مدعاة تآمر عليك حتى يسلبك الحياة. فما لك منجاةٍ سوى الهرب، ولن تغنم نفسك إلا حين تختفي. ومهما كنت وحشاً ضارياً، ستبلى بوحش أشرس منك فتكاً. وسيكون هلاكك عندئذٍ أفضل من تحوّلك وتبديل كيانك.

ايمنتوس : لو استطعت أن ترضيني بالكلام لنجحت حالاً. لأن جمهورية آثينا غدت غابة لا تأوي اليها إلا البهائم.

تيمون : هل تجاوز الحمار أسوار المدينة، وصرت الآن في خارجها؟

ايمنتوس : ها هوذا رسام وشاعر قادمان الينا. أتمنى أن يداهمك وباء معشرهما الذي أخشاه وأودّ أن أنجو منه. وحين لا أدري ما أفعل بغية اضاعة الوقت، سآتي اليك لأراك.

تيمون : عندما لن يبقى سواك فقط من الأحياء، سأقول لك أهلاً وسهلاً. لكني أفضّل على ذلك أن أصبح كلباً حقيراً بشرط أن لا أشبهك، يا ايمنتوس.

ايمنتوس : حتماً أنت أتعس كل المجانين الأحياء في هذه الدنيا.

تيمون : عجباً، لماذا أنت بعيد هكذا عن الأناقة واللياقة، ولا تستحق أن يبصق المرء عليك لقذارتك.

ايبمنتوس : ليت الطاعون يفتك بك، لأن اللعنة كثيرة عليك.
تيمون : جميع الأنذال أطهر منك.
ايبمنتوس : كلامك أبغض عليّ من البرص.
تيمون : عندما أذكُرك أودّ أن أكيل لك الضربَ المبرّح. لكني أخشى أن ألوّث يدي.
ايبمنتوس : كم أودّ أنا أن أحطّم رأسك جزاء على حديثك البذيء.
تيمون : اليك عني أيها الكلب الأجرب. ان مجرد رؤيتك حيًّا تكاد تقتلني من الغمّ، ومنظرك الكريه يسبب لي التقيّؤ.
ايبمنتوس : كم أتمنى لك الموت الزؤام لأرتاح من سماجتك.
تيمون : ابتعد عني، أيها النذل الجبان. كم أشتهي أنا أن أرجمك رجماً.

(يرميه بحجر).

ايبمنتوس : يا لك من وغد لئيم، لأنك لا تنطق إلا شرًّا.
تيمون : تبًّا لك، أيها الشقي الوقح.
ايبمنتوس : حقاً أنت ضفدع حقير.
تيمون : أنت نذل، نذل، نذل. (يتظاهر ايبمنتوس بالانسحاب ويختبئ). لقد سئمت هذا العالم المنافق. ولم أعد أريد سوى ما لا غنى لي عنه. اذاً، يا تيمون، احفر قبرك حالاً واختر مكاناً ترتاح اليه حيث زبد البحر يلامس كل يوم رمسك بشكل يجعل غيرك يحسدك عليه. (ينظر الى الذهب) وأنت أيها القاتل المحبوب، يا مفرّق الابن عن أبيه، يا مدنّس أطهر الزيجات. أيها المغري الذي يظلّ شاباً معشوقاً ولا يشيخ، ويبقى دائماً ظريفاً محبوباً مورّد الخدين لا تذوي بشرته البيضاء كالثلج الناصع الذي يمجّد الإلهة ديانا. أيها الربّ المصلح، والساحر الذي يأسر القلوب ويستعبد البشر، يا معبود الكبار والصغار، يا مضلّل الفضيلة ومروّج الفوضى والعداء في سائر انحاء المسكونة.

ايمنتوس : سأخبر الناس انك تملك ذهباً، كي يتقاطر عليك الجميع من كل حدب وصوب.

تيمون : يتقاطر عليّ الجميع؟

ايمنتوس : نعم، نعم.

تيمون : كم مرة طلبت منك أن تدير لي ظهرك وترحل. بحياتك، أغرب عن وجهي.

ايمنتوس : عش طويلاً، وتشبّث ببؤسك وشقائك.

تيمون : عش أنت دهوراً، ومت متمسّكاً بحقارتك وانحطاطك. (يخرج ايمنتوس) الآن ارتحت من سماجته. ما أبغض المنافقين أمثاله. والآن كُلْ، يا تيمون، والعنهم جميعاً.

(يدخل بعض السارقين).

السارق الأول : من أين جمع كل هذا الذهب؟ هو ربما من بقايا ثروته وأيامه السعيدة. ان حاجته الى المال مؤخراً، وجحود أصدقائه قد زجّاه في غياهب هذه الكآبة.

السارق الثاني : تسري الشائعات القائلة أن ثروته طائلة لا تأتي عليها النيران.

السارق الثالث : تعالوا اذاً نسطو عليه. فإذا لم يقاوم، نضطره الى التنازل عن ذهبه بسهولة. أمّا اذا قاتل في سبيله كالبخيل فلن نعدم وسيلة للحصول عليه.

السارق الثاني : هذا صحيح. انه لا يحتفظ بالذهب في جيوبه، بل يخبّئه في مكان أمين.

السارقون معاً : نعم، نعم.

السارق الثاني : كل الدلائل تشير الى ذلك.

السارق الثالث : ها هو بعينه، وأنا أعرفه جيداً.

السارقون (يقتربون من تيمون) : السلام عليك، يا تيمون.

تيمون : ماذا تريدون مني، أيها اللصوص؟

السارقون : لا لسنا لصوصاً. نحن جنود.

تيمون : أنتم جنود ولصوص معاً، فضلاً عن أنكم أيضاً أولاد حوّاء.

السارقون : كلا لسنا لصوصاً بل مساكين محتاجين.

تيمون : وحاجتكم القصوى هي الى المزيد من المآكل. ماذا تبغون؟ الأرض فيها جذور، وضمن مدى ميل واحد يوجد مئة ينبوع ماء. وشجر البلوط يحمل الكستناء، والأشواك تحمل الثمار الحمراء. وهكذا تضع الطبيعة بين أيديكم شتى الأصناف من الأطعمة. فما هي حاجتكم اذاً؟

السارق الأول : نحن لا نستطيع أن نقتات بالأعشاب والعنبيّة والماء نظير البهائم والعصافير والأسماك.

تيمون : ألا يمكنكم أن تقتاتوا بما ذكرتم؟ فلا بد من أن تفترسوا الناس لتسدّوا جوعكم. مع ذلك، هذا لا يهمني. أنا مسرور بأنكم تمتهنون السرقة المكشوفة، وتتسترون خلف مهنة أنسب منها. أيها اللصوص المجبولون بالوقاحة والكذب، ها هو الذهب، هيا احتسوا رحيق الكرمة حتى يختمر عصير العنب في بطونكم فيهوّن عليكم عذاب حبل المشنقة. لا تثقوا بالطبيب لأن عقاقيره مسمومة، وهو يقتل أكثر مما تسرقون. خذوا مني مالي وحياتي. نفّذوا جريمتكم حسب اصول مهنتكم الحقيرة. وأنا ادلكم على نماذج من السرقة التي تحصل في كل مكان حولنا. فالشمس سارقة بجاذبيتها الهائلة التي تسرق البخار من البحر. والقمر سارق لا يستحي لأنه يستمدّ نوره من الشمس، والمحيط سارق لأن أمواجه تسلب القمر بريقة اللطيف، والأرض سارقة لأنها تتغذّى بمواد تغوّط جميع البشر والحيوانات. الجميع يسرقون حتى القوانين التي تردعكم وتعاقبكم بالسياط هي سارقة تسلبكم حريتكم وحقوقكم. فلا يحب أحدكم الآخر. هيا اسرقوا بعضكم بعضاً. فهذا مزيد من الذهب، اقطعوا الأعناق كأن جميع من تقابلوهم من اللصوص. امضوا الى آثينا، واكسروا أبواب المخازن، وكل

ما تسرقونه سينهبه اللصوص أمثالكم. وأنا مهما أعطيتكم، لا تترددوا في سرقة كمية أكبر منه. لذا أتمنى أن يصيبكم العجز والارتباك. آمين ثم آمين.

(يدخل الى كهفه).

السارق الثالث : لقد كاد أن يكرّهني بمهنتي، وهو يريد أن يرغّبني بها ويشجّعني عليها.

السارق الأول : نصحه متأتٍ من شدّة الكره الذي يضمره للجنس البشري، وليس عن رغبة في رؤيتنا ناجحين في أعمالنا.

السارق الثاني : أودّ أن أصدّقه كما أصدّق أعدائي، وأريد تغيير مهنتي.

السارق الأول : انتظروا استتباب الأمن في آثينا. فالوقت الآن يسوده البؤس، ولا يتسنى للمرء أن يحتفظ بكرامته.

(يدخل فلافيوس).

فلافيوس (يتطلع الى الكهف حيث انسحب تيمون) : أيتها الآلهة، هل هذا هو مولاي، هذا الرجل المنبوذ الذي خسر كل ما يملك، وأضحى فريسة الانحطاط والتدهور؟ يا للصُدف الملائمة التي تقع في غير محلها. ماذا دهاه من الشدائد حتى سيطر عليه البؤس والشقاء على هذا النحو الجائر. ما أقذر الأصدقاء الذين يجرّون المرء الى مثل هذا الدرك من الهوان. ان عوزه أوصله الى حضيض المذلة وحمله على التماس العون من اعدائه. ليتني أستطيع أن أميّز بين المحبة الخيّرة والبغضاء التي يغذّيها الحقد الدفين. أظنّ أنه أبصرني وأشاح بوجهه عني. أولا يجمل بي أن أقابله بأمانة وقد كرّست حياتي لخدمته. فهو مولاي العزيز الذي طالما أخلصت له الودّ.

(يخرج تيمون من كهفه)

تيمون : اليك عني أيها الغريب. من أنت؟

فلافيوس : هل نسيتني، يا مولاي؟

تيمون : لماذا سؤالك هذا؟ أنا قد نسيت كل البشر. وإن اعتبرت نفسك منهم، فثق باني نسيتك أنت أيضاً.

فلافيوس : أنا خادمك الأمين الوفي.

تيمون : اذاً أنا لا أعرفك، لأني لم أجد رجلاً أميناً ووفياً في خدمتي. ولأن من كانوا حولي ليسوا سوى لصوص خدعوني وقدّموا طعامي للأنذال الذين سببوا خراب بيتي.

فلافيوس (والدموع تسيل على خديه) : تشهد السماء اني وكيل صادق مخلص، أندب بكل وفاء تدهور أحوال معلمي.

تيمون : ماذا أرى؟ هل تبكي يا هذا؟ إقترب مني. فأنا أقدّرك لأنك كالنساء تنعي الرجولة الصامدة التي لا تدمع عيناها إلا بسبب التهتك والمجون. فالتقوى غابت عن الوجود. وما أغرب هذا الجيل الذي تسيل دموعه، لكن من شدة الضحك.

فلافيوس : يا مولاي الفاضل، أرجوك أن تعرفني وتلاحظ ألمي، وان تصدّقني اذا التمست منك أن تحتفظ بي كوكيلك عساي أساعدك على التخلّص من محنتك بما تبقّى لديّ من مال قليل.

(يمد اليه محفظة صغيرة مملوءة نقوداً).

تيمون : هل كان لدي وكيل هكذا أمين ومستقيم؟ واليوم هو بهذا المقدار غيور يحب عمل الخير؟ هذا يضعضع الآن أفكاري التي زعزع يقينها الشك. دعني أتفحّص محياك. من المؤكد أنك رجل ولدته امرأة. اعذرني اذا ثرت على البشرية. يا أيتها الآلهة العادلة، انا أعلن عن وجود رجل شريف واحد فقط لا أكثر، هو وكيلي الأمين. أنا لم أعد أقوى إلا على كره البشر جميعاً ما عداي طبعاً. لذا أصبّ عليهم سيل لعناتي. يخيّل اليّ في هذه اللحظة، انك شريف أكثر مما أنت عاقل، لأنك عندما حطمتني بخيانتك، كنت وجدت بكل سهولة

عملاً آخر عند سواي. فكثيرون يبحثون عن معلم جديد، وهم لا يزالون يزاولون عملهم السابق. لكن قل لي بصراحة، اذ لا بدّ لي من أن أشك رغم وضوح الموقف وانجلائه، إن كان سخاؤك رياءً محسوباً، نظير كرم المرابي الغني الذي يضاعف هداياه على أمل أن يستردّ قيمتها عشرين ضعفاً.

فلافيوس : لا، يا مولاي الكريم. ان دخول الشك وسوء الظن الى قلبك جاء متأخراً. كان عليك، أيام عزّك، أن تتّقي عالماً جاحداً. غير أن الشكوك تستفيق عادة بعد فوات الأوان. والسماء تعلم أن سؤالي هو من قبيل المودّة والغيرة على مصالحك وعلى دوام سعادتك وهنائك. صدّقني، يا مولاي المكرّم، سأتنازل عن كل ما ينوبني من فائدة وأضعها بتصرفك من الآن فصاعداً. طبعاً اذا أصبحت لديك امكانية التعويض عن مظاهر غناك.

تيمون : انظر وتأكد أيها الرجل الشريف الوحيد. خذ هذا (يعطيه ذهباً) اطلب من الآلهة أن يخفّفوا وطأة مصابك وان يعيدوا اليك الثروة والسعادة، لكن بشرط أن تسكن بعيداً عن الناس. أنبذهم كلهم والْعنهم، ولا تشفق على أحد. وقبل أن تغيث المتسوّل دع لحمه النتن يتساقط عن هيكله العظمي. واعطِ الكلاب ما تمنعه عن البشر. اتركهم يقضون أعمارهم في السجون، بعد أن تثقل كاهلهم الديون وتحطم نفوسهم الهموم ليظلّوا موحشين كالغابات الكثيفة، وان تفسد الأمراض دمائهم النجسة. وبناءً على هذا استودعك وأتمنى لك الرخاء ومديد الأيام.

فلافيوس : دعني أمكث الى جانبك لأعزّيك وأسلّيك، يا مولاي.

تيمون : اذا كنت تخاف اللعنة، لا تبقَ هنا. بل أهرب بينما أنت لا تزال مباركاً ومعافى. لا تنظر الى أي انسان بعد الآن ولا تدعني أرى وجهك ثانية.

(يفترقان).

الفصل الخامس

المشهد الأول
أمام كهف تيمون

(يدخل الشاعر والرسام. يراقبهما تيمون بدون أن يبصراه).

الرسام : اذا كانت كل المعلومات اللازمة التي حصلت عليها صحيحة، فلا بد من أن نكون غير بعيدين عن مقره.

الشاعر : ما هي الفكرة التي يجب علينا أن نكوّنها عنه؟ هل حقًّا علينا أن نصدّق، كما يقال، أنه يختزن كثيراً من الذهب؟

الرسام : هذا لا شك فيه. ألسيبياد يؤكّد ذلك، وقد أخذت فريني وتيمنْدرا منه ذهباً. وأعطى أيضاً بعض الجنود المحتالين كمية كبيرة منه أغْنَتْهم. ويقال أيضاً انه منح وكيله مبلغاً لا بأس به من المال.

الشاعر : اذاً لم يكن افلاسه إلا حيلة ليخدع دائنيه.

الرسام : لا أعتقد أن في الأمر مسألة أخرى. ستراه في أحسن أحواله قريباً تحت سماء آثينا، وهو من كبار الأثرياء والأعيان. اذاً لن نكون مخطئين عندما نعرض عليه خدماتنا، وهو الآن في بؤسه المتحَل. وستكون بادرتنا الشريفة في محلها، وسنؤمّن

هكذا تحقيق حلمنا وأمانينا بمجيئنا اليه ها هنا. طبعاً اذا كانت الاشاعات عن غناه حقيقة أكيدة.

الشاعر : ماذا ستعرض عليه في الوقت الحاضر؟

الرسام : لا شيء سوى زيارتي، فأنبئه بأني سأقدّم له احدى لوحاتي الرائعة.

الشاعر : وأنا أيضاً سأعده بأن أقدّم له قصيدة عصماء.

الرسام : هذا أمر مشكور. لأن الوعد يفرح القلب ويريح الفكر ويفتح العيون على كل غريب عجيب. أما التنفيذ فهو قضية أقل أهمية إلا فيما بين الناس السذّج البسطاء الذين يعتبرون وفاء الوعود واجباً لا بُدّ منه في حياتهم. فلا أجمل ولا ألطف من الوعود. بينما الوفاء بها هو نوع من التورية أو الأمر البراق باشباع رغبة عزيزة على قلب صاحبها.

تيمون (على حدة) : أنت فنان موهوب تعرف جيّداً كيف ترسم رجلاً شنيعاً مثلك.

الشاعر : اني أتساءل عن العمل الذي سأنجزه لأرضيه. لا بد من أن يكون تجسيد شخصيته بالذات. فأذمّ تراضي الازدهار وأفضح الكثير من التزلّف الذي يستهوي الشبان الأثرياء.

تيمون (على حدة) : هل تودّ أن تكون بين المقصّرين في عملك؟ هل تريد أن تُضرب بالسياط بسبب نقائصك البارزة التي تحاول أن تخفيها وراء مزايا غيرك؟ افعل ما تشاء وأنا أخصّك ببعض الذهب.

الشاعر : اذاً لنبحث عن رغبتنا الأكيدة، اذ أننا نعارض مصالحنا المفيدة حين نسير ببطءٍ فترات طويلة.

الرسام : هذا عين الصواب. وفيما الأيام تبسم لك قبل هبوط الظلام الحالك. عليك أن تجد ما تصبو اليه بعيداً عن المهالك. تعالَ

تيمون (على حدة) : سألتقي بكما عند المفرق التالي. حقاً ان الذهب رب معبود في هيكل أكثر دنساً من زريبة الخنازير القذرة. فأنت

اذاً تجهّز السفينة وتركب الأمواج، وتُسبغ على البائس احتراماً واعجاباً. أنت تشجّع الناس على التمسّك باهداب التقوى. وأنا أسأل القديسين الذين يستجيبون نداءك أن يتوّجوك بأكليل من الشوك. فهيا بنا نواجههم.

(يتقدم).

الشاعر : السلام عليك، يا تيمون.

الرسام : مولانا السابق ومعلمنا النبيل.

تيمون : أشكر السماء لأني عشت الى هذه اللحظة كي أشاهد سيّدين شريفين.

الشاعر : لقد شملتنا مراراً بسمو أخلاقك وكرمك. وإذْ علمنا بأمر انزوائك وابتعادك عن ناكري الجميل من أصحابك، وبخسّة نواياهم، إنفطر قلبنا حزناً على تعثّر حظك. فاعلم أن السماء لا تملك القصاص الكافي لمعاقبة من يستحقون الجلْد لأنهم قابلوا سخاءك المعهود بالعقوق، بعد أن غمرتهم بنعمك وهداياك. ولو بذلوا الغالي والرخيص في سبيل ردّ جميلك لظلّوا مقصرين. أنا حقًّا خجول من أفعالهم الدنيئة ولا يسعني ايجاد الكلام الوافي لوصف حقارتهم ونذالتهم.

تيمون : دعِ الحقيقة عارية ليراها الجميع بوضوح. فأنتم الشرفاء تُبرزون الفرق الشاسع القائم بينكم وبينهم.

الرسام : أنا وزميلي قطعنا شوطاً بعيداً في حياتنا وعرفنا جيداً مقدار أعمالك الخيرية التي أفعمتْ صدورنا سروراً وحبوراً.

تيمون : نعم، أنا أعرف أنكما رجلان شريفان.

الرسام : وقد جئناك الى هنا لنعرض عليك خدماتنا.

تيمون : أجل، أنتما رجلان شريفان. وأنا لا أدري كيف أبادلكما معروفكما. هل تستطيعان أن تأكلا جذور النبات وأن تشربا الماء الجاري؟

الشاعر والرسام : نحن على أتم الاستعداد لعمل ما بوسعنا في سبيل ارضائك
تيمون : حقاً أنتما رجلان شريفان بكل معنى الكلمة. علمتما بأن لد ذهباً فسارعتما الى موافاتي، وأنا واثق باخلاصكما. بوحا به الحقيقة، بما أنكما رجلان شريفان نزيهان.
الرسام : لقد فهمنا ما تريد أن تقول، يا مولانا النبيل. غير أننا، ورفيقي، لم نأتِ اليك لهذا السبب.
تيمون : انتما طيّبا القلب سليما النية. (للرسام) وأنت بصفتك رسّا أعتقد بأنك متفوّق في فنك الرفيع تحت سماء آثينا، ولوحات ناطقة بالحيوية والروعة.
الرسام : بشكل مقبول، يا مولاي.
تيمون : أنا لا أقول سوى الحقيقة المجرّدة، يا عزيزي. (للشاعر) أنت فبخيالك المحلّق وأشعارك الرقيقة وقلمك السيّال وسهو أسلوبك الساحر، تظل طبيعياً بعباراتك الزاهية الرشيقة. لكن رغم كل هذا، أيها الصديقان الشريفان، يجب عليّ أن أصرّ لكما بأفكاري الواقعية، أنكما قد ارتكبتما خطأً بسيطاً. ليس في ما تعرضان ما يطمئن النفس، ولا أريد أن أطل منكما إصلاح هذه الهفوة الزهيدة.
الرسام والشاعر : بالعكس سنكون ممتنّين جداً، يا مولانا...
تيمون : لا أعتقد أن هناك من داعٍ الى ذلك.
الرسام والشاعر : لا مجال للشك مطلقاً في نوايانا الطيبة، يا مولانا
تيمون : كل واحد منكما يثق بزميله المخاتل الذي يخدعه بوقا واضحة.
الرسام والشاعر : لا تغالط نفسك، يا مولانا، بهذا الظن السيّئ.
تيمون : نعم، نعم. كل منكما يعرف جيداً ان رفيقه كاذب مناف وأنه يموّه عليه الحقيقة ويغشّه صراحةً. ومع ذلك يسا ويتظاهر بتصديقه ويشاطره رأيه، وهو يعلم علم اليقين ا مرائي متغرّض.

الرسام : أنا لا أعرف أحداً بمثل هذه الأوصاف، يا مولاي.

الشاعر : ولا أنا، على الاطلاق.

تيمون : إسمعا كلاكما ما أقول : أنا أودّكما كثيراً وسأمنحكما ذهباً. لكني أسألكما أن تطردا هذين الشقيّين وتبعداهما من هنا. إطْعَنا كلاً منهما بالخنجر واغرقا الأثنين في المرحاض. أهلكاهما معاً بأية وسيلة كانت، وعودا اليّ كي أغمركما بالذهب الرنان.

الرسام والشاعر : قل لنا من هما اللذان تعنيهما، يا مولانا، لكي نعرفهما وننفّذ طلبك.

تيمون : اذهب أنت من جهة وليذهب هو الآخر من جهة ثانية وستلتقيان كلاكما معاً. كل منكما اذا انفرد بنفسه لا يبقى له رفيق في غاية الخاسة. (يشير للشاعر إلى الرسام). اذا شئت أن لا يكون النزل حيث توجد أنت، ابتعد عن رفيقك (يشير للرسام الى الشاعر). وأنت ان شئت أن لا يكون النزل بصحبتك، ابتعد عنه فوراً. إليكما عني، هيّا أخليا هذا المكان بدون تأخير. لقد جئتما الي لتستوليا على ذهبي. فاليكما بما تستحقان، أيها الشقيّان. أتيتما الى هنا للقيام بعمل معيّن سافل، وهذا ما يحقّ لكما من أجر. أغْربا عن وجهي. أنتما دجّالان خبيران في علم الكيمياء، فحوّلا هذا الحجر الى ذهب. هيا ابتعدا عن هذا المكان، أيها الكلبان المسعوران.

(يطردهما ويرجمهما بحجر. ثم يدخل الى الكهف).

(يدخل فلافيوس واثنان من شيوخ المجلس).

فلافيوس : هو حاقد منشغل بنفسه الى حدّ أنه بات يكره كل ما يذكّره بجنس البشر.

الشيخ الأول : قودونا الى كهفه. فقد وعدتم الآثينيّين بأن نتيحوا لنا فرصة التحدث الى تيمون.

الشيخ الثاني : على كل حال ليس كل الرجال متشابهين. ولا ننسَ ان

الشدائد حوّلته الى ما هو عليه الآن. فما على الزمان إلاّ أن يعيد اليه حظه السعيد الماضي، ويُرجع أيامه الهنيئة السابقة. فلربما استأنف وجوده كما كان في أوائل حياته. هيّا، خذونا اليه ولنرى كيف تسيّره الظروف.

فلافيوس : ها هو كهفه. نتمنى أن يخيّم السلام على هذا المكان. مولاي تيمون، يا مولاي تيمون، تعال، وكلّم أصدقاءك. فالآثينيون يرسلون لك أحرّ التحيات مع اثنين من الشيوخ المحترمين. حدّثهم، أيها النبيل تيمون.

(يظهر تيمون عند مدخل الكهف).

تيمون : يا أيتها الشمس المتوهّجة، إستجيبيني واحرقيهما. تكلّما، أيها الشقيان. وليلدغ الكذب كالعقرب لسانكما من جذوره، ولتهلكا عند تلفظكما بأول كلمة نابية.

الشيخ الأول : أيها الرجل الوقور تيمون.

تيمون : هل أنا وقور، وأهلٌ لمجتمعكم الجليل؟

الشيخ الثاني : شيوخ مجلس آثينا يحيّونك، يا تيمون المفدّى.

تيمون : أشكرهم، وأنا بكل طيبة خاطر أتمنى لهم أن يصابوا بالطاعون الذي إن أمكنني أوصلته اليوم اليهم.

الشيخ الأول : أرجوك أن تنسَ الاساءة التي تأسف كلّنا أن تكون قد لحقت بك. فالمسامح كريم. والشيوخ تحت راية الحب والوئام يطلبون حضورك الى آثينا، لمنحك امتيازات فريدة لا ينعم بها أحد في الوقت الحاضر، ويرجون قبولك بها كعربون تقدير واعتبار.

الشيخ الثاني : هو يعترف بأن العقوق والاستهتار بمآثرك شمل الجميع. واذا بالشعب الذي لا يتغاضى ولا يتراجع أمام انتقاص الكرامة يشعر بمدى حاجتك الى الإنصاف والتعويض، يا تيمون. لذا كلّفنا بأن نعبّر لك عن أسفه الشديد لما انتابك ظلماً وبهتاناً

وان نعرض عليك تعويضاً يوازي ما لحق بك من امتهان كرامتك، ويقدّم لك مبلغاً وافراً من العطف والمال بشكل يمحي ما أصابك من ضيم وحيف، وأن يحيطك بما تستحقه من محبة وإجلال.

تيمون : انكما تشرحان صدري بهذه العبارات الرقيقة وتستدرّان من عينيّ أحرّ دموع الابتهاج. إئتياني بقلب رجل منحطّ وعيني امرأة مخادعة، فتجعلاني، أيها الشيخان، أبكي من شدّة الفرح.

الشيخ الأوّل : هكذا تودّ أن تتراجع عن عزلتك وتعود الى ما بيننا وتستعيد زعامتك وقيادتك الحكيمة. لأن وطنك هو أيضاً وطننا. ستُستقبَل بآيات الشكر والولاء وتُسلَّم مقاليد السلطة المطلقة، وسيكون لشخصك المفدّى أرفع مقام. نحن على أتمّ الاستعداد لنبذ مساعي ألسيبياد الطائشة، ولإقتلاع شوكة الخنزير القذر الذي هدم دعائم السلام والوئام في بلادنا الحبيبة.

الشيخ الثاني : وبرهاناً على ذلك قد أشهر سيفه مهدّداً عند أسوار آثينا.

الشيخ الأول : وهكذا، يا تيمون...

تيمون : نزولاً عند رغبتكما، أقبل ما تتقدّمان به. فاستمعا إليّ : إذا تجاسر ألسيبياد وقتل مواطنيّ، فبلّغوه من قبلي، انا تيمون، ان هذا سيّان عندي. اما اذا شوّه جمال آثينا ومرّغ بالوحل شيب المسنّين فينا ودفع بعذارى مدينتنا الى مذلّات الحرب بوحشيةٍ وعنفٍ فقولا له بإصرار، وكرّرا قولي أنا تيمون، اني أقسم بإشفاقي على المسنّين وعطفي على الصبايا بأن هذا الأمر أيضاً عندي سيّان. ليفهم كل انسان هذا كما يشاء. وأنا أدرى من سواي بأن في الميدان ليس أغلى من رقبة آثينا الموقرة. هكذا أغادركم ولا استودعكم حماية الآلهة، كما يؤتمن الجلاد على عنق اللص عند شنقه.

فلافيوس : هيا انسحبا. فكل جهودكما ذاهبة سدًى.

تيمون : اليكما بهذا النبأ المثير : كنت أكتب رسالة لأبعث بها غداً

الى مناوئيّ. فامتنعت بسبب اعتلال صحتي، وقد أخذت شمسي تميل نحو الغروب لتغوص حياتي في لجة العدم. هيا تمتعا بالوجود، ولتنزل بألسيبياد ضربة قاضية تزهق أنفاسه. وما دمتما تخصّانه، أتمنى لكما دوام الذل والشقاء الى آخر الأزمان.

الشيخ الأول : جهودنا كلها ضاعت هباءً منثوراً.

تيمون : مع اني أحب وطني ولا أفرح بهلاك اخواني في البشرية كما يشيّع عني ذلك الخاصّة والعامة.

الشيخ الأول : هذا كلام معقول تُشكر عليه.

تيمون : أَوْصوا مواطنيَّ الأحباء بي خيراً.

الشيخ الأول : وهذا قول يليق بالشفاه التي تلفّظت به بصدق وأمانة.

الشيخ الثاني : أجل، قد بلغ مسامعنا كما يسير المنتصر العظيم تحت أقواس النصر باعتزاز.

تيمون : أَوْصوهم بي خيراً، وقولوا لهم اني سأنقذهم من الغمّ والحزن، رغم خوفهم من ضربات العدو، وسأبدّد أتراحهم وآلامهم وهمومهم وجميع البلايا المستجدة التي تنتاب عيشهم القلق المضطرب. أجل سأخلّصهم من شدائدهم، وأصبّها كلها على رأس ألسيبياد اللئيم.

الشيخ الثاني : هذا ما يعجبني فيك، أيها البطل تيمون، وأنا واثق بأنك ستعود الى ما بيننا وتحيي آمالنا فيك.

تيمون : في هذا البستان شجرة هي تحت تصرفي، وأودّ أن أقطعها بدون إمهال. قولوا لأصحابي الآثينيّين كباراً وصغاراً بحسب تسلسل مراتبهم الاجتماعية أن من يريد أن ينفض عنه همومه ويتخلّص منها نهائياً أن يسارع في المجيء الى هنا قبل أن تنزل الفأس على جذع شجرتي المذكورة وتقطعها. أرجوكم أن تبلغوهم رسالتي هذه في أقرب وقت ممكن.

فلافيوس : لا تعكّرا عليه صفو أوقاته، ستجدانه دائماً على هذا الحال.

تيمون : لا تأتوا اليّ بعد الآن. بل قولوا للآثينيّن ان تيمون يبني لنفسه

مقرًّا دائماً بجوار الأمواج المالحة، وأنه طوال اليوم يتأمل زبد الأمواج المتلاطمة. تعالوا الى هنا، واعتبروا حجر ضريحي كمزار مبارك. وأنت يا شفاهي المتقلّصة، دعي الأقوال المريرة، تختنق في حنجرتي. وليقضي الطاعون، ومعه سائر الأوبئة، على بوادر كل شرّ. وليكن حفر القبور هو الشغل الشاغل الوحيد لدى البشر، والموت الزؤام ما يلائمهم من الأجر. أيتها الشمس أحجبي أشعتك لأن تيمون المغدور قد فقد جميع ممتلكاته.

(يخرج).

الشيخ الأول : لم تعد مشاعره تهتزّ لشيء، لأن الكآبة طغت على طبعه المنكمش.

الشيخ الثاني : لقد خاب أملنا فيه. فلنعُد ولنبحث عن وسيلة أخرى تنقذنا من الخطر الداهم.

الشيخ الأول : والظروف الحاضرة تضطرنا الى استعجال هذه المساعي.

(يخرجان).

المشهد الثاني

عند أسوار آثينا

(يدخل شيخان من المجلس مع رسول).

الشيخ الأول : ان ما تلمح اليه صعب التحقيق. أولا تزال قواه على أشدها، كما تقول؟

الرسول : أنا عبّرت عنها بأخف صيغة مقبولة.

الشيخ الثاني : موقفنا يزداد حرجاً اذا لم نستطع الإتيان بتيمون الى آثينا.

الرسول : أثناء الطريق، واجهت صديقي القديم ساعي البريد. وإن أنتمى كل منا الى فريق عمل، فان مودتنا الطويلة الأمد جعلتنا نتنافس بحدّة، مع أننا تحدثنا كالأصدقاء. فهذا الفارس المومى اليه أرسله ألسيبياد وزوّده برسالة عاجلة للتحريض على محاربة المدينة معتبراً إشعال نيران الحرب جزءاً من خطّة انتقامه.

(يدخل شيوح متدبود للتحدث الى تيمون).

الشيخ الأول : ها هم إخوتنا قد قدموا.

الشيخ الثالث : لا تتكلموا بعد الآن عن تيمون. ولا تنتظروا منه أية بادرة. فها نحن نسمع قرع طبول العدو، وتحركاته تثير الغبار في الجوّ والقلق في النفوس. لنعد ونستعدّ لئلا، كما نخشى، يتسنى لفخّ اعدائنا ان يطبق علينا ويعجّل سقوطنا.

(يخرجون).

المشهد الثالث

أمام قبر تيمون على شاطئ البحر، حيث يشاهد الكهف الذي كان يقطنه

(يدخل جندي باحثاً عن تيمون).

الجندي : حسب الوصف الذي تلقيته، لا بد أن يكون هذا المكان هو المقصود. مَن الموجود هنا؟ تكلّم. وإلّا... لماذا هذا السكوت؟ أكرر سؤالي مَن الموجود هنا؟ (يقرأ) : « مات تيمون ». ومن يرى في نفسه الكفاءة فليقرأ هذه الكتابة. في الحقيقة، هذا عمل وحشٍ، لأن هذا المكان لا يأوي اليه

أي انسان. لقد مات حقاً، وهذا هو قبره. مع اني لا أستطيع قراءة ما كُتب على هذا الضريح. غير أني سأنقل بصمات الحروف بالشمع الأحمر. لأن قائدنا يُحسن فكّ رموز جميع الكتابات، وله خبرة الشيوخ وهو لا يزال في شرخ الشباب. أعتقد أنه الآن في معسكر عند مداخل آثينا الشامخة، وكل طموحه ينحصر في الاستيلاء على هذه المدينة.

(يخرج).

المشهد الرابع

عند أسوار آثينا

(تُنفخ الأبواق. ويدخل ألسيبياد على رأس رجاله).

ألسيبياد (لنافخي الأبواق) : أعلنوا لهذه المدينة الجبانة والمستسلمة الى ملذاتها، اقتراب جيوشنا المخيفة.

(ينادي أحد النوّاب بواسطة البوق فيظهر شيوخ المجلس عند أسوار الحصن).

حتى هذا اليوم عشتم وأضعتم وقتكم بإرواء شهواتكم، واعتبرتم أهواءكم مقياس عدالتكم. حتى اليوم، أنا وجميع من كانوا راقدين في ظل سلطتكم، تهنا وأيدينا مكتوفة، وكظمنا غيظنا وآلامنا المستكينة سدًى. أما الآن فحان الأوان لكي تنتصب قاماتنا نحن الرجال الأشداء ونصرخ : كفى. سنصبّ عليكم جام غضبنا انتقاماً لكرامتنا المهانة، وأنتم قابعون في مقاعدكم الوثيرة ترتاحون. لا بدّ لنا من أن ندوس وقاحتكم ونُذلّ عنفوانكم ونخلع عنّا نير سيطرتكم.

الشيخ الأول : أيها الشاب النبيل، عندما كانت مشاعرك تغفو في ضمير تفكيرك قبل أن تقبل على زمام السلطة، وكان علينا أن نخشاك، قد أرسلنا إليك من يلطّف حدّة غيظك ويخفّف عليك وطأة عقوقنا بما تشهده الآن من فائق مودّتنا.

الشيخ الثاني : وحاولنا أيضاً أن نصالح تيمون وأن نسترضيه بعد أن لمسنا تبدّل أوضاعه، وان نعيد اليه اعتباره في مدينتنا. لكن رسلنا لم يفلحوا في اعادته الى سابق طبيعته، رغم ما عرضوه عليه من تعويضات جليلة. لم نكن كلنا ناكرين فضله العميم، لذا لا نستحق الإبادة الجماعية.

الشيخ الأول : اسوارنا لم تشيدها أيدي من أساؤوا الى مقامك الرفيع، وازعاجنا خاطرك، إن كان هناك من إزعاج، ليس بحجم أبراجنا العالية كي تستحق التحطيم والهدم بسبب غيرنا ممن ساهموا في هذه الاساءة.

الشيخ الثاني : على كل حال، هؤلاء ليسوا الآن على قيد الحياة ليستحقوا النفي بصفتهم من المشاغبين. ونحن نخجل من قلّة تبصرنا وحكمتنا وقد سُحقت قلوبنا تحت وطأة القنوط. أجل، أيها النبيل الكريم، ادخل مدينتنا، وألويتك مرفوعة ترفرف فوق رؤوسنا، واقتصّ من المذنبين. نحن نعلم أن نقمتك متعطّشة الى معاقبة الآثمين. فاجمع الضرائب التي ترتئيها، وقرّر مصيرنا بحسب ما تراه يرضي عدالتك.

الشيخ الأول : ليس الكل مسؤولين. والأنصاف يقضي بأن لا تحل نقمتك على الجميع. لأن الذنب ليس موروثاً. نرجوك أن تنقذ آثينا مهد طفولتك وأهاليها، وتخفّف عنها ثورة غيظك، وأنزل عقابك بمن عملوا على اهانتك. وكالراعي الأمين اقترب من القطيع وخلّصه من العنزات الجرباء، ولا تحكم عليه بالهلاك جميعاً.

الشيخ الثاني : ستنال ما تريد، وأنت تبتسم، بسهولة أكثر مما اذا جرّدت سيف نقمتك للحصول عليه بالعنف.

الشيخ الأول : لامس برجلك أبوابنا المحصّنة فتنفتح أمامك لا سيما اذا أعلنت أنك تأتينا كصديق عطوف.

الشيخ الثاني : أقذف قفّازك أو أي شيء آخر يرمز الى الشرف الرفيع، وكن واثقاً بأنك ستتوصّل الى اصلاح ما لا يرضيك بدون أن تأمر بتدمير بيوتنا. وجيشك بكامله سيكون راضياً عند بلوغك مأربك على هذا النحو.

ألسيبياد : هذا هو قفّازي. فهيّا انزلوا وافتحوا لي أبوابكم سلمياً. وسأقتص فقط من أعدائي وأخصام تيمون الذين تدلّوننا عليهم. ولكي أبدّد قلقكم وأجعلكم تطمئنون إلى نواياي السلمية اؤكد لكم بأن لا أحد من رجالي يهاجمكم ولا يقوّض دعائم الأمن والسلام داخل أسوار مدينتكم. وأنا الكفيل باستتباب الأمان والعدالة فيما بينكم.

الشيخان : هذا أنبل حديث سمعناه الى الآن.

ألسيبياد : أنزلوا اذاً ونفّذوا عهودكم.

(ينزل الشيوخ ويفتحون الأبواب).

(يدخل الجندي الذي ظهر في المشهد الثالث من الفصل الخامس).

الجندي : أيها القائد النبيل، مات تيمون ودُفن على شاطئ البحر. وقد قرأت على بلاط ضريحه هذه الكتابة التي طبعتها على الشمع الأحمر، وهي كافية للتعويض عما أجهله من تفاصيل هذا الحادث.

ألسيبياد (يقرأ) : « هنا يرقد المسكين الذي فارق الحياة. لا تبحثوا عن اسمي لئلاّ يصيبكم الطاعون. أيها المساكين الضعفاء الباقون من بعدي، هنا يرقد تيمون الذي كره جميع الأحياء. وأنتم أيها المارّون من هنا إلعنوني كما يحلو لكم، لكن اجتازوا ولا تتوقفوا أمام قبري ».

هذا فعلاً يعبّر عن مشاعرك الأخيرة. فقد كرهت كل آلام

البشر، وسيطر بغضك على تفكيرنا بسبب الدموع التي جادت بها طبيعتنا الأنانية. لكن فكرة عظيمة نزلت عليك كالوحي عندما شئت أن يبكي الاله نبتون باستمرار على ضريحك المتواضع، صفحاً عن الذنوب. مات النبيل تيمون وما علينا إلا أن نكرم مثواه وذكراه. هيا بنا الى قلب مدينتكم الآمنة حيث أريد أن أذهب وغصن الزيتون مشدود الى خنجري. أودّ أن تفضي الحرب الى السلام الدائم، وأن يلجم الأمان فظائع الحرب. على أن يكون الأول علاجاً شافياً من ويلات الثانية. هيا اقرعوا الطبول إيذاناً بتحرّكنا نحو الوئام.

(يخرج الجميع).

(تمّت)

تيطس أندرونيكوس

أشخاص المسرحية

ساترنينوس	:	بِكْر آخر امبراطور روماني.
بشْيانوس	:	شقيق ساترنينوس.
تيطُس اندرونيكوس	:	قائد روماني.
مرقس اندرونيكوس	:	نائب في المجلس، وشقيق تيطس.
لوسيوس كنْتوس موتيوس	}	أولاد تيطس اندرونيكوس
لوسيوس الشاب	:	ابن لوسيوس وشقيق تيطس
بوبليوس	:	ابن مرقس.
اميليوس	:	نبيل روماني.
ألآربوس شيرون ديمتريوس	}	أبناء تامورا
هارون	:	بربري عشيق تامورا.
ضابط		
فلاّح		

نائب، ورسل
تامورا : ملكة القوط، ثم امبراطورة
لافينيا : ابنة تيطس
مُرْضِع.

أهل تيطس، شيوخ ونوّاب، ضبّاط وجنود، خدم.

تجري الأحداث في روما وضواحيها.

الفصل الأول

المشهد الأول

في روما، وسط ساحة أمام الكابتول

(في أحد الجوانب مدفن أسرة اندرونيكوس)

(الشيوخ والنوّاب مصطفّون على سطيحة عالية. يدخل من أحد الأبواب ساترنينوس وأعوانه، ومن باب آخر يدخل بسّيانوس وأعوانه. تقرع الطبول وتخفق الأعلام.)

ساترْنينوس : أيها النبلاء الأشراف، يا حماة حقوقي، دافعوا عن قضيتي بقوة السلاح، وأنتم، يا مواطنيّ الأعزاء، أسألكم أن تستعيدوا لي بسيوفكم لقبي الذي يؤول إليّ بالوراثة. فأنا بِكْر آخر من حمل تاج امبراطورية روما. إعملوا على إحياء مجد أبي فيّ ولا تهينوا شخصي بحطّ كرامتي.

بسْيانوس : أيها الرومان، أيها الأنصار، أيها المدافعون عن حقي، إذا كان بسْيانوس ابن قيصر لا يلقى حظوة في أعين مملكة روما، احرسوا مدخل الكابتول، ولا تقبلوا بأن يدنّس أحد عرش الامبراطورية المزدان بالفضيلة والعدالة والعفة والنبل. واسعوا إلى إجراء انتخاب نزيه، واحرصوا أيها الرومان على حرية اختياركم.

(يظهر مرقس اندونيكوس في صدر المسرح وعلى رأسه التاج)

مرقس : أيها الأمراء، بفضل قواتكم وأنصاركم، عليكم أن تنتزعوا بإباء سلطة الامبراطورية. إعلموا ان شعب روما الذي نتولّى رعاية مصالحه سيصوّت بالاجماع ويختار نخبة الرومان، ألاَ وهو اندرونيكوس الملقّب بالتقيّ نظراً إلى ما يتحلّى به من كبر النفس وصدق النيّة في الخدمة والولاء لروما. ليس في المدينة رجل انبل أو أشجع منه بين المحاربين. لقد استدعاه مجلس الشيوخ بعد حملته الموفقة على القوط البرابرة، وبعد أن استعان بأبنائه على أعدائنا الألدّاء لإخضاع أمة رهيبة مدججة بالسلاح. ها قد انقضت عشرة أعوام منذ اليوم الذي تعهّد فيه أن يدافع عن روما فعاقب بقوة السلاح غطرسة مناوئينا. لقد عاد خمس مرات إلى روما من ساحة القتال مضرّجاً بدمائه، ومعه أبناؤه البواسل، راقدين في نعوشهم. واليوم أخيراً، وهو يحمل بقايا شرف أثيل يعود إلى روما تيطس اندرونيكوس الكريم في أوج مجده. فأستحلفكم الآن باسم من تودّون أن تشاهدوه مظفراً مكافأً، وبإسم حقوق مجلس الشيوخ والكابتول الذي ترغبون في تكريمه، أن تنسحبوا وتقلعوا عن العنف، وأن تصرفوا أنصاركم، وكمواطنين أوفياء، أن تبيّنوا أمنيتكم وتظهروا امكاناتكم بطريقة سلميّة.

ساترنينوس : كم تهدّئ خاطري كلمات هذا النائب الرقيق السامي التفكير.

بسْيانوس : إتكالي على استقامتك وعلى مروءتك، يا مرقس اندرونيكوس، لأني أكنّ كل احترام وتقدير لك ولذويك ولأخيك تيطس وأنجاله، وأنحني اجلالاً أمام النبيلة لافينيا جوهرة روما، وأنا أضع بين أيديكم جميعاً مصيري وشرفي وحياتي، فأُكرم أخلص أصدقائي، وأكرس عمري لخير الشعب.

(يخرج أنصار بسيانوس)

ساترنينوس : أيها الأصحاب الذين تغارون على حقوقي، أشكركم وأطلب منكم أن تنصرفوا لأني أضع وجودي وقضيتي في خدمة بلادي (يخرج أنصار ساترنينوس). وأنت، يا روما، كوني منصفة وعامليني بعطف لأني أثق بك وأخلص لك الودّ. فافتحوا لي الأبواب ودعوني أدخل.

بسيانوس : أيها النوّاب، أنا أيضاً مرشح مخلص.

(تعزف الموسيقى، وينسحب بسيانوس وساترنينوس إلى داخل الكابتول ومجلس الشيوخ).
(يدخل ضابط يحيط به بعض الناس).

الضابط : أفسحوا الطريق أيها الرومان. فالشجاع اندرونيكوس هو حامي الفضيلة وأنبل أبطال روما، المنتصر في جميع المعارك والحروب التي أخضع فيها أعداء روما وأثقل كواهلهم بنيرها.

(يسمع صوت طبول وأبواق، يدخل اثنان من أبناء تيطس ووراءهما رجال يحملون نعشاً مجلّلاً بالسواد، ثم يدخل اثنان آخران من أبناء تيطس وخلفهما تيطس اندرونيكوس،، ثم تامورا ملكة القوط وأولادها الثلاثة ألاربوس وشيرون وديمتريوس، يتبعهم هارون البربري وجمع غفير من الناس. يوضع النعش على الأرض ويتكلم تيطس).

تيطُس : السلام عليك يا روما الظافرة، وأنت في ثياب الحداد نظير مركب نقل شحنته إلى البعيد وعاد بحمل ثمين إلى المرفأ الذي لم يهجره يوماً. هكذا رجع اندرونيكوس مكلّلاً بالغار ليحيّي وطنه بدموع الفرح الحقيقي، وقد سالت من مآقيه لدى بلوغه أرض روما الحبيبة. فيا أيها المدافع العظيم عن الكابتول، ترأّس هذا الحفل الكريم الذي هبّ لاستقبالك. أيها الرومان، من المقاتلين الشجعان الخمس والعشرين ألفاً، أي نصف العدد الذي هيّأه الملك بريام، هذا ما تبقّى من الأحياء والأموات. فللّذين تغلّبوا على الموت، روما تمنحهم حبّها، ولمن أقودهم

إلى مثواهم الأخير، الراحة بين أجدادهم الكرام. هنا، سمح لي القوط أن أعيد سيفي إلى غمده. فيا تيطس الشرس، يا من لم تهتمّ بذويك، لماذا تقبل أن يبقى أولادك بدون دفن على ضفاف نهر إستيكس الرهيب؟ (يفتح قبر أسرة اندرونيكوس). ارقدوا ها هنا أيها الأموات بسلام، اعتاد عليه أبناء وطنكم في هذه الأرض الطيبة، أرض الفرح والفضيلة والمجد والنبل حيث أودّ أن يستريح أولادي الشهداء.

لوسيوس : هاتوا أشجع أسرى القوط لنحطّم أعضاءهم ونقدمهم محرقةً على مذابحنا وتعويضاً عما لحق بنا من مِحَن، فيهدأ روع أبنائنا في دنياهم الجديدة وتقرّ عيونهم في مراقدهم.

تيطس : أقدّم لكم هذا، وهو أنبل من بقي على قيد الحياة، وهو بكر هذه المملكة المجيدة.

تامورا : قفوا أيها الأخوة الرومان، يا أبسل المنتصرين، إرحم يا تيطس ما أذرفه من دموع الأسى على ابني الفقيد، وبقدر ما هم أولادك أعزّاء على قلبك، أرجو أن تعتبر إبني مساوياً لهم في عطفي ومحبتي. ألا يكفي أن تعود إلى روما لنزيد انتصارك بهجة ونفرح برجوعك بعد أن أخضعت الجميع الى مشيئة روما. أيقتضي أن يذبح أولادي في الشوارع بسبب دفاعهم عن وطنهم؟ إن كانت فضيلتك تقوم على القتال في سبيل الامبراطور والوطن، فتلك هي أيضاً فضيلتهم. يا اندرونيكوس، لا تضرّج ضريحك بدمائك. ان كنت تريد التقرّب إلى الآلهة، عليك أن تفعل ذلك برفق وهدوء. لأن الرحمة والعطف هما عنوان النبل الحقيقي. أنت مثلّث السموّ يا تيطس، فأسألك أن تشفق على أخي البكر وتنجّيه.

تيطس : هدّئي روعكِ، يا سيدتي، وسامحيني. هؤلاء هم الأخوة الأحياء الذين أنتم القوط شاهدتم موتهم. وهم يلتمسون ضحيةً عن أخوانهم المذبوحين ذبح النعاج. وابنك هو المختار كقربان،

فعليه أن يموت ليهدّئ خواطر المفقودين ويخفّف روع ذويهم المفجوعين.

لوسيوس : خذوه، واضرموا النار، ثم بسيوفنا تعالوا نقطع أوصاله حتى يقضي نحبه.

(يخرج لوسيوس وكنْتوس ومرْسيوس وموتيوس، يقتادون ألآرْبوس).

تامورا : تبًّا لتقواكم وشعائركم العاتية الشرسة.

شيرون : لم تكن « ثيثيا » في يوم من الأيام أقلّ وحشيةً وبربريةً منكم.

ديمتريوس : لا تقارنوا بين ثيثيا وروما الفخورة. ألارْبوس سيرتاح. ونحن سنعيش لنشاهد غضب تيطس يهدّدنا. فتشجّعي يا سيدتي، وليكن أملك في الوقت ذاته كبيراً بأن تسعفك الآلهة التي أتاحت لملكة طروادة فرصة معاقبة طاغية مقاطعة تراقيا في خيمته. يا تامورا ملكة القوط، حين كان أتباعك في أيام عزّهم كانت تامورا ملكة تنتقم من أعداء أقدموا على هذه المجازر الضارية.

(يرجع لوسيوس وكنْتوس وموتيوس وسيوفهم تقطر منها الدماء).

لوسيوس : أنظر، يا مولاي، كيف قمنا بواجبنا كروماني. ها هي أوصال ألآرْبوس كالأشلاء، بينما أحشاؤه تغذّي نار المحرقة ويتصاعد لهيبها ورائحتها إلى السماء كالبخور. فلم يبقَ علينا إلا أن ندفن أخوتنا بعد أن نشيّعهم في روما بالحفاوة، التي تليق بشجاعتهم على أنغام الموسيقى الحزينة.

تيطس : فليكن ما تشاؤون، وليقم اندرونيكوس بما يحق لهم من اكرام في تشييعهم. (تنفخ الأبواق وتُوضع النعوش في القبور المخصصة لها). ارقدوا بشرف وسلام في ظل بلايا هذا العالم وبؤسه. فهنا لا خيانة تصول وتجول، ولا حسد يرغي ويزبد، ولا حقد يلعن ويطعن، ولا رياح هوجاء تعصف، ولا صَخَب يجلجل

حيث يخيّم السكون الدائم. (تدخل لافينيا). ارقدوا بشرف وسلام، يا أولادي.

لافينيا : أرجو لك حياة مديدة وأياماً مجيدة هادئة، يا تيطس. أنظر دموعي الهاطلة على هذه القبور، واسمع حبيبي على اخوتي، وأنا أجثو على ركبتيّ وأسكب دموع الفرح لعودتك سالماً إلى روما. باركني بيدك المنتصرة، أنت يا أوفى المواطنين في روما التي تحيّي ظَفَرك ومجدك.

تيطس : بُوركتْ روما التي حفظت لي حبها على مرّ السنين، ومجدتني حتى في شيخوختي. عيشي يا لافينيا إلى ما بعد موت والدك، ولتكن فضائلك اكليل غار على رأسك المرفوع باستمرار.

(يدخل مرقس اندرونيكوس وساترنينوس وبسيانوس وغيرهم).

مرقس : ليحيا مولاي تيطس، أخي وحبيبي المنتصر الكريم في الدفاع عن روما.

تيطس : أشكرك أيها النائب الكريم، أخي مرقس.

مرقس : وأنتم يا أولاد أخي، أهلاً ومرحباً بكم في عودتكم الموفّقة من الحرب، وقد صانت الأقدار حياتكم لتعيشوا بمجد وأمان. أيها السادة الأجلاّء، لقد فُزْتم بنصر مماثل لما أبديتموه من بسالة أثناء استلال سيوفكم في سبيل وطنكم. انما الظافرون الحقيقيون هم المحتفلون بهذا الموكب الجنائزي الذين بلغوا سعادة سولون، ورقدوا في أحضان الشرف الرفيع. يا تيطس اندرونيكوس، ان الشعب الروماني الذي أخلصت له الحب على الدوام، وكنت خير مدافع عنه في أيام محنته، يرسل لك مع نوّابه هذا الدرع الطاهر الناصع كالثلج، ويقبل بأن ينتخبك لتتربّع على عرش الامبراطورية بالاشتراك مع أبناء الامبراطور المتوفى الحاضرين ها هنا. كن اذاً مرشحهم والبَس هذا المعطف،

وساعد على إبقاء رأس روما عالياً، بعد أن تلوي عنقها المتعب ثقل البلايا.

تيطس : لهذا الجسم المجيد لا بدّ من رأس أفضل من رأسي الذي أخذ يرتعش عجزاً بداعي الشيخوخة. ماذا تطلبون؟ ان أرتدي هذا الثوب لا يضايقكم؟ اليوم تهتفون لي، وغداً سأغادركم وأستقيل من الحكم ومن الحياة معاً، وأسبب لكم جميعاً هموماً جديدة. لقد خدمت روما مدة أربعين سنة ودفنت واحداً وعشرين فتىً، جميعهم من أشجع الفرسان في ساحات الوغى، ومن أخلص الأوفياء في خدمة وطنهم الرائع الغالي. يجمل بكم أن تزوّدوني بعكّاز يساعدني في شيخوختي، لا بصولجان الملك لحكم العالم الصاخب. لأن آخر من حمله بيده كان أفضل الحكام طرًّا.

مرقس : الامبراطورية ملك يديك، إن شئت أن تقبلها.

ساترْنينوس : يا لك من نائب طموح.

تيطس : صبراً أيها الأمير ساترنينوس.

ساترنينوس : أيها الرومان، أسألكم أن تنصفوني. وأنتم أيها الأشراف، أشهروا سيوفكم ولا تردّوها إلى غمدها قبل أن أصبح أنا ساترنينوس امبراطور روما. فالأوْلى بك يا اندرونيكوس أن ترحل إلى الجحيم من أن تسلبني قلوب الشعب.

لوسيوس : أنت تزاحم تيطس العظيم باعتدادك هكذا بنفسك، يا ساترنينوس، حين لا يريد هو لك سوى الخير.

تيطس : تمالك نفسك أيها الأمير، فأنا مستعدّ لأن أردّ لك قلوب الشعب، وإن اقتضى الأمر سلخها عن صدور أصحابها.

بسْيانوس : أنا لا أتملّقك، يا اندرونيكوس، بل أمجدك، وسأظل فخوراً بك حتى آخر أيام حياتي. فإن شئت أن تقوّي جماعتي بضم رجالك اليهم، فإني أحفظ لك هذا الفضل ما حييت، لأن عرفان الجميل هو أثمن مكافأة للرجل النبيل العالي الجبين.

تيطس : يا شعب روما، وأنتم يا نوّاب الشعب، أطلب منكم أن تمنحوا أصواتكم صديقنا اندرونيكوس وتنتخبوه.

أحد النواب : لإرضاء اندرونيكوس الفاضل وللاحتفاء بعودته إلى روما، يقبل الشعب بمن تقترحه أنت أيها الشهمَ الكريم.

تيطس : أشكركم أيها النوّاب، وأسألكم أن تنتخبوا بِكْر امبراطوركم السيد ساترنينوس الذي أرجو أن تشعّ فضائله على روما كما تنير الشمس أرضنا العزيزة، وان تشمل عدالته جميع رعايا هذه الجمهورية المجيدة. فان شئتم أن تنتخبوا من أدلّكم عليه، توّجوه بدون تأخير، واهتفوا معي ليحيا امبراطورنا.

مرقس : بصوت الشعب وهتافات جميع طبقاته من الاشراف إلى سائر أبنائه، نختار السيد ساترْنينوس امبراطوراً رفيع الشأن على روما، ونهتف : ليحيا ساترنينوس امبراطورنا.

(تصدح الموسيقى طويلاً).

ساترنينوس : يا تيطس اندرونيكوس، لأجل الخدمة التي أسديتها لي اليوم في انتخابي، أشكرك على كرمك، وأعترف بجميلك عمليًّا. وقبل كل شيء، لتكريم شخصك واسم اسرتك الشريفة، أريد أن أجعل من لافينيا امبراطورتي وملكة روما، وسيدة قلبي، وان أتزوّجها تحت سقف البنتيون المقدس. فهل تعجبك هذه البادرة يا اندرونيكوس؟

تيطس : أجل يا سيدي الجليل. لأني أعتبر هذا الزفاف شرفاً كبيراً لي من لدنك. وهنا لدى مشاهدة روما في هذه السعادة، أكرّس سيفي وعربتي، ومن أسرتُهم، لخدمتك يا مليكي ورئيس جمهوريتي، وامبراطور الكون الواسع، وأعتقد بأن هذه الهدية تليق بمولى روما الكريم. فأسألك أن تقبل تقدمتي كجزية واجبة عليَّ أضعها عند قدميك كغنيمة مفيدة متواضعة.

ساترنينوس : شكراً أيها النبيل تيطس، منقذ حياتي. كم أنا فخور بك وبعطاياك

السخيّة، وستثبت لك روما صدق قولي. ويوم أنسى ما لك عليَّ من أفضال أسألكم أيها الرومان، أن تنسوا واجباتكم نحوي.

تيطس (لتامورا) : ها أنت الآن أسيرة امبراطور، يا سيدتي، أسيرة رجل سيعاملك أنت وحاشيتك بنبل يليق بكرامتك وبمقامك الرفيع.

ساترنينوس (على حدة) : أيتها السيدة الفاتنة، لا شك اني اختار جمالك، إن لم يكن اختياري قد تمّ قبلاً. أرجو أن تعيدي الصفاء، أيتها الملكة الجميلة، إلى هذا الجبين العالي، وإن تكن امكانات الحرب قد سبّبت هذا التغيير في أوضاعك، فأنت لم تأتي إلى روما لتكوني أضحوكة، بل لتُعامَلي دائماً وفي كل مكان كأميرة معزّزة. ثقي بقولي، ولا تدعي الحزن يسيطر عليك ويحطّم آمالك. ان الذي يشجّعك يا مولاتي، باستطاعته أن يجعلك أعظم من ملكة القوط. أولست مسرورة بذلك، يا لافينيا؟

لافينيا : بلى، يا مولاي، لأن جزيل كرمك خير ضمان بأن كلامك صادر عن شهامتك ومروءتك.

ساترنينوس : شكراً يا عزيزتي لافينيا. نحن الرومان نطلق سراح أسرانا بدون فدية. أعلنوا عن مشيئتي يا سادة، بصوت الأبواق والطبول.

(يتحدّث إلى تامورا).

بسيانوس (يمسك بيد لافينيا) : يا مولاي تيطس، أرجوك أن تدع لي هذه الصبية.

تيطس : ماذا تقول؟ هل تتكلم جدّياً، يا مولاي؟

بسيانوس : أجل، أيها النبيل تيطس. أنا مصمّم على تطبيق العدالة بنفسي.

مرقس : خير البر عاجله، كما يقال. وهذا الأمير لا يعتدي على أحد ولا سيّما في المطالبة بحقوقه، واسترجاع ما يخصّه.

لوسيوس : سيستردّه ويحتفظ به ما دام على قيد الحياة.

تيطس : خسئتم أيها الخونة، أين حرس الامبراطور؟ هناك خيانة، يا مولاي. فقد اختُطفَت لافينيا.

ساترنينوس : اختُطفَتْ؟ ومن الذي اختطفها؟

بسيانوس : أوَليس من الحق، في نظر العالم كله، أن يستردّ المرء خطيبته؟.

(يخرج مرقس وبسيانوس مع لافينيا).

موتيوس : يا أخوتي، ساعدوني على اخراجه منّ هنا. وأنا أحرس هذا الباب والسيف في يدي.

(يخرج لوسيوس وكنتيوس ومرتيوس).

تيطس (لساترنينوس) : إتبعني، يا مولاي، وسأعيدها أليك قريباً.
موتيوس (لتيطس) : لن تمرّ يا مولاي.
تيطس : ماذا تقول، أيها الولد الشقي؟ أنت تسدّ الطريق عليّ في روما؟
موتيوس : النجدة، يا لوسيوس، النجدة.

(تيطس يقتل موتيوس).

(يدخل لوسيوس).

لوسيوس : أنت ظالم مستبدّ، يا مولاي. لقد قتلت ولدك في مشاجرة حقيرة.
تيطس : لا أنت، ولا هو، لستما ولدَيَّ بعد الآن. لأن أبنائي لا يهينونني هكذا. أيها الخائن، أرجع لافينيا إلى الامبراطور.
لوسيوس : ميّتة، إذا شئت، ولن تكون له زوجة أبداً، ما دامت مخطوبة شرعياً لغيره.

(يخرج)

(ساترنينوس الامبراطور يعتلي المصّة العالية، ترافقه تامورا وولداها والبربري هارون).

ساترنينوس : كلا، يا تيطس، كلا. الامبراطور ليس بحاجة اليها ولا اليك، ولا الى أي شخص من أمثالك. لن أتّكل في المستقبل بتهاونٍ على من سخر مرة مني، ولا على أولادك الخونة الوقحاء المتّفقين على اذلالي هكذا. ألا يوجد في روما غير ساترنينوس ليجعل

هؤلاء منه العوبة؟ هذه الأفعال يا اندرونيكوس، لا تلائم عجرفتك الغليظة، وان كنت توصلت إلى الاستيلاء على الامبراطورية.

تيطس : تبًّا لك من مسخ دنيء. ما هذا الكلام المبطن بالملامة؟

ساترنينوس : اذهب في سبيلك، واترك هذا النفاق لمن تبجّج باشهار سيفه. سيكون صهرك باسلاً ورجلاً شهماً لا ينضمّ إلى أبنائك الأنذال ليزرع الفوضى في جمهورية روما.

تيطس : هذه الأقوال شبه سكاكين تغرس في قلبي.

ساترنينوس : الآن، يا تامورا الحبيبة، ملكة القوط، أنت في روما كإلهة فاتنة، إن قبلْتِ اختياري الفجائي. أصغي إليّ، يا تامورا : لقد اخترتك زوجة لي، وأريد أن أجعلك امبراطورة روما العظيمة. تكلمي يا ملكة القوط، وصفّقي لاختياري إياكِ. أُقسمُ بجميع آلهة روما، بما أن الكاهن والماء المقدّس قريبان، وبما أن المشاعل تنشر أضواءها الساطعة علينا، وكل شيء جاهز للعرس، لن أنظر إلى شوارع روما، ولن أصعد أبداً إلى قصري إلا إذا رافقتني أنت كشريكة حياتي.

تامورا : وأنا هنا، أمام السماء، أقسم لك في روما يا ساترنينوس، اذا رفعتني إليك أنا ملكة القوط سأكون لك خادمة مطيعة وزوجة وفيّة وأمًّا محبة لأولادك.

ساترنينوس : هيا نصعد إلى البنتيون، أيتها الملكة الجميلة. رافقوني، أيها السادة، أنا امبراطوركم وخطيبتي الحبيبة التي خصّتني بها السماء، أنا الأمير ساترنينوس وقد وافقت عليها بحكمتي السديدة. وهناك نتمّم مراسم حفلة الزفاف.

(يخرج ساترنينوس وحاشيته وتامورا وأولادها، ثم يخرج هارون وجماعة القوط).

تيطس : أنا لست مدعوًّا لمواكبة الخطيبة. متى، يا تيطس، تسنّى لك

أن تظل هكذا وحيداً مجرداً من الشرف وغائصاً في الاهانة إلى أذنيك؟.

(يعود مرقس ولوسيوس وكنتوس ومرسيوس).

مرقس (يشير الى جثة موتيوس) : أنظر، يا تيطس، انظر الى ما جَنَتْه يداك. لقد قتلتَ في شجار بذيء ابنك الفاضل.

تيطس : أيها النائب الأبله. هذا ليس ولدي. أنت وهو لستما سوى خائنين. وشركاؤك في الجرم قد لطخوا بالعار شرف اسرتي. فأنت أخ جاحد، كما هو إبن عاقّ.

لوسيوس : لكن عليك أن تؤمّن له قبراً لائقاً. يجب أن تدفن موتيوس بقرب اخوتنا!

تيطس : أغرب عن وجهي، أيها الخائن. لن يرقد أبداً في هذا الضريح. فهذا المدفن موجود منذ خمسمئة سنة، وقد رمّمته بعناية ولن أدفن فيه إلا الجنود الذين يخدمون روما. فهذا المكان مخصص لراحة أصحاب المجد لا للأشقياء الذين يُقتلون في مشادة. يمكنك أن تدفنه أينما شئت ما عدا هذا المكان.

مرقس : يا مولاي، هذا غريب عن شهامتك وكرم أخلاقك. ان أمانة ابن أخي موتيوس تشفع به وتستحق أن يدفن صاحبها مع أخوته.

كنتوس ومرسيوس : سيدفن إلى جانبهم وسنتبعه نحن إلى القبر.

تيطس : سيدفن حقاً معهم؟ من الأحمق الذي يقول ذلك؟

كنتيوس : رجل مستعد أن يدعم هذا القول في كل مكان إلّا هنا.

تيطس : هل تريد أن تدفنه هنا رغماً عن ارادتي؟

مرقس : كلا، أيها النبيل تيطس. لكننا نستحلفك بأعز ما لديك أن تسامح موتيوس وتدفنه.

تيطس : أنت، يا مرقس، تدوس كرامتي، ومع هؤلاء الأولاد تطعن شرفي. لقد اصبحتم كلكم من أعدائي، فانصرفوا عني، ولا تضايقوني وتزيدوا غيظي.

مرسيوس : مسكين، فَقَد رشده. علينا أن ننسحب.
كنتيوس : أنا لا أنسحب طالما بقيتْ جثة موتيوس غير مدفونة.

(يركع شقيق تيطس وأولاده).

مرقس : الطبيعة تتوسّل إليك، يا أخي.
كنتيوس : والطبيعة ذاتها تلتمس منك ذلك، يا أبي.
تيطس : اصمتوا جميعاً، اذا شئتم أن لا ينالكم مكروه.
مرقس : أيها الجليل تيطس، لا تنسَ أنك شقيق روحي.
لوسيوس : وانك يا أبي علّة وجودي ووجود أخوتي.
مرقس : اسمح لي، أنا شقيقك مرقس، بأن ادفن هنا في مقرّ الفضيلة، ابن أخيك النبيل الذي مات بشرف في سبيل قضية لافينيا. أنت روماني، فلا تكن بربريًّا. ان اليونان في مثل هذا الموقف قد دفنوا أجاكس الذي انتحر، وهو ابن لا يرث العاقل الذي قد إلتمس بلطف أن يدفن بصورة لائقة، فلا تسدّ مدخل هذا المكان في وجه موتيوس الشاب الذي كان بهجة حياتنا.
تيطس : انهض، يا مرسيوس. هذا أفظع يوم صادفته إلى الآن. اذ أهانني أولادي في قلب روما. لا بأس ادفنوه، ثم ادفنوني أنا أيضاً.

(يوارى موتيوس في القبر).

لوسيوس : أرقد هنا يا عزيزي موتيوس مع أهلك إلى أن نزيّن مثواك الأخير بأمجاد الحرب (يركع الجميع). لن ينتحب أحد لفقد النبيل موتيوس، لأن كل من يموت في سبيل الفضيلة يحيا بالمجد ويتمتع بالخلود.

(يخرج الجميع ما عدا مرقس وتيطس).

مرقس (لتيطس) : يا مولاي، لتبديد هذا الأسى الشديد عنك، أرجوك أن تخبرني كيف تسنى لملكة القوط أن تجلس على عرش روما.

تيطس : لست أدري يا مرقس، لكن ذلك قد تمّ. ولا أعلم ان كان هناك من مؤامرة أو لا. السماء وحدها تعرف ذلك. أوليست مدينة للرجل الذي أتى بها من بعيد لتستأثر بهذا الحظ السعيد؟

مرقس : أجل، وستكافئه بطريقة نبيلة.

(تصدح الموسيقى من جهة يدخل الامبراطور ساترنينوس وتامورا وشيورن وديمتريوس وهارون البربري، ومن جهة أخرى بسْيانوس ولافنيا وغيرهما).

ساترنينوس : هكذا نجحت خطتك، يا بسيانوس. اسعد الحظ أيامك وأتاح لك الرجوع إلى زوجتك الجميلة.

بسيانوس : وأنت، اعادتك السماء إلى زوجتك يا مولاي. لا أقول أكثر من هذا، ولا أتمنى لك أقلّ منه. والآن، استأذنك بالانصراف.

ساترنينوس : أيها الخسيس، مهما كانت قوانين روما، فأنت خائن وستندم يوماً أنت وجماعتك على هذا الضرب من الاغتصاب.

بسيانوس : لماذا تقول ان ذلك ضرب من الاغتصاب، يا مولاي؟ هل يعتبر جرم أن استردّ ما يخصني، أي خطيبتي الحبيبة التي ستصبح زوجتي. على روما أن تطبّق قوانينها. أما أنا فقد استوليت فقط على ما يخصني.

ساترنينوس : حسناً يا سيدي. لهجتك مقتضبة معنا. واذا عشنا سنناقشك الحساب.

بسيانوس : يا مولاي، سأردّ عليك بأحسن ما يسعني أن أجيب عما فعلته، وأنا أتحمل كل المسؤولية. إني أنبّه سيادتك باسم جميع واجباتنا نحو روما، إلى أن هذا الشخص النبيل، أعني السيد تيطوس، قد تحمّل الذل والاهانة في سبيل ردّ لافنيا اليك، وقتل بيده ابنه الشاب وفاءً لشخصك. فالواجب يقضي بأن تردَّ له جميله يا ساترنينوس. لأنه بتصرفه هذا قد برهن على أنه أب وصديق بالنسبة إلى روما وإليك أيضاً.

تيطس : أيها الأمير بسيانوس، كفَّ عن تبرير أعمالي. فأنا لم تلحقني

المذلة والاهانة إلا بسببك وسبب هؤلاء جميعاً. وروما والسماء تشهدان على ما أكنّه لساترتينوس من الحب والاحترام.

تاموري (للامبراطور) : يا مولاي الجليل، ان كنت، أنا تامورا، قد نلت حظوة في عينيك، يا أميري، اسمح لي أن أتكلم عنكم جميعاً بدون تمييز، وألتمس منك أنت حبيبي أن تنسى الماضي وأساه.

ساترنينوس : ماذا تطلبين، يا سيدتي، هل أُهان علناً، وأتحمل ذلك بجبن دون انتقام؟

تامورا : كلا، يا مولاي. لتردعْني آلهة روما عن قبول اهانتك. لكني، بشرفي، أجسر على تأكيد براءة مولاي تيطس الذي يدلّ غضبه الظاهر على أنه يتألم بسبب هذا الوضع. فأرجوك نزولاً عند طلبي أن تنظر إليه بعين العطف، وان لا تخسر مثل هذا الصديق الوفي استناداً على افتراض باطل، ولا تحطّم قلبه الرقيق، بنظرتك القاسية هذه اليه. احتفظ بصداقته. أنت لم تتربع على العرش إلا منذ فترة وجيزة، وأخشى أن ينقلب عليك الأشراف والنبلاء، وينحازوا إلى تيطس، فيخلعوك نظير مجرم ناكر الجميل. الأمر الذي تكرهه روما كأنه جناية فظيعة. عليك أن تصغي إلى الحاحي، وتدعني أتصرف لصالحك. سأجد يوماً مجالاً لقتلهم جميعاً وابادة رجالهم وعيالهم، من الأب الشرس إلى الأبناء وكلهم خونة. فقد سببوا موت ولدي الحبيب. وسأعلّمهم كم يكلف ترك ملكة تجثو في الشوارع وتلتمس العفو بدون جدوى. (بصوت مرتفع) : هيا هيا يا حبيبي. هيا يا اندرونيكوس. أنهض هذا العجوز، وانعِش هذا القلب الذي توشك عاصفة غضبك أن تمزقه شرّ تمزيق.

ساترنينوس : كفى يا تيطس، كفى. فالغلبة للأمبراطور.

تيطس : أشكرك يا صاحب الجلالة نظيرها، لأن هذه النظرات تسكب في صدري حياة جديدة.

تامورا : أنا صرت جزءاً من روما، بما أني اصبحت رومانية بالنسب. وعلي أن أنصح الامبراطور اذا لزم الأمر. في هذه الأيام جميع المشاحنات تنتهي، يا اندرونيكوس. واعتبر كشرف كبير، قضية مصالحتك وأصدقاءك. أما أنت أيها الأمير بسيانوس، فقد وعدت الامبراطور علناً بأنك ستكون في المستقبل ألطف وألين عريكة. لا تخافوا يا سادة. وكذلك أنتِ، يا لافينيا، من أن تتبعوا توجيهاتي، وأن تركعوا وتطلبوا عفو جلالته.

لوسيوس : أجل، اننا نقسم لسموّه أمام السماء بأننا تصرفنا بكل اعتدال، ونحن ندافع عن شرف اختنا وشرفنا.

مرقس : هذا ما اؤكده هنا على مسؤوليتي.

ساترنينوس : انسحبوا، ولا تتكلموا بعد الآن، ولا تضايقونا أكثر مما فعلتم.

تامورا : هيا هيا، يا عزيزي الامبراطور. يجب أن نظل جميعنا أصدقاء. فالتائب وأبناء أخيه يطلبون منك السماح وهم جاثون. فلا أريد أن يُردّ طلبي. إلتفت يا حبيبي.

ساترنينوس : إكراماً لمودتك ومودة أخي الحاضر ها هنا، ونزولاً عند رجاء الفاتنة تامورا، أصفح عن كل إساءات هؤلاء الشبان. انهضوا جميعاً. وأنت يا لافينيا مهما تركتني هنا أبدو كرجل خشن الطباع، فقد وجدت صديقة وأقسمت بكل عزيز لديّ أن لا أدع الكاهن يغادرني قبل أن أتزوج. هيا، اذا كان بلاط الامبراطور قادراً على الاحتفال بزوجين، أكون أنا أحد مدعوّيك مع لافينيا وأصدقائك، وسيكون ذلك اليوم يوم حب عميق، يا تامورا.

تيطس : غداً، إن وافقت، يا صاحب الجلالة، نذهب إلى صيد النمور والغزلان، بكامل عدّتنا ورجالنا وسنعرّج عليك يا مولانا، لنتمنى لك نهاراً سعيداً.

ساترنينوس : حباً وكرامة يا تيطس . وشكراً جزيلاً.

(يخرجون).

الفصل الثاني

المشهد الأول

في روما، أمام قصر الامبراطور

(يدخل هارون)

هارون : اصعدي الآن يا تامورا إلى الأولمب بعيداً عن متناول الأقدار والعرش في حمى دوي الرعد ولمع البرق، فوق مزالق الحسد الزميم الهدّام. ونظير أشعة الشمس الذهبية التي تحيي الصباح وتنير المحيط وتسير نحو الأفق الواسع في مركبتها الرائعة وتشرف على شوامخ الجبال، هكذا هي تامورا. فلتمجيد نبوغها يواكبها كل شرف الأرض وتنحني أمامها الفضيلة وترتجف لدى رفّة جفنيها. اذاً، هيّئ يا هارون نفسك، ورتّب أفكارك لترتفع الى مصفّ سيدتك الامبراطورة وتكون في مستواها الشامخ. لقد جررتها طويلاً خلفك كسجينة موثوقة بروابط حبّك ومعلّقة بأنظاري أنا هارون أكثر مما كانت بروميتا في القفقاس. بعيداً عني، ليس لها سوى مظهر العبيد والخضوع الذليل. أنا أريد أن أكون ساطعاً كاللآلىء، براقاً كالذهب الوهاج، لأخدم هذه الأمبراطورة الحديثة العهد. قلت : لأخدم، بل لأسعد مع

هذه الملكة، هذه الإلهة الشبيهة بسيراميس، هذه الحورية الساحرة التي ستفتن روما ساترنينوس وتشهد غرق الامبراطور والامبراطورية معاً. فما هي هذه العاصفة؟

(يدخل شيرون وديمتريوس وهما يتهاتران).

ديمتريوس : شبابك يا شيرون لم يكتسب بعد توقد الذهن، وعقلك لم يتزوّد بعد بالخبرة اللازمة. لكي تفرض نفسك على هذه المرأة التي رضيت بي، وعلى ما علمت، يمكنها أن تتدلّه بحبي.

شيرون : أنت مزعج في كل المجالات يا ديمتريوس، ولا سيما في تطفلك وادعائك السيطرة عليّ من خلال تبجّحاتك. الفرق بيني وبينك ليس سنة أو سنتين لتجعلك متفوّقاً عليّ فتزيد فرص نجاحك. أنا قدير مثلك وماهر نظيرك في خدمة سيدة بارعة الحسن، فاستحق مودّتها. هذا سيثبته لك سيفي حين يدعم حقوقي وولهي في هوى لافينيا.

هارون : حذارِ، حذار. فهؤلاء العشاق لا يودون أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة.

ديمتريوس : هيا أيها الولَد الساذج. ألأن والدتنا قد قلّدتك بدون تبصّر سيفاً للزينة سكرت الى حد بتّ تهدّد ذويك. هيا، هيا ارجع سيفك إلى غمده حتى تكتسب براعة امتشاقه.

شيرون : بانتظار حدوث ذلك يا مولاي، وبالقليل مما لديّ من خبرة التصرف سأجسر على القيام بذلك.

ديمتريوس : أجل، أيها الولد المسكين. هل أصبحت إلى هذا الحدّ شجاعاً؟

(يستل سيفه).

هارون : ما الأمر، يا سادة؟ أهكذا قريباً من قصر الامبراطور تتجاسران على المهاترة بصورة مكشوفة. أنا أعلم مصدر هذه المشاحنات بينكما، ولا أريد أن أكون سببها ولو عرضت عليّ أكداس

من الذهب الرنان، لأن مروّجي هذه الفتنة معروفون، وفوق ذلك، لا تريد أمك النبيلة أن تُهان هكذا في بلاط روما. فباسم الحياء أستحلفكما أن يردَّ كل واحد سيفه إلى غمده.

ديمتريوس : لا، أنا لن أعيد سيفي إلى مكانه قبل أن أغرزه في صدرك، وأن أردّ كيدك إلى نحرك، واجعلك تبتلع الاهانة البزيئة التي وجهتها اليّ.

شيرون : تراني لذلك على أتمّ الاستعداد، وأنا مصمم على عمل ما صرّحت به. فأنت لست سوى جبان يلعلع لسانك ولا تجرؤ على استعمال سلاحك.

هارون : قلت لك : كفي. بربّ القوط أُقسم لك ان هذه المشادة الحقيرة ستهلكنا جميعاً. ألا تدركون، يا سادة، مدى ما يمثله من الخطر علينا، أن يدوس هذا الأمير حقوقنا المشروعة. ماذا أرى؟ هل ان لافينيا مصمّمة الى هذا الحدّ، أم أن بسيانوس المنحطّ يتجاسر على تحريك هذه النزاعات لأجل حبها بدون أن تردعه أية مقاومة أو عدالة أو انتقام؟ أيها السادة الشجعان، كونوا على حذر. فلو علمت الامبراطورة بسبب هذا الخلاف، لن تكون راضية أبداً.

شيرون : سيّان عندي، إن علمت بذلك هي وكل أهل الأرض أو لا. فأنا أحب لافينيا حباً لا مثيل له في الكون أجمع.

ديمتريوس : أيها الصعلوك، تعلّم أن تختار نصيباً قريب المنال أكثر من لافينيا، لأنها أمل أخيك البكر.

هارون : هل أنت مجنون؟ ألا تدري مدى غضب الرومان وقلة صبرهم وعدم قبولهم بأي خصم في الحب؟ فأنا أعلن لك، يا سيدي، انك تسعى إلى حتفك بهذه المزاحمة.

شيرون : سأجابه الموت ألف مرة في سبيل الوصول إلى من أهوى.

هارون : تريد الوصول اليها، ولكن كيف؟

ديمتريوس : ما الغرابة في الأمر؟ هي امرأة. اذاً لا مانع من مغازلتها. هي

امرأة ولا حائل دون اغرائها. هي لافينيا، ولا بدّ من أن تكون محبوبة. هيّا، يا عزيزي. الماء يجري في الطاحون أكثر مما يحلم به الطحّان. وأنا أدرى من سواي كيف يحصل الجائع على رغيف الخبز. وإن أكن أنا شقيق الامبراطور بسيانوس، فلا رادع يقف في وجهي ويحول دون اشهار سيفي في وجه أخصامي.

هارون (على حدة) : أجل وربما بصورة يعجز عنها ساترنينوس ذاته.

ديمتريوس : اذاً، لماذا القنوط، عندما يعرف المرء كيف يغازل بِحُلْو الكلام وفتنة اللحظ وجرأة التصرّف؟ أولم يتسنَّ لك أن ترمي الغزال وتستولي عليه تحت أنظار حارس الغابة؟

هارون : يبدو أنك تريد أن تلجأ إلى نوع من القرصنة أو ما يحاكيها لإصابة هدفك.

شيرون : أجل، سأنال مرادي بصورة مماثلة لما تعني.

ديمتريوس : اذا بلغت قصدك.

هارون : أولم تبلغه أنت قبلي؟ هكذا نكون متعادلين متساوين في العظمة والكرامة. اسمعني جيداً : هل أنت حقاً مهووس لتتشاجر من أجل ذلك؟ وهل يغضبك أن ينجح كل منكما في مسعاه؟

شيرون : لا أبداً.

ديمتريوس : ولا أنا، بشرط أن تكون لي حصة من الغنيمة.

هارون : بربك، دعنا نظل أصدقاء، ولا نترك سبيلاً للخصام فيما بيننا. أنت تعلم جيداً أنك بالحيلة والمهارة، فقط تصل إلى مبتغاك. فكر مليًّا بالأمر. ان ما لا تستطيع تنفيذه كما تشاء، لا بدّ من تحقيقه حسب الامكان. اليك مني هذا التوجيه المفيد : لوكريس لم تكن أعفّ من لافينيا حبيبة بسيانوس. فعلينا أن نتبع طريقة أعجل وأفعل من هذه الخطة البطيئة. ولقد وجدت الوسيلة اللازمة لذلك. نحن نستعدّ لرحلة صيد فخمة ستتهافت عليها السيدات الرومانيات. دروب الغابة عريضة وواسعة تتخلّلها

زوايا خلويّة اعدّتها الطبيعة للسطو والاغتصاب. فلا أسهل علينا من استدراج هذه الغزالة واحتجازها بالقوة، إن تعذّرت استمالتها بمعسول الكلام. فهذا هو السبيل الوحيد الذي يفسح لنا مجال الأمل بتحقيق أمانينا. هيا، سنطلع على مشاريعنا هذه امبراطورتنا التي ليست غريبة عن العنف والانتقام، وربما أرشدتنا بما لديها من مكائد، إلى فكرة أفضل وأنجع. لأنها لا تحب أن تتخاصما، بل تريد أن تصلا بالحسنى إلى نيل مبتغاكما. فبلاط الامبراطور نظير سوق الشعراء، وقصره حافل بشتى الألسنة والعيون والآذان. كذلك الغابات لا ترحم ولا تمهل بما فيها من سكون وغموض. هناك أيها الفتيان الشجعان تكرّون وتفرّون وتستخدمون مهاراتكم وترْوُون ظمأ رغباتكم بعيداً عن أنظار السماء، وتُشبعون نزواتكم من مفاتن لافينيا.

شيرون : ان نصيحتك، يا صاح، تفوح منها رائحة الجبانة والخساسة.

ديمتريوس : عليّ أن ألجأ إلى جميع الوسائل الصالحة منها والطالحة، حتى يتسنى لي أن أرشف من النبع العذب ما يُطفئ لظى أشواقي ولواعج صبابتي، ولا بأس عليّ ان شربت الماء عكراً في بعض الأحيان.

المشهد الثاني

في غابة قريبة من روما

(يدخل تيطس اندرونيكوس وأبناؤه الثلاثة وأخوه مرقس، على صوت الموسيقى ونباح الكلاب).

تيطس : بدأ الصيد، والصبيحة صافية نيّرة، والحقول عابقة بالعطر، والغابات زاهية الاخضرار. فأفلتوا الكلاب هنا وحرّضوها على النباح لتوقظ الامبراطور وزوجته الحبيبة، وتدعو الأمير إلى

الاسراع إلينا. أنفخوا أبواق الصيد لتتجاوب أصداؤها في أنحاء البلاط. تعالوا نواكب، يا أولادي، شخص الامبراطور بحرص، فقد نمْتُ هذه الليلة بقلق، لكن طلوع النهار هدّأ خاطري فداخلني بعض الارتياح.

(يسمع نباح كلاب ثم صوت نفير. يدخل ساترنينوس وتامورا وبسيانوس ولافينيا وشيرون ودمتريوس وحاشياتهم).

تيطس : الف تحية ألقي عليك، يا صاحب الجلالة، وعليك أيضاً يا مولاتي. وعدتُ سموّكِ باسماعكِ نفير الصيد، وها أنا قد بَرَرْتُ بوعدي.

ساترنينوس : لقد طرقت سمعي نبراته القوية يا سيدي بشكل مبكر بالنسبة إلى عروسين جديدين.

بسيانوس : ما رأيك، يا لافينيا؟

لافينيا : لا تصدّقه. فقد استيقظتُ باكراً، أي منذ أكثر من ساعتين.

ساترنينوس : أحضروا لنا الجياد والعربات إلى هنا. وهيا بنا إلى الصيد (لتامورا) : سترين كيف يتمّ صيدنا الروماني، يا مولاتي.

مرقس : لديّ كلاب، يا مولاي، تهاجم أشرس النمور وتتسلّق أعلى المرتفعات.

تيطس : وأنا، حصاني يلاحق الطريدة في جميع الدروب ويجتاز السهول كالخطّاف.

ديمتريوس (لشيرون بصوت حافت) : نحن لا نصطاد، يا شيرون، على ظهور الجياد ولا بواسطة مجموعة الكلاب. لكننا نأمل مع ذلك أن نوقع الغزالة في فخ ظريف.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في وهدةٍ وسط الغابة، يوجد في قعرها سرداب سرّي تخبّئ مدخله شجرة ضخمة

(يدخل هارون حاملاً كيس ذهب).

هارون : من ليس له نظر، يظن اني لا أملك ذهباً، ادفنه عند كعب هذه الشجرة ولا أتمتع بانفاقه. الأولى بانسان جاهل كهذا، أن يعلم اني بهذا الذهب بالذات أدبّر خطة سأنفّذها بإحكام لتوصلني إلى عمل جهنمي بارع. وعلى هذا الأساس، أدعك تستريح هنا، أيها الذهب الوهاج، بانتظار أن تفرّج كربة من يعرف كيف يستخدم هذه المنحة المستمدة من صندوق مال الامبراطورة.

(يدفن كيس الذهب عند كعب الشجرة التي تظلّل مدخل السرداب).

(تدخل تامورا)

تامورا : يا عزيزي هارون، لماذا تبدو هكذا حزيناً، حينما ترى كل شيء في بهجة ظاهرة؟ فالعصافير تغرّد على كل غصن، والحيّة الملتفّة على نفسها تنام في الشمس الزاهية، والأوراق الخضراء تزهو بحفيفها الرخيم، وترسم ظلالها المزركشة على الأرض. تعال نجلس في فيئها، يا هارون. وبينما الأصداء المتجاوبة تضلّل كلاب الصيد في نشر أصوات الأبواق بعيداً، كانت هناك جوقة أخرى من الصيادين بأبواقها ونباح كلابها، وبعد معاشرة كالتي نعم بها كل من ديدون وأميرها التائه عندما فوجئا بعاصفة خيّرة حملتهما على اللجوء إلى كهف متوارٍ، يمكننا ونحن متعانقين بعد انتهاء مغامرتنا الرائعة أن نذوق لذة النوم المريح تاركين

الكلاب والأبواق والعصافير تمزج أصواتها المنسجمة كأنها نشيد حنون يهدهد الطفل في سريره لينام.

هارون : اذا كانت الإلهة فينوس تتحكم برغباتك فان الكوكب زُحل يتحكم بأشواقي. ما معنى نظراتي الغاضبة المحدّقة وسكوتي وكآبتي الخانقة؟ لماذا يبدو شعري، هذه الجزّة الصوفية، المشعّثة الآن، كأنها أفاعي تتحرك لتلدغ بلسعات مميتة؟ كلا، يا سيدتي، هذه ليست بوادر متعة نشوى. فالشعور العميق بالأسى يغمر قلبي والموت يسيطر على يدي، والدم والثأر يختمران في رأسي. تمتّعي يا تامورا، فأنت امبراطورة نفسي التي لم تأمل بسماء بعيدة عن صحبتك. ها هو اليوم السعيد الذي يترقبه بسيانوس، لأن فيلومال التي تخصّه تفقد اليوم لسانها، وأبناءك سيسلبون عفتها ثم يغسلون أيديهم الآثمة من دم بسيانوس المغدور. أترين هذه الرسالة؟ أرجوك أن تأخذيها وأن تعطي الملك هذا المغلف. والآن لا توجّهي اليّ أيّ سؤال. فقد شاهدنا البعض، وبحوْزتك قسم من غنيمتنا المنشودة، وهم لا يشكوّن أبداً بخيبة أملهم.

تامورا : بالله عليك، أيها البربري، أنت عندي أغلى من حياتي.

هارون : لا تنبسي ببنت شفة، أيتها الامبراطورة العظيمة. فها هو بسيانوس يعود. حاولي أن تشاجريه، وأنا سأحرّض أبناءك على مساندتك مهما كانت حجتك.

(يخرج).

(يدخل بسيانوس ولافينيا).

بسيانوس : من أرى هنا؟ امبراطورة روما اللامعة بعيداً عن حاشيتها؟ أم هي الإلهة ديانا المتمثّلة بملامح ملكتنا، وقد غادرت غاباتها المقدسة لتشاهد الصيد في هذه الأحراج الفسيحة؟

تامورا : يا لك من مراقب جسور على خصوصياتي الحميمة. لو كانت لي قدرة ديانا كما يقال، لكنت غرست حالاً قرنين في جبينك

على غرار أكتيون، ولجعلت كلاب الصيد تطارد أطرافك المحوّلة إلى قوائم، أيها الدخيل المتطفّل.

لافينيا : بإذنك أيتها الامبراطورة اللطيفة، أقول ان من يسمع هذا الكلام يظنك سخيّة في توزيع القرون. لا شكّ في أنك وهذا البربري كنتما على انفراد تحاولان القيام بهذه التجربة. ليحفظ الإله المشتري اليوم زوجك من هذه الكلاب ما دام من أكبر الخسائر، اعتبار زوجك وعلاً شارداً في الغابات.

بسيانوس : صدقيني يا سيدتي، هذا البربري يضفي على شخصك انعكاساً خفيًّا كريهاً دنيئاً. لماذا أنت بعيدة عن حاشيتك؟ ولماذا نزلت عن جوادك الأبيض كالثلج لتتيهي في هذه البقعة المعتمة برفقة هذا البربري؟ هل من رغبة خبيثة دفعتك إلى هنا؟

لافينيا : بما انك قُوطعت هكذا في انطلاقتك، فمن المعقول ان تتهمي مولاي بالوقاحة (لبسيانوس) أرجوك أن تطاوعني في الذهاب كي تتمتع هذه المرأة بحبها الأسود كالغراب. فهذا الوادي يلائم كثيراً مثل هذا الانحراف.

بسيانوس : سأخبر أخي الملك بالموضوع المريب.

لافينيا : منذ زمن طويل هذه الانفلاتات تبرز انحرافه. أوليس غريباً أن يكون هذا الملك الطيب القلب مخدوعاً؟

تامورا : أنَّى لي الصبر على احتمال ذلك؟

(يدخل شيرون وديمتريوس).

ديمتريوس : لماذا، يا أمّاه، يعتري الشحوب محياك الجميل؟

تامورا : أولا تعتقد بأن هناك سبباً لامتقاع لوني هكذا؟ فهذان الرجلان قد اقتاداني إلى هذا المكان، إلى وادٍ مقفر حزين كما ترى، حيث الأشجار رغم طراوة الصيف تعرّت من أوراقها وجفت أغصانها وكساها الطحلب. هنا لا تَسْطَع الشمس أبداً ولا يعيش كائن حيّ ما عدا البوم الذي يزعج سكون الليل بنعيبه المشؤوم،

والغراب بنعيقه الموحش. وبعد أن أرياني هذه الهوّة الرهيبة قالا لي ان هذا المكان سيعجّ طوال الليل الفاحم السواد بألف شيطان، وألف قنفذ سترسل أصواتاً مزعجة، وان من يسمع هذه الصرخات من الأحياء نصيبه الجنون والموت الفجائي. وما كادا ينتهيان من هذا الكلام الجهنمي حتى ربطاني إلى جذع شجرة هائلة وتركاني بين أنياب الموت الغادر بعد أن نعتاني بالزانية الشهوانية الخسيسة، وبجميع ما سمعته الأذن من أوصاف مهينة. ولو لم تصلا إلى هنا بطريق الصدفة العجيبة، لكانا نفّذا فيّ أشنع انتقام. فان كنتما تتمسكان بحياة والدتكما، ما عليكما إلا أن تثأرا لها، أو لا تكونا بعد الآن ولديّ.

ديمتريوس : اليك برهان كوني ابنك

(يطعن بسيانوس بالخنجر).

شيرون (يطعنه أيضاً بخنجره) : وهذه طعنة أخرى لأبرهن على مبلغ قوّتي.

لافينيا : جاء دورك يا سميراميس، أو بالأحرى يا تامورا البربرية. لأن اسمك وحده يدل على طبعك.

تامورا (لأحد ولديها) : أعطني خنجرك، وستريان كلاكما يا ولديّ ان يد أمّكما ستعاقب والدتكما.

ديمتريوس : توقفي يا سيدتي. هو بحاجة إلى شيء آخر. أولاً أحصدي القمح ثم احرقي التبن. هذه المرأة اللطيفة تعتدّ بعفّتها وأمانتها الزوجية ووفائها، وبهذه الميزة تتحدّى جلالتك. فهل عليها أن تدفن كل ذلك معها في قبرها؟

شيرون : اذا كان الأمر كما تقول، أنا أرضى بأن أكون خصيًّا. جرّا زوجها من هذا المكان إلى زاوية خفيّة ولنجعل من جثته وسادة لمجوننا.

تامورا : لكن بعد أن تذوقا العسل الذي تشتهيانه، لن تتركا هذا الزنبور حيًّا لئلا يعقصنا.

شيرون : انا أضمن عدم اذاه يا سيدتي. سنأخذ جميع الاحتياطات. تعالي يا حسنائي لنتمتع بشبابنا وبهذه الفضيلة التي تأبين إلا الاحتفاظ بها.

لافينيا : يا تامورا، وجهك حقاً هو محيًا امرأة.

تامورا : لا أريد أن أسمع صوتها. خذوها من هنا.

لافينيا : أيها السادة الأعزاء، إلتمسوا منها أن تصغي إليّ لأقول لها كلمة واحدة فقط.

ديمتريوس : استمعي اليها يا سيدتي، ولا تستهتري بدموعها، بل انظري اليها بعين محبتك كما ترنو قطرات المطر إلى الصخر الأصم.

لافينيا (لديمتريوس) : متى ثار صغار النمور على امهاتها لا ترتدع. لا تعلمها الغضب، لأنها هي قد علمتك اياه، واللبن الذي أرضعتك اياه قد حوّلك إلى حجر لأنه مشبع بالشراسة، ولأن جميع الأمهات لا ينجبن أولاداً يشبهونهن. (لشيرون) توسّلْ اليها أنتظر عطفها كامرأة.

شيرون : ماذا تقولين؟ هل تريدين أن أثبت اني لقيط ابن زنى.

لافينيا : هذا صحيح. فالغراب لا يفرّخ قبّرة. مع ذلك سمعت أن الشفقة حركت عواطف الأسد، وكم أريد أن أرى شاهداً على ذلك، فترك براثنه الحادة، تُنْشُبُ. يقال ان الغربان تطعم الفراخ المهجورة، بينما فراخها هي تظل جائعة في عشّها. عندما يقول فؤادك المتحجّر لا، كوني انت نحوي طيبة القلب، أو على الأقل أظهري لي بعض الرفق.

تامورا : لا أدري ما معنى هذا. خذوها من أمامي.

لافينيا : دعني أنوّر طريقك. فباسم أبي الذي منحك الحياة حين كان بوسعه أن يقضي عليك، لا تكوني ظالمة ولا تصمّي عني أذنيك بقساوة.

تامورا : عندما لا تهينني أنت شخصياً، لا يمكنني أنا بسبب أبيك... تذكرا يا ولديَّ تلك الدموع التي سكبتها سدى لانقاذ أخيكما

خشية أن يذهب ضحية الغدر. لكن الوحش اندرونيكوس لم يقبل بأن يسايرني. خذاها اذاً، وافعلوا بها ما شئتم. وبقدر ما تسيئان معاملتها، تعظم محبتكما في صدري.

لافينيا : أملي كبير يا تامورا ان تستحقي لقب الملكة الصالحة، ثم أن تقتليني بيدك هنا. لأني منذ زمن طويل لم أعد أرغب في الحياة. أنا بائسة شقية حكم عليّ بالاعدام منذ موت بسيانوس.

تامورا : ماذا تنتظرين مني إذاً؟ أيتها المرأة القاسية، اتركيني وشأني.

لافينيا : انّ ما اشتهيه هو الموت حالاً، وما يمنعني لساني عن التلفظ به حياءً، ليس أحطّ منه خسّة. انقذيني من دعارتهما التي اعتبرها أفظع من الموت، ثم ارميني في حفرة سحيقة حيث لا يستطيع نظر الناس أن يكتشف جسدي. اصنعي هذا، وكوني قاتلة مشفقة محبّة.

تامورا : هكذا أسرق من ابنيّ أجرهما. كلا، أريد أن يشفيا غليلهما ويتشفّيا بما تنالينه من قهر وعذاب.

ديمتريوس : هيا سيري. فقد استَبْقَيْتِنَا هنا طويلاً.

لافينيا : لا سماح، ولا أي فضل يستمدّ من أمرأة. تبًّا لك من مخلوق قبيح، جلبت العار على بنات جنسنا كأنك عدوّ لدود. ألا فليحلّ بكِ الهلاك والزوال.

شيرون (يشدّها) : سأغلق فمك إلى الأبد. (لديمتريوس) : أنت، اجلب زوجها. ها هوذا النفق حيث طلب هارون أن نخبئه.

(يرمي بالجثة في السرداب).

تامورا : وداعاً يا أبنائي. أيقنا من موتها جيداً. (يخرج ديمتريوس وشيرون وهما يجرّان لافينيا). أتمنى أن لا يعرف قلبي الفرح الحقيقي، وأن يُقتل جميع أفراد أسرة اندرونيكوس عن بكرة أبيهم. ها أنذا ذاهبة لمقابلة صديقي الأسود، وأترك ابنيّ في هياجهما يغتصبان هذه البلهاء الغبية.

(تخرج)

(يدخل هارون ومعه كنتوس ومرتيوس).

هارون : تعالوا يا سادتي. ثبتوا أقدامكم وأنتم تسيرون. سأذهب بهم إلى الحفرة المشؤومة حيث شاهدت الفهد يغطّ في النوم.

كنتوس : لا أفهم معنى هذا. إنما أخذ النعاس يثقل أجفاني.

مرتيوس : وأنا أيضاً. أقسم لكم، لولا الحياء لغادرت الصيد كي أغفو قليلاً.

(يستيقظ وهو في السرداب)

كنتوس : ماذا جرى لي؟ هل وقعت؟ ما هذا النفق الخفي المغطّى مدخله بالعلّيق الجارح وعلى أشواكه قطرات دم حديثة العهد نظير ندى الصباح المنثور على الأزهار؟ هذا المكان يبدو لي رهيباً. تكلم يا أخي. هل جرحت أثناء سقوطك؟

مرتيوس : بل أنا جريح المشهد المريع الذي يدمي القلب ويمزّق الأحشاء.

هارون (على حدة) : سأذهب الآن لآتي بالملك كي يجد هؤلاء هنا، ويستنتج انهم هم الذين عملوا على اخفاء أخيه.

(يخرج).

مرتيوس (لكنتوس) : لماذا لا تساعدني على اخراج أخي من هذه الحفرة الملعونة التي امتصّت دمه؟

كنتوس : استولى عليّ رعب غريب. وها هي قطرات العرق تنبع من أعضائي المرتجفة. فقلبي يستنكر ما تبصره عيناي من فظاعة.

مرتيوس : واثباتاً لصحة ما تشعر به سلفاً، انظر الى هذا الكهف، وأبصر ما فيه من مشاهد الدم والموت.

كنتوس : ذهب هارون، وفؤادي لا يسمح لعيني أن تحدّق بالأشياء التي تثير الظنون والهواجس والهلع. هيا قل لي ما هذا؟ فأنا إلى

الآن لم أخبّيء شيئاً كما يفعل الصبيان أمام هذا الاحساس الذي لا أعرف منشأه.

موتيوس : مولاي بسيانوس ممدّد هنا مهشّم الأعضاء بلا حراك، مشوّه نظير خروف مذبوح في هذه الحفرة الضيقة وهو يسبح بدمه؟

كنتوس : في هذه العتمة، كيف عرفت أنه هو؟

مرتيوس : في أصبعه خاتم يلمع حجره الكريم ويضيء السرداب كأنه مشعل ينير حدّين علاهما شحوب الموت في قعر الحفرة المشؤومة. هكذا كان القمر يرسل أشعته الخافتة على الملك بريام حين مات سابحاً بدمه الكريم. ساعدني يا أخي بيدك المرتجفة. فإن كان الرعب قد استولى عليك مثلي، أعنّي على الصعود من هذه الهوّة الشنيعة التي سال فيها الدم كأنه أحد أنهار الجحيم.

كنتوس : مدّ لي يدك لأتمكن من اخراجك. فإن لم يعد لي من عزم على خدمتك، أنا أخشى أن يشدني هذا الشدق المفتوح ليبتلعني ويطويني كالقبر المظلم الذي ضمّ رفات بسيانوس. حقاً لم يعد لي من قوة لأشدّك الى حافة هذه الوهدة.

مرتيوس : وأنا لم يعد لي من قوة للصعود بدون معونتك.

كنتوس : مرة ثانية أقول لك : أعطني يدك. فلن أفلتها إلا عندما تصبح فوق إلى جانبي. واذا لم تتمكن من المجيء إليّ، فأنا آتي اليك.

(يرتمي إلى النفق).

(يدخل ساترنينوس وهارون).

ساترنينوس : تعال معي، لأرى ما هذه الهاوية، ومن الذي سقط فيها. تكلم يا من وقعتَ في هذه الهوّة الفاغرة فاها في بطن الأرض لتبتلعنا.

مرتيوس : أأنا التعيس ابن اندرونيكوس الذي قادتني شقاوتي إلى هنا لأشاهد أخاك بسيانوس جثة هامدة؟

ساترنينوس : أخي ميت؟ طبعاً أنت تمزح. لأنه مع زوجته في قصرهما

شمالي هذه الغابة البديعة. ولم تمضِ ساعة على مغادرتي اياهما.

مرتيوس : أنا لا أعلم أين تركته حياً. انما يا للأسف وجدناه هنا قد فارق الحياة.

(تدخل تامورا ثم يدخل تيطس واندرونيكوس ولوسيوس).

تامورا : أين مولاي الملك؟

ساترنينوس : أنا هنا يا تامورا. لكن الأسى يعصر قلبي عصراً.

تامورا : أين أخوك بسيانوس؟

ساترنينوس : أنت تفتحين جرحي حتى أعماقه. بسيانوس المسكين صريع يرقد ها هنا.

تامورا : أنا آتيك متأخرة جداً بهذه الرسالة. ان الخطة المأسوية المشؤومة جعلتك تتعجب غاية التعجب من أن وجهاً انسانياً يقوى على التبطّن بمثل هذه الابتسامة الوحشية القاتلة.

ساترنينوس (يقرأ الرسالة التي سلمته اياها تامورا) : اذا لم ننجح في الاتصال بك، أيها الصياد العزيز، ونحن نكلمك عن بسيانوس. تولَّ حفر قبره تحت الأشجار بقرب الصخرة التي تحجب مدخل السرداب حيث اتفقنا على دفن بسيانوس. عمّم ذلك، واعتمد علينا كأصدقاء دائمين. هل سمعت يا تامورا أمراً كهذا؟ ها هو النفق، وها هي الحفرة. إبحثوا يا سادة، لعلّكم تجدون الصياد الذي قتل هنا بسيانوس.

هارون (يسحب كيس الذهب الذي طمره سابقاً) : يا مولاي الجليل، ها هوذا كيس الذهب.

ساترنينوس (لتيطس) : اثنان من رجالك الشرسين الدمويّين قد سلبا حياة أخي.

(لرجال حاشيته) : أيها السادة خذوهما إلى السجن وابقوهما فيه حتى نبتدع لهما عذاباً لم يسبق له مثيل.

تامورا : ماذا تقول؟ هل هما في السرداب؟ يا للهول. ما هذه السهولة في اكتشاف الجريمة.

تيطس : أيها الامبراطور القدير، استحلفك بدموعي السخية، وأنا أجثو على ركبتيّ أن توقن بأن هذا الجرم الفظيع هو من صنع يدي أبنائي الملاعين.

ساترنينوس : هذا أمر مثبوت لا شك فيه، وفي غاية الوضوح. من وجد هذه الرسالة؟ هل أنت، يا تامورا؟

تامورا : اندرونيكوس بذاته إلتقطها من الأرض.

تيطس : بالفعل، يا مولاي. مع ذلك اسمح لي أن أضمنهم. أقسم بضريح والدي المبجّل، انهم مستعدون اكراماً لجلالتك، أن يقدموا رؤوسهم للقطع اذا حامت حولهم أية شبهة.

ساترنينوس : لا لزوم لضمانتهم. هيا اتبعني. ليهتمَّ البعض بجثة المغدور، والآخرون بالقتلة. لا تدعوا لهم مجالاً لقول كلمة واحدة. لأن جرمهم لا يحتاج إلى برهان. بذمّتي، لو كان هناك من نهاية أرهب من هذه لما تأخّرت عن أن أخصّهم بها بدون تردد.

تامورا : سأتوسّل إلى الملك، يا اندرونيكوس، فلا تخف على أبنائك. لن ينالهم أي أذى.

تيطس : تعال، يا لوسيوس، تعال. ولا تقف لتكلمهم

(يخرجون من جهات مختلفة).

المشهد الرابع

(يدخل ديمتريوس وشيرون آتيين بلافينيا المغتصَبَة
وقد بترت يداها وقطع لسانها).

ديمتريوس : حسناً، اذهبي الآن، وقولي، اذا كان لسانك قادراً على النطق، من قطعه لك، ومن اغتصبكِ.

شيرون : اكتبي ما يجول ببالك، واشرحي ما يدور في خاطرك. واذا لم يسعفكِ ما بقي لك من ذراعيك، اضربي على طاولة الكتابة.

ديمتريوس (لشيرون) : انظر كيف يمكنها أن تقوم ببعض الحركات والاشارات.

شيرون : عُدْ واطلب ماءً معطراً لغسل يديك.

ديمتريوس : لم يعد لها من لسان لتطلب ولا يدين لتغسل. لذا لا خوف من أن ندعها تقوم بنزهات صامتة.

شيرون : لو كان هذا حالي لكنت شنقت نفسي.

ديمتريوس : لو كان لك يدان لعملت أنا على ربط عنقك بحبل المشنقة.

مرقس : مَن هنا؟ هل ابنة أخي تهرب؟ يا ابنة أخي، أريد أن أقول لكِ كلمة. أين زوجك؟ لو كنت حالماً لما تمنيت إلا أن أظل مستيقظاً. وان كنت مستيقظاً لتمنّيت أن يرميني أحد الكواكب أرضاً وان يجعلني أرقد إلى الأبد. تكلمي يا ابنة أخي اللطيفة. من هي اليد الشريرة الشرسة التي شوهتك وقطعت أطرافك؟ من هي اليد التي حرمت جسمك من يديك، ومَن حرمك من الذراعين اللذين يهفو الملك إلى النوم مطوقاً بهما ليحظى بسعادة لا تفوقها سعادة متمتعاً بفيض حبك؟ لماذا لا تجيبينني؟ وأسفاه أرى سيلاً من الدم مثل ينبوع تتلاعب به الرياح العاتية يترقرق من بين شفتيك المخضبتين حسب تنفّسك العاطر شهيقاً وزفيراً. لا بد من أن يكون أحط الظالمين، قد أروى ظمأه من كنوزك، وليمنعك من التشهير به قطع لسانك.

ما لك تشيحين بوجهك من شدة الخجل؟ لا بد لهذا الدم النازف من جراحك الثلاثة وخدّيك المحمرّين بسبب هذه المحنة القاسية، من الانتقام لهما. هل تريدين أن أتولّى أنا هذا الأمر؟ ماذا تقولين؟ ليتني أدرك ما يدور في رأسك، ليتني أعرف الجاني اللئيم لأناقشه الحساب وأصبّ عليه جام غضبي بحسرة وأسف. فالحسناء فيلومال قد فقدت لسانها، لكنها تمكنت من تسطير أفكارها على النسيج الذي كانت تزركشه. أما أنت يا ابنة أخي الحبيبة فلا سبيل لك الى التعبير عن ارادتك. لا بد من أن تكوني صادفتِ طاغيةً داهية في التنكيل قطع أناملك الناعمة التي كانت حقّقت زركشة أروع مما قامت به فيلومال. ليتك تستطيعين التعبير عن أفكارك. سحقاً للشقي الذي جنى عليك وحرمك من هذه الأنامل التي كانت بارعة في الزركشة وفي العزف على الأوتار الشجية كأنها تداعب نياط القلب الرقيق وتحرك فيه كوامن الحيوية والمتعة. ليته سمع ما كان يجود به لسانك من ألفاظ رخيمة عذبة كأناشيد السماء. لما كان أعمل سكّينه في أوصالك ولسانك تقطيعاً هكذا فظيعاً بربرياً، بل جثا عند قدميك مذهولاً كما فعل الكلب سربار حارس أبواب الجحيم عند أقدام شاعر منطقة تراقيا. هيّا بنا نرحل. تعالي واحرمي أبيك بصره لأن هذا المشهد لا بد من أن يسبب العمى لأي والد كان. فالعواطف الجيّاشة يكفيها ساعة من الزمن لتغرق البراري العطرة، فكيف بسيل من الدموع ينهمر من مآقي أب مرزوء. لا تتهرّبي لأنك ستعذّبينني معك. ليت مواساتنا تخفّف وطأة آلامك ومحنتك الرهيبة.

الفصل الثالث

المشهد الأول

في روما

(يدخل شيوخ المجلس والقضاة وحراس المحكمة يسوقون موتيوس وكنتوس المكبلين بالسلاسل إلى مكان اعدامهما وتيطس يتقدمهما متوسّلاً).

تيطس : اصغوا اليّ أيها الذوات، أيها النواب الكرام. قفوا واشفقوا على قلبي المعذّب، أنا الذي ضحّيت بشبابي في مجازر الحروب بينما كنتم تغطّون في النوم بأمان، وباسم الدم الذي سكبته في الدفاع عن روما، والليالي الباردة التي قضيتها في السهر، والدموع السخينة التي سالت على وجناتي التي رسمتها تجاعيد الشيخوخة، ألتمس منكم أن ترفقوا بأولادي المحكوم عليهم لأن نفوسهم ليست خبيثة كما تظهرهم الظنون. أنا لم أندب فتياني الاثنين والعشرين الآخرين لأنهم ماتوا على فراش وثير من الأمجاد. (ينحني إلى الأرض؟ بينما الموكب يواصل مسيرته). بل على هذين الولدين، أيها النواب، وترونني أعفّر جبيني وأسكب دموع الأسى ونفسي حزينة حتى الموت على الدم المهدور الذي نزف من جراح القتيل المغدور ظلماً وعدواناً. بينما دم

ولديّ يصرخ لإتّقاء الوقوع في بلية أدهى، إن أنتم سمحتم باعدامهما وتلويث سمعة أبيهما.

(يخرج الموكب).

تيطس (وحده يتابع كلامه) : أيتها الأرض، سأروي ترابك بدموعي المسنّة أكثر مما يبذله هذان الشابان، كما يسقي نيسان بزخّات مطره الأرض العطشى الى غيث الربيع كمؤونة واقية من جفاف الصيف. سأسقي أرضك بدموعي السخيّة حتى عندما يذوب ثلج الشتاء ويفيض ينابيع غزيرة على الأرض أثناء فصل الربيع، اذا رفضت أن تشرب دم أبنائي الأعزاء. (يدخل لوسيوس مشهراً سيفه). أيها النواب المحترمون، أيها الشيوخ الأجلاّء، فكّوا قيود ابنيّ، والغوا حكم الاعدام، ودعوني أعلن أنا الذي لم أذرف دمعة حتى الآن، ان دموعي اليوم تنطلق بأفصح البلاغة.

لوسيوس : يا والدنا النبيل، أنت تنتحب سدىً لأن النواب لا ينصتون إليك، وليس هنا في الواقع من أحد، فلا تشْكُ آلامك للصخر الأصمّ.

تيطس : دعني يا لوسيوس أتوسط لأخويك. أيها النواب الأفاضل، استحلفكم مرة أخرى باعزّ ما لديكم أن ترقوا لحالي.

لوسيوس : مولاي الكريم، ليس من نواب يستمعون إلى صوتك، فهؤلاء هم أصنام.

تيطس : هذا لا يهمّ يا عزيزي، وإن سمعوني فلن ينتبهوا إلى ما أقول. أجل، وإن دروا بما بي، فلن يشفقوا عليّ. لذلك أشكو أحزاني العاجزة للصخور. فاذا لم تحنَّ على شقائي، فهي على الأقل أفضل من النواب لأنها لا تقاطعني حين أتكلم. وما دمت أنتحب فهي تتقبّل دموعي الوضيعة ويخيّل إليّ انها تنوح معي. أما اذا كانت مغطّاة بالأنسجة، فلن يضاهيها أحد من هؤلاء النواب. فالحجر ليّن كالشمع، اذا قورن بقلوب النواب المقدودة من

الصخر الأصمّ، وهو لا يؤذي. أما النواب فبكلمة يحكمون زوراً على الناس بالموت الزؤام. لكن لماذا تقف هكذا وسيفك مسلول؟

لوسيوس : لكي أنقذ أخويّ الأثنين من الموت. ولقاء هذه المحاولة، أصدر عليّ القضاة حكمهم بالنفي المؤبّد.

تيطس : يا لك من رجل سعيد، شاؤوا أن ينعموا عليك. لكن كيف، يا لوسيوس الغبي، لا ترى ان روما، التي أضحت مسرح النمور الباحثة عن فريسة، لا طريدة أمامها سواي أنا وذويّ. فما أسعدك في منفاك وفي بُعْدك عن هذه الوحوش الضارية. لكن، من القادم إلينا برفقة أخي مرقس؟

(يدخل مرقس ولافينيا).

مرقس : هيّئْ عيونك النبيلة للبكاء، وإلا تفطَّر قلبك. فأنا أجلب على شيخوختك آلاماً مبرّحة.

تيطس : هل يتحتم أن تحلّ بي هذه المصيبة أيضاً؟ اعلمني بصراحة.

مرقس (يشير إلى لافينيا) : هذه كانت ابنتك.

تيطس : لكن يا مرقس، أوليس هناك سواها؟

لوسيوس : تبًّا لك. هذا المشهد يمزق صدري.

تيطس : إنهض أيها الولد الجبان، وانظر إليها. وأنت، يا لافينيا، من هي اليد الملعونة التي شوهتك وجعلتك تظهرين أمام أبيك هكذا بلا يدين؟ من هو المجنون الذي صبّ الزيت على النار؟ وألقى حزمة الحطب فوق لهيب طروادة؟ كانت آلامي لا تطاق قبل مجيئك، وها هي كالنيل الذي يجتاح فيضانه جميع الحدود. أعطوني سيفاً. فأنا أيضاً أريد أن أكون مقطوع اليدين. لأنهما باطلاً حاربتا في سبيل روما. وإذا أطالتا حياتي، أغرقتاني في هوّة اليأس بعد أن امتدتا لاستجداء التماس غير مفيد، ولم تقوما إلا بمجهود عقيم. والآن أنا أسأل خدمة واحدة جليلة،

ألا وهي أن تساعد يدي الأولى على قطع يدي الثانية. ما همّني، لا يا لافينيا، أن لا يبقى لك من يدين، اذ قلّما استعملتا في خدمة روما.

لوسيوس : تكلمي، يا أختي العزيزة، من أقدم على جعلك في عداد الشهداء؟

مرقس : وا أسفاه، هذا يعبّر عن أفكاري، وقد صيغ ببلاغة ساحرة وأفلت من القفص الذهبي حيث كان العصفور الغرّيد ينشد أنغامه الحلوة التي تشنّف الآذان.

لوسيوس : واصل كلامك عنها، وقل لي من ارتكب هذه الفعلة الشنعاء؟

مرقس : وجدتها هكذا في الحديقة، وهي تحاول أن تختبىء نظير الحمل الذي أصابته بعض الجراح العميقة.

تيطس : أجل، كانت حَمَلي الوديع. والذي جرحها آلمني أكثر مما لو كان قتلني. لأني الآن كالغريق الواقع في صخرة مغمورة بالوحدة في عرض البحار. أنظر الى المدّ تتعاظم أمواجه الزاحفة بانتظار أن يبتلعني اليمّ في طيّاته الغاشمة وقد سلك ولداي هذا الطريق إلى العذاب والهلاك. ها هو ولدي الآخر منفيّ، وها هو أخي يبكي على شقائه. أمّا ما يخنق قلبي بغصة لا مزيد عليها، فهي عزيزتي لافينيا التي اعتبرها أغلى من روحي. وهكذا لو رأيتك في لوحة زيتية لجنّ جنوني. فكيف بي وأنا أشاهدك عياناً في هذه الحالة الكئيبة؟ لم يعد لك من يدين لتمسحي دموعك؟ ولا لسان لتبوحي باسم قاتلك. زوجك قتل هو أيضاً وبسبب موته حُكم على أخويك بالاعدام، وقد نُفّذ فيهما الحكم. أنظر اليها يا أخي مرقس، انظر اليها يا ابني لوسيوس. عندما ذكرت أخويها سالت دموع جديدة على وجنتيها مثل الندى على زنبقة قُطفت وأوشكت أو تذوي.

مرقس : ربما هي تبكي لأن زوجها قُتل، وربما لأنها تعرف أن المتّهمَيْن بريئان.

تيطس : اذا كان المجرمان فعلاً قتلا زوجها، عليها أن تفرح لأن القانون

عاقبهما. كلا، ثم كلا. هما لم يقترفا جرماً كهذا قبيحاً، والبرهان ما تعانيه أختهما من آلام. عزيزتي لافينيا، دعيني أقبّل وجنتيك، وقولي لي بالاشارة كيف يسعني أن أعزّيك. هل تريدين أن نجلس أنا وعمك الشهم وأخوك لوسيوس بقرب الينبوع، وأنت محدّقة تنظرين إلى خدودنا الذابلة التي باتت كالبرّية الرطبة الموحلة بعد انحساب مياه الفيضان عنها. دعونا نظل بجوار الينبوع النقي حتى يفقد عذوبته ويتحوّل إلى ماء مالح مرّ كدموعنا. هل تريدين أن نبتر أيدينا مثلك؟ أو أن نقطع السنتنا بأسناننا، وأن نقضي باقي عمرنا في شناعة الحركات المعبّرة الخرساء؟ ماذا تريدين أن نفعل نحن الذين نملك السنةً؟ تعالوا نرسم خطة شقاء مرهق يفضي إلى الذهول في مستقبل الأيام.

لوسيوس : والدي العزيز، كفّ عن النحيب لأن آلامك تحمل شقيقتنا التعيسة على البكاء والعويل.

مرقس : صبراً، يا ابنة أخي. وأنت يا تيطس الكريم، جفّف دموعك.

(يمسح عيني أخيه بمنديله).

تيطس : مرقس، يا مرقس، أنا أعلم جيداً، يا أخي، ان منديلك لم يعد يجفّف نقطة واحدة من دموعي، لأن حزنك غمرني بالكآبة الدائمة.

لوسيوس : أنا أريد أن أمسح وجنتيك يا لافينيا.

تيطس : اسمع، يا مرقس، أنا أفهم اشاراتها. فلو كان لها لسان يتكلم لقالت الآن للوسيوس ما قلته لك في هذه اللحظة بالذات. فدموعها السخية وخدودها الشاحبة لا سبيل إلى مسحهما بمنديل مشبع بدموع أخيها. ما أقسى هذه اللهفة والأسى؟ هي بعيدة عن رحاب الجنّة لا تقبل العزاء من دار الشقاء.

(يدخل هارون).

هارون : يا تيطس اندرونيكوس، مولاي الأمبراطور ارسل يقول لك : اذا كنت تحبّ إبنيك، فواحد منكم، أنت أو مرقس أو لوسيوس، ما عليه إلا أن يبتر يده ويبعث بها إلى جلالته، وهو بدوره يرسل لك ولديك حيّين. وهذه تكونَ فدية جريمتهما.

تيطس : يا له من امبراطور كريم. ويا لك من طيّب القلب، يا هارون. هل غرّد الغراب يوماً مثل العندليب، وهو يبشّر باشراق الشمس؟ أنا بكل سرور أرسل يدي إلى الأمبراطور. فهلاّ ساعدتني على قطعها، يا هارون المنقذ؟

لوسيوس : كفّ يا أبي، عن الكلام. هذه اليد النبيلة التي قضت على العديد من الأعداء، لن تُرسل إلى أحد، لأن يدي ستحلّ محلّها. فالشبان لديهم دم أوفر منك لتركه يسيل. وأنا أنوي أن أفتدي أخويّ بدمي.

مرقس : أية واحدة من يديك لم تدافع عن روما؟ ولم تشهر الفأس في وجه أعدائها؟ ان كلاً من يديك بطلة لا تضاهى. فَيَدي هي التي ظلت غير مجدية، وعليها أن تكون فدية ولَدَيْ أخي كما يتوجب عليّ.

مرقس : بل يدي هي التي ستبتر.

لوسيوس : بحق السماء، لن تكون يدك.

تيطس : لا تتشاجروا يا سادتي. ان يدي اصبحت كالغصن اليابس، ولا بأس إن أنا بترتها.

لوسيوس : يا والدي الحبيب عليّ أن أمتاز بأمر ما، لأكون أبناً حقيقياً. دعني اذاً أفتدي أخويّ وأخلصهما من الموت.

مرقس (لتيطس) : باسم أبي وبحنان أمي، أرجوك أن تدعني أثبت لك محبتي الأخوية.

تيطس : قرروا فيما بينكم. أنا أريد أن أنقذ يدي.

لوسيوس : اذاً، أنا ذاهب لآتي بالفأس.

مرقس : فأسي جاهزة وستخدمني الآن

(يخرج لوسيوس ومرقس).

تيطس : اقترب يا هارون، سأخدعهما كليهما. فساعدني وامسك بيدي لأقطعها وأسلّمك اياها.

هارون (على حدة) : اذا كان هذا خداعاً، فأنا أريد أن أظل شريفاً ولن أغش أحداً ما دمت حياً. لكني سأخدعك بطريقة أخرى. وسوف تعلم بذلك قبل مرور نصف ساعة

(يقطع يد تيطس).

(يدخل لوسيوس ومرقس).

تيطس : كفوا الآن عن النقاش. فما كان يجب أن يتمّ قد نُفّذ. خذ يدي إلى الأمبراطور يا هارون الفاضل، وقل له ان هذه اليد قد أنقذته من الف خطر، والتمس منه أن تُدفن لأنها تستحق أحسن من ذلك، فلا أقلّ من حصولها على هذا. أما والدي، فقل له ان ولديك المشترين بقليل من المال لا يزالان مرتفعَيْ الثمن لأني لم أفعل سوى استرجاع مالي.

هارون : أنا ذاهب يا اندرونيكوس، ومقابل يدك انتظرني كي أرجع اليك ولديك (على حدة) سليمي الرأس. كم تقلقني هذه الفكرة. على المجانين عمل الخير وعلى الرجال الأتقياء أن يطلبوا الإنعام. وهارون يريد أن يكون سواد نفسه كسواد وجهه.

(يخرج).

تيطس (يركع) : أنا أرفع نحو السماء هذه اليد الوحيدة واحني هذا الجسم المهموم حتى الأرض. وان كان هناك رفق بالدموع البائسة فهو ما أنشده (للافينيا التي تركع بقربه) : ماذا أرى؟ أتريدين أن تركعي معي؟ لا تتأخري اذاً يا ابنتي العزيزة. لأن السماء تستجيب تضرعكِ، أو نقلب بتنهداتنا صفاء الفلك إلى ظلام، ونحجب الشمس وراء ضباب يحاكي الغيوم الدكناء.

مرقس : تكلم برصانة يا أخي ولا تزج نفسك في هاوية القنوط.

تيطس : أوليس شقائي هوّة سحيقة لا قرار لها؟ لا بد لآلامي اذاً من أن تكون مثلها بلا قرار.

مرقس : يجب عليك أن تحكّم عقلك وتضبط حزنك.

تيطس : لو كان العقل يسيطر على هذه المواقف لملكت نفسي ووضعت حداً لعذابي. عندما تهطل دموع السماء، ألا ترى كيف تغرق الأرض في بحر الأحزان. واذا عصفت الرياح الهوجاء، إلا تتلاطم الأمواج وتعلو كالجبال، وتهدّد أديم السماء بما يعكر صفوها ويدعها ترغي وتزبد؟ بعد كل هذا، تتعجب إن لم يلازم التعقل هذا النواح والنحيب؟ (يشير إلى لافينيا) أنا المحيط، واسمع تنهدات ابنتي، وهي السماء بدموعها الهاطلة على الأرض، ولا بد لأمواجي من أن تحركها الحسرات، ولا بد لأرضي من أن يغمرها الفيضان ويغرقها الطوفان بدموعها المتواصلة. لأن أحشائي لا تقوى على امتصاص هذه العذابات، وعليّ أن أتقيأها واستفرغها نظير الرجل السكران. دعني اذاً، لأن من يخسر هو دائماً حرٌ في معالجة قلبه بأقوال أمرّ وأقسى من بلواه.

(يدخل رسول وهو حامل رأسين ويداً مقطوعة).

الرسول : يا اندرونيكوس الكريم، أنت مظلوم، ولم تقدّر تضحياتك التي قدّمتها في سبيل الامبراطور. هذان رأسا ولديك النبيلين وهذه يدك تعاد جميعها إليك بسخرية وازدراء. هم يهزأون بآلامك ويتندّرون بشجاعتك وبذكريات موت والدي.

(يخرج).

مرقس : الآن، والبركان إتْنا قد برد في جزيرة صقلّية، وقلبي يتقلّى في نار الجحيم الدائمة الاشتعال، ها هي أكثر من مصيبة يمكن

تحملها. البكاء مع المنتحبين يغزي قليلاً، انما الأسى المتغاضى عنه هو موت مضاعف.

لوسيوس : هل يتسنى لهذا المشهد أن يسبب جرحاً هكذا عميقاً، بدون أن يهزّ أركان حياة محتقرة ويهدمها؟ هل يتسنى للحياة أن تظل حاملة اسمها عندما لا يبقى منها سوى نفس ضئيل؟

(تعانقه لافينيا).

مرقس : وا أسفاه. مسكين هذا القلب. هذه القبلة ليست تعزية له أكثر من الماء المجلد بالنسبة إلى أفعى جائعة.

تيطس : متى ينتهي هذا النوم المريع؟

مرقس : الآن، وداعاً أيها السراب الخدّاع. مت يا اندرونيكوس، أنت لا تنام. أنظر إلى رأسَيْ ولدَيْك وإلى يدك المقطوعة. وأنظر إلى ابنك الآخر المبعد وقد سبّب له الشحوب هذا المشهد الأليم المفجع، وأنا أيضاً أخوك وقد أصبحت كتمثال من حجر بارد جامد. أنا لا أريد تخفيف آلامك. انتف شعرك الذي وخطه الشيب وعضّ يدك الثانية بأسنانك. وليغمض هذا المنظر الفظيع عيونك المقرّحة. حان وقت افلاتك من وثاقك، فلماذا تظل هادئاً؟

تيطس (يضحك) : ها ها ها.

مرقس : لماذا تضحك؟ هذا في غير أوانه.

تيطس : لأني لم أعد أملك دمعة واحدة أسكبها. ثم هذا اليأس عدو يريد التحكّم بعينيّ اللتين بلّلهما وأعماهما سيل الدموع. فكيف أجد طريقي إلى بركان الانتقام؟ لأن هذين الرأسين يبدوان كأنهما يكلّماني ويفهمان اني لن أذوق طعم السعادة إلا اذا رددت كيد اخصامي إلى نحرهم. هيا، هيا قولوا لي، ماذا يتحتّم عليّ أن أفعل. أنتم أيها التعساء تحلّقوا حولي لكي استطيع أن ألتفت إلى كل واحد منكم وأقسم لنفسي اني سأنتقم لاهاناتكم. لقد

أعلنت حلفاني. هيا يا أخي تناول أحد الرأسين وبيدي هذه سأحمل الرأس الآخر. وأنت يا لافينيا سيكون لك دور أيضاً. احملي يدي يا ابنتي العزيزة بين أسنانك. أما أنت يا ولدي فاغرب عن وجهي، أنت منفيّ وعليك أن لا تمكث هنا. اسرع إلى القوط واجمع منهم جيشاً، اذا كنت حقاً تحبني كما أعتقد. تعال نتعانق ونفترق، لأن لدينا أعمالاً كثيرة.

(يخرج تيطس ومرقس ومعهما لافينيا).

لوسيوس (وحده) : الوداع يا أبي النبيل اندرونيكوس، يا أتعس رجل عاش في روما. وداعاً يا روما الرائعة، إلى أن أعود أنا لوسيوس اليك، فإني أترك ها هنا رهائن أعزاء على قلبي كحياتي. وداعاً يا أختي العزيزة لافينيا، أنت التي لم تعودي كما كنت سابقاً. لكني أنا لوسيوس وأنت يا لافينيا لن نعيش إلاّ في زوايا النسيان وفي قبضة أفظع الآلام والأحزان. فان أنا بقيت حياً سأثور لما اصابك من اهانة ومذلة وسأحمل ساترنينوس وامبراطورته على طلب الرحمة أمام أبواب روما كما فعل ترقان وملكته. ها أنا الآن ذاهب إلى القوط وسأجند منهم قوّات هائلة لمعاقبة روما وساترنينوس.

(يخرج).

المشهد الثاني

في قاعة مائدة بيت تيطس أمام أطعمة مختلفة

(يدخل تيطس ولافينيا ولوسيوس الشاب ابن لوسيوس المتقدم في السن).

تيطس : والآن، لنجلس ونأكل فقط ما نحتاج إليه للمحافظة على قوانا بغية الانتقام لكوارثنا المريرة. وأنت يا مرقس فكَّ هذه العقدة التي أحدثها اليأس. فأنا وابنة أخيك المسكينة لم يعد لنا من أيد ولا سبيل لنا إلى العزاء ما دمنا متقاعسين لا نأتي بأية حركة. أنا لم يبق لي سوى هذه اليد اليمنى التي تعذبني عندما أقرع صدري وحين يخفق قلبي جنوناً بسبب محنتي وهو حبيس بين حنايا ضلوعي ولا حول لي إلا لتصبيره وكتم شكواه. (يقرع صدره. يقول للافينيا) : وأنت يا مستودع الحزن والشقاء، لا تستطيعين التعبير إلا بحركات مبهمة غير مفهومة عندما تضيق بك الدنيا ويغلب عليك الأسى أقرعي أنت أيضاً صدرك لتهدئة قلبك المكلوم، ونفّسي عنه بتنهداتك لتسكين أوجاعه. وإلّا خذي سكّيناً بين أسنانك وأغرسيه في قلبك هذا حتى تنسكب كل دموعك السخية النابعة من مآقيك في هذه المحنة القاسية لعلها تبرّده وتغرقه في فيض هذه المرارة الجنونية المتدفقة من عينيك.

مرقس : تبًّا لك، يا أخي. لا تعلّمها هذا العنف نحو ذاتها لئلاّ تلحق الأذى بحياتها.

تيطس : ماذا تقول؟ هل أفقدك الشقاء صوابك؟ يا مرقس، لا أحد غيري يمكنه أن يتصرّف بجنون. بأية يد شرسة يسعها أن تضرّ بنفسها؟ لماذا ترشقنا بكلماتك الجارحة ولا تكفّ عن ذكر اليد التي تثير في أعماقنا أمرّ الذكريات؟ بالله عليك لا تكرّر ذكرها ولا تتكلم عن الأيدي خشية أن تذكّرنا بأننا فقدناها. سحقاً لي. ما هذا الكلام الذي يرهقنا بتذكيرنا اننا فقدنا أيدينا، بينما

مرقس لا يكفّ عن ذكر هذه الأيدي. هيا بنا إلى المائدة. وأنت أيتها الفتاة الحلوة، كُلي هذا، إذْ لم يعد لدينا ما نشربه. اسمع يا مرقس ما تقوله فأنا أستطيع أن أفسّر كل ما تريد أن تعبّر عنه في استشهادها. هي تقول انها لا تقوى على شرب أي سائل ما عدا دموعها التي تمتزج بآلامها وتنهمر على خديها. فهي شاكية خرساء. سأدرس فكرتك وسأتمرن على فهم حركاتك الصامتة التي يستجديها النساك في صوامعهم أثناء تضرعاتهم. لن تتنهدي ولن ترفعي بقايا ذراعيك إلى السماء، ولن تغمزي القبة الزرقاء بطرف عينيك، ولن تشيري اليها بهزّ رأسك ولا بطيّ ركبتك ركوعاً للدلالة على الخضوع. لا، لا، لن أحاول أن أفهم ما يجول في خاطرك حتى ولا بالاشارة.

لوسيوس الشاب (والدموع تملأ عينيه) : حسناً يا جدّي. دع عنك هذا النحيب المرير، وسلِّ عمتي ببعض القصص المرحة.

مرقس : وا أسفاه، يا ولدي الحنون. أراك دامع العين وأنت تنظر إلى آلام جدك الحزين.

تيطس : هدّىء روعك، يا بني. لا أرى في عينيك سوى الدموع. وأخشى أن يذوب قلبك سريعاً من شدة الأسى. (يضرب مرقس صحنه بسكينه) لماذا تضرب صحنك بسكينك، يا مرقس؟

مرقس : لقد قتلت كائناً حياً، يا جدّي. قتلت ذبابة.

تيطس : الويل لك يا قاتل. أنت تطعن هكذا قلبي. فان عينيّ تعبتا من رؤية الظلم والطغيان. فتسبيب الموت لأحد الأبرياء لا يليق بشقيق تيطس. إذهب لأني لا أجد لك مكاناً بصحبتي.

مرقس : وا أسفاه، يا مولاي. أنا لم أقتل سوى ذبابة.

تيطس : لو كان لهذه الذبابة أب وأمّ، كم كانا ينشران شكواهما حيث حملتهما أجنحتهما الذهبية، ويملآن الأجواء بطنينهما وندبهما. مسكينة هذه الذبابة المسالمة التي جاءت إلينا لتبهج أوقاتنا بهينمتها الرقيقة، فما كان منك إلا أن قضيت عليها.

مرقس : سامحني يا مولاي. كانت هذه الذبابة سوداء اللون تشبه بربري الأمبراطورة، ولذلك قتلتها.

تيطس : اذاً، سامحني لأني لمتك على هذا العمل الخيّر. ناولني سكّينك لأنفّس عن غيظي، وأنا أتصور أن هذا البربري قد قدم إلى هنا لتسميمي. هذا لك، هذا لتامورا. يا لك من خبيث. على كل حال لا أظننا قد تدنّينا إلى هذا الدرك المنحط حتى نتعاون كلانا على قتل ذبابة صغيرة تذكّرنا بالبربري الفاحم السواد.

مرقس (على حدة) : آسف لهذا الرجل المسكين. فقد أفقده الألم صوابه، وراح يتصوّر أموراً لا وجود لها إلا في خياله، ولا تمتّ إلى الواقع بأية صلة.

تيطس : هيا ارفعوا السفرة. يا لافينيا، تعالي معا. أنا ذاهب إلى غرفتي لأقرأ معك قليلاً بعض قصص الماضي الكئيب. تعالي يا ابنتي، تعالي معي. أنت نظرك لا يزال فتيًّا، ويمكنك أن تقرإي بلا كلل حين يدرك الارهاق عيوني.

(يخرجون).

الفصل الرابع

المشهد الأول

أمام منزل تيطس

(يدخل تيطس ومرقس، ثم لوسيوس الشاب فتجري وراءه لافينيا. يهرب الفتى وتحت إبطه كتبه التي يدعها تتساقط على الأرض).

لوسيوس الشاب : النجدة، يا جدي، النجدة. فان عمتي لافينيا تلاحقني في كل مكان، ولا أدري لماذا. يا عمي الكريم مرقس، أنظر كيف تأتي مسرعة. وا أسفاه لا أدري يا عمتي العزيزة، ماذا تريدين مني.

مرقس : ابقَ إلى جانبي ولا تخف من عمتك.

تيطس : هي تحبك كثيراً يا ولدي، ولا تريد أذاك.

لوسيوس الشاب : أجل، عندما كان والدي في روما، كانت هي تحبني كثيراً.

مرقس : ماذا تقصد ابنة أخي لافينيا بهذه الحركات؟

تيطس : لا تخف منها، يا لوسيوس. هي تريد طبعاً أن تقول شيئاً. أنظر يا لوسيوس، أنظر كيف تدلّلك. هي تريد أن ترافقها إلى مكان ما. يا ولدي، لم تجتهد كورنيليا في تثقيف أولادها أكثر ما فعلت لافينيا لتعلمك أشعار القصيدة الرائعة « الخطيب »

من نظم شيشرون، ألا تحزر لماذا تضمك هكذا إلى صدرها؟

لوسيوس الشاب : انا لا أذكر شيئاً يا مولاي، ولا يسعني أن أحزر إلا اذا كان تصرفها نوعاً من الهذيان الذي استولى عليها. في الواقع سمعت مراراً من جدّي ان شدة الحزن تؤدّي الى الجنون. ولقد قرأت ان هيكوب الطروادية قد أفقدها الحزن صوابها. وهذا ما أفزعني، وإن كنت أعلم، يا سيدي، ان عمتي النبيلة تحبني أكثر من أمي بما لا يقاس، وأنها لا تريد أن تقلق حداثتي إلا اذا داهمها ضرب من الهوس. وهذه الفكرة بالذات هي التي جعلتني اطرح كتبي جانباً وأهرب، ربما بدون سبب يستدعي ذلك. لكن سامحيني يا عمتي العزيزة. أجل يا سيدتي، اذا شاء عمي مرقس أن يذهب فأنا مستعد أن ألحق بك راضياً.

مرقس : انا أريد يا لوسيوس

(تعيد لافينيا إلى لوسيوس كتبه التي تركها تسقط على الأرض).

تيطس : ما رأيك يا لافينيا؟ ماذا يعني هذا يا مرقس؟ هناك بعض كتب تريد أن تراها. أي منها، يا ابنتي؟ افتحيها يا عزيزتي، فأنت مثقفة ومنوّرة أكثر من سواك. تعالي واختاري من كل مكتبتي ما يعجبك وانسي عذابك إلى أن تكشف السماء عن اللعين الذي سبّب كل هذه المصائب. أي كتاب تريدين؟ لماذا ترفع ساعديها الواحد تلو الآخر؟

مرقس : اظن انها تريد أن تقول أن هناك أكثر من مجرم. نعم، أكثر من واحد. أو أنها ترفع ساعديها لتلتمس من السماء الأخذ بالثأر.

تيطس : ما هذا الكتاب الذي تحركه هكذا، يا لوسيوس؟

لوسيوس الشاب : هو، يا جدّي، كتاب « التحوّلات » تأليف أوفيريوس الذي أهدتني اياه والدتي.

مرقس : هل اختارت هذا المجلد بالذات من بين عدد كبير من أمثاله، إحياءً لذكرى الفقيدة؟

تيطس : مهلاً، أنظر كيف تقلّب صفحاته بعجلة. تعال نساعدها. ماذا تريد أن ترى؟ هل قرأت اسم لافينيا؟ هذه مأساة فيلومال التي تروي خيانة رجل جبان مغتصب. وأنا أخاف أن يكون الاغتصاب علة مصابها.

مرقس : أنظرْ، يا أخي، أنظرْ، ولاحظْ كيف تتأمل الصفحات.

تيطس : يا ابنتي الحبيبة لافينيا، هل فاجأك الجاني واغتصبك وأذلّك، كما جرى لفيلومال التي اعتُدي عليها في أعماق الغابة بشراسة وحشية. أجل، أجل. هناك مكان يشابه المكان الذي اصطدنا فيه. وقانا الله مغريات الصيد. نعم هو شبيه بالمكان الذي يصفه الشاعر هنا، كأن الطبيعة أعدّته ليكون مسرحاً للاغتصاب والاغتيال.

مرقس : لماذا نلصق بالطبيعة تهمة فظيعة كهذه، ولا نفترض ان الآلهة سَرّها أن تشهد مثل هذه المأساة؟

تيطس : أجيبينا بإشارة يا ابنتي العزيزة. فبيننا ليس سوى الأصدقاء. من هو المولى الروماني الذي جَسُر على ارتكاب هذا المنكر؟ هل تخلّى ساترنينوس عن مسؤوليته كما فعل ترقان في الماضي وقد غادر مخيّمه ليدنّس سرير لوكريس؟

مرقس : اجلسي بجانبي يا ابنة أخي الحلوة. وأنت أيضاً يا أخي، وأنتم يا أبولون وبالاس والمشتري وعطارد، ألهموني لأكتشف مرتكب هذه الخيانة الدنيئة. انظر الى هنا، يا مولاي. تطلّعي الى هنا يا لافينيا. (يكتب اسمه على الرمل بعصى يوجّهها برجليه وبفهم) هذه الأرض المرملة مسطّحة. وجّهي اذا استطعت هذه العصا نظيري أنا، واكتبي اسمي بدون الاستعانة بيديّ. اللعنة تحلّ بمن دفعنا إلى اجراء هذه التجربة. اكتبي يا ابنة أخي العزيزة، واعلمينا أخيراً في هذا المكان، بما تشاء السماء أن تظهره لمعاقبة الجاني. ساعدتك السماء على كشف السر بكتابة ما لا يسعك أن تبوحي به من شقائك لنعرف الخائن المجرم ونطّلع على حقيقة الأمر.

(لافينيا تأخذ العصا بين أسنانها وتكتب، وهي توجّه القضيب ببقايا ساعديها المبتورين، اسمَيْ شيرون وديمتريوس).

مرقس : ماذا كتبت؟ هذان هما ابنا تامورا اللذان أعمتهما الشهوة وسيطر عليهما المجون فأتيا هذه الفعلة الشنيعة الخسيسة.

تيطس : يا إله السماء القوي، أيقتضي لك كل هذا الوقت الطويل لتسمع وتبصر هذه الجرائم البشعة.

مرقس : هدّئ روعك يا مولاي. أنا أعترف بأن ما كُتب على الأرض يكفي لاثارة الأرواح المسالمة واغضاب قلوب الأولاد البريئة. إركع معي يا مولاي واركعي يا لافينيا، وأنت أيضاً يا ولدي الحبيب؟ أنت يا أمل هكتور الروماني. اركعوا واقسموا معي كما فعل بعد اغتصاب لوكريس، السيد يونيوس بروتوس بالزوج التعيس وبوالد هذه المرأة الفاضلة التي دنّس شرفها. اقسموا معي على ملاحقة هؤلاء القوط المعتدين، والانتقام منهم بإراقة دمائهم، وإلا هلكنا جميعاً إذا لم نغسل عارنا.

تيطس : لا بد من الانتقام، وعلينا أن نعرف كيف، مهما كان الجرح الذي أحدثناه في الدبّ الصغير طفيفاً، علينا أن نكون على حذر لأن أمّه دائماً بالمرصاد. واذا شمّت رائحتكم، اعلموا جيداً انها تنقلب إلى لبوءة مفترسة، فهي تؤرجح صغيرها حين تكون مستلقية على ظهرها. لكنها حالما يغفو باستطاعتها أن تتصرف كما تشاء. أنت صيّاد حديث العهد يا مرقس، فدعني أتصرف، وتعال نبحث معاً عن صفيحة من نحاس لها زاوية حادة كالفولاذ، لأكتب عليها هذه الكلمات واحفظها على سبيل الاحتياط. (يريه الكلمات التي كتبتها لافينيا) رياح شمالية هوجاء ستبدّد هذه الرمال نظير أوراق العرّافة، فأين تكون امثولتك حينذاك؟ ماذا تقول يا ولدي.

لوسيوس الشاب : أقول يا سيدي اني لو كنت رجلاً، لما تركت مخدع

أمَّ هؤلاء الصعاليك الجبناء في أمان بل أخضعتها معهم كالخونة لنير روما.

مرقس : أجل، هذا ولد يليق بذويه. فأبوك تصرّف مراراً باخلاص حيال وطنه العقوق.

لوسيوس الشاب : سأتصرف هكذا يا جدي، إن أمدّت السماء في عمري.

تيطس : هيا، تعال معي إلى قاعة الأسلحة. سأدجّجك بالسلاح يا لوسيوس. ثم سأحملك أنا بنفسي يا ولدي الي أبناء الامبراطورة، وأقدمهم لك غنيمة باردة. تعال، تعال. ستنفّذ وعدك ووعيدك يا ولدي. أليس كذلك؟

لوسيوس الشاب : أجل، وبخنجري هذا الذي سأغرسه في صدورهم، يا جدي.

تيطس : كلا، يا ولدي. سأعلّمك طريقة أخرى للوصول إلى مبتغاك. تعال يا لافينيا. وأنت يا مرقس، احرس البيت. فأنا ولوسيوس سنذهب إلى البلاط لنصنع المعجزات. أجل وحق السماء يا مولاي، سنصطحب معنا موكباً طويلاً.

(يخرج تيطس ولافينيا والشاب لوسيوس).

مرقس : أيتها السماء، هل يسعك أن تستمعي إلى رجل كريم يتنهد، ولا تعطفي عليه، ولا ترحمي شقاءه؟ اذهب يا مرقس، اتبعه في هذيانه هو الذي يحمل في قلبه من الجراح أكثر مما يعذبه من ألم. كم وكم من آثار الطعنات يحمل درعه المحدودب الذي واجه به الأعداء بجرأة وإقدام، هو الشريف الذي لا يحقد ويأبى الانتقام. أتمنى أن تنتقم السماء عنه من العجوز اندرونيكوس.

(يخرج).

المشهد الثاني

في القصر

(يدخل من أحد الأبواب هارون وشيرون وديمتريوس،
ومن باب آخر يدخل لوسيوس الشاب وأحد الخدم حاملاً مجموعة أسلحة
محاطة بورقة عليها بعض الأشعار).

شيرون : هذا هو ابن ليوسيوس يا ديمتريوس، وهو يحمل إلينا رسالة.

هارون : وما هي الرسالة المشؤومة التي يأتينا بها من جده اللئيم؟

لوسيوس الشاب : يا سادتي، بكل تواضع أحمل إليكم تحيات اندرونيكوس. (على حدة). وأطلب من آلهة روما أن تمحقكما كليكما.

ديمتريوس : شكراً جزيلاً يا لوسيوس الكريم. ما وراءك من الأخبار؟

لوسيوس الشاب (على حدة) : الخبر الهامّ هو أنكما معتبرين كشقيقين متهمين بالاغتصاب (بصوت عال). أفيدكما بأن جدّي الذي يريد مساعدتكما قد أرسل إليكما أجمل ما عنده من أسلحة لتبتهجا بها في شبابكما وأنتما أمل روما الزاهي. هذا ما أوصاني بأن أنقله إليكما من كلام، أقوله وأنا أقدّم هديته لسيادتكما كي تستعملاها عند الاقتضاء ولا تفتقرا إلى أية وسيلة للدفاع عن نفسيكما. والآن استأذنكما بالانصراف. (على حدة). سحقاً لكما أيها القاتلان الفاسقان.

(يخرج الشاب لوسيوس والخادم).

ديمتريوس : ماذا أرى هنا؟ ورقة عليها كتابة. لنقرأها :
« الرجل البعيد عن الملامة، البريء من كل جرم، لا يحتاج إلى القوس والنبال ».

شيرون : هذه من أقوال هوراس التي أعرفها جيداً، لأني قرأتها في أحد الكتب منذ زمن بعيد.

هارون : أجل، هذه من أقوال هوراس. أنت على حق. (على حدة). هكذا تكون الحمير. لأن المسألة ليست مزاحاً. اكتشف الرجل جريمتهما وأرسل إليهما أسلحة ملفوفة بالحكم الذي جرحهما في صميم القلب من غير أن يدريا. لكن متى علمت الامبراطورة ستصفّق لفكرة اندرونيكوس. لندعها تأخذ قسطاً من الراحة على سريرها، وهي ساهرة لا يعرف النوم سبيلاً إلى أجفانها. (بصوت عال). يا سادة، أولا ترون أن حسن طالعنا قادنا إلى روما نحن الغرباء، وفوق ذلك نحن أسرى، لنرتقي إلى هذه الرفعة السامية. لقد شعرت بالغبطة وأنا أمام باب القصر أتحدّى النائب أمام أخيه بالذات.

ديمتريوس : وأنا ابتهجت أكثر منه لدى رؤية مولاي يتواضع ويتنازل الى ارسال هذه الهدايا.

هارون : أوليس له من عذر على تصرفه هذا يا مولاي ديمتريوس؟ أولم تعامل ابنته بكل مودة؟

ديمتريوس : تمنيت لو أن في روما ألف سيدة مستعدة لخدمتنا كما نريد.

شيرون : هذه أمنية طيّبة تدل على فيض من المحبة والاخلاص.

هارون : هنا لا ينقصنا إلا أمك لتقول آمين.

شيرون : وستردّدها أيضاً لعشرين ألف سيدة رومانية.

ديمتريوس : تعالوا نذهب ونتضرع إلى الآلهة لأجل والدتنا الحبيبة. فهي فريسة الآلام والأحزان.

هارون (على حدة) : الأَوْلى أن تصلّوا للابالسة، لأن الآلهة قد تخلّت عنكم من زمن طويل.

(تصدح الموسيقى).

ديمتريوس : لماذا تنفتح أبواق الامبراطور هكذا؟

شيرون : بلا شك، ابتهاجاً بالمولود الجديد الذي رُزقه الامبراطور.

ديمتريوس : مهلاً. من الآتي هنا؟

(تدخل مرضع وهي تحمل طفلاً أسود اللون بين ذراعيها).

المرضع : صباح الخير يا سادتي. هل رأيتم البربري هارون.

هارون : نعم ولا، أو أبداً. أنا هارون، ماذا تريدين مني؟

المرضع : يا سيدي هارون، سنهلك كلنا إن لم تتدارك الأمر عاجلاً.

هارون : ما هذه الضجة التي تثيرينها هنا؟ ماذا تحملين بين ذراعيك؟ ما هذه الصرة؟

المرضع : ما أردت أن أخفيه عن عيون السماء، أعني عار امبراطورتنا وفضيحة روما الكبرى، وقد وُلدتْ يا مولاي، أجل وُلدتِ الآن.

هارون : ماذا تقولين؟

المرضع : أريد أن أقول انها وُضعتْ منذ برهة.

هارون : اسأل الله أن يحفظها سالمة، وماذا أنجبت؟

المرضع : شيطاناً صغيراً.

هارون : فأصبحت هكذا أمّ الشيطان بل أمّ المسخ.

المرضع : أجل أمّ مسخ شقي بشع أسود مشؤوم. ها هوذا الطفل اللعين، الشبيه بالضفضع بين أجمل أطفال البلد. ارسلته لك الامبراطورة كبرهان ساطع على قباحتك، وهي تأمرك بأن تضع له علامة برأس خنجرك.

هارون : سحقاً لها من زانية. ألا ترى شناعة هذا اللون الكريه. يا له من طفل منحوس.

ديمتريوس : ماذا فعلت، أيها الجبان؟

هارون : ما لا تستطيع أن تنكره.

شيرون : لقد سببت الهلاك لوالدتنا.

هارون : بالعكس، أنا أنقذتُ والدتك أيها الغبي.

ديمتريوس : أبهذا تنقذها، يا أحطّ زبانية الجحيم. أهكذا أذللتها يا وجه البوم؟ ملعون هذا الشيطان الأسود.

شيرون : لن تُكتب له الحياة.

هارون : بل سيظلّ حيًّا.

المرضع : هذا واجب يا هارون. هكذا تشاء والدته، ولن يتولّج أحد سواي نحرْ من أرضعته.

ديمتريوس : سيخترق خنجري قلب هذا الثعبان الذميم. اعطيني اياه أيتها المرضع. ها هي نصلتي منتضاة للاجهاز عليه.

هارون (يستل سيفه) : هذا السيف سيقطع أوصاله بأسرع من لمعان البرق (يأخذ الطفل من ذراعي المرضع). جمّدوا هذا الوحش الضاري. هل تريد أن تقتل أخاك؟ بحق كواكب السماء المنيرة، لا بد لي من الدفاع عن هذا الولد الرائع بحد سيفي. ومن يلمس هذا الملاك، أي ابني البكر ووريثي، موتاً يموت. اقسم لكم بأن لا أحد، حتى ولا تيوفون ولا السيد الكبير ولا إله الحرب، يقوى على أخذ هذا الولد من يد أبيه. هيا أيها السفاح الشاب، أيها الذئب الغدار، يا عنوان العربدة والهرج، اعلم ان الجلْد الأشد سواداً هو أنصع بياضاً من جميع الأولاد الآخرين. واعلم أيضاً أن مياه البحر بأجمعها لا تستطيع أن تبيّض جناح أوزة حقيرة. بلّغ الامبراطورة من قبلي اني في عمر يسمح لي بالدفاع عما يخصّني، ولتعتبر كلامي هذا كما يحلو لها.

ديمتريوس : أتريد هكذا أن تخون سيدتك النبيلة؟

هارون : مولاتي هي مولاتي. وهذا الولد يخصني أنا. هو صورة شبابي وطيشه، أفضّله على كل أولاد الدنيا، وسأصون حياته رغماً عن أنف الجميع وكثيرون في روما سيغارون منه ويحسدونه.

ديمتريوس : هذا الولد لطّخ شرف أمّنا بعار لا يمْحى.

شيرون : ستلومها روما على هذه الفعلة السوداء.

المرضع : لقد حكم الامبراطور عليها بالاعدام من شدة غيظه وغضبه.

شيرون : وأنا أخجل من حماقتها هذه الخسيسة.

هارون : أجل، هذه نتيجة تغنيجك اياها ومسايرة دلالها. تبًّا لهذا السواد المشؤوم الذي يفضح أسرار القلب المخزية. وسحقاً لهذا الشاهد

اللعين الذي يتسم لأبيه الأسود كأنه يقول له : أنا صنيعتك أيها العجوز المتصابي. هو أخوك يا مولاي من لحم ودم من منحتك الحياة، ولدته من البطن الذي أنجبك. أجل هو أخوك، ولا مجال للشك في السمة المطبوعة على محياه.

المرضع : ماذا تريد أن تقول للأمبراطورة، يا هارون؟

ديمتريوس : قرر، يا هارون، ما يجب أن تفعله، ونحن نناصر فكرتك، انقذ الولد، اللّهمّ اذا نجونا نحن أيضاً.

هارون : هيا نجلس ونتشاور معاً. أنا وابني نضع مصيرنا بين يديك. لنمكث هنا ولنبحث عن وسيلة لخلاصنا جميعاً.

ديمتريوس : كم امرأة شاهدت هذا الطفل؟

هارون : عافاكم الله أيها السادة. عندما نكون جميعنا متّحدين ومتفقين، ترونني كالحمل الوديع. لكن اذا جابهتموني انا البربري، ستجدونني كالنمر الشرس وكأسد الغاب، وستلاقون المحيط العاصف أهدأ مني حين أغضب. هيا لمعالجة قضيتنا. كم من الأشخاص شاهدوا الطفل؟

المرضع : انا والقابلة القانونية كرنيليا طبعاً، والامبراطورة والدته.

هارون : انت والامبراطورة والقابلة فقط. اثنتان يسعهما حفظ السر في غياب الثالثة. اذهبي وقابلي الامبراطورة وأعيدي لها ما قلت. (يطعنها بخنجره). واك، واك. هكذا يصيح الخنزير عند ذبحه واعداده ليُشْوَى.

ديمتريوس : ماذا تقصد يا هارون؟ لماذا تصرفت هكذا؟

هارون : يا سيدي، هذا عمل سياسي. هل عليها أن تعيش لتفضح غلطتي. هذه ثرثارة طويلة اللسان. كلا، ثم كلاّ، يا مولاي. والآن إطّلع على خطتي الكاملة. ليس بعيداً من هنا، يقطن ملاتيوس ابن بلدي. زوجته وضعت يوم أمس، وطفلهما يشبه هذه المرأة، لأنه أبيض مثلك، فاتفق أنت وأبوه واعطِ أمّه ذهباً واشرح لهما تفاصيل مشكلتك وكيف ستعيش ابنهما مرفّها ولأي مصير

مرموق يُهيّأ، اذ سيعامل كأنه وريث الامبراطور، عندما سيصبح كإبنه، اذا استبدلناه بابني. أجل سيحنو عليه الامبراطور كولده الحقيقي. اتسمعونني يا سادتي؟ هل رأيتم كيف وجدنا الحلّ. (يشير إلى الرضيع) والآن عليكم أن تهتمّوا بدفن الطفل الأسود في التربة القريبة من هنا. فأنتم أناس ظرفاء. ثم أتدبّر أنا أمر القابلة القانونية التي يتحتّم عليها أن تختفي كما اختفت المرضع لمنعها من الثرثرة على هواها.

شيرون : اكراماً لما تكنّه من الاحترام والاعتبار لتامورا ولذويها الذين يقدّرون موقفك حيالهم.

(يخرج ديمتريوس وشيرون الذي يحمل الرضيع).

هارون : والآن هيا بنا نذهب إلى القوط بأسرع من طيران السنونو. هناك سأودع الكنز الذي أحمله وأئتمن أصدقاء الامبراطورة عليه بعد أن أكلمهم سراً عن طياشتها. فإلى الأمام، يا صاحب الشفاه الغليظة، سأحملك بعيداً عن هذا المكان، لأننا بسببك مضطرون إلى اللجوء إلى حيل كثيرة. سأطعمك ثماراً بريّة وجذوراً وأسقيك قليلاً من اللبن الذي أستدرّه من العنزة، وأسكنك في كهف وسأدرّبك حتى تصبح من المحاربين الأشداء وأعدّك لتستلم قيادة معسكر بكامله.

(يخرج).

المشهد الثالث

في مكان على مقربة من القصر

(يدخل تيطس ولوسيوس الشاب وغيرهما من السادة حاملين أقواساً.
يحمل تيطس النبال وفي رؤوسها معلّقة شتى الكتابات).

تيطس : تعال يا مرقس، تعال. يا أبناء عمي، ها هو الطريق. يا سيدي ارنا مهارتك في رمي النبال. أحكم تصويبك فينطلق السهم رأساً كرمز الحق والعدالة. أجل تذكّر يا مرقس. لقد مضيت لأشتري ثم هربت. اشهروا يا سادتي أسلحتكم. وأنتم يا أبناء عمي، اذهبوا واستكشفوا المحيط والقوا شباككم بين طيات أمواجه. فلربما وجدتموها في قلب البحر. مع انها ليست هناك كما هي ليست على الأرض. كلاّ، يا بوبليوس ويا سمبرونيوس، عليكما أنتما أن تفعلا ذلك. عليكما أن تحفرا بالمعول والمجرفة، وأن تخترقا أعماق الأرض، وعندما تصلان إلى بلاد بلوتون، أرجوكما أن ترفعا إليه هذا الإلتماس، وقولا له انه يتوسّل إليه ان يمنحه العون والانصاف، وان هذا الالتماس صادر عن اندرونيكوس العجوز الذي ثقلت على منكبيه المصائب في روما العاقّة. أجل، روما ذاتها. انا جلبت لك الشقاء منذ أن حوّلت إليك أصوات الشعب الذي يضطهدني هكذا لأجله. هيّا، اذهبوا وكونوا جميعكم يقظين، وابحثوا في جميع المراكب الحربية، لربما أنزل هذا الامبراطور اللعين اليها رجاله. فلا يمكننا بعد ذلك يا أولاد عمي أن نطالب بشيء، اذ نكون حينذاك كمن يغني في الطاحون.

مرقس : ألا تجد المسألة شاقة يا بوبليوس حين تسمع هذيان عمك أثناء تضعضع أفكاره؟

بوبليوس : لمن أوجب واجباتنا يا مولاي، أن نسهر بعناية على عمنا نهاراً

وليلاً، نداري مزاجه بما أمكن من اللطف إلى أن يشفيه الوقت من علته ويصل إلى شاطئ السلامة.

مرقس : هذه العلة، يا أبناء عمي، لا دواء لها. فما علينا إلا أن ننضمّ إلى القوط، ونحاول الانتقام ومعاقبة روما على جحودها وعقوقها والاقتصاص من الخائن ساترنينوس.

تيطس : يا بوبليوس، يا سادتي، هل وجدتموه؟

بوبليوس : كلا يا سيدي. لكن بلوتون يبلغك هذا القول : اذا شئت أن يساعدك أهل الجحيم على الانتقام فستنال مرادك. أما العدالة فمشغولة، وربّي، على ما أعتقد، مع الإله المشتري في السماء أو في غير مكان، وستضطر إلى الانتظار بعض الوقت.

تيطس : هو يضايقني بما يخدعني به من طلب الامهال. سأرتمي في الهوة السحيقة وسأنتزع حقي من شيرون وأشده من رجليه. نحن لسنا سوى شجيرات هزيلة يا مرقس، ولسنا أدوات راسخة ولا جبابرة بحجم جماعة السيكْلوب. غير أن طبيعتنا المتينة يا أخي صلبة كالفولاذ. مع ذلك أشعر بأن الشدائد التي تنتابنا أثقل مما تتحمله ظهورنا. وبما أن لا وجود للانصاف لا على الأرض ولا في السماء نستعجل الآلهة لارسال العدالة إلى الأرض كي تنجدنا وتثأر لاهانتنا واذلالنا. هيا إلى العمل، أنت من الرماة الماهرين، يا مرقس. (يوزع عليهم الاسهم وهو يقرأ الكتابات التي يحملها). هذا لكم، وهذا لي أنا أيضاً. هذا اكراماً لبالاس، وهذا لعطارد، وهذا لكايوس، وهذا لزُحَل. ولكن لا شيء لساترنينوس. فالأولى أن تباشروا اطلاق سهامكم في الهواء، ثم إلى الهدف، يا فتيان. اطلق سهمك أولاً، يا مرقس، حين أطلب منك ذلك. اقسم بشرفي اني امسكت الريشة كما يجب ولم يبقَ من إلهٍ لم يُلبَّ طلبه.

مرقس : يا أبناء عمي، سدّدوا جميع سهامكم في اتجاه البلاط. لنحطم كبرياء الامبراطور.

تيطس : والآن يا سادتي اطلقوا سهامكم (يطلقون سهامهم باتجاه القصر). أهنئك يا لوسيوس على براعتك. أيها الفتى العزيز، أصبْ برج العذراء، وأصب بالاس.

مرقس : أنا أرمي سهمي الى ما بعد القمر بميل واحد. وقد وصلت رسالتك إلى الإله المشتري في هذه اللحظة.

تيطس : بوبليوس، يا بوبليوس، ماذا فعلت؟ انظر، انظر سهمي قد أصاب أحد قرنَيْ الثور في برجه العالي.

مرقس : ما هي هذه اللعبة، يا مولاي؟ حالما أصاب بوبليوس قرن الثور الذي جُرح، سدّد باريس ضربة شديدة زعزعت قرني الحَمَل وأسقطتهما في وسط الساحة. ومن وجدهما؟ صديق الامبراطورة الناعم. فضحكت وقالت للبربري انه لا يستطيع أن يتصرّف خلافاً لذلك، بل سيناولها حالياً لسيده.

تيطس : حسناً. ادخلت السماء السرور على قلب سيادته. (يدخل فلاّح يحمل سلة وزوجاً من الحمام). ها هي أخبار من السماء، يا مرقس، ها قد وصل البريد. ما وراءك يا بليد؟ هل لديك رسائل؟ هل سأربح الدعوى؟ ماذا يقول الإله المشتري ذو القوة والجبروت؟.

الفلاح : المسؤول عن المشنقة يقول انه فكّكها لأن الرجل لن يشنق في الأسبوع القادم.

تيطس : لكني أسألك : ماذا قال الإله المشتري؟

الفلاح : أنا تعب يا سيدي ولا أعرف الإله المشتري. لأني لم أشرب كأساً واحدة معه.

تيطس : هذا أمر غريب. أولست أنت من يحمل...

الفلاح : أنا أحمل الحمام فقط، يا سيدي.

تيطس : اذاً أنت لست نازلاً من السماء.

الفلاح : من السماء؟ لا، يا سيدي، لم أصعد أبداً إلى هناك. لا سمح الله أن أجسر على الاستعجال للذهاب إليها وأنا في شرخ الشباب.

وربّي، أنا أذهب حاملاً حمامي إلى المحكمة لأتدبّر أمر مشاجرة حدثت بين عمي وأحد رجال الامبراطور.

مرقس (لتيطس) : هذا ممتاز يساعدنا على نقل التماسك وتلافي ما لا تحمد عقباه. دعه أذاً يقدّم الحمام للامبراطور من قبلك.

تيطس : قل لي : هل باستطاعتك أن ترفع إلتماساً لطيفاً إلى الملك؟

الفلاح : أبداً أنا لم يمكنّي طوال حياتي أن أقول كلمة واحدة لطيفة.

تيطس : اقترب من هنا يا غبي، ولا تضايقني، بل قدّم هذا الحمام إلى الامبراطور، وأنا أضمن لك ان تصل إلى حقك. كفى، كفى. في هذه الأثناء، أليك هذا المبلغ من المال كأجر. اعطوني ريشة وصبراً. هل تعرف، يا مغفّل، أن تسلّم التماساً بلطفٍ.

الفلاح : نعم يا سيدي.

تيطس : اذاً إليك هذا الإلتماس. وحالما تمثل بين يدي الامبراطور، عليك أولاً أن تركع وأن تقبّل قدمه، ثم أن تقدّم له ما تحمله من الحمام. وحينئذ تنتظر مكافأتك. سأكون إلى جانبك. المهمّ أن تتصرّف بشجاعة.

الفلاح : أضمن لك ذلك، يا سيدي. فدعني أتصرّف.

تيطس : هل لديك سكين يا غبي؟ تقدم وأرني اياه. خذ، يا مرقس، وغلّفه بالإلتماس، لأنك كتبته بصيغة التواضع والاستعطاف. وبعد أن تسلمه الامبراطور، اطرق بابي وبلغني ما يقوله لك.

(يخرج).

الفلاح : نهارك سعيد. أنا ذاهب.

تيطس : هيا يا مرقس، هيا نذهب. اتبعني، يا بوبليوس.

(يخرجان).

المشهد الرابع

في باحة القصر

(يدخل ساترنينوس وتامورا وشيرون وديمتريوس وسادة وغيرهم. ساترنينوس في يده السهام التي أطلقها تيطس).

ساترنينوس : ألا ترون، يا سادة، ان في الأمر اهانة؟ هل شاهدتم يوماً امبراطور روما فريسة الهواجس بسبب ما يحيق به من المشاكسات والمضايقات نتيجة تمسكه بالحق، وبدل الشكر لا يلقي سوى الازدراء؟ تعلمون يا سادة، كما تعلم الآلهة القديرة، مهما أحدث هؤلاء المشاغبون من ضجة لإقلاق راحتنا، ومهما همسوا في آذان الشعب من تهم، لا شيء يتمّ بدون فرض القانون لإيقاف وقاحة أبناء اندرونيكوس العجوز عند حدهم. وبحجّة الأحزان التي تطغى على تفكيره، هل يجوز أن ينالنا استبداد كرهه وتحدّيه وتهجّمه؟ ها هو الآن يبتهل إلى السماء لتنصفه من أذانا. فهذا موجّه إلى الإلـه المشتري، وهذا إلى عطارد، وهذا أيضاً إلى أبولون، وهذا إلى اله الحرب، وكلها همسات سريعة تنتشر في شوارع روما. فماذا يعني هذا التصرّف سوى الحطّ من كرامة مجلس الشيوخ والاحتجاج على ما يعتبرونه ظلماً من قبلي؟ هذا في الحقيقة هو مزاج سميح؟ أليس كذلك؟ يا سادتي؟ كأنهم يدّعون ان لا عدالة في روما. لكن، اذا قيّضت لي الأقدار أن أعيش، لن أدع مظاهر جنونهم تصبح مطيّتهم الى تحقيري. سيعلم هو وذووه أن العدل يتنفّس برئتي أنا ساترنينوس. فاذا غفا قليلاً هذا العدل سأعرف كيف أوقظه ليهلك في غضبته أوقح متآمر في الكون.

تامورا : يا مولاي الفاضل، يا مولاي المحبوب ساترنينوس، يا سيد حياتي ومالك تفكيري، هدّئ روعك، وسامح أخطاء شيخوخة

تيطس، واعتبرها صادرة عن الحزن الذي سببه له فقد أولاده البواسل، وهي خسارة فادحة سحقت قلبه الأبوي. أرجوك ان تواسيه في مصابه عوضاً عن أن تلاحقه على ما بدر منه من اهانة بصفته احقر الرجال أو أعظمهم. (على حدة) هكذا يليق بالعبقري، اكراماً لي أنا تامورا، ان يداري الأمور. انما انا أمسكت بك بالجرم المشهود، يا تيطس، وسيُسْفك دمك حتى آخر نقطة. فهارون بارع وسيدبّر الأمر بالحسنى ويرسي المركب على شاطئ السلامة والأمان. (يدخل الفلاح) هل تريد أن تكلمنا يا صاح؟

الفلاح : طبعاً يا سيدتي، إن كنت أنت صاحبة الجلالة الامبراطورة؟
تامورا : أجل أنا الامبراطورة. وها هو الامبراطور جالس هناك.
الفلاح : أهذا هو؟ حفظته السماء وأنعمت عليه بالحظ السعيد. أنا آتٍ إليك برسالة وبهذا الزوج من الحمام

(يقرأ الامبراطور الرسالة).

ساترنينوس (يشير إلى الفلاح) : هيا خذوه، واشنقوه حالاً.
الفلاح : كم عليّ أن أدفع من المال؟
تامورا : تصيبك الشنق، يا مغفل.
الفلاح : نصيبي الشنق؟ وهل جزائي على اخلاصي، أن أقدّم عنقي إلى حبل المشنقة؟

(يخرج بمرافقة الحراس).

ساترنينوس : ما هذه الاهانة الفظيعة؟ هل كتب عليّ أن أتحمّل شناعة هذه الوقاحة، كما لو كان هؤلاء الأبناء الخونة الذين ماتوا حسبما يقتضيه القانون، نالوا عقابهم على قتلهم أخي، وقد ذُبحوا بموجب أوامري، بينما البائس المسكين يُجرّ من شعره هنا؟ فلا العمر ولا الكرامة لن يشفعا بي لديهم؟ ولأجل هذه السخرية

المنحطة لا بدّ من أن أضرب عنقك بوحشية شرسة أنت يا من ساهمت في رفعي إلى سدّة الحكم وجعلي سيد روما.(يدخل أميليوس). ما وراءك من الأخبار، يا أميليوس؟

اميليوس : الى السلاح، هيا إلى السلاح، يا سادة. فروما لم يتسنَّ لها ظرف أنسب من هذا للحذر والاستغاثة. أما القوط فتطاولوا علينا، وبجيش لجب حازم متعطّش إلى السلب والنهب، يزحفون رأساً لمقاتلتنا بقيادة لوسيوس ابن العجوز اندرونيكوس الذي يهدّد في سياق انتقامه بأن يجاري كوريولانوس في ضراوته.

ساترنينوس : بلغني أن عدوّنا لوسيوس هو الآن قائد القوط. وهذا النبأ أقلقني وحملني على إحناء رأسي كالأزهار الذابلة تحت وطأة الصقيع، وكالعشب الذي قصفته رياح العاصفة. أجل اقتربت محنتنا لأن الشعب يحبه إلى حد الجنون. وقد سمعت الناس مراراً يرددون عندما كنت أتجوّل بينهم متخفيًا، أن نفي لوسيوس كان ظلماً وبهتاناً، وهم يتمنون أن يكون لوسيوس هذا امبراطورهم.

تامورا : لماذا تخشاه؟ أوليست مدينتك قوية لتتحدّاه؟

ساترنينوس : أجل، لكن المواطنين يفضّلون لوسيوس وسيتخلّفون عني ويناصرونه.

تامورا : أيها الملك، فكّر بصفتك كأمبراطور. هل تحتجب الشمس اذا طارت هذه الذبابات في فلكها؟ وهل يخشى النسر زقزقة صغار العصافير؟ وهو لا يهتمّ بما يعنيه صوتها، لأنه واثق جداً بأن ظل جناحيه يخنق تغريدها في حناجرها. وهكذا باستطاعتك اخراس سفسطات روما. كن اذاً مرتاح البال، واعلم أيها الامبراطور، اني سأسحر اندرونيكوس العجوز بحلو كلامي الذي سيزعزع كيانه بصورة أفتك من السمّ الزعاف والعفص المستطاب في أوصال النعجة الجشعة. فالأوّل يجرحه الطُعْم والأخرى يخنقها طيب المرعى

ساترنينوس : لكن تيطس لن يتوسّل إلى ابنه لصالحنا

تامورا : اما اذا توسّلت إليه أنا تامورا، فيسايرني حتماً لأني أعرف كيف أدغدغ تقدّمه في السن، وأغرقه بوعودي الذهبية، واستولي على قلبه الحصين. لأني أعرف طريق أذنه الصمّاء وقلبه لا يسعه أن يرفض عباراتي المعسولة. (لإميليو). أنت اسبقني وكن سفيري. قل له ان الأمبراطور يطلب مقابلة المحارب لوسيوس، ويحدد له موعداً في بيت أبيه العجوز أندرونيكوس.

ساترنينوس : قم يا أميليوس بهذه المهمة بشرف، واذا تشبث بتأمين وضعه وطلب استبقاء بعض الرهائن، قل له أن يطلب جميع الضمانات التي يريدها.

اميليوس : سأنفّذ أوامرك بدقة وسرعة.

(ويخرج).

تامورا : والآن أنا ذاهب لمقابلة اندرونيكوس العجوز ولأدعوه بكل ما أوتيت من مكر ودهاء إلى سحب المحارب الفخور من بين جماعة القوط. فأستردّ، أيها الامبراطور صفاء ذهنك وادفن مخاوفك في حسن تصرفي.

ساترنينوس : اذهب، مع اطيب تمنياتي لك بالنجاح في اقناعه.

(يخرجان).

الفصل الخامس

المشهد الأول

في الطريق قرب روما

(تصدح الموسيقى ويدخل لوسيوس وجماعة القوط وطبولهم تقرع وأعلامهم تخفق).

لوسيوس : ايها المحاربون المغاوير، يا أصدقائي الأوفياء، وصلتني من روما العظيمة رسائل تثبت الحقد الذي يضمره الامبراطور، وتشوّق الشعب إلى استقبالنا بين صفوفه. وهكذا يا سادتي النبلاء، يمكننا أن نفرض أنفسنا، لا سيما بعد ما تغنّينا به من رغبة ومن لهفة الى الانتقام عمّا لقيناه من اهانة ومن عذاب بسبب تعلقنا بروما. وها قد جاء دورنا للتشفّي ثلاثة أضعاف ما قاسيناه.

القوطي الأول : أيها الشاب الباسل، ابن اندرونيكوس الكبير، أنت الذي يرهب ذكرك الجماهير ويتلألأ اسمك كالأمل المنقذ، أنت يا من أفعالك وانتصاراتك المشرّفة تكافئها الآلهة نكاية بروما الجاحدة، يمكنك فعلاً أن تتّكل علينا. فنحن مستعدون لأن نتبعك الى حيث تقودنا بحكمة وشهامة في أشدّ أيام الصيف حرًّا، ورغم جيش النحل العاقص الذي يتبع ملكته في حقل الزهور العطرة لننتقم من اللعينة تامورا.

جميع أفراد القوط : نحن على أتم الاستعداد لترديد ما يقال هنا عنه.
لوسيوس : أشكره بتواضع، وأشكركم جميعاً بصدق وإخلاص. لكن، من الآتي إلى هنا برفقة هذا القوطي المفتول العضلات؟

(يدخل أحد أفراد القوط يقود هارون الحامل ابنه بين ذراعيه)

القوطي الثاني : أيها اللاّمع لوسيوس، لقد ابتعدت أنا عن فرقنا لأتأمل اطلال دير قديم، وحين كنت أحدّق بانتباه في بقايا الصرح سمعت بغتة صوت ولد يتعالى عند أسفل السور، فأسرعت الى مصدر الصياح وتبيّنت صراخاً يعنّف الولد المروّع هكذا : « اسكت أيها الأسمر القاتم الصغير، يا نصفي ونصف أمك، لو لم يُشر لونك إلى ابن من أنت، ولو لم تمنحك الطبيعة سحنة والدتك، أيها الشرير، لكنت اصبحت امبراطوراً. لكن، عندما يكون الثور والبقرة كلاهما بلون أبيض كاللبن، لن ينجبا عجلاً أسود كالفحم. اسكت أيها اللعين، اسكت! (وفيما المتكلّم يوبّخ الولد هكذا أضاف) : « عليّ أن آخذك إلى شخص أمين من القوط. وحالما يعرف انك ابن الامبراطورة سيعتني بك بحنان اكراماً لوالدتك ». فبناءً على ذلك، وقد أشهرت سيفي، سأنقض على الرجل الذي سأباغته وأقوده إلى هنا، لتعامله كما تقتضي الضرورة.

لوسيوس : ايها القوطي الكريم، إعلم ان الشيطان المتجسّد، قد استولى على يد اندرونيكوس النبيل، وان هذه اللؤلؤة هي التي اجتذبت انظار الأمبراطورة، وأنها ثمرة الزنى البغيض المدمّر. تكلّم أيها المغفّل، يا صاحب العينين المختلفتَيْ اللون أين كنت تريد أن تحمل هذه الصورة الشبيهة بوجهك الجهنمي. لماذا لا تتكلم؟ هل أنت أطرش؟ لم اسمع منك كلمة واحدة. هيّئوا الحبل، أيها الجنود، واشنقوه متدلياً من هذه الشجرة، وإلى جانبه هذا اللقيط ثمرة دعارته.

هارون : لا تمسّ هذا الطفل بأذى، لأن دماً ملكياً يسري في عروقه.
لوسيوس : وهو كثير الشبه بوالده، ولن يكون أفضل منه. اشنقوا الطفل أولاً لكي يتألم أبوه لموته ويعذب منظره قلبه الحقود. اجلبوا لي سلّماً

(يُؤتى بسلّم ويسند إلى شجرة ويجبر هارون على الصعود اليها).

هارون : خلص الولد يا لوسيوس، وخذه من قبلي إلى الأمبراطورة. فاذا فعلت ذلك اطلعك على أمور مذهلة تهمّك كثيراً. واذا لم تشأ، فليتمّ ما تفرضه الأقدار، ولن أبوح بكلمة واحدة. وليشملكم الانتقام جميعاً.
لوسيوس : تكلّم، واذا أعجبني ما تقوله تركت ولدك يعيش، وتكفّلت بتربيته.
هارون : اذا أعجبك ما أقول؟ أؤكد لك يا لوسيوس، ان ما سأقوله سيزعجك لأني سأحدثك عن جريمة قتل وعن اغتصاب وعن مجزرة رهيبة وعن أفعال مخزية وتصرفات مشينة وعن دسائس ومؤامرات وعن خيانات وجرائم يرثى لها قد نفذت بدون رحمة ولا شفقة. كل هذا سأدفنه في قبري اذا أقسمت لي بأن ابني سيعيش.
لوسيوس : إكشف عن سرّك. فأُعلن أنا ان ابنك سيعيش.
هارون : أقسمْ، وأنا بعدئذ ابتدئ.
لوسيوس : بماذا أقسم لك؟ أنت لا تؤمن بأي إله. وهكذا لا أرى كيف ستصدّق قسمي.
هارون : ما همّك، ان كنت لا أؤمن بإله، وأنا بالفعل غير مؤمن. لكنني أعلم انك تقيّ، وان لك ضميراً حياً، وانك مغرم بعشرين نوعاً من التوسّلات والتضرّعات التي شاهدتك تمارسها بعناية. لذلك اطلب قَسَمَك. في الحقيقة أنا لا أجهل ان الأبله يعتبر أتفه شيء، كأنه إله يتمسّك بالحلفان الذي يُعتمد به على هذا الاله ولذلك أتمسك بالقَسَم. اذاً ستحلف لي بالاله الذي تعتبره صالحاً

مهما كان، ان تصون حياة ابني وتغذّيه وتربّيه. وإلا، لن أبوح لك بكلمة.

لوسيوس : بحقّ إلهي، اقسم لك اني سأفعل.

هارون : أولاً، إعلم جيداً ان ابني هذا هو ابن الامبراطورة.

لوسيوس : تبًّا لها من امرأة شهوانية فاسقة لا ترتوي.

هارون : ليس في الأمر سوى عمل انساني بالنسبة الى ما سأطلعك عليه. ان بسيانوس قتله ابناه. ولقد قطعا لسان اختك بعد أن اغتصباها وبترا لها يديها وتركاها على ما شاهدتماها فيه من حالة أليمة.

لوسيوس : أيها الشقي الغبي، أو تسمّي هذه حالة أليمة؟

هارون : أجل، وقد غسلت جراحها بعد أن قطعت أوصالها وتركت في وضع يرثى له. وهذا الوضع بالذات هو سبب ابتهاج من ألحقا بها ما أصابها من محنة.

لوسيوس : سحقاً للوحشين البربريّين نظيرك أنت يا عديم الضمير.

هارون : بالفعل كنت أنا استاذهما، وعلّمتهما أساليب العنف والأذى، وزرعت في صدرهما حب الفحش والتعذيب كما فعلت بوالدتهما قبلهما، وقد ساعدتني على تأصيل هذا الشر في قلبهما. أنا واثق بأن هذه الطريقة الدموية في بلوغ مآربهما قد تعلّماها حتماً مني، أنا البارع في فنون الفتك والتنكيل. ولقد درّبت أخويك على سلوك هذا السبيل الشائك الذي أدّى إلى مقتل بسيانوس. فأنا كتبت الرسالة التي وجدها والدك، وأنا خبّأت الذهب المذكور في الرسالة، بالاتفاق مع الملكة وولديها. ما هو العمل الذي حملك على التنهّد، ولم تكن لي فيه حصة الأسد بطريقة مشؤومة. لقد ارتكبت المنكر لكي أحظى بيد أبيك المقطوعة، وحالما اصبحت في حوزتي انسحبت ووقفت جانباً أرقب، وكاد فؤادي يتوقف عن الخفقان من شدة الضحك. كنت أشاهده من شق السور حين استلم لقاء يده المبتورة،

رأسَيْ ولديه المقطوعين. وكنت أتأمل دموعه وأضحك من كل قلبي حتى ابتلّت عيناي بدموع الفرح بينما عيناه هو امتلأتا بدموع الحزن والقهر، وحين سردت للأمبراطورة تفاصيل الحادث، ابتهجتْ فرحاً ورضًى، ولتكافئني على هذه المعلومات، جادت علي بعشرين قبلة.

واحد من القوط : ماذا تقول؟ هل تروي كل هذه القصة ولا تحمّر وجنتاك خجلاً؟

هارون : بلى، لقد احمر وجهي نظير الكلب الأسود الوارد ذكره في المثل.

لوسيوس : وبعد كل هذه الأفعال القبيحة التي يندى لها الجبين خجلاً، لا يبدو عليك أي أثر للأسف.

هارون : بل آسف لعدم قيامي بألف مشكل غيرها. اذ في هذه اللحظة ذاتها، أنا ألعن الآن، رغم قناعتي بأن هناك قليلاً من الأيام التي تجوز فيها اللعنة، ألعن اليوم الذي لم أرتكب فيه سيئة بارزة فأقتل رجلاً على سبيل المثال أو على الأقل أدبّر قتله، وأغتصب عذراء أو أشترك في مؤامرة كهذه، وأتهم بريئاً أو ألوّث سمعته، وأخلق عداوة مميته بين صديقين أو أحمل الوحوش من البشر المساكين على أن يتصارعوا ويدقوا أعناق بعضهم بعضاً، وأضرم النار في أهراء القمح أو البيادر ليلاً أو أوعز لأصحابها بأن يطفئوها بدموعهم. وغالباً ما نبشت الأموات من القبور وأوقفت جثثهم على أبواب أعزّ أصدقائهم حين يكاد هؤلاء ينسون آلام فَقْدهم، وعلى جلد كل جثة كما أفعل بقشرة شجرة كتبت عليها برأس سكيني بحروف رومانية : لكي لا تنتهي آلامكم كما متّ أنا. لقد قمت بأعمال مريعة لا تُحصى، بهدوء كما لو قتلت ذبابة أو لا شيء يحزن قلبي أكثر من أن لا أقوم بألف مشكل غيرها.

لوسيوس : أنت أحطّ شيطان على وجه البسيطة، ولا بد من أن تهلك بدون رحمة، شنقاً بعد تعذيبك ببطء وضراوة.

هارون : اذا كان للشياطين من وجود، فأنا أريد أن أكون أحدها، وأن أعيش وأحترق في اللهيب الدائم، بشرط أن أكون بصحبتك في جهنم، وأن أتمكن من تعذيبك بوسائلي الخاصة.

لوسيوس : اغلقوا له فمه، يا سادة، ولا تدعوه يتكلم بعد لآن.

(يدخل أحد أفراد القوط).

القوطي : يا مولاي، هذا رسول روما يريد أن يمثل بين يديك.

لوسيوس : ليقترب (يدخل أميليوس). أهلاً بك يا أميليوس. ما هي أخبار روما؟

اميليوس : يا مولاي لوسيوس، وأنتم يا أمراء القوط، الأمبراطور الروماني يسلّم عليكم جميعاً بلساني؟ وقد علم بأنكم تسلّحتم، فطلب مقابلتك في بيت أبيك. وهو يدعو إلى المطالبة برهائنكم، ليسلّمك اياهم حالاً.

القوطي الأول : ما رأي قائدنا في هذا الأمر؟

لوسيوس : يا أميليوس، على الامبراطور أن يقدّم ضمانته لوالدي ولعمي مرقس كي نمضي اليه. هيا نذهب.

(تصدح الموسيقى، ويخرجان).

المشهد الثاني

في مدخل بيت تيطس.

(تدخل تامورا وشيرون وديمتريوس متنكّرين).

تامورا : هكذا في هذا الهندام الحزين الغريب، سأذهب إلى اندرونيكوس، وأقول له : انا موقد الانتقام، مرسل من الأرض لأنضمّ اليه،

وأعمل ما يرضي نواياه الخبيثة. اطرق باب حجرته حيث يقال انه يحبس أنفاسه، ليجترّ أفكاره وخططه الانتقامية الهائلة. قل له ان موفد الانتقام حضر للانضمام اليه وانزال الدمار بأعدائه.

(يطرق الباب، فيفتح له تيطس).

تيطس : من يشوّش عليّ تأمّلاتي؟ هل تتسلّى باقتحام بابي لكي تفسح المجال لأفكاري أن تتبعثر وتتبدّد، ولجهودي أن تذهب أدراج الرياح؟ أنت مخطئ لأن ما أنا مصمم على عمله قد سجلته هنا بالدم عوضاً عن المداد، وما كتبته سأنفذه حتماً بحذافيره.

تامورا : جئت أفاوضك، يا تيطس.

تيطس : لا أريد أن أسمعك. ما هو مدى تأثير كلامي، حين لا تكون يدي على أتمّ الاستعداد لمساندته بأية حركة. أنت متفوّق عليّ فلا تلحّ اذاً في الطلب.

تامورا : لو عرفتني حق المعرفة لفاوضتني.

تيطس : أنا لست مخبولاً، ولا أعرفك كما يجب. أنا أناصر هذا الساعد المبتور، وأؤيد هذه الكتابة الحمراء اللون، وأوافق على هذه الأخاديد التي حفرها الألم والهم، كما أوافق أيضاً على النهار المتعب والليل القلق، وأؤيد جميع الآلام وأعترف نظير امبراطورنا الرائع، بمقدرتك يا تامورا. أولستِ قادمة للنيل من يدي الثانية؟

تامورا : اعلم أيها الرجل الكئيب اني لست تامورا عدوّتك بل أنا صديقتك. أنا موفدة الانتقام القادمة من مملكة الجحيم لأهدئ روع الصقر الذي يسطو على أفكارك ويثير روح الثأر في صدر أعدائك. أنزل كي تختفي بقدومي إلى هذا العالم، تعال لتحدّثني عن الاغتيال وعن الموت. ليس من كهف عميق، ولا من كمين مباغت ولا من ظلمة مخيفة ولا من وديان سحيقة يغمرها الضباب حيث القتل والاجرام والاغتصاب البشع جميعها تتزاحم غائصة في مكائدها بدون أن تدخل في صميمها

فأهمس في آذانها اسمي المريع كموفدة الانتقام الذي يرتجف لذكره أشرس المعتدين.

تيطس : هل أنت حقاً موفدة الانتقام؟ وأنت قادمة لتقضّي مضجعي وتضاعفي همومي وهواجسي.

تامورا : أجل، انزل اذاً واستقبلني.

تيطس : أدّي لي خدمة قبل أن أوافيك. هنا إلى جانبك يقف شبح الاغتصاب وشبح الاغتيال. برهني لي اذاً على انك موفدة الانتقام، إطعنيهما بخنجرك واسحقيهما سحقاً بدواليب مركبتك، فلا أتأخر عن الحضور إليك لأكون سائق عربتك وأرافقك في سباقك المدوّخ حول الكرة الأرضية. سأستحصل على جياد اصيلة سوداء كالأبنوس، تنهب الأرض بمركبتك نهباً، وسأكشف عن القتلة في مخبأ إجرامهم، وحين تمتلئ عربتك بالجماجم، سأقفز إليها وأركض معك نظير خادم مطيع أمين طوال اليوم منذ بزوغ الشمس في المشرق حتى سقوطها في لجج البحار غرباً. وفي كل يوم أقوم بواجبي الشاق، بشرط أن تحطّم وتغتال هؤلاء الأقزام.

تامورا : هؤلاء هم وزرائي، وسيلازمونني.

تيطس : هل هم حقاً وزراؤك؟ ما هي اسماؤهم؟

تامورا : الاغتصاب والاغتيال والظلم. وقد دُعُوا هكذا لمعاقبة المهذبين على جرائمهم.

تيطس : يا الهي، كم يشبهون أبناء الامبراطورة. وأنتِ كم تشبهين الامبراطورة. وانما نحن البشر المساكين، عيوننا البائسة يبهرها الهوس والضلال. فيا أيها الانتقام العذب، ها أنا ذا قادم اليك، واذا كان ضمك الى صدري بذراع واحدة يرضيك فلن أتأخّر عن معانقتك حالاً.

(يغلق باب حجرته).

تامورا : هذا التودّد اليه يلائم جنونه. ومهما ابتدعت من أفكار لترويج سيطرة الهذيان عليه، ساندْها وأيّدْها بكلامك. لأنه الآن يعتبرني بحق موفدة الانتقام الرهيب، وهو مقتنع بهذه الفكرة الجهنّميّة، فاحمله علي طلب مجيء لوسيوس ابنه. وحين استميله أثناء المأدبة، سأجد طريقة عملية بارعة لابعاد جماعة القوط وتشتيتهم نظراً إلى تعدد أهوائهم، أو على الأقل اجعلهم ينظرون اليه بعين العداء والحذر. ها هوذا قادم. عليّ أن أتابع مسعاي للوصول إلى مأربي.

(يدخل تيطس).

تيطس : عشتُ طويلاً في وحدتي بسببك. كن أنت موفد الانتقام الرهيب في بيتي التعيس. وأنتِ أيضاً يا أشباح الأغتصاب والاغتيال والظلم، أرحب بكِ. كم تشبهين الامبراطورة وأبناءها. سيكتمل عددك حين يكون بصحبتك أحد البرابرة. أولم تجدي في جميع أنحاء الجحيم شيطاناً مثله؟ أنا واثق بأن الامبراطورة لا تحرّك ساكناً بدون أن يكون البربري إلى جانبها. ولكي تمثّلي ملكتنا على الوجه الأكمل، لا بد لكِ من شيطان نظيره. على كل حال، أهلاً وسهلاً بكِ كما أنتِ. ماذا علينا أن نفعل لأجلك؟

تامورا : ماذا تريد أن نفعل، يا اندرونيكوس؟

ديمتريوس : أرني قاتلاً، وأنا أتولى أمره.

شيرون : أرني لئيماً إرتكب اغتصاباً، وأنا أقوم بمعاقبته.

تامورا : أرني ألف مخلوق ممن أساؤوا إليك وأنا أقاصصهم جميعاً.

تيطس : أنظر الى الشوارع الحقيرة في روما، وعندما تجد قاتلاً بارعاً يشبهك اطعنه بخنجرك لأنه قاتل، واذهب بصحبته. وعندما تصادف غيره يشبهك أيضاً، أيها المغتصب، اطعنه بخنجرك لأنه خاطف محتال، ورافقهما. أما في بلاط الامبراطور، فهناك ملكة يصحبها بربري، باستطاعتك أن تعرفها بسهولة لأنها على

صورتك تماماً، وتشبهك من أعلى رأسك إلى أخمص قدميك. فأرجوك أن تخصّهما كليهما بميتة وحشية تليق بهما، لأنهما كانا شريرين معي ومع أهلي.

تامورا : ها قد زوّدتنا بكل المعلومات، وسنتصرّف بموجبها. انما تفضل، يا اندرونيكوس الكريم، وارسل في طلب لوسيوس ابنك المثلث البسالة الذي يقود باتجاه روما جيشاً معادياً من القوط المسلحين، واطلب منه أن يكون ضيفك في المأدبة التي تولمها له. وعندما يشترك في حفلتك الفخمة، سآتي بالامبراطورة وأبنائها والامبراطور ذاته وجميع أعدائها لينحنوا ويسجدوا أمامك. واذ يصبحون تحت رحمتك، تصبّ عليهم جام غضبك وحقدك. ما رأي اندرونيكوس بهذا المشروع.

تيطس (ينادي) : يا أخي مرقس، شقيقك الحزين تيطس يناديك. (يدخل مرقس). يا عزيزي مرقس، إذهب إلى ابن أخيك لوسيوس الذي تجده وسط جماعة القوط. وقل له أن يأتي برفقتك ومعه بعض أمراء القوط البارزين. اطلب منه أن يعسكر مع جنوده حيث هم. واعلمه بأن الامبراطور والامبراطورة سيشاركاننا حفلتنا ووليمتنا. اصنع هذا اكراماً لي. وليتصرّف لوسيوس كما أوصيته، اذا كان يريد أن يبقى أبوه العجوز على قيد الحياة.

مرقس : سأفعل ما تشاء، وأعود سريعاً.

(يخرج).

تامورا : أنا الآن ذاهبة لأقوم بمهمتي، وسآتي بوزرائي.

تيطس : لا، لا. أبقي القاتل أو المغتصب برفقتك، وإلّا، ناديت أخي، وأنا لا أريد أحداً للأخذ بالثأر غير لوسيوس.

تامورا (على حدة لأولادها) : ما قولكم، يا أولاد؟ أتريدون أن تبقوا بقربي، بينما أذهب أنا إلى الامبراطور لأقول له كيف دبّرت مؤامرتنا المضحكة. سايروا مزاجه وداعبوه وظلّوا معه إلى حين رجوعه.

تيطس (على حدة) : **أنا أعرفهم جميعاً، وإن ظنّوني مجنوناً، وسأوقعهم في فخّهم بالذات. تبًّا لهم من محتالين خبثاء مثل أمهم.**

ديمتريوس : اذهبي إلى حيث يحلو لكِ، يا سيدتي، واتركينا هنا.

تامورا : إلى اللقاء، يا اندرونيكوس. فالانتقام يحوك مؤامرة ليفاجئ بها الأعداء.

(تخرج).

تيطس : أنا أعرف ذلك. وهكذا، يا أيها الانتقام، أقول لك إلى اللقاء.

شيرون : قل لنا، أيها العجوز، لماذا تريد أن تستعين بنا؟

تيطس : لديّ عمل سأكلّفك به يا بوبليوس. فتعال إلى هنا. وأنت يا كايوس ويا فلنتيوس.

(يدخل بوبليوس وآخرون).

بوبليوس : ماذا ترغبون؟

تيطس : هل تعرف هذين الشخصين؟

بوبليوس : يبدو لي انهما ابنا الامبراطورة، ويدعيان شيرون وديمتريوس.

تيطس : تباً لك يا بوبليوس، أنت مخطئ، فأحدهما هو الاغتيال والآخر هو الاغتصاب. اسألك أن توثقهما، يا عزيزي بوبليوس. وأنتما يا كايوس ويا فلنتيوس أقبضا عليهما معاً. لا بد أنكما سمعتماني مراراً أتمنى هذه اللحظة التي حانت أخيراً. اربطوهما اذاً ربطاً متيناً وكمّوا فميهما لئلا يصرخا.

(بوبليوس ورفاقه يمسكون بشيرون وديمتريوس. يخرج تيطس).

شيرون : أيها الأشقياء، كفاكم مهاترة. فنحن أبناء الامبراطورة.

بوبليوس : لذلك ننفذ ما أمرنا به. كمّوا فميهما بصورة محكمة، ولا تدعوهما ينبسان ببنت شفة. هل هو موثق جيداً؟ لا تتهاونوا في شد رباطهما كما يجب.

(يرجع تيطس اندرونيكوس، ترافقه لافينيا وهي تحمل حوضاً، بينما هو يحمل سكيناً).

تيطس : تعالي، تعالي، يا لافينيا. أنظري عدوَّيْك موثوقَيْن. يا سادتي اغلقوا لهما فمَيْهما، ولا تدعوهما يُكمّماني. عليهما أن ينصتا إلى الكلام الرهيب الذي أزمع أن أتلفظ به. يا شيرون ويا ديمتريوس، كفاكما أن تعبثا في الأرض فساداً. ها هوذا الينبوع الذي لوّثتماه بأوحال سلوككما المشين. ها هوذا الصيف الجميل الذي شئتما أن يخالطه شتاؤكما المكفهرّ. لقد قتلت زوجها ومن جراء هذا الجرم البشع اثنان من أبنائها حكم عليهما بالموت. وبَتْر يدي كان خدعة مشؤومة، فبترت يداها وقطع لسانها والأهمّ من يديها ولسانها هو تلويث شرفها الذي دنسته أنت بعدم انسانيتك وعنفك البغيض. ماذا تقول اذا تركتك تتكلم؟ أيها الوقح، ستخجل إن أنا التمست عطفك. اسمع أيها الشقي، كنت أنوي أن أعذبك. فقد بقيت لي هذه اليد الوحيدة لقطع عنقك، بينما لافينيا ستمسك ببقايا ذراعيها الحوض الذي سيتلقّى دمك الفاسد. أنت تعلم ان أمك مزمعة أن تشترك في وليمتي باسم الانتقام، وهي تظنني مجنوناً. اسمع أيها الحقير، سأسحق عظامك وأمزجها بدمك النجس، وأصنع منهما معجوناً وأكوّن منه وعاءً، أجمع فيه رأسيكما الملعونين، وسأقول لهذه العاهرة أمك الدنيئة أن تلتهم منتوجها كما تفعل الأرض. ها هيذا الوليمة التي دعيت اليها. وها هيذا الأطعمة التي ازدردتها، لأنك عاملت ابنتي بصورة فاقت ضراوة فيلومال، وهي أشرس من برونيه. وأنا مستعد للأخذ بثأرها. فمدّا الآن عنقيكما... يا لافينيا، هيا تلقّي الدم، وعندما يكونان قد ماتا، سأسحق عظامهما واجعلها ناعمة كالكحل واجبلها بهذا المائع الأحمر الكريه، وفي هذا الوعاء سأسلق رأسيهما النجسين. هيا، هيا. على كل واحد أن يساهم في اعداد هذه الوليمة الفريدة، لكي تأتي

أرهب وأشرس من وليمة المسوخ والجن (يذبحهما). والآن خذوهما لأني لا أريد أن أكون طاهياً وأجهّزهما للأكل عندما تعود والدتهما.

(يخرجون).

المشهد الثالث

في الجناح المقابل لمنزل تيطس

(يدخل لوسيوس ومرقس وبعض القوط مع هارون السجين).

لوسيوس : أنا مسرور، يا عمي مرقس، بأن تكون مشيئة أبي أن أعود إلى روما.

القوطي الأول : وسرورك هو سرورنا، مهما جرى.

لوسيوس : ضع، يا عماه، في مكان أمين هذا البربري، هذا النمر المفترس، بل هذا الشيطان الرجيم، ولا تقدّم له أي طعام إلى أن يواجه الامبراطورة، لإثبات أعماله الاجرامية. وضع في مكمنٍ عدداً كبيراً من أصدقائنا، لأني أخشى أن لا يريد لنا الخير هذا الامبراطور المتقلب الخسيس.

هارون : أتمنى أن يهمس أحد الشياطين في أذني ما يخبّئ لنا الغد من تدابير جهنمية كي يقوى لساني على نفث سم الحقد الذي يطفح به قلبي.

لوسيوس : اخرج من هنا، أيها الكلب المسعور، أيها الجاحد اللئيم. ساعدوا، يا سادتي، عمي على اخراجه (يخرج جماعة القوط هارون، وتصدح الموسيقى). الأبواق تعلن أن الامبراطور بات على مقربة منا.

(تسمع موسيقى جديدة. يدخل ساترنينوس وتامورا وبعض النواب وغيرهم).

ساترنينوس : ماذا جرى؟ هل في كبد السماء عدة شموس تسطع؟

لوسيوس : هل تحسب نفسك شمساً؟ أنت ما نفعك؟

مرقس : يا امبراطور روما، وأنت يا ابن أخي، باشرا المفاوضات. كل شجار يمكن حسمه بسلام. هو مستعد للاشتراك في الوليمة التي أمر باعدادها تيطس الواعي، صاحب القصد الشريف للاحتفاء بالسلم ونشر المحبة والوئام، ولأجل سعادة أهالي روما. تفضلوا اذاً وتقدموا للجلوس في أماكنكم.

ساترنينوس : بكل طيبة خاطر، يا مرقس.

(تسمع أنغام عذبة ويأخذ المدعوون أماكنهم. يدخل تيطس بلباس الطاهي، ولافينيا على وجهها حجاب، ولوسيوس الشاب وغيرهم. يضع تيطس صحناً على المائدة).

تيطس : أحيّيك، يا مولاي الكريم. أحييكِ، يا ملكتنا الموهوبة. أحييكم أيها القوط المحاربون، أحييك يا لوسيوس، أحييكم جميعاً. مهما كانت مائدتي هزيلة المآكل ستشبع شهيّتكم، فتفضلوا وكلوا مريئاً.

ساترنينوس : لماذا ترتدي اليوم هذه الملابس، يا اندرونيكوس.

تيطس : لكي أتيقن بنفسي من ذلك، ولا يعيقني شيء عن مشاركة جلالتك والامبراطورة بحذر في هذه الولية الفاخرة.

تامورا : نشكرك جزيل الشكر، يا اندرونيكوس الكريم.

تيطس : أتمنى أن يطمئن قلب جلالتك لشعوري الصادق. مولاي الامبراطور، أرجوك أن تحلّ لي هذا المشكل : هل أحسن المغرور فرجينيوس صنعاً بتدبير مقتل ابنته بعد أن اغتُصبت ولُوّث شرفها بالعار؟

ساترنينوس : أجل أحسن صنعاً، يا اندرونيكوس.

تيطس : هل هذا منطقك، يا مولانا الحكيم؟

ساترنينوس : لأن ابنته ينبغي لها أن لا تعيش بعدما أصابها من مذلّة كي لا تنقأ بوجودها جراح أبيها فرجينيوس.

تيطس : هذه حجة دامغة مقنعة. فهذا المثل وهذه السابقة تحذّرني بشدة، أنا أحقر الناس، كي لا أتصرف على هذا النحو. مُوتي، أجل موتي، يا لافينيا. وليدفن عارك معك، ومع عارك عذاب أبيكِ.

(يقتل لافينيا).

ساترنينوس : ماذا فعلت، أيها الأب القاسي العديم الانسانية؟

تيطس : قتلت التي أعمت بصري بما سببته لي من دموع الحزن. فأنا لست أقل شقاءً من فرجينيوس، ولديّ ألف سبب أكثر منه لتنفيذ هذا العمل العنيف الذي قمت به أخيراً.

ساترنينوس : ماذا تقول؟ هل اغتُصِبتْ؟ هيا، قل لنا من ارتكب هذه الوحشية؟

تيطس : تفضل، وكلْ، يا مولاي. ألتمس من جلالتك أن تشاركنا طعامنا.

تامورا : لماذا قتلت ابنتك الوحيدة هكذا؟

تيطس : لم أقم أنا بهذا العمل، بل شيرون وديمتريوس. فقد اغتصباها وقطعا لسانها. هما اللذان انزلا بها هذه المصائب.

ساترنينوس : ليذهب أحد ويجلبهما حالاً إلى هذا المكان.

تيطس : هما هنا كلاهما، مشويّين في هذه الطبخة التي تتلذّذ والدتهما بازدراءها وهي تأكل من اللحم الذي هي ذاتها أنجبته. هذه هي الحقيقة، الحقيقة التي لا يتطرق اليها أدنى شك، أثبتها بحد هذا السكين المرهف.

(يقتل تامورا).

ساترنينوس : مت أنت أيضاً أيها الشقي المهووس. (يقتل تيطس).

لوسيوس : هل يسع الابن أن يرى دم أبيه مهدوراً أمام عينيه؟ هذا أجر لقاء أجرٍ، وموت لقاء موتٍ.

(يقتل ساترنينوس. ويتفرّق الجمع هلعاً).

مرقس : أين أنتم، أيها الرجال، أصحاب السِحَن الواجمة؟ أهالي وأبناء روما الذين أرعدهم هذا الضجيج نظير رفّ العصافير الذي تطارده الرياح أثناء هبوب العاصفة الهوجاء. دعوني أعلّمكم كيف تجمع السنابل المشتتة في حزمة واحدة، وهذه الأعضاء المتفرقة في جسم واحد.

سيد روماني : أجل، لِنَسْعَ إلى جعل روما تخرّ تحت ضربة تقسم ظهرها، هي المدينة التي ينحني أمامها عظماء المملكة فتجعلهم منبوذين يائسين يسومون مجتمعها أشنع المذلّات وأفظع الفواجع وأعنفها. لكن اذا كانت هذه العلامات تدل على شيخوخة هرمة، وهذه التجاعيد سببها التقدم في السن، كشاهدة على قساوة التجربة، وأنت لا تستطيع أن تتحكم بنواياك، عليك أن تستمع إلى صديق روما هذا. (للوسيوس). تكلّمْ كما فعل جدّنا في الماضي حين بلغ خطابه الرسمي الحزين أذن ديدون المصابة بمرض الهوى، وهو يصف تلك الليلة المشؤومة الملتهبة، حين فاجأ اليونان الماهرون بريام ملك طروادة. قل لنا من شنّف آذانكم، وكيف ادخلت الآلة المشؤومة التي جرحت طروادة وروما في صميم عنفوانهما. قلبي ليس مقدوداً من صخر أصمّ ولا من فولاذ، ولا يسعني أن أتذكر جميع آلامي المبرّحة بدون أن تجتاح مآقيّ موجة من الدموع تغرق كلامي وتقطعه الغصّة في نفس اللحظة التي تثير اهتمامي وتستدرّ شفقتي. ها هو الضابط، فليصف لكم تفاصيل الحادث الذي يدمي فؤادكم ويُفيض دموعكم.

لوسيوس : إعلموا جيداً أيها السامعون النبلاء ان اللئيمَيْن شيرون ودمتريوس قد قتلا شقيق امبراطورنا، وانهما اغتصبا أختنا، وان جرائمهما المريعة سببت قطع رأس أخوينا، والاستهتار بدموع والدنا المسكين الذي حرم بجبانة من يده الباسلة وقد قاتلت بشجاعة حتى النهاية ودافعت عن عزّة روما وأودت باعدائها الى قبورهم.

وأخيراً نُفيتُ ظلماً وبهتاناً، بعد أن أُغلقت الأبواب ورائي، فطردت وأجبرت على طلب النجدة من أعداء روما الذين أغرقوا أخصامهم بدموعي الصادقة واستقبلوني وضمّوني إلى صدورهم كأوفى الخلاّن. اعلموا اني، وأنا منبوذ، قد أمّنت سلام روما وبذلت دمي في سبيل كرامتها، وحوّلت عن صدرها خنجر العدو وخاطرت بحياتي. اذ كان ممكناً أن يتحوّل الخنجر إلى صدري أنا رغم ما في حنايا ضلوعي من فضيلة واخلاص. يا للأسف، أنتم تعلمون جيداً بأني لست جباناً، وان آثار جراحي تؤيّد، وهي خرساء، صدق كلامي وأفعالي واندفاعي. لكن مهلاً. يبدو لي اني أقلّل كثيراً من أهميّة ما قمت به بجدارة ورويّة. سامحوني، اذ على الرجال أنفسهم ان لا يتأخروا عن الثناء على مآثرهم، عندما لا يجدون حولهم من ينوب عنهم في القيام بهذا الواجب المقدس.

مرسيوس : الآن جاء دوري للتكلّم. انظروا إلى هذا الطفل. (يشير إلى الولد الذي يحمله أحد الخدم بين ذراعيه). لقد ولدته تامورا من صلب البربري الخسيس الذي سبب كل هذه الشرور. هذا اللئيم لا يزال حياً يسرح ويمرح في منزل تيطس ليؤكد بوقاحة ان ما أقوله هو كبد الحقيقة. فاحكموا الآن اذا كان الحق بجانب تيطس في انتقامه لهذه التعدّيات التي يأباها كل شهم ينبض قلبه بالحياة. ها قد سمعتم بكل ما جرى في الواقع، فما رأيكم، أيها الرومان، هل نحن مخطئون، وما هو ذنبنا؟ أنتم من علياء مراتبكم الحالية، يمكنكم في هذه اللحظة أن ترونا نحن بقايا أسرة اندرونيكوس ورؤوسنا مطأطأة إلى الأرض وأيدينا متشابكة منقبضة، وعلى وشك أن نسقط في الهوّة، وأن نحطّم جماجمنا على الأحجار الصلبة الخشنة ونجهز على أنفسنا ونمعن في هدم بيوتنا. تكلموا يا أهالي روما. قولوا كلمة فأنا ولوسيوس أيدينا متماسكة كما ترون، نتدهور في الهاوية.

اميليوس : تعال، تعال، أيها الروماني المحترم، واصطحب امبراطورنا لوسيوس برفق، وأنت متشبّث بيده الكريمة، لأني واثق بأن جميع الأصوات ستنادي به كأمبراطورنا.

مرقس : أحييك يا لوسيوس، يا امبراطورنا الودود (للخدم). اذهبوا الى منزل تيطس الحزين واجلبوا البربري الحقير الى هنا. ليُحكم عليه بأشنع الميتات عقاباً على ما جنته يداه من منكرات دنيئة.

الرومان : نحيّيك، يا لوسيوس الفاضل كحاكم روما.

لوسيوس : شكراً، أيها الرومان. أرجو أن أكون عند حسن ظنكم بي، وأن أعالج مشاكلكم وأداوي شرور روما وأمسح الشقاء عن وجهها. لكن، أيها الشعب الكريم، أمهلني قليلاً، لأن الطبيعة فرضت عليّ هذه المهمة الشاقة. تكتّلوا جميعاً واصبروا. وأنت، يا عمي العزيز، اقترب لنسكب الدموع السخينة معاً على هذا الجثمان الطاهر. ولنطبع قبلة الوداع على هذه الشفاه الشاحبة الباردة. (يقبل تيطس). ولنغسل محياك الدامي بدموعنا الأليمة كبرهان أخير على ما يكنّه لك ابنك النبيل من حب واخلاص.

مرقس (ينحني على الجثمان) : دموع اللقاء دموع وفاء، وقُبَل اللقاء قُبَل محبة. شقيقك الأمين مرقس يغدق كل هذه المودة على شفتيك الطاهرتين. فكم وكم رقّصك على ركبتيه وضمّك الى صدره الرحيب الذي اتكأت عليه كالوسادة. وكم وكم من القصص روى لك ليسلّيك ويفرحك في حداثتك. فعرفاناً بالجميل كإبن عطوف، دعْ كم دمعة تنهمر على وجنتيك المورّدتين كأزهار الربيع. هذا ما تتطلّبه منك الطبيعة السخية. فالأهل يواسون الأهل في حزنهم وكربتهم. قل له : الوداع، وأودعْه ضريحه مكرراً له حنانك، واستأذنْه بالانصراف.

لوسيوس الشاب : جدّي، يا جدّي، أودّ من أعماق قلبي أن أموت لكي تعود إليك الحياة. يا مولاي، لا يسعني أن أكلّمه لأن الدموع تخنق صوتي في حنجرتي عندما أحاول أن أفتح فمي.

(يدخل الخدم مصطحبين هارون).

الروماني الأول : أنت يا اندرونيكوس الكئيب، ألم تنتهي أحزانك بعد؟ أصدر حكمك على هذا الخسيس الذي سبّب لك كل هذه الفواجع.

لوسيوس : ادفنوه حياً في التراب حتى صدره، ودعوا الجوع يمزق أحشاءه واتركوه هنا يلتمس الطعام بتذلّل وحسرة. وإن أغاثه أحد أو أشفق عليه، فموتاً يموت من جرّاء تمرّده هكذا على أوامري. هذا قراري. فليسهر بعضكم على ابقائه مطموراً في بطن الأرض.

هارون : لماذا هذا الغضب الصامت؟ لماذا هذه الثورة الخرساء؟ أنا لست ولداً لألجأ الى توسّلات حقيرة، واندم على ما ارتكبته من ذنوب. سأرتكب ألفاً أقبح منها وأحطّ، لو كنت حراً، أتصرّف على هواي. وإن كنت أتيت عملاً صالحاً واحداً طوال حياتي، فأنا نادم عليه من أعماق قلبي.

لوسيوس : ليأخذ بعض الأصدقاء الأوفياء الأمبراطور من هنا، ويؤمّن له مثواه الأخير في ضريح أبيه. فوالدي ولافينيا سيودَعان حالاً مدفن اسرتنا. أما هذه النمرة المتمرّدة تامورا، فلا مراسم جنائزية لاكرامها ولا حداد أسفاً عليها، ولا جرس لينعيها ويعلن مواراتها الثرى، بل ألقوا جثتها إلى الوحوش الضارية بدون شفقة، اذ لا رحمة تسدى إلى جثةِ من كان على مثالها من المشاغبات المستهترات، اسهروا على تنفيذ الحكم بصرامةٍ في البربري اللعين هارون الذي سبب لنا كل هذا الشقاء المضني. ثم نرتّب أمور الدولة ونعيدها إلى مجراها الطبيعي، لنمنع تكرار مثل الكوارث التي تؤدي بنا وبالبلاد حتماً الى الدمار والخراب.

(يخرجون).

(تمّت)

Bibliotheca Alexandrina
0463865